أنطون تشيخوف

الرَّسائل

(١٨٧٥ - ١٩٠٤)

منشورات الجمل



أنطون تشيخوف: الرَّسائل

أنطون تشيخوف

الرَّسائل

(١٨٧٥ - ١٩٠٤)

ترجمة: خيري الضامن



منشورات الجمل



أنطون تشيخوف: الرّسائل (١٨٧٥-١٩٠٤)، الطبعة الأولى
ترجمة: خيري الضامن

ص.ب: ٧٣١١١ - الشارقة - الإمارات العربية المتحدة

Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

إلى ذكرى فقيدنا الغالي د. أبو بكر يوسف
أفضل مترجم لأهم أعمال تشيخوف

خيري



تقديم

تشغل رسائل أنطون بافلوفيتش تشيخوف (٢٩ يناير ١٨٦٠- ١٥ يوليو ١٩٠٤) إحدى أكبر المساحات على خريطة أدب المراسلات الروسي والعالمي. فقد احتفظ التاريخ بما مجموعه ٤٤٠٠ رسالة موثقة حررها الكاتب على امتداد ٢٩ عاماً من حياته القصيرة وملأت ١٢ مجلداً من مجموعة مؤلفاته الكاملة في ٣٠ مجلداً. وتتجلى سعة هذه المساحة إذا قارناها، مثلاً، بعدد رسائل دوستويفسكي التي لا تتجاوز الـ ٩٠٠.

رسائل تشيخوف تمثل شكلاً فريداً من السرد الوثائقي المقتضب لمجريات حياته ومسارات إبداعه. وفي كل رسالة لمسات براقة من صورة الكاتب الشخصية بريشته الآسرة. إلا أن القيمة المعرفية لتلك الرسائل أكبر من وزنها الشخصي. ففيها نبض الحياة الثقافية والاجتماعية في روسيا أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

وتأتي أهمية الرسائل من كونها عبارة عن سجل دقيق لكتّاب وشعراء العصر الفضي للأدب الروسي، ذلك لأن تشيخوف يراسل عشرات من الأدباء الذين لا يعرف القارئ العربي حتى أسماءهم، فيما كان لهم دور كبير في تطور الحياة الأدبية يعترف به تشيخوف نفسه ورموز تلك الحقبة الآخرون، وعددهم أقل بكثير من رموز العصر الذهبي.

مواضيع الرسائل في غاية التنوع: من يوميات الترحال إلى مواقيت العمل في كتابة القصص ومراحل تأليف المسرحيات، إلى أحداث الحياة العائلية والارتباطات الفكرية مع أبرز الأدباء والناشرين والمسرحيين والملحنين وسواهم.

وهي مشحونة بآراء تشيخوف في القضايا الجمالية والفنية، وأفكاره بشأن

مهمات الأدب وخصوصية الفنان وأصالته وتفرد موقفه العقائدي. بعض الرسائل نماذج رائعة في النقد الأدبي. والعديدُ منها رسائل طريفة مشبعة بروح الفكاهة، وهي في الوقت ذاته رسائل شريفة، بمعنى أنها حادة اللهجة وكاتبها لا يخشى في الحق لومة لائم. وإلى ذلك تتولى الرسائل دور المحلل الشخصي والناقد الموضوعي لنتاجات الكاتب الذي أطبقت شهرته الآفاق...

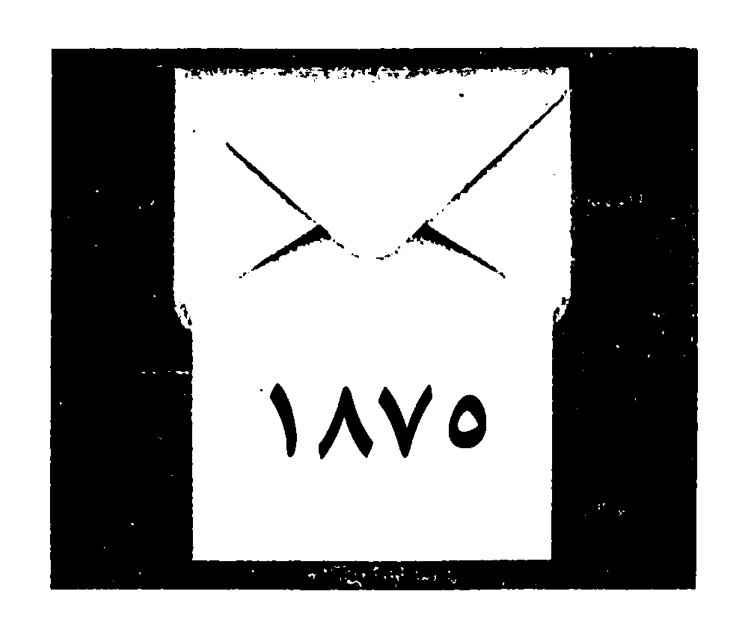
الناشر



أهم رسائل الفترة ١٨٧٥-١٩٠٤

مترجمة عن الأصل الروسي

(الشروح بين هلالين للمترجم)



١. إلى ألكسندر تشيخوف (شقيق الكاتب الأكبر، أديب)

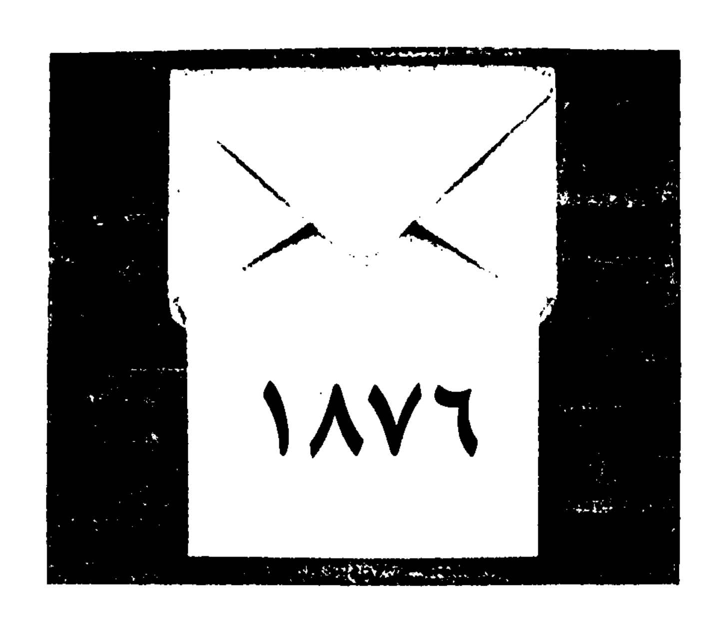
تاغانروغ، (؟) يوليو ١٨٧٥
(بخط وتوقيع نكولاي تشيخوف)

عزيزي ساشا!

أرد هنا على رسالتك وطلبك: مدينتنا يسودها الهدوء والوئام لدرجة لم أتوقعها بعد عرض المسرحية. الزملاء تفرقوا تقريباً. تصور عندما مضيت إلى الثانوية لآخذ الشهادة وفتحت السجل الحاوي للجهات التي يتوجه إليها زملاؤنا (الخريجون) فوجئت بأنهم ماضون جميعاً إلى بطرسبورغ وخاركوف، ما عدا اثنين، هما ألديروف وبولانتسيف إلى موسكو!!! غازونباوم يقول لو أننا ذهبنا إلى موسكو ثلاثتنا (هو وأنطون ونكولاي) لاستأجرنا شقة مؤثثة بغرفتين مع سماور بسعر ١٠ أو ٩ روبلات، أي ٣ روبلات للشخص الواحد. ينبغي أن نسافر معه، لا سيما وأننا لا نعرف موسكو جيداً. تعال يا أخي بأسرع ما تستطيع مهما كانت الظروف، ولا تعذب نفسك بعاداتك الغريبة / الشاي (المركّز)/ ، تعال على بركة اللّه وتبريك الوالدين. بعثتُ رسالة إلى مدرسة الرسم والنحت والعمارة في موسكو، إلى المفتش السيد تروتوفسكوي. عندنا (في تاغانروغ) الوضع هادئ، ولا نسمع أنباءً مثيرة، ونعيش في نعيم.

تعال سريعاً.

المخلص ن. تشيخوف



٢. إلى ميخائيل م. تشيخوف (ابن عم الكاتب)

تاغانروغ، ٧ ديسمبر ١٨٧٦

الأخ الطيب ميخائيل ميخائيلوفيتش

تشرفت وسررت باستلام رسالتك قبل أيام. في هذه الرسالة أنت تمد لي يدك الأخوية، وأنا أشد عليها بشعور من الفخر والاعتزاز، كونها يد الأخ الأكبر سناً. أنت أول من لمّح إلى الصداقة والمودة التي ما كنت أجرؤ أنا على الإشارة إليها. إن من واجب الأخ الأصغر أن يطلب من أخيه الأكبر شيئاً من هذا القبيل، وليس ذلك من شأن الأخ الأكبر، فلا مؤاخذة. على أية حال كانت الرغبة في هذه الصداقة من أولى أفكاري ومخططاتي.

كنت أتوق إلى الفرصة السانحة لأتعرف عليك عن كثب. كنت أحلم بذلك، وها أنا أستلم أخيراً رسالتك. أنت تشغل المرتبة الأولى في مكاتبات والدي ووالدتي وإخوتي. أمي ترى فيك أكثر من ابن عم لنا. إنها تضعك على كفة واحدة مع العم ميتروفان يغوروفيتش الذي أعرفه جيداً وسأظل أثني عليه دوماً لصفاء روحه وطبعه الطيب الرقيق المرح. ولا حاجة بي للكلام عن إخوتي. فلقد درستَهم ولعلك تفهمهم بنفسك. وبالتالي أنت عزيز على عائلتنا. وأنا درستك من خلال رسائلك. فكيف أتخلف ولا أنتهز الفرصة المناسبة لأتعرف على إنسان مثلك؟ وإلى ذلك كنت ولا أزال أعتبر أن من واجبي أن أحترم أكبر أبناء عمي سناً، أحترم ذاك الذي تحترمه عائلتنا وتعزه. ويمكنك أن تحكم على مدى فرحتي لاستلام رسالتك.

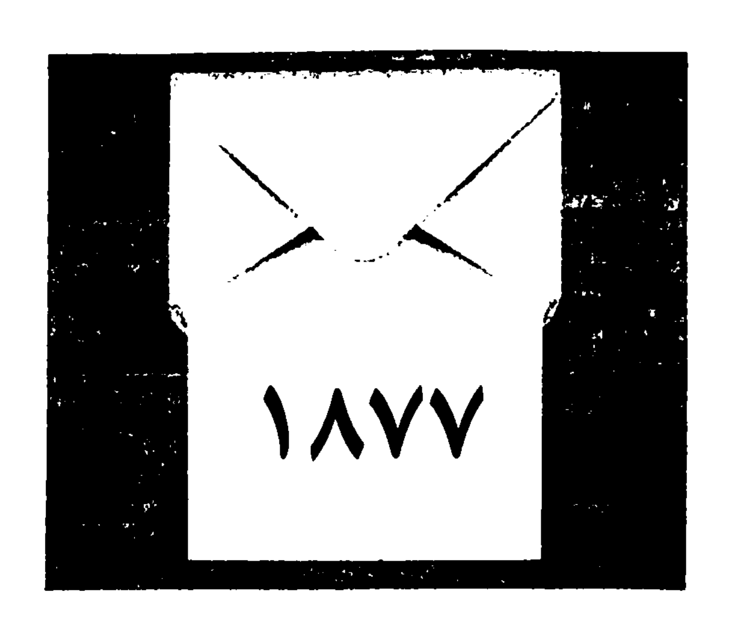
ليس بوسعي أن أقول شيئاً عن نفسي، ما عدا كوني بصحة وخير. ولعلك قد سمعت الكثير عني من والدتي، ومن (أخويّ) ساشا (ألكسندر) وكوليا (نكولاي). تكرم عليّ بنقل تحياتي للأخت المحترمة يليزابيتا ميخائيلوفنا والأخ غريغوري ميخائيلوفيتش. وقل لهما إن لديهما في الجنوب أخاً من هواة جمع الرسائل على اختلاف أنواعها. وبودّي أن أستلم منهما رسائل إن أمكن. أما أنت فأرجوك من دون تكلف أن تكتب لي ولو مرة في الشهر. فتكرم عليّ واكتب لي كما يكتب الأخ لأخيه، بصراحة ومن دون لف ودوران، كيلا تحصل إية إطالة. وأنا، بالطبع، لن أتخلف عنك في الكتابة. فالدَّين، كما يقول المثل السائر، يُستحسن أن يسدد. سأكتب لك بنفس الشاكلة. وعلى ذكر الأمثلة السائرة، أقول: «لن أدس رقبتي في الأنشوطة قبل الأوان». وأعني أن البداية منك. فأنا صغير لا أختلف كثيراً عن كوليا وساشا.

وتقبّل مني أفضل التمنيات وأصدق التحيات.

يشرفني أن أكون أخاك الأصغر وخادمك المطيع

أ. تشيخوف

(...)



٣. إلى ميخائيل م. تشيخوف

تاغانروغ، ٢٩ يوليو ١٨٧٧

أخي العزيز ميشا!

بدايةً أهنئك على عودتك من كالوغا إلى موسكو، الحمد لله على السلامة! كما أهنئك بزفاف أختك وأختي (يكاترينا) متمنياً لها الرفاه والبنين ولزوجها موفور الصحة والمال وكل خيرات الدنيا. أدعو الله أن لا يكون هذا الزفاف هو الأخير في بيتك، ولا ما قبل الأخير، بل ولا حتى الثالث في سلسلة لا تنتهي. وأتمنى أن تجري جميع حفلات الزفاف بأروع من روعة الحفلة الحالية التي أفرحت جيل آل تشيخوف الحكيم بمجمله. شكراً ليكاترينا ميخائيلوفنا التي أرست البداية... ولربما يهبني الله غداً أو بعد غد فرصة التمتع بحضور زفاف ميشا تشيخوف والباقين. كتب لي أهلي أنك دبرت أمر الزفاف على أحسن ما يكون. أتمنى من كل قلبي أن تجد شقيقاتنا المزيد من الإخوة من أمثالك. فنحن، بمجموعنا، عاجزون عن خدمة أخت واحدة قدر ما تقدمه أنت من خدمات لجميع أخواتنا وبنات عمنا. اللسان يعجز عن شكرك والاعتراف بفضلك. إلا أن الشيء المؤسف الوحيد هو أنني لم أحضر الزفاف ولم أقرع الكأس معك كما فعلنا في موسكو. لا سيما أنا من هواة السمر، السمر الروسي الصاخب بما فيه من رقص وأهازيج وشراب...

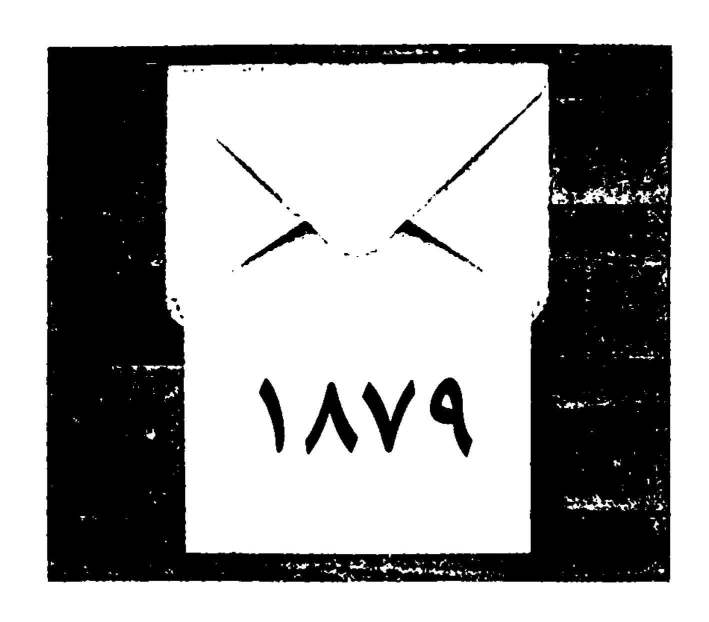
أحرر لك هذه الرسالة وأنا في تمام الصحة كما هو المطلوب، وآمل أن تصلك وأنت أيضاً في صحة وعافية وفي أطيب مزاج. لقد استلمت بطاقة الدعوة (من مدينة

كالوغا) في السادس عشر من يوليو الحالي وأعبّر عن شكري ألف مرة على حسن إهتمامهم هناك. وأنت، لمَ لا تكتب إليّ؟ اكتب لي يا أخي. أنا أنتظر كل يوم رسالة بخط يدك. اكتب لي عن ماجريات حياتك وعن أحوال عائلتك وكيف حال يليزافيتا ميخائيلوفنا التي لم يتسع لي الوقت كي أتعرف عليها جيداً. تحياتي واحتراماتي إلى غريشا (غريغوري). وإذا التقيتَ والدي بلّغه بأنني استلمت رسالته الغالية وأنا شاكر له كل الشكر. والدي ووالدتي أعز الناس في الدنيا على نفسي، ولن أبخل بالغالي والنفيس من أجلهما. وإذا كنت سأبلغ منزلة رفيعة فما ذلك إلا بفضلهما. إنهما من أروع الناس، وحبهما اللامحدود للأطفال يجعلهما فوق كل ألوان المديح، وهو يشفع لهما ويطغى على كافة العيوب التي قد تنجم عن تدهور الأحوال المعيشية، كما يمهد لهما الطريق الآمن المستقيم الذي يؤمنان به ويأملان فيه خلافاً للكثيرين من الآباء. انظر إلى أبناء عمك وإلى حال عمك وعمتك وستوافقني الرأي. خبّر والدتي بأنني أرسلت لها النقود مرتين وأستغرب لعدم استلامها. بلّغ طالبنا ساشا (ألكسندر، شقيق الكاتب) تحياتي وقل له أن يسامحني لأني لا أراسله. أنا أنوي أن أكتب له عن تعدد الزوجات الذي أعترف بأنني من مؤيديه. ساشا، في اعتقادي، إنسان طيب، ولا أدري لماذا يعتبرني عدمياً. خبّر كوليا (نكولاي، شقيق الكاتب) بأنه كانت تعمل في متجر غافريلوف يهوديتان هما روزا ميخائيلوفنا أبيشتين و(أختها) فيرا. وبلغه تحياتي. فكر في لقاء ما لنا على شارع ما.

هلا أرسلت لي أخيراً الصور التي وعدتني بها؟! بينما أنت أول من أرسلُ إليه صوري إذا التقطتها. تحياتي لزملائك في العمل، وخصوصاً أبولون إيفانوفيتش الذي يعرفني جيداً وقد وعد بمراسلتي. وبلّغ أرقّ وأجمل تحياتي إلى يليزافيتا وألكساندرا. اكتب لي. أنا أعتز وأفتخر برسائلك. بعثتُ إلى كالوغا رداً على الدعوة. انقل تحياتي إلى (عائلة) بتروف، وتمنّ الخير لأخيك الذي يتمنى لك الخير ويحترمك

أ. تشيخوف

كيف حال فانيا؟ (إيفان، شقيق الكاتب)



٤. إلى ميخائيل تشيخوف
(شقيق الكاتب الأصغر، حقوقي وأديب)

تاغانروغ، ٥ أبريل ١٨٧٩

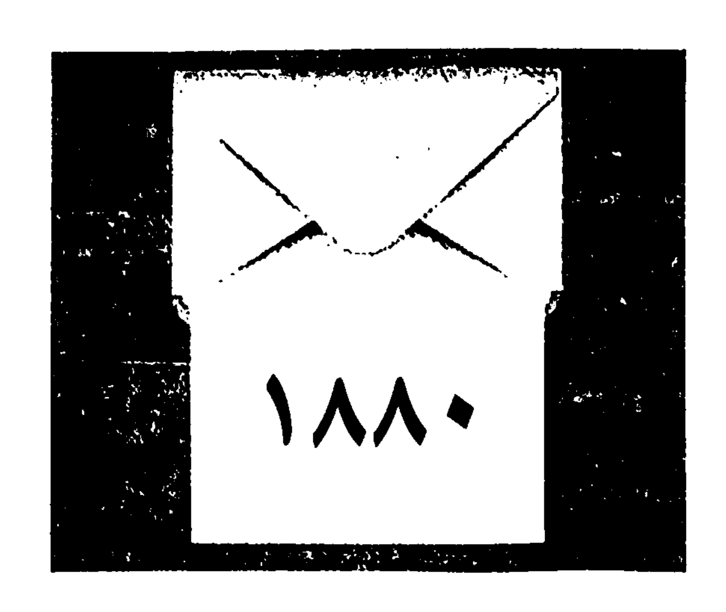
أخي العزيز ميشا! (ميخائيل بافلوفيتش)

استلمت رسالتك في لحظة من الملل الفظيع وأنا أتثاءب عند بوابة المنزل، فيمكنك أن تتصور مدى أهمية وصولها في الوقت المناسب. خطك جيد، ولم أجد في الرسالة كلها ولا خطأ نحوياً واحداً. لكنّ الشيء الوحيد الذي لا يعجبني هو أنكِ تحقّر نفسك وتوقع الرسالة بـ«أخيك التافه الصغير»، لماذا؟ تعترف بتفاهتك؟ ليس من الواجب، يا أخي، ان يكون كل الذين يحملون اسم ميشا متساوين. هل تعرف أين ينبغي أن تعترف بتفاهتك؟ أمام اللّه، وربما أمام العقل والجمال والطبيعة، ولكن ليس أمام البشر. بين الناس يجب أن تدرك كرامتك. فأنت إنسان نزيه، وليس نصاباً ماكراً، أليس كذلك؟ فإحترم الشاب النزيه القابع في نفسك واعلم أن الشاب النزيه ليس تافهاً. لا تخلط بين «الاستكانة» و«الاعتراف بالتفاهة».

غيورغي ترعرع. وهو صبي طيب. وأنا كثيراً ما ألعب معه عظْمة الكعب. وقد استلم طرودك. حسناً تفعل عندما تقرأ الكتب. تعوّد على المطالعة. وستعرف قيمة هذه العادة بمر الزمن. السيدة هارييت بيتشر ستاو («كوخ العم توم») استدرت دموعك؟ أنا قرأتها في حينه. ثم قرأتها قبل ستة أشهر لأغراض البحث العلمي، وخامرني بعد القراءة شعور غير مريح كالذي ينتاب من يفرط في تناول الزبيب أو

الكشمش. الطير الذي وعدتُك به فرّ ولا أعرف إلى إين. سأحاول أن أجلب لك شيئاً آخر. اقرأ من الكتب «دونكيشوت» كاملاً بسبعة أو ثمانية أجزاء. كتاب جيد. إنه من مؤلفات سرفانتس الذي يعتبر من مستوى شكسبير. وأنصح الأشقاء أن يقرأوا كتاب تورغينيف «دونكيشوت وهاملت»، إذا لم يقرأوه بعد. وهو صعب بالنسبة لك يا أخي. قد لا تفهمه. وإذا كنت تريد مطالعة رحلة غير مملة اقرأ «فرقاطة» غونتشاروف وما إلى ذلك. أبعث من خلالك تحية خصوصية إلى (أختنا) ماشا (ماريا). ولا تحزنوا لأنني سأتأخر في المجيء. الوقت يمر بسرعة، رغم ما ذكرتُه عن الملل. سأصطحب معي طالباً يدفع ٢٠ روبلاً في الشهر (لقاء الإقامة في منزل عائلة تشيخوف)... على فكرة، الـ ٢٠ روبلاً قليلة إذا أخذنا بالاعتبار غلاء المعيشة في موسكو وطباع الوالدة التي تطعم النزيل بما أنعم اللّه، خلافاً لمعلمينا الذين يتقاضون ٣٥ روبلاً ولا يطعمون نزلاءهم من الفتيان الفقراء إلا كما يطعمون الكلاب. حساء من دون لحم.

أ. تشيخوف



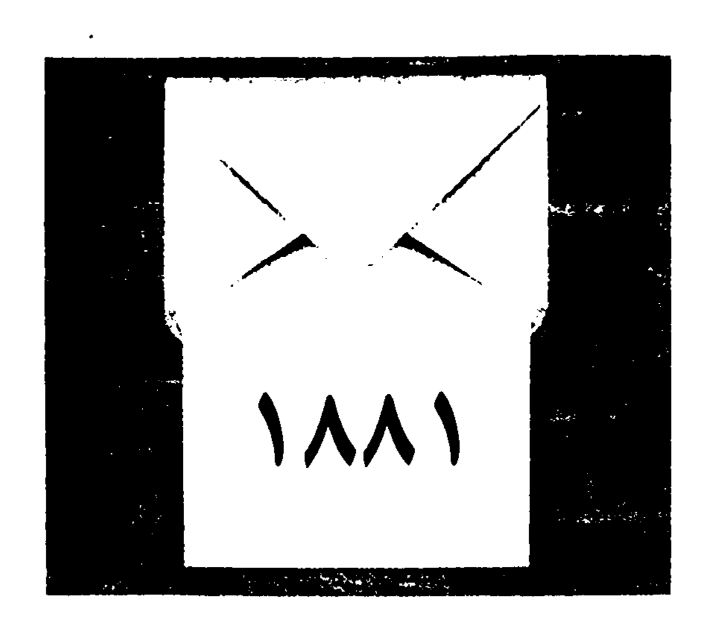
٥. إلى عائلتي زاكوروكين وليادوف

موسكو، ٢٥ ديسمبر ١٨٨٠

يتشرف تشيخوف رقم ٣ ويطيب له أن يهنئ العم والعمة (زاكوروكين) وإيفان إيفانوفيتش ويوليا إيفانوفنا (ليادوف) بالعيدين (الميلاد ورأس السنة) ويتمنى لهم كل خير. هذه التهنئة والتمنيات سارية المفعول أيضاً للأول من يناير ١٨٨١.

المخلص أ. تشيخوف

١٨٨٠/١٢/٢٥



٦. إلى ألكسندر تشيخوف

موسكو، ٦ مارس ١٨٨١

ألكسندر!

أنا، المدعو أنطون تشيخوف، أكتب هذه الرسالة في صفاء ذهن، بعيداً عن السكر، متمتعاً بكامل الوعي وبرود الأعصاب.

أكتب بلهجة الدراسة في المعهد لأنك رغبت بأن لا أتحدث إليك بعد الآن. وإذا كنتُ لا أسمح للوالدة والأخت والمرأة بكلمة زائدة توجه إليّ فمن الأحرى أن لا أسمح لحوذي سكران أن يتفوه بكلمة من هذا النوع. وحتى لو كنتَ حبيبي ١٠٠٠٠٠ مرة لن أتحمل الإهانة منك من حيث المبدأ أو لأية اعتبارات أخرى. وإذا عنّ لك، من قبيل الصدفة، أن تستخدم أحبولتك، أي إلقاء التبعة كاملة على «حالة السكر»، فاعلم بأنني أعرف جيداً أن «السكران» لا يحق له أن (يتغوط) على رأس غيره. مفردة «الأخ» التي تخوفني بها كيلا أغادر ساحة القتال أنا مستعد لشطبها من قاموسي في أي وقت، لا لأنني لا أمتلك قلباً، بل لأن المرء ينبغي أن يكون مستعداً لكل طارئ في هذه الدنيا. أنا لا أخشى شيئاً، وأنصح إخوتي الأشقاء أن لا يخشوا شيئاً. ولعلّي أكتب ذلك لأصون مستقبلي وأحميه من مخاطر كثيرة، وربما حتى من صفعة يمكنك أن تسددها لأي كان وحيثما كان بحكم «ممانعتك» الرائعة /التي لا يعيرها أحد بالاً في الواقع/. لقد كشف شجار اليوم أمامي، ولأول مرة، أن كتاباتك التي تتغنى فيها باللياقة والأدب لا تمانع في تسديد

الصفعة المذكورة وأنك إنسان في منتهى الانطوائية والكتمان، بمعنى في منتهى الغرور، ولذا . . .

خادمك المطيع أ. **تشيخوف**

٧. إلى سليمان كراميريف (زميل الكاتب في الثانوية)

موسكو، ٨ مايو ١٨٨١

سليمان الحكيم جداً، أي الداهية النصاب!

(. . .) أنا بخير، أتعلّم وأعلّم (تشيخوف أعطى دروساً للتلاميذ بأجور). أحاول العبور إلى السنة الدراسية الثالثة (في الطب). أتصورك ملتحياً. ليتني أراك! على فكرة، المرأة (الفلانية) لا بأس بها. مليحة. ومع ذلك لم أتعرف عليها. ما الموجب؟ لقد ولى زماني!!! لم أطلق العنان لمخيلتي (في مغازلتها). ليس لأن الخيال يعني العادة السرية /بحسب نظرية سليمان كراميريف/ ، بل لأنني كنت نائماً، ولم يتسع الوقت لهذا الغرض. تعال إلى موسكو لتتعلّم وتعلّم. أبناء تاغانروغ (وأنت من أبنائها) يحالفهم الحظ في موسكو. فهم، هؤلاء السفلة، متفوقون في الدراسة ويقفون بمنأى عن المشبوهين. درجة النجاح الغالبة عند أبناء سانت تاغانروغ هي الخمسة (المئة). لا شيء عندي أكثر من هذا لأكتبه لك. اكتب لي أنت إذا أردت. أنا أرتاح لرسائلك لأنك تكتب بالشكل الصحيح ولا تستعمل الألفاظ البذيئة. كما لا أسمح لك، أنت أيضاً، أن تشكك في نصرانيتي.

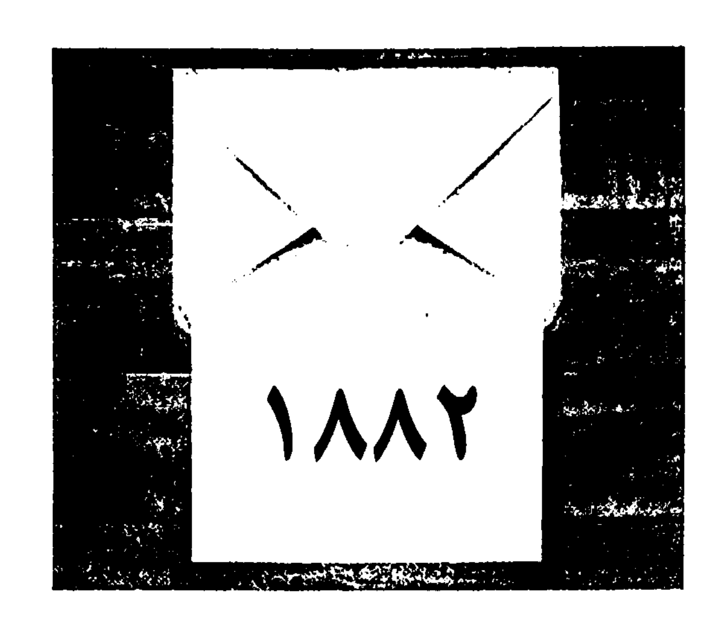
الطقس في موسكو جيد. وأفراد عوائل بيكونسفيلد وروتشيلد وكراموروف لا ولن يتعرضوا للضرب هنا. فالمشغولون بالعمل لا وقت لهم للشجار. والكل في موسكو مشغولون بالعمل. عندما يضربونك في خاركوف اكتب لي، وسآتي. فأنا أيضاً أحب أن أضرب المستغِلين (. . .)

أتمنى لك أن ترى في المنام مذبحة كييف - يليزافيتاغراد، وتلتقي لوتوستانسكي الحاقد على اليهود، وتعرّج على محرري جريدة «العصر الحديث». أتمنى لك، أنت الإسرائيلي، أن ترى في المنام كيف ينتقل جثمانك إلى الجنة، وكيف ترعبك غضبة الروس العادلة وتحطم أعصابك!!!

مستعد لخدمتك دوماً، وبكل احترام، متمنياً لك الخير.

المخلص أ. تشيخوف

تعال إلى موسكو!!! أنا متيم بحبها. من يتعود عليها لن يغادرها أبداً. أنا موسكوبي مدى الدهر. تعال لتمارس الأدب. هذه المتعة غير متوفرة في خاركوف. أما في موسكو فيمكنك أن تكسب منها ١٥٠ روبلاً في السنة. أنا، مثلاً، أكسب هذا المبلغ. فرص إعطاء دروس بأجور نادرة... تعال!!! كل شيء هنا رخيص. يمكن شراء السروال بعشرة كوبيكات. حتى الوطنية رخيصة /إلى حد الاختناق/. كل ذرة رمل وكل حصاة تعتبر من الآثار التاريخية. تعال!!! الحقوقيون والمحامون في موسكو يعيشون مثل لويس الرابع عشر. تعال.



٨. إلى ألكسندر تشيخوف

موسكو، ٢٥ ديسمبر ١٨٨٢

صياد المهربين الدوليين، شقيقي مسؤول الجمارك، وأجمل الناس ألكسندر بافلوفيتش!

منذ شهر أنوي الكتابة إليك، وها أنا أبدأ الآن. في الوقت الذي جلستُ فيه الحولتان، (الوالدة وماريا)، والأحول / الوالد، وهو إلى ذلك حقوقي، فمن يا ترى غيره يطالب في طعام الصباح بالثبوتات الحقوقية؟/ يأكلون القديد مع صلصة القرنفل أنا أكتب لك، وأنوي الكتابة بما قيمته ٢٥ روبلاً فضياً بحساب السطور. سأحاول مهما كان الاضطراب الذي يسببه لي ذلك.

١ . الطقس رائع. والشمس مشرقة. ١٨ درجة. ولا ألذ من التجوال مع حوذي الأجرة. الشوارع مهمومة مشغولة بالشكل الذي بدأتَ أنت تنساه، وهذا في طبيعة الأشياء. الحوذية يتدافعون مع الخيول، والخيول تعاملهم بالمثل. والسير على الأرصفة متعذر لشدة الزحام في كل مكان. أمس وأول من أمس جبت مع نكولاي موسكو من أقصاها إلى أدناها. والازدحام ذاته في كل مكان. فماذا عندكم في تاغانروغ؟ أتصور الضجر الذي أنتم فيه وأتفهم وضعكم. اليوم يوم الزيارات. الضيوف عندنا كثيرون يومياً، واليوم بخاصة. وأنا لا أرد على الزيارات ولا أمضي إلى أي مكان: أطباء الحاضر والمستقبل (وأنا منهم) لا يقومون بزيارات (اجتماعية)

٢ . رئيس تحرير «المكتبة الأوروبية» الجديد باستوخوف يقول إن كل ما ترسله

وما أرسلته سينشر. وقد طلبتَ الأجرة مقدماً، لن يدفعوا لبخلهم. من الصعب استحصال النقود المكتسبة بعرق الجبين... على فكرة، /وهذه مجرد ملاحظة مني/ الترجمة ليست جيدة كلها. إنها تصلح للنشر، لكنني يمكن أن أطلب منك أكثر: فإما أن لا تترجم سخافات غثة، أو تترجم ولكن بعد تنقيح. بل ويمكنك حتى أن تختزل أو تطيل. المؤلفون لن يزعلوا، فيما تكتسب أنت سمعة مترجم جيد. ترجم قصصاً قصيرة. ويمكن تحويرها لتناسب الحياة الروسية. وهي تأخذ من وقتك قدر ما تأخذه التراجم الطويلة، بينما تكسب منها أكثر. باستوخوف سينشر بارتياح التحويرات القصيرة.

٣. بموجب أحد المراسيم الأخيرة لا يحق لموظفي الدولة أن يشغلوا مناصب إضافية.

٤. غافريلكا سوكولنيكوف اخترع محركاً كهربائياً. إنه اختراع مهم يعود له وحده. هذا الوغد متضلع في الكهرباء وكل متضلع بها في عصرنا يمارس الاختراع. المجال واسع رحب.

٥. (أخونا) نكولاي لا يكتب لأحد أبداً. تلك هي خاصية بدنه الأحول (الأعوج). وهو لا يرد حتى على الرسائل الضرورية، وقد خسر الكثير من الطلبيات بسبب ذلك (...)

٦. «المشاهد» تواصل الصدور. نقودهم كثيرة. وستستلم منهم... اكتب بحجم ١٠٠- ١٢٠ - ١٥٠ سطراً. الأجرة ٨ كوبيكات للسطر الواحد. ولا أنصحك بالكتابة إلى «المنبه». لديهم إدارة جديدة، تتكون من (السيد) كوريبين ويهود، أسوأ من الإدارة القديمة بكثير. إذا أردت أن تكتب إلى «كلام الناس» ابعث ما تكتبه على عنواني. فهذا شيء مهم. وتذكر عموماً أن ما ترسله على عنواني له نصيب في النشر أكبر مما لو أرسلته على عنوان هيئة التحرير. المحسوبية محرك هام، وأنا محسوبك.

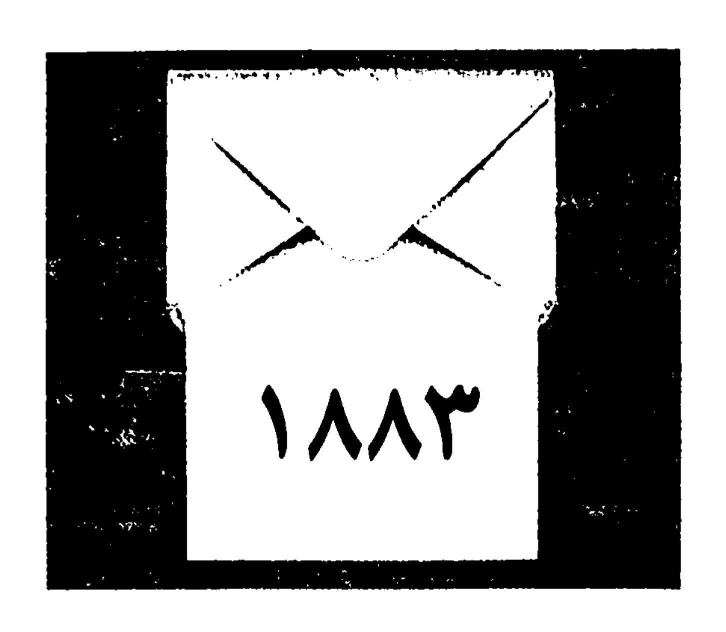
٧. بعد أسبوع. احتفلنا بالعام الجديد عند بوشكاريوف. رأينا غافريلا هناك ببدلة السهرة وكذلك ناديا ترتدي قفازاً.

٨. لا أثر للنقود... مطلقاً. الوالدة تلومنا على الإفلاس...

وهلمجرا.

لم أعد قادراً على الكتابة أكثر.! قاتل الله الكسل وضيق الوقت!

أ. تشيخوف



٩. إلى نكولاي لَيكين (صاحب مجلة «الشظايا»)

موسكو، ١٢ يناير ١٨٨٣

السيد الفاضل نكولاي ألكساندروفيتش!

رداً على رسائلكم الكريمة أبعث إليكم عدة أعمال. («الوسيلة الوحيدة» و«حالة من جنون العظمة» و«في ليلة حالكة»). الاستحقاق المالي استلمته، كما أستلم المجلة أيضاً في أيام الثلاثاء. فشكراً لكم على هذا وذاك. كما أشكركم على الدعوة المشجعة لمواصلة التعاون. أنا أتعاون مع «الشظايا» برغبة متزايدة. ذلك لأن توجه مجلتكم وإخراجها والمهارة في إصدارها ستجتذب الكتاب كما اجتذبتني، ولست أنا وحدي.

أنا أيضاً أنادي بالكتابات القصيرة، ولو أصدرت مجلة فكاهية (كمجلتكم) لاستهنت بكل المطولات. أنا الوحيد في هيئات التحرير في موسكو أتمرد على الإطالة والإسهاب. إلا أن ذلك لا يمنعني أحياناً من كتابة مطولات إلى البعض... فالمرء لا يسعى إلى حتفه. ولكنني في الوقت ذاته أعترف بأن القيود «شبراً شبراً» تسبب لي أحزاناً لا يستهان بها. ومن الصعب جداً في بعض الأحيان السكوت على تلك القيود. مثلاً... أنتم لا تعترفون بمقال يتجاوز الـ ١٠٠ سطر، وهذا أمر له ما يبرره... ولكن، يخطر في بالي موضوع، فأباشر بكتابته. إلا أن فكرة الـ«١٠٠» و«لا أكثر» تمسك بساعدي منذ السطر الأول. فأختصر قدر الإمكان، وأغربل وأفعل أحياناً، كما يوحي به حدسي الإبداعي، ما يلحق ضرراً بالموضوع، والأهم،

بالشكل أيضاً. وعندما أختصر وأغربل أبدأ بالحساب... وعندما أصل إلى الـ ١٠٠- ١٢٠-١٤٠، ولم أكتب أكثر إلى «الشظايا»، يستولي عليّ الخوف و... لا أرسل المادة. وما إنْ أنتقل إلى الصفحة الرابعة من الحجم الصغير حتى تلتهمني الشكوك و... لا أرسل المادة. وفي أغلب الأحيان أضطر إلى اجترار الخاتمة على عجل وإرسال ما لم أكن أنوي إرساله... ومن مؤشرات أحزاني هذا المقال الذي أوافيكم به، وهو بعنوان «الوسيلة الوحيدة»... لقد اختصرته وأبعثه إليكم بشكله الموجز، ومع ذلك يخيل إليّ أنه طويل جداً بالنسبة لكم. والحال فلو كتبته بصيغة أطول بمرتين لتضمَّن ضعف ما فيه من محتوى ومغزى... ولدي مقالات أقصر، ولكنني أخاف عليها هي أيضاً. وأهمّ بإرسالها أحياناً، ولا أجرؤ...

بناءً على ذلك أرجو أن توسعوا حقوقي لحد ١٢٠ سطراً... وأنا واثق بأنني نادراً ما أستخدم هذا الحق، إلا أن يقيني بوجوده سيخلصني مما يمسك بساعدي.

وفي الأخير تقبلوا احترامات المخلص خادمكم المطيع

أنط. تشيخوف

لمناسبة رأس السنة أعددت لكم مظروفاً وزنه ٣ أرطال، وجاء رئيس تحرير «المُشاهد» (دافيدوف) وانتزعه مني. وما كان بوسعي أن أستعيده منه، فهو صديق. صحفيونا يقرأون الكتابات التي تسخر من الموسكوبيين العاملين لمصلحة بطرسبورغ أيضاً. ولكن من المستبعد أن تنتزع بطرسبورغ منهم أكثر مما تبتلعه الرقابة. فمن مجلة «المنبه» المسكينة يشطب الرقيب ما بين ٤٠٠-٨٠٠ سطر من كل عدد. ولا حيلة للمجلة في الأمر.

١٠. إلى نكولاي ليكين

موسكو، ٢ مارس ١٨٨٣

نكولاي ألكساندروفيتش المحترم

استلمت الرسالة والمستحقات. مرسي (شكراً). يبدو أن نبوءتكم بخصوص كتاباتي ستتحقق: سأكتب. أرجئ نصف العمل إلى ما بعد الصيف. فأنا أكسب في

الربيع وأخسر في الصيف. اعتباراً من منتصف أبريل أبدأ بكتابة ما أسميه «أقاصيص المنزل الريفي». في العام الفائت نجحت في كتابة مثلها. سأكتب كثرة من الأقاصيص وأوافيكم بها لتختاروا منها ما يعجبكم، والباقي، بعد اختياركم، أرسله إلى موسكو- الأم. . . أبعث إليكم أقصوصة بعنوان «الغليون» للكاتب المغمور أغافوبود يدينيتسين (الاسم المستعار لشقيق الكاتب ألكسندر) من أبناء موسكو. طلب مني أن أوصلها إليكم (ليكين لم ينشر الأقصوصة).

وثمة نقطة أخرى. أرجو أن تزودوني بأحد الأعداد القديمة من مجلتكم لمكتبتي المتواضعة. لا أدري أي عدد تحديداً. كنت أقيم في الضاحية آنذاك، وكنت من قرائكم المتحمسين.

لا أزال أتذكر بخاصة أقصوصة منشورة في العدد الذي أريده تتحدث عن تجار عائدين من قداس الفصح الصباحي. وقد حبست أنفاسي وأنا أقرأها. فأنا أعرف أولئك التجار المسرعين إلى القداس حاملين كعكة العيد (. . .) ولا أتذكر العدد الذي نشرت فيه الأقصوصة. . . من علائم ذلك العدد عبارة مشهودة قالها بائع الصور الفوتوغرافية: «هناك أكثر من تورغينيف» (بمعنى عدة تجليات مختلفة للكاتب). هذان مؤشران يساعدانكم في العثور على عدد المجلة المطلوب. وثمة مؤشر ثالث: العدد المذكور من الأعداد الأولى لمجلتكم.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير من

أ. تشيخوف

(. . .)

١١. إلى نكولاي ليكين

موسكو، بعد ١٧ أبريل ١٨٨٣

نكولاي ألكساندروفيتش المحترم

أرسل إليكم عدة أقاصيص مع رد على رسالتكم.

بخصوص قصتَي «الصفصاف» و«اللص» تقولون إنهما تتسمان بقدر من الجدية

لا يناسب «الشظايا». لعلكم على حق. ولكنني ما كنت سأرسل لكم أقاصيص مضحكة لو لم أنطلق لدى إرسالها من اعتبارات معينة.

أظن أن أقصوصة جدية قصيرة بحوالى ١٠٠ سطر لن تكون نشازاً بالنسبة «للشظايا»، لا سيما أن حيثيات المجلة لا تشير، في عنوانها، إلى أنها «فكاهية ساخرة»، ولا توجد فيها حدود مقتصرة على الفكاهة وحدها. والأقصوصة الخفيفة عموماً، ولا أقصد أقاصيصي، والتي تتضمن حبكة واحتجاجاً كافياً، تستهوي القراء جيداً، كما لاحظت من مشاهداتي، ولا تجعل السرد أو السياق أكثر جفافاً. ثم إنه يصادف أحياناً عندكم أنتم، إلى جانب كتابات إ. غريك (اسم مستعار يعني الإغريقي) الهزلية جداً، كتابات أقرب إلى الجد، ولكنها رقيقة رهيفة تكاد تصلح للالتهام بعد الغداء بدلاً من الحلويات. إنها لا تقيم حدوداً، بل على العكس... وحتى ليودور إيفانوفيتش (بالمين) لا يتهكم على الدوام، فيما لا تجد قارئاً من قراء «الشظايا» يفوّت قصائده. القطعة الصغيرة الخفيفة، مهما كانت جدية، لا تستبعد القراءة الخفيفة، وأنا لا أقصد الرياضيات والترانسيت عبر القوقاز... معاذ اللّه أن ندعو إلى الجفاف. ولكن الكلمة الدافئة الحميمة التي توجه إلى اللص في عيد الفصح، وهو إلى ذلك محكوم بالنفي، لا تفسد المجلة. والحقيقة ان من الصعب اللحاق بموكب الفكاهيين. ففي بعض الأحيان نركض وراء الفكاهة لاهثين ونكتب سخافات تثير الغثيان. وعندها ندخل باب الجد رغم أنفنا... لمناسبة عيد الثالوث سأوافيكم بأقصوصة خضراء على غرار «الصفصاف». سأكون جاداً في الأعياد الكبرى فقط.

كتبت إلى أغافوبود يدينيتسين. إنه شقيقي الموظف الآن (في إحدى الدوائر)، وقد تعاون في السنوات الأخيرة مع مجلات موسكو. عمل كثيراً وحقق نجاحات في حينه. كرس حياته للكتابة آنذاك. كان شاباً ساخراً غرق في الكلام الفارغ، وجرفته الظواهر الخارقية، حتى قضى نحبه ككاتب مبدع، على ما أعتقد... كان يريد الفرار من العاطفية الفارغة، ولكن بعد فوات الأوان. فقد تورط. رسائله مفعمة بالفكاهة، ولكنه ما إن يشرع بالكتابة للمجلة حتى يتعثر ويعرج. ولو كان أصغر سناً لكان بالإمكان أن يغدو موظفاً فذاً. إنه منكّت لا بأس به. يتضح ذلك من التحاقه بالخدمة في جمارك تاغانروغ بعد أن سرق الآخرون كل ما يمكن سرقته منها. كتبت له، وسيبعث إليكم، أغلب الظن، شيئاً من نوادره.

وأبقى أنا مستعداً لخدمتكم دوماً

أ. تشيخوف

ملحوظة: لأجل اليوم الأول من عيد الفصح بعثت إليكم أقصوصة «فانيا وأمه»، هل استلمتموها؟

١٢. إلى ألكسندر تشيخوف

موسكو، ١٣ مايو ١٨٨٣

(عزيزي) النفع الصغير (كنية ألكسندر في طفولته)! أتمنى لك، وأنا أرد على رسالتك، أكبر نفع ممكن في الدنيا. بدايةً أنا آسف وأعتذر لأني لم أكتب لك من زمان، وذلك لأسباب لا علاقة لها بهيئة التحرير. فتارة الوقت لا يتسع، وتارة التكاسل... لم أكتب لك، وكان ضميري يؤنبني دائماً. طلبتَ مشورتي بخصوص آلام الإسهال، وربما أنت تنتظر تلك المشورة بفارغ الصبر. فهذا أمر مفهوم. بينما التزمت أنا الصمت طويلاً... أرجو المعذرة مرة أخرى. سألتُ الأطباء وقرأت وفكرت حتى توصلت إلى قناعة بأن أحداً لا يستطيع أن يقول ما يهدئ النفس بخصوص تلك الآلام. البعض يكافحها، والبعض الآخر يصبر عليها. وانا أنصح بشيء واحد: حالما تلاحظ أعراض الإسهال، عند ابنتك طبعاً وليس عندك شخصياً، غيّر طعامها. أطعمها، مثلاً، لبن البقر مخففاً. وأغلب الظن أن الإسهال سيداهمها في الصيف. أمها ضعيفة، وأنت مدمن على الشراب، والجو حار والتغذية سيئة وما إلى ذلك. ولكن لا موجب لليأس. فهذا الإسهال يعالج بالأدوية (...) ضع كمادات على البطن، ولا تطعم الطفلة عصيدة ورغيفاً ولا زيت عباد الشمس والشاي والسوائل الساخنة (...) عندما ينتهي الإسهال يأتي دور الكساح، وهو مرض لا توقفه الأدوية، بقدر ما تؤثر فيه العناية بجودة التغذية. بعد أيام أسافر إلى فوسكريسينسك (لزيارة أخينا)، ومن هناك سأبعث إليك توصية: كيف ينبغي إطعام ابنتك بالمأكل والمشرب، وترويضها وعلاجها وتثقيف أمها بالمهم وغير المهم، ومتى ينبغي الفطام، والتغذية بالعصيدة، وما هي توصيات الأطباء التي يجب

الحذر منها وهلمجرا. كل تلك أمور هامة لا أجرؤ على ابتكارها في عجلة، بل سأفكر وأتعمق فيها طويلاً. سأكتب لك وفقاً لآخر الاستنتاجات العلمية، وأغنيك، بذلك، عن غواية اقتناء مختلف مطبوعات علاج الأطفال وتربيتهم.(. . .) سأكتب لك حتماً. كلمة شرف. وبالمقابل ترسل لي ١٠٠ روبل وأكبر كمية ممكنة من طوابع البريد!

قرأت ردك على رسالتي (القديمة)، فأثار استغرابي نوعاً ما. أنت، يا أخي، لم تفهم بعض المواضع، وتماديت في فهم بعضها الآخر وحملته من المعاني أكثر مما يحتمل. لا أحد يطلب منك أن ترمي بنفسك خارج السفينة المبحرة. ولعلمي بقلة مهارتك في السباحة هل يمكنني أن أقدم لك مثل هذه النصيحة المهلكة ما لم أصب بالجنون؟ كان الحديث يدور عن النتاجات وعن النزعة الذاتية. فلا تركز، يا أخي، على الذات، على شخصيتك (. . .) وحدها. كان كارامزين وجوكوفسكي ينوحان في كل كلمة كتباها، لكنك لا تجد عندهما إلا القليل مما يتعلق بالشخصية الذاتية. بالمناسبة أهنئك مع عمنا على الميدالية. سيموت إيفان بغيظه من الحسد. ثم هل يعقل أن هناك ضرورة لاقتناء (مجلة) «الضوء والظلال» لمجرد رؤية لوحات (أخينا) نكولاي فيها؟ أنت رأيته ليس قبل خمس سنين. كم كان عدد لوحاته عندما سافرتَ؟ ثم إنني كتبت عن (أختنا) ماريا دون أن أقصد فترة دراستها في مدرسة أبرشية فيلاريت أو في الدورة النسوية الخيرية العليا. فهي لم تتغير منذ كانت بوجودك. ولا داعي للدعاية مطلقاً، وإلا سندخل السجن. لقد كتبتُ عن تجاهل الشخصية في الماضي والحاضر. ولم أكتب لك عن ميشكا (ميخائيل)، فكرت أنك ستتذكره بنفسك. لقد تضرر هو وماريا بنفس القدر. على أية حال، نواصل. . . عندما تكلمت عن الصحافيين الحسودين كنت أعني الجرائديين، فأين أنت منهم يا ترى؟ لقد تحملتُ، يا أخي، ما جعلني أكرههم وأتمنى لك أن تتبرأ من الاسم الذي يحمله أمثال أوتكين وكيتشييف. مفردة الصحافي تعني، في أقل ما تعني، النصاب، وقد تيقنت أنت بنفسك من ذلك أكثر من مرة. أنا في شلتهم، أعمل معهم، أصافحهم، ويقال من بعيد أنني غدوت شبيهاً بالنصاب. يؤسفني ذلك، وآمل أن أعتزل آجلاً أم عاجلاً على شاكلتك. أنت لست صحفياً، الصحفي هو من يبتسم عندما يقابلك ويبيع روحك بثلاثين قرشاً مزوراً، ولأنك أفضل وأرقى منه تراه يبحث خفيةً عن وسيلة لهلاكك بأيدي الغير. هذا هو الصحافي الذي كتبت لك عنه. بينما تتحدث

أنت، يا أخي، عن حيرتك، وعن التفاهة، والصحافيين المبتذلين. . . أنا صحافي لأنني أكتب كثيراً، إلا أن تلك مسألة وقتية. . . ولن تسبب في هلاكي. وما دمت أكتب فأنا أكتب من بعيد، من شقٍّ في الجدار. . . فلا تحسدني، يا أخي. الكتابة لا تعطيني شيئاً سوى الانزعاج. الـ ١٠٠ روبل التي أتقاضاها في الشهر تصرف على الأكل. ولا يبقى منها ما يمكنني من استبدال معطفي الرمادي البالي بمعطف أقل بليّ. أدفع نقوداً على هذا وذاك ولا يبقى لي سوى قبض الريح. أنفق على العائلة أكثر من ٥٠ روبلاً، وأسافر إلى فوسكريسينسك خالي الوفاض. وجيوب نكولاي خالية أيضاً. إن ما يبعث السلوى في نفسي على الأقل هو عدم وجود دائنين يتربصون بي. استلمت من ليكين لشهر أبريل ٧٠ روبلاً، واليوم هو الثالث عشر وليس لدي أجرة الحوذي.

لو كنت أعيش وحدي لغدوت ثرياً. . . ولكن هيهات (فلا ثروة ولا بطيخ). على أنهار بابل هناك جلسنا، بكينا أيضاً. . . (سِفر المزامير ١٣٧-١). دعاني باستوخوف على العشاء (في مطعم) تيستوف، ووعدني بـ ٦ كوبيكات للسطر. في هذه الحالة يمكن ان أكسب ٢٠٠ روبل وليس مائة في الشهر، ولكنك تفهم: الأفضل أن أذهب للزيارة بلا بنطال بطيء. . . (زِ) عارٍ من ان أعمل عنده (في جريدة «منشور موسكو»). ثم إنني لا أطيق «المنبه»، وإذا أوافق على الكتابة لها فبألم. فليذهبوا، إذن، إلى الشيطان! ولو كانت كل المجلات نزيهة نزاهة «الشظايا» لامتطيت الجياد الأصيلة في ترحالي. أقاصيصي ليست دنيئة أو رديئة، بل يقال إنها أفضل من غيرها من حيث الشكل والمضمون، فيما يضعني أمثال أندريه دميتربيف (كاتب اسمه المستعار البارون غالكين) في عداد مؤلفي الدرجة الأولى الفكاهيين، ويعتبرونني من أفضلهم، بل أفضلهم. وفي الأمسيات الأدبية يقرأون أقاصيصي. ولكن. . . أن أقوم بمعالجة المصابين بالسيلان أفضل من استلام النقود مقابل (كتابات) دنيئة تتطاول على تاجر سكران وما شابه. فليذهبوا إلى الشيطان! لننتظر، من يعش يرَ، ونبقى في السترة البالية. سأعكف على الطب، وفيه الخلاص، مع أنني حتى الآن لا أثق بمؤهلاتي الطبية، وهذا يعني أنني. . . هكذا يقولون، والأمر سيان قطعاً بالنسبة لي، أنني التحقت بكلية لا تناسبني. فلنواصل إذن. . . كتبتَ تقول إنني لوثت سمعة تريتياكوف الذي يشارف الموت بالسل. السل لا علاقة له بالموضوع. ومشارفة الموت أيضاً. في بداية الرسالة استدركتُ وقلت إنني لا أركل

إيفان أو بطرس أو غيرهما ممن لا يعنيني أمرهم شخصياً، بل أنتقد النظام. . . كتبتُ إليك أنت كأديب وكأفضل صديق. فما علاقة السل وتلويث السمعة؟ ليس لي شيء ضد الرجل، بالعكس أشعر بالضجر عندما أتذكر ملامحه. كنت أعني العيب الذي لا يلازمه هو وحده، فليس هو السيد الوحيد على وجه البسيطة. كنت ولا أزال أظن أن رسائل التهنئة أكثر من طاقتنا أنا وإياك، ومن السهل استبدالها بالأحاديث عن كيت وكيت. . . وكنت أعتقد أنك ستتناول العيب المذكور بشكل أو بآخر وتقلل من شأنه وتبرره وتكتب هل كنتُ محقاً أم لا، فالموضوع جيد، أليس كذلك؟ بينما أخذت تخوض في السل والتلوث. . . كان الأفضل لو أنك كتبت لي قائلاً: «لا تحكم على الآخرين». وتلك هي الخطيئة الوحيدة في رسالتي، الخطيئة التي يعوض عنها الوتر أو النفَس الأدبي، في اعتقادي. أواصل. . .

خبأتُ قصتك «ليلة عيد الفصح» في الأرشيف. وسأرسل لك مستحقاتها العام القادم. على فكرة، قصتك «كلام الأزمان رنين المعادن» نشرت، واستلمت أنا مستحقاتها، ولم أعرف أنني استلمتها مع مستحقاتي إلا قبل أيام. ٥ كوبيكات للسطر. سأبعث المبلغ مع من يسافر لطرفكم. مجلة «المشاهد» أعطتك عمرها وأقيم القداس على روحها. ولن تُبعث من جديد (كما بعثت عدة مرات في السابق). كتب لي ليكين يقول إنه حاول ٢٠ مرة أن ينشر قصتك «الغليون»، وكل مرة لا يشد العزم على نشرها. ذلك لأنه لم يفهم الخاتمة. ويرجوك أن تراسله. فاكتب. وإذا أعادوا إليك المادة فستتذمر وتحزن قليلاً، ثم تستأنف الكتابة وتكسب ما تشتري به حليب الأطفال نستله. وستنفعك النقود، خصوصاً في تاغانروغ، حيث للخمسة وعشرين روبلاً قيمة أكثر مما في موسكو. على فكرة، في العام القادم استأجر لي منزلاً ريفياً في كارانتين (من ضواحي تاغانروغ) للصيف كله. سآتي بعد أن أتخرج طبيباً وأقيم معكم طوال الصيف. سأحصل على النقود للمعيشة. وبخصوص سفرتنا إلى الجنوب ليس الأمر أكيداً. فإن نصف امتحاناتنا سيكون للأسف الشديد في آخر العطلة، وهذا يفسد عليّ الصيف كثيراً. ما حاجتك إلى عمتك؟ ما هذا الكلام؟ تستقدمها من ألف كيلومتر لتحسب لك عدد بيوض الدجاج؟! إنها ستلتهمك أنت من حزنها لمفارقة أليكسي، وستطعم الرضيعة سراً بالبطاطس حتى التخمة. الوالدة ترغب كثيراً في المجيء إليك. فخذها إذا استطعت. الوالدة لا تزال نشيطة، وهي ليست ثقيلة الظل مثل أم زوجتك هذه. عمتك صموت أكثر، ولكن من الصعب التعايش معها، حيث

ينتابها الغيظ خفية. الوالد يقول للجميع إنك في وظيفة مرموقة. وعندما يسكر يتحدث عن بزتك وحقوقك وما إلى ذلك. فاكتب له، رجاءً، توصيفاً لبزتك، وابتدع له ولو يوماً واحداً وقفتَ فيه أثناء الدوام مع كبار المسؤولين. . . .

عندما يتجرع الوالد الكأس الثالثة يسأل عنك عادة: «كيف حال ساشا؟» ويضيف: «في تاغانروغ دائرة جمارك من الطراز الأول، وهناك يخدم ابني. . .» وما إلى ذلك.

(. . .) (. . .) سأكتب لك من فوسكريسينسك، واكتب لي أنت إلى موسكو، وسيوصلون رسالتك إليّ مع أحد القادمين. (. . .)

(أنطون)

١٣. إلى نكولاي ليكين

فوسكريسينسك، ٤ يونيو ١٨٨٣

نكولاي ألكساندروفيتش المحترم

أبعث إليكم عدة أقاصيص. («شبيه جَده»، «من يوميات معاون المحاسب»، «جديٌ ساذج أم ماكر سافل؟»). كان بودي أن أبعث أكثر وأن أكتب بشكل أفضل لولا التماهل. قاتل اللّه الكسل. فهو ينتابني في الصيف مع أنني طول الشتاء أحلم بصيف مثمر. ولا أستطيع ان أغير طبيعتي.

لا تقلقوا بخصوص كتبكم (ليكين روائي معروف في زمانه) ورسالتكم. استلمت الرسالة مع أحد القادمين إلينا، أما الكتب فقد استلمَتها عائلتي أغلب الظن وانكبت على قراءتها. عندما أكون في موسكو أعيش مع العائلة في بحبوحة، على الرحب والسعة. ويمكنكم الكتابة إلى هناك وإرسال أي شيء تريدون إرساله وسيحولونه إليّ هنا. على فكرة، إذا كانت الرسالة مسجلة فسأضطر إلى استلامها بنفسي وسأستلمها في فترة أقصاها العاشر من يونيو. وإذا أردتم ان تكتبوا المزيد فابعثوه على عنواني في موسكو. سأكتب تقريظاً لمؤلفاتكم. وإذا لم أوفق في نشره سأبعثه إلى (الشاعر ليودور) بالمين (ليرتب أمر نشره). والحقيقة أنني لا أعرف عنوانه في الريف.

هذه ليست المرة الأولى التي أنشر فيها على صفحات «اليعسوب». ففي هذه المجلة بدأت مساري الأدبي. عملت فيها طوال عام ١٨٨٠ تقريباً معكم ومع إ. غريك. وفي العام ذاته تركت العمل للأسباب المذكورة في رسالتكم. كتبتم تقولون إنني سأشعر بالأسف. نعم، لقد أسفت ٢٥ مرة، ولكن ماذا عليّ أن أفعل، باللّه عليكم؟ لو أنني أرسلت إلى «الشظايا» كل ما يتسنى لي أن أكتبه ذات مساء شتوي طيب فإنه يكفي مجلتكم لشهر كامل. علماً بأنني يصادف أن أكتب في أكثر من مساء، وما أكتبه يشكل كومة مرموقة. فماذا أفعل بهذه الكومة؟ إلى من أرسلها؟ لقد تخليت عن موسكو، وأكتب لها أقل ما يمكن. أما بطرسبورغ فلا أعرف فيها سوى مجلتين. ولذا أنا مضطر، شئتُ أم أبيت، للكتابة إلى جهات ما كنت أريد أن أدس أنفي فيها. وتلك حالة لا أسوأ منها... أنتم تعرفونها جيداً لكثرة ما عملتم. سأفكر أكثر في هذا الموضوع.

ذات مرة اضطررت للكتابة بالاسم المستعار «القراص». لكنني أعلن الآن على رؤوس الأشهاد أن ما تنشره «اليعسوب» بنفس هذا الاسم المستعار ليس مما تخطه يدي.

هل يراسلكم أغافوبود يدينيتسين؟ لدي الآن بشكل جاهز تقريباً من أجلكم قصة طويلة نسبياً بعنوان «قبل التاسع والعشرين من يونيو»، وسأنجز قريباً قصة أخرى بعنوان «التاسع والعشرون من يونيو». والقصتان عن أمور الصيد. سأوافيكم بهما حالما أفرغ من كتابتهما. وحتى ذلك الحين أظل على الدوام مستعداً لخدمتكم مع كل التقدير والاحترام

أ. تشيخوف

على فكرة، تكرموا بإرسال «الشظايا» إليّ هذا العام على العنوان التالي: «مدينة فوسكريسينسك - محافظة موسكو. ليد معلم مدرسة الأبرشية» (لتسليمها إلى أنطون تشيخوف).

١٤. إلى نكولاي ليكين

موسكو، ٢٥ أو ٢٦ يونيو ١٨٨٣

نكولاي ألكساندروفيتش المحترم

أبعث إليكم تأملاتي الموسكوبية، ومعها تصريح مقتضب: أعكف الآن لأول مرة على كتابة مقال هجائي ساخر. خبرتي ومعارفي قليلة في هذا المجال. لن أغدو ممثلاً مسرحياً ولن أنشغل بطاحونة البخار (مثل موظفيكم السابقين)، ولكني لا أمتلك ضمانة عدم جفاف الأسلوب وركاكة المضمون. والأهم أنني لن أكون على قدر من الفكاهة. سأبذل جهدي. إذا كان المنتوج صالحاً انشروه، وإلا فليذهب مع الريح! سأوافيكم بالمادة على مجموعات تختارون منها على هواكم، ولا تتسامحوا معي، باللّه عليكم. وبحكم السلطة التي وهبكم اللّه إياها ارموا كل ما يبدو لكم غير مريح ولا يصلح للنشر. أنا حساس سريع التأثر، ولكن ليس في التعامل مع «الشظايا». ولو عرضت عليّ هذا العمل هيئة تحرير أخرى لربما رفضت أو تحاشيت مثل هذا التصريح. ولكنني معكم مطيع أتكلم الحقيقة. ولو أنكم سفّهتم كل مقالاتي ورميتموها في سلة المهملات وقلتم «كفاية» فإنني سأتقبل رأيكم برحابة صدر. إنني أحرص على مصالح «الشظايا» وليس على مصالحي. موقفي تجاه «اليعسوب» و«المنبه» وما لف لفهما لاأبالي، لكنني أحزن عندما أرى في «الشظايا» شيئاً ركيكاً، لي أو لغيري، ما يدل على أنني أميل إلى القضية التي تعملون من أجلها بهمة ونشاط وإيمان، كما تشير إلى ذلك الأفعال والأقوال.

في السابق كانت المقالات الموسكوبية في مجلتكم باهتة تنفرد بلهجتها الموسكوبية الصرف التي يسودها الجفاف والإهمال والاهتمام بصغائر الأمور. ولو لم تنشر لما خسر القارئ إلا القليل. وأعتقد انه لا أحد في موسكو يتولى كتابة المقالات الهجائية لكم. أنا أجرب قابلياتي، ولكنني لا أثق بالنجاح. فأنا أيضاً بتلاوين وبلهجة موسكوبية. لن أهتم كثيراً بصغائر الأمور، ولن أنبش في الغسيل القذر ولن أتعرض للممثلين المسرحيين المغمورين، إلا أنني في الوقت ذاته أفتقر إلى متابعة الأحداث، وتصوراتي عمومية بعض الشيء. والأمر الأخير غير ملائم لكتابة المقالات الانتقادية. فقرروا أنتم... سأبعث إليك المزيد قريباً.

استلمت كتبكم، وواظبت على قراءتها، وأشكركم عليها. لقد وفيتم بوعدكم،

لكن وفاءكم لم يغدُ قدوة لي. فأنا لم أفِ بوعدي ولم أرسل إليكم القصص الموعودة. فلا مؤاخذة، أعتذر هذه المرة.

كنت مشوش الأفكار، وتشوشت معي موسيقاي. والآن استعدت أنفاسي وعكفت على العمل. قصة «عيد القديس بطرس» جاءت طويلة أكثر من اللازم. كتبتها مجدداً من الصفر، وخبأتها للعام القادم. ولن أرسلها لأحد. أكتب الآن من أجل مجلتكم. السبت مخصص لكم. وسأوافيكم بالمادة غداً على الأرجح... ولكن لا تصدقوا ما أقول. فأنا أتحول بالتدريج إلى واحد من أمثال بودخوليموف (المتزلف، من أبطال الكاتب سالتيكوف - شيدرين) وقد خدعتكم أكثر من مرة...

اسمحوا لي في الختام أن أبقى

خادمكم المطيع أ. **تشيخوف**

١٥. إلى نكولاي ليكين

موسكو، ما بين ٢١ و٢٤ أغسطس ١٨٨٣

نكولاي ألكساندروفيتش المكرّم

الإرسالية الحالية إليكم من المحاولات غير الموفقة. المقالات باهتة، والقصة («الوصاية») غير منقحة. وهي قصيرة للغاية وموضوعها تافه. ثمة مواضيع أفضل، وكان في نيتي أن أكتب أكثر وأكسب أكثر، إلا أن الحظ لم يحالفني هذه المرة. فأنا أكتب في أتعس الظروف. أؤدي ما لا علاقة له بعملي الأدبي (الامتحانات في الجامعة) وما يصفع ضميري بقسوة. في الغرفة المجاورة تبكي طفلة أحد أقربائنا الذي يزورنا الآن، وفي الغرفة الأخرى والدي يقرأ لأمي «صورة الملاك» (قصة نكولاي ليسكوف). وإلى ذلك شغّل أحدهم «صندوق الدنيا» وتصلني منه أنغام «الحسناء يلينا»... بودي أن أفر إلى المنزل الريفي، إلا أن الوقت هو الواحدة بعد منتصف الليل... ولا أسوأ من هذا الموقف بالنسبة للشخص الذي يمارس الكتابة. سريري مشغول من قبل قريبنا الزائر الذي يدخل عليّ بين الحين والآخر ليخوض في أمور الطب: «يبدو أن طفلتي تعاني من ألم في البطن، ولذا تبكي»... من سوء

حظي أنني طبيب. فما من شخص إلا ورأى ضرورة «للخوض» معي في أمور الطب. أما الذي يمل من الكلام غن الطب فيخوض في أمور الأدب. . .

وضع لا يطاق. ألوم نفسي لأنني لم أهرب إلى القرية حيث يمكنني أغلب الظن أن آخذ قسطاً من النوم وأن أؤلف لكم قصة. والأهم لن يتطرق أحد هناك للطب والأدب.

في سبتمبر أفر إلى فوسكريسينسك إذا لم يعترضني الطقس (. . .)

الطفلة تبكي طول الوقت!! وقد قطعتُ على نفسي عهداً بأن لا أنجب أطفالاً أبداً. . . الفرنسيون ينجبون القليل، ربما لأنهم من أهل المكاتب يؤلفون القصص لـ "Amusant". يقال إن هناك محاولات لإرغامهم على إنجاب المزيد من الأطفال. وهذا موضوع يصلح للمجلة المذكورة و«للشظايا» بشكل كاركاتير: «الأوضاع في فرنسا». مفوض الشرطة يطالب الناس بالإنجاب!

وداعاً. أفكر في إمكان أن أغفو قليلاً.

يشرفني أن أقدم لكم احتراماتي **أ. تشيخوف**

١٦. إلى نكولاي ليكين

موسكو، ١٩ سبتمبر ١٨٨٣

نكولاي ألكساندروفيتش المكرّم

الشتاء يأخذ كامل حقوقه. وقد بدأت العمل بالوتيرة الشتوية. وأخشى، بالمناسبة، عين الحسود. . .

كتبت لأجلكم الكثير، وبعثت مادة إلى «المنبه» (أقاصيص «من يوميات رجل يُعتمد عليه»)، وخبأت في الحقيبة أقصوصتين أو ثلاثاً على سبيل الاحتياط. . . أبعث إليكم قصة « في العربة المكشوفة»، موضوعها عن تورغينيف (توفي إيفان تورغينيف في ٢٢ أغسطس ١٨٨٣)، وكذلك قصة «في ساحة تروبنايا بموسكو». وموضوعها من الاهتمامات الموسكوبية الصرف. كتبتها لأنني لم أكتب من زمان ما يسمى بالمشاهد الخفيفة. كما أبعث إليكم مادة أخرى. مقالات ليست على

المستوى المطلوب، كالعادة. فيها مساحة كبيرة مخصصة «لمدرسة الرسم». وذلك له ما يبرره جزئياً. فكل الأمور الفنية تتوقف حصرياً على الرقابة عندنا، ذلك لأن «الشظايا» نفسها مجلة أدبية فنية. هذا أولاً، وثانياً - لأن كل ما له علاقة بالفن في موسكو وكل الفنانين، صغاراً وكباراً، ملتفون حول المدرسة المذكورة. وثالثاً- لأن كل تلميذ سيشتري عدداً من المجلة، مما يشكل عائداً غير قليل، ورابعاً - لأننا سنسبق الآخرين في الكلام عن يوبيل المدرسة. أنا، بالتدريج، لم أعد أشعر بالإحباط فيما يخص مقالاتي. ثم إن مقالاتكم البطرسبورغية فيها القليل من الوقائع، والكثير من العموميات، ولا شيء خصوصياً... مع أنها تحرر بشكل رائع. فهي خفيفة الظل، مشبعة بالفكاهة، رغم أن محررها حقوقي على ما يبدو. ثم إنني اتُّهمت «بالنذالة» مرتين من أقرب الناس بسبب مقالاتي (...)

لقد تعرضت لغواية قبل أيام. تلقيت دعوة لكتابة شيء ما من أجل «حولية اليعسوب». أغرتني الدعوة فكتبت قصة مطولة بملزمة كاملة. وستنشر القصة تحت عنوان «الثقاب السويدي». ومضمونها تهكم وسخرية من الأقاصيص الجنائية. جاءت القصة مضحكة. وأنا معجب بمكافآت «اليعسوب».

كتبتم تقولون إن بالمين إنسان همجي. هذا الشيء فيه بالفعل، ولكن ليس بقدر كبير... قدّم لي مرتين مادة للمقالات، ويبدو من حديثي معه أنه مطلع على الكثير من الأحداث الراهنة. من كتاباته النثرية تفوح رائحة ألمانية متخشبة بعض الشيء، لكنه والله إنسان طيب. بالأمس كان في ضيافتي زملاء الدراسة في الثانوية. تطلعوا إلى أليكسي سوفورين وهو يتسلق شجرة البتولا (ربما كانت تلك لوحة كاريكاتورية) ولم يفهموا شيئاً.

وداعاً. مع كل احترامات

أ. تشيخوف

١٧. إلى ألكسندر تشيخوف

موسكو، ١٥ أو ٢٨ أكتوبر ١٨٨٣

أخانا السافل ألكسندر بافلوفيتش!

بداية، كفاكَ غباءً واعذرني لأنني لم أرد طويلاً على رسائلك. سبب صمتي يعود ليس إلى الكسل بقدر ما يعود إلى غياب الراحة. فلا وقت لي على الإطلاق. لا وقت حتى لقراءة الفأل بورق القمار. فأنا، خلافاً لنصيحتك، يا بهيمة، بأن أجرح نفسي (كفأل لتفادي سوء الطالع والرسوب) في الانتقال إلى السنة الدراسية الخامسة، أؤدي الآن امتحانات التخرج، وإذا نجحت فيها أحظى بلقب الطبيب المستحق. هل تستدر دموع الفأرة عطف القطة؟ وهل يغنيني الآن كسل السنوات المنصرمة؟ ما أتعسني. أنا مضطر لمراجعة كل المواد منذ البداية. وبالإضافة إلى الامتحانات عليّ أن أؤدي العمل المتعلق بالجثث، وهو في بداياته، وكذلك الدروس السريرية وما يرافقها حتماً من كتابة سجل المرض وتردد على المستشفيات... أنا أعمل ويسحقني شعوري بالعجز. وقد ضعفت ذاكرتي ولم تعد صالحة للحفظ عن ظهر قلب. ثم إنني شخت ويستولي عليّ الكسل ويشغلني الأدب... قد يقال لي إن رائحة الخمرة تفوح منك يا فتى وما إلى ذلك... أخشى أن أتعثر في أحد الامتحانات. أنا بحاجة إلى قسط من الراحة بينما... الصيف لا يزال بعيداً! فكرة كون الشتاء ينتظرني كاملاً حتى الآن تجعلني أرتعش مذعوراً. على أية حال فلندخل في صلب الموضوع.

من أخبارنا... وسأبدأ من الصفحة الثانية.

في ١٤ أكتوبر توفي صديقي ورفيقي فيودور فيدوسييتش بوبودولغو. وتلك خسارة لا تعوض بالنسبة لي. لم يكن فيدوسييتش عبقرياً، مع أن «المنبه» تنشر صوره. كان من الحراس القدامى الساهرين على الأدب يتمتع بحس أدبي رائع. ولأمثاله قيمة تفوق التقدير بالنسبة لأمثالنا من البادئين. كنت، كاللص الليلي، أمضي إليه خفيةً في كودرينو، وكان يقص عليّ ما يعتمل في نفسه. كنت متعاطفاً معه، أعرف كل ما في دخيلته. توفي بالتهاب الغشاء السميك للدماغ مع أنه تلقى العلاج على يد طبيب مرموق، هو أنا. تعالج عند ٢٠ طبيباً لم يحزر أحد منهم سواي بمرضه الفعلي. رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه. توفي بتأثير الخمرة وشلة

الرفاق الطيبين، أعوذ باللّه من ذكر أسمائهم (في الأصل باللاتينية). قلة العقل والإهمال وسوء العناية بحياته وحياة الآخرين - تلك هي الأسباب التي قادته إلى الموت في السابعة والثلاثين من العمر.

والخبر الثاني هو زيارة ليكين لي. إنه كائن بشري رائع رغم بخله. مكث في موسكو خمسة أيام، وطوال هذه الأيام الخمسة كان يرجوني أن لا أنشد أغنية البجع (أن لا أدفع نفسي إلى الهلاك) التي كتبتَ له عنها. وهو يتصور أنك زعلان عليه. أقاصيصك تعجبه، والسبب الوحيد لعدم نشرها هو «سوء الفهم» وعدم معرفة «الشظايا» بك تحديداً.

إليك ما قاله بالحرف الواحد:

«ما أكبر مهارته في السخرية من الجمارك، وما أغنى المادة التي لديه، ولكنه يكتب (بالتورية) عن الجمارك الصينية ويسميها «الجمانرك» وكأنه يخشى شيئاً. . . ولو كتب صراحة عن الجمارك الروسية ووضع النقاط على الحروف. . . لما اعترضت الرقابة عليه».

وعندما لا تتحدث عن الشؤون الصينية نجد لديك غنائية مطبقة خانقة. فاكتب، وستصل إلى الطريق القويم. والكسب الإضافي يعوض لك عن المحاولات الفاشلة الأولى. والفشل فيها طفيف لا يؤبه به. ألم تنشر «الشظايا» أقاصيصك الأخرى؟

ووصل مع ليكين الكاتب المعروف نكولاي ليسكوف المفضل عندي. وكان قد زارنا في السابق ورافقني إلى الصالون الأدبي وإلى المبغى في زقاق سوبوليف وأهداني قصة «الأعسر» (ترجمة خيري الضامن) مذيلة بتوقيعه. كنت ذات مرة معه نرتحل ليلاً، فتوجه إليّ متسائلاً في حالة سكر تقريباً: «هل تعرف من أنا؟» - «بالطبع» - «كلا، لا تعرف. . . أنا غيبي، خارقي. . .» - «أعرف هذا أيضاً. . .». وسلط عليّ نظرة من عينين شائختين متسعين، وتنبأ لي قائلاً: «أنت تموت قبل أخيك» - «ربما». «سأمسحك بالزيت مثلما مسح صموئيل داوود (ملكاً لبني إسرائيل) اكتب لي. . .» هذا الرجل (ليسكوف) يشبه فرنسياً نحيلاً أنيقاً، وهو في الوقت ذاته كراهب مغضوب عليه. إنه كائن بشري يستحق الاهتمام. ولأنه يقيم في بطرسبورغ فسيستضيفني هناك. وتفارقنا بمودة.

بخصوص السمك ونبيذ سانتورين ستتعامل مع والدي المتخصص بالقانون. أما أنا فأعترف بأنني أفتقر إلى النقود، ولا وقت لكسبها. وأنا لا أبحث لك عن مكان

(للاستجمام) بسبب أنانيتي. أريد أن أقضي الصيف معك في الجنوب. فلا تبحث عن منزل ريفي، لأنه قد لا يكون مناسباً. سنبحث معاً.

أنت تتلذذ بتوصيف المحاصيل الحمراء والزرقاء (الطماطم والباذنجان) حتى يصعب على المرء أن يرى فيك شاعراً عاطفياً. فلا تأكل هذه القاذورات، يا أخي. إنها أبعد ما تكون عن الطهارة. الباذنجان طيب فقط لأنه يصر بين الأسنان، ولعل المخلل منه يبعث روائح كريهة فظيعة. كلْ، يا أخي، اللحوم. ستعاني من النحول في تاغانروغ الغادرة إذا كنت تقتات على قاذورات السوق. فأنت لا تأكل باعتدال، وفي حالة السكر تلتهم حتى ما هو غير مطبوخ. مدبرة منزلك (زوجتك) تفهم في التدبير قدر ما أفهم أنا في استحصال زغب الونس. لهذا السبب وحده عليك أن تلتزم الحذر في الغذاء وتأكل ما هو صالح ومفيد. اللحم والخبز. على الأقل لا تطعم الطفلة من دون تمحيص عندما تترعرع. خلّصها من مخللات عمتك ومن صلصة الوالد ومن «النهم» الملازم لك ومن مأكولات أمها الألذ. عوّدها في الأقل على جمالية المعدة. وبمناسبة الجمالية، معذرة يا عزيزي، كن أباً ليس فقط بالأقوال. كن قدوة. خليط من البياضات النظيفة والوسخة. فتات الطعام على المائدة. خرق قذرة كريهة. زوجتك مكشوفة الدعاميتين (النهدين) بشريط متسخ على الرقبة، كشارع المكاتب التجارية. . . كل ذلك سيقتل الصبية منذ سنواتها الأولى. فالمظهر الخارجي هو أول ما يؤثر على الطفل. بينما احتقرتم أنتم الشكل الخارجي المسكين أشد احتقار. أقسم بشرفي إنني لم أتعرف فيك على أخي عندما أقمتَ عندنا قبل شهرين. هل يُعقل أن هذا الفتى هو أنت الذي عشت في زمن ما في غرفة نظيفة؟ عودّ كاتيا على الإنضباط والنظام يا أخي. على فكرة، أشير هنا إلى نوع آخر من النظافة والأناقة. كف عن السباب بصوت مسموع، فإنك ستفسد كاتيا بشتائمك، وتخدش سمع (المسكينة) موسيفنا بها. ولو كنتُ في محل آنّا إيفانوفنا لضربتك بالعصا لحظة بعد أخرى. تحياتي لآنّا إيفانوفنا وقبلاتي لابنة أخي. فنحن نقدّر البنية. «المنبه» لم تنشر لك شيئاً بعدُ. وعندما يشرعون بالنشر سأبلغك.

تشيخوف

١٨. إلى نكولاي ليكين

موسكو، ١٠ ديسمبر ١٨٨٣

نكولاي ألكساندروفيتش المحترم

أبعث إليكم مقالات جاءت هذه المرة، والحق أقول، مزرية وهزيلة لحد البؤس. مادتها مملة جعلت يدي تتخاذل وأنا أكتبها. قرأت مقالات الأحد الهجائية في «العصر الحديث» وفي «الوقائع الروسية»، وعموماً في جميع مجلات موسكو ولم أجد فيها من الجديد أكثر مما في لوحات إعلانات العام الفائت. إنها خالية من الإشاعات والأقاويل (المهمة). ولا رغبة لي في الكتابة عن التفاهات، بل ولا ينبغي الكتابة عنها.

عموماً أنا لم أوفق في كتابة المقالات الساخرة. أليس الأفضل لكم أن تتخلوا عن (السيد) رور ومقالاته؟ (رور نهر في ألمانيا اتخذه تشيخوف واحداً من أسمائه المستعارة التي يتجاوز عددها الخمسين). هذه المقالات تأخذ مني وقتاً أكثر من أدبيات «الشظايا». ولا أرى فيها نفعاً كبيراً. فابحثوا عن كاتب آخر لتلك المقالات. ابحثوا عنه حتى تجدوه، وإذا لم تجدوه وفقوا بين مقالات موسكو ومقالات المدن الأخرى وستكون النتيجة لا بأس بها. أنا آسف جداً لأنني لم أؤدِّ واجبي كما ينبغي وكما ترغبون. ويؤسفني بالطبع أن أفقد الـ ١٥ روبلاً التي أتقاضاها شهرياً مقابل مقالاتي.

أنا متعب للغاية، ومنفعل ومريض. أتعبتني دراساتي العلمية وكسب الخبز الكفاف الذي يتعين عليّ في الشهر الأخير أن أحصل عليه بضعف المعتاد، وقد تسرح أخي الرسام (نكولاي) من الجندية يوم أمس. اضطررت للعمل في أماكن ما أنزل الله بها من سلطان. وذلك هو ما أعاقني عن تقديم أقصوصة للعدد الفائت من مجلتكم. لقد غرقت في العمل وتعبت لدرجة لم تجعلني أتجرأ على الكتابة «للشظايا»: كنت أقدّر تفاهة ما يمكن أن أكتبه. وإضافة إلى الإرهاق داهمتني البواسير، والشيطان وحده يعلم من أين جاءت. أمضيت في الحمى ثلاثة أيام من الأسبوع الماضي. وظننت أنني أصبت بعدوى التيفوس من المرضى (الذين أعالجهم). ولكن الخطر زال والحمد لله.

وصل نكولاي وستهون الأمور بعض الشيء.

لا تنشروا قصة «المصائب تتوالى». فقد وجدت من ينشرها في العاصمة (موسكو). ولا ترسلوها إليّ. فسأعطيهم المسودة. أليس من الحكمة أن تُكتب «شظايا الحياة الموسكوبية» جماعياً؟ فليرسل إليكم كل من يرغب كتاباته على شكل مقاطع وأنتم تشكلون منها مقالات إنتقادية. أنا أيضاً أرسل إليكم مثلها فيما لو وجدت مادة صالحة.

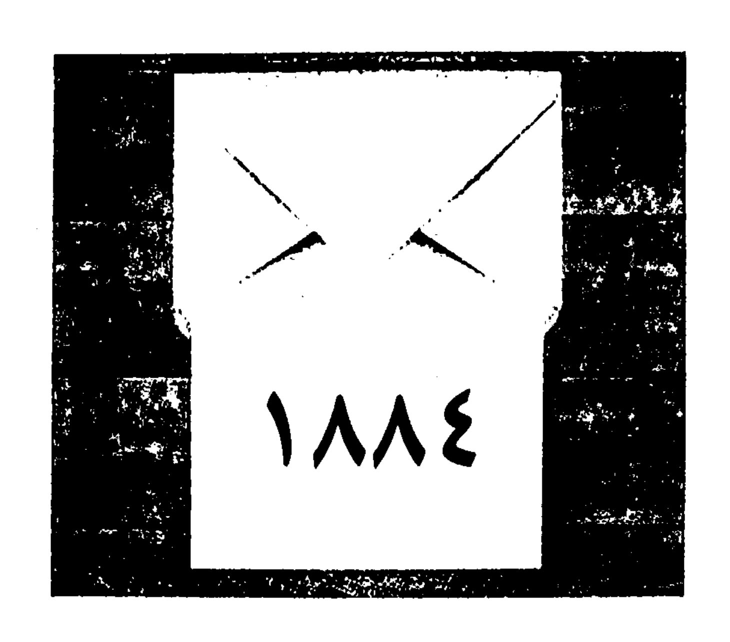
لماذا حذفتم من المقالات السابقة ما يتعلق بجولتوف؟ فهو شخصية معروفة في موسكو بقدر يستدعي انتقاده. الجميع يعرفونه. ثم إنني عموماً كتبت فقط عن الأشخاص المشهورين في المدينة (. . .)

هذه المرة لا أرسل إليكم قصة. الامتحانات في ١٦ و٢٠ أكتوبر. وأتردد في كتابة شيء لكم. فلا تزعلوا. عندما أتفرغ سأكون أكثر موظفيكم جداً واجتهاداً. ثم إن دماغي الآن مشغول بأمور لا علاقة لها بالتهكم والتنكيت.

أرجو المعذرة، وتقبّلوا تحيات

خادمكم المطيع

أ. تشيخوف



١٩. إلى نكولاي ليكين

موسكو، ٥ أو ٦ فبراير ١٨٨٤

نكولاي ألكساندروفيتش المحترم

أبعث إليكم أقصوصة واحدة («معلم المذاكرة») ولا أستطيع أكثر، لأنني بحاجة إلى الراحة. وسأبعث قصة أخرى للعدد القادم (بعث تشيخوف آنذاك مقالة «شظايا حياة موسكو» وأقصوصتين «حكاية جني الغابات الساذج» و«الغفران»). ولدي موضوعان مكتملان. لا تزعلوا، باللّه عليكم، لأنني أعمل عندكم ليس بالشكل الذي أستطيعه فيما لو توفر لي الوقت الكافي. الطب يعذبني. أشعر بأنني أعمل بإهمال وبلا عناية، وتلك هي الحقيقة بعينها، لكنني أستحق المسامحة.

العدد الأخير مرح جداً. كل من يعودني، وعددهم يومياً ٨- ١٠ أشخاص، قد قرأ «يوميات المغامرات» و«عند الطبيب» ورسائلكم. والكل يقهقهون. هذا بالذات ما تحتاج إليه المجلة الفكاهية. قصتي «الفتى» تثير الدهشة بما فيها من بذيء الكلام... إلا ان الرقابة في موسكو تثير الدهشة هي الأخرى. ولا يمكن للمرء إلا أن يدهش. عندما يراها تشطب من كتاباتنا مفردات مثل «شراريب القبعة» أو «جنرال في الطب»... رسائلكم في العدد ما قبل الأخير جيدة جداً. وأشير عموماً إلى أنكم موفقون للغاية في الأقاصيص التي لا تبخلون فيها بتناول العنصر الدرامي.

كما يمتاز العدد الأخير بأنه يخلو من المحاججات وفيه القليل من المقالات الساخرة. ليس فيه، على الأقل، مقالة تشيرنيغوفيتس الهجائية (المعتادة).

لماذا حذفتم من مقالتي الساخرة المقطع المتعلق بجمعية «أصحاب الدراجات»؟ فلدينا جمعية بهذا الاسم. إذا كنتم قد حذفتموه من أجل التقتير في المساحة فأدرجوه في العدد القادم، ذلك لأني أفتقر كثيراً إلى المادة الهجائية. ما أسعد إ. غريك! (اسم مستعار للكاتب الساخر فيكتور بيليبين) يُسمح له بالتعرض لأستروفسكي وغيره من الظواهر «غير المحددة تماماً»، بينما أطالَب أنا، لسوء حظي، بإيراد الوقائع الموسكوبية، ولا شيء غير الوقائع!

إذا كنتم قد تركتم «دخان الحياة الخانق» للعدد القادم فأهملوها. السخرية جاءت غير موفقة. ثم إنني فكرت بأن ب. ماركيفيتش يبكي عادة حينما يقرأ شيئاً لا يرضي شخصه الكريم، إنه يبكي ويتشكى... وسأقع في خلاف مع بعض أصدقائه والمعجبين به مهما اختبأتُ وراء الاسم المستعار. وهل تستحق هذه المسألة التافهة أن نقيم الدنيا ولا نقعدها؟ بدلاً من هذه المقالة الساخرة أعطيكم مقالة انتقادية أخرى أقصر منها.

لم ألتقِ السيد بالمان من زمان. أليس موقفكم متشدداً جداً إزاء «الموجة» وهل تستحق هذه المجلة التافهة كل هذا القدر من اهتمامكم؟ (...) جمهور القراء قد يظن الظنون.

أ. تشيخوف

٢٠. إلى نكولاي ليكين

موسكو، ١٢ أو ١٣ فبراير ١٨٨٤

نكولاي ألكساندروفيتش المحترم

مرفق طياً مقالة انتقادية وقصة قصيرة وأخرى أقصر، ولا أدري ما الأصح لغوياً مرفق أم مرفقة، مع أنني أديب. تناولت الآن طعام العشاء وجلست لأكتب، وما إن أسرعتْ يدي بالقلم حتى توقفتْ! ولا رغبة لي في الكتابة مجدداً.

أبعث إليكم من نتاجات أدباء موسكو كتيباً (للشاعر) أليكسي جورافليوف، سرقته من المطبعة خصيصاً لأجلكم. وهو شبيه بالأشعار التي قرأتموها عليّ وعلى

أخي في فندق لاسكوتنايا. كتيب عريض الأبعاد أظن أنه بخصوص عيد الجلوس.

ثم ألا يمكن نشر مقالتي الهجائية بلا توقيع؟ فالجميع باتوا يعرفون بأنني رور (...). كل معارفي زعلوا عليّ. وربما يجدر بي أن أضع القلم. انشروها بلا توقيع، وسأدعي بأنني تركت كتابة المقالات الهجائية. وإذا تعذر نشرها من دون توقيع فذيّلوها بحرف أو حرفين، مثل: ي. ف. وإذا كنتم ترفضون تغيير الاسم المستعار لسبب ما فاتركوا الأمر من دون تغيير.

لا تحذفوا ما جاء في المقالة عن مياسنيتسكي. مسرحيته هي حديث الساعة في موسكو. ولا تحذفوا أيضاً ما يخص الهواة، فهم يشكلون نصف موسكو، وسيقرأون المقالة جميعاً.

كتبت قصة («المحرك الدائم»). كتبتها من زمان وأخشى أن أبعثها إليكم. فهي طويلة بالنسبة «للشظايا». ٣٠٠-٣٥٠ سطراً. جاءت القصة موفقة من حيث كونها تهكمية ساخرة. موضوعها مؤتمر عالمي للأطباء. إنها قصة خلاعية جزئياً، ولكن باعتدال. لا أريد أن أرسلها إليكم خشية إزعاجكم بطولها. وبما أنها جاءت موفقة فلن أبعثها إلى أية مجلة في موسكو. سأخبئها في الحقيبة، فلربما تحتاجون يوماً إلى قصة مطولة أو تصادفون شحاً في المواد أو أية مشكلة عويصة أخرى. بلغوني ساعتها، وسأبيّض المسودة وأبعثها إليكم.

(...)

قصة «رحلة إلى الصين» (نشرت في المجلة من دون ذكر اسم المؤلف) لا تليق بـ«الشظايا»، ورسوم بوغدانوف سيئة تماماً.

زرتُ بالمان. قرأ عليّ الرسالة التي تلقاها من تاجر الكتب زيمسكي. وتعهد لي بأنه سيبعثها إليكم. فهي رسالة مميزة اختتمها زيمسكي بالعبارة التالية: «حقارة يا أخي!» جهل وبذاءة.

كل ذلك لأن (الشاعر) بالمان يكتب نثراً.

خادمكم أ. **تشيخوف**

(...)

٢١. إلى نكولاي ليكين

فوسكريسينسك، ٢٥ يونيو ١٨٨٤

رسالة رقم ١

نكولاي ألكساندروفيتش الموقّر!

يبدو أن باكورة العمل في الريف متعثرة. أولاً- جاءت القصة غير موفقة تماماً. «اختبار الوظيفة» موضوع لطيف بوصفه من مواضيع الحياة المعيشية، وهو معروف بالنسبة لي. إلا أن التنفيذ يتطلب ساعات وأكثر من ٧٠- ٨٠ سطراً... كتبت وأنا أشطب بين الحين والآخر خوفاً من ضيق المجال. حذفت أسئلة موظفي الناحية وأجوبة موظف البريد، وهي أهم ما في الاختبار. ثانياً- تعين على القصة أن تجتاز متعثرة كل مطبات الطريق من مكتبي إلى جيب المتعبدة. فعندما حملت قصتي إلى دائرة البريد هنا تفاجأت بأن دائرة البريد مغلقة يوم الأحد ولن تصل رسالتي إلى بطرسبورغ إلا يوم الأربعاء. كان ذلك ضربة شديدة. وبقي لي أحد أمرين: فإما أن أصرف النظر أو ان أسرع إلى محطة السكك على مسافة ٢٠ كيلومتراً لألحق بعربة البريد. ولم أفعل هذا ولا ذاك. قررت أن أحمّل رسالتي شخصاً ذاهباً إلى المحطة. ولم أعثر على حوذي. فاضطررت ان أستعطف المتعبدة البدينة... فإذا أفلحت هذه المرأة في الوصول إلى المحطة ووضعت الرسالة في صندوق عربة البريد قبل أن يتحرك القطار سأكون بخير، وإذا لم يوفقها اللّه في خدمة الأدب ستصلكم القصة مع رسالتي هذه.

والآن أتناول موضوعات الرسوم. قبل كل شيء عليّ أن أعترف بأنني غبي جداً في صياغة عناوين الرسوم البراقة. حتى لو ذبحتموني لن أستطيع أن أبتكر عنواناً ذكياً. كل العناوين التي أرسلتها إليكم سابقاً اختمرت ليس في لحظات، بل طوال كل القرون من السنين التي عشتها. وقد أعطيتكم كل ما كان عندي بغثه وسمينه، ولم يبق لديّ شيء. موضوع العناوين يأتي بالصدفة. ومع أن حياتي شهدت الكثير من المصادفات، إلا أنني لا أجيد تكييف المصادفة للحدث المناسب. ومهما يكن من أمر فقد وضعت خطة العمل التالية، وهي أن أبعث إليكم كل ما يمكن أن يدخل في دماغي. حتى الموتى من مؤلفي عناوين الرسوم لن يقبلوا بالشائن منها. ولا أظنكم ستلومونني إذا أرسلت لكم ما لا يليق...

أنا أجيد صياغة عناوين الرسوم، ولكن متى وكيف؟ في شلة الأنس... عندما أستلقي على الكنبة في سكرة خفيفة، أثرثر سخافات مع صديق، وفجأة تتفجر العبقرية عن عنوان ما... كما أنني أجيد تطوير موضوعات الغير إذا كانت ثمة موضوعات من هذا النوع...

أقيم الآن في أورشليم الجديدة (بضواحي موسكو)... أعيش متعجرفاً لإحساسي بوجود هوية الطبيب في جيبي. الطبيعة هنا رائعة خلابة. المجال رحب ولا أثر لرواد الاستجمام في الريف. الفطر في الغابات وفرصة صيد السمك والعمل في مشفى الناحية. الدير شاعري المنظر. أقف أثناء قداس المساء في عتمة الأروقة والطيقان وأفكر في مواضيع لركن «الأصوات المعسولة». المواضيع كثيرة لكنني عاجز تماماً عن الكتابة... ثم أين أستطيع يا ترى أن أنشر قصصاً «طويلة» كالتي رأيتموها في «حكايات ميلبومينا»؟ (مجموعة قصصية لتشيخوف صدرت عام ١٨٨٤) وفي مجلة «كلام الناس»؟ (نشرت المجلة ١٠ قصص لتشيخوف بينها قصتان طويلتان في بداية الثمانينات) وإلى ذلك ينتابني الكسل... لا مؤاخذة، باللّه عليكم. أكتب هذه الرسالة... مستلقياً. ما أكثر شطارتي! وضعت مجلداً سميكاً على بطني وأخذت أكتب. الكسل يمنعني من الجلوس...

كل أحد يقام في دير «نوفي أورشليم» قداس الفصح بما يرافقه من رائع الطقوس... يبدو أن ليسكوف يعرف خصوصية ديرنا. أتنزه كل مساء في أنحاء المنطقة بصحبة خليط مبرقش الثياب من الرجال والنساء والأطفال. وفي المساء أيضاً أتردد على أندريه يغوريتش في دائرة البريد لإستلام الجرائد والرسائل، علماً بأنني أنبش في المكاتبات وأقرأ العناوين بهمة عاطل شديد الفضول. أندريه يغوريتش هو الذي زودني بموضوع أقصوصة «اختبار الوظيفة». وفي الصباح يعرّج عليّ الجد بروكودين، وهو شيخ مولع بصيد السمك لحد الهوس. أرتدي الجزمة الطويلة وأمضي إلى رامنسكويه أو روبتسوفسكيه للتطاول على حياة الأخفس والشوب والشبوط. الجد يلف الليل بالنهار في الصيد، فيما أقضي أنا هناك ٥-٦ ساعات. آكل حتى التخمة وأشرب الفودكا باعتدال. معي أسرة تطبخ وتنفخ بالنقود التي أكسبها مما تخطه يدي. العيش ممكن... والشيء المؤسف الوحيد هو أنني كسول أكسب القليل. إذا زرتم موسكو هلا تستديرون باتجاه أورشليم الجديدة؟ فهي قريبة... من محطة قطار كريوكوفا تأخذون حوذياً بروبلين، والمسافة ٢٠ كيلومتراً،

والطريق يستغرق ساعتين. وسيرافقكم شقيقي نكولاي بصفة دليل. يمكنكم أن تستصحبوا بالمان... ليستمع إلى قداس الفصح.... فما رأيكم؟ وإذا كتبتم لي مسبقاً فبوسعي أنا أيضاً أن آتي إلى موسكو لاستقبالكم...

أنا قلق. عليّ هذا الأسبوع أن أدبج مقالاً ساخراً «للشظايا»، وليس لدي ولا حدث مناسب واحد. من الآن فصاعداً سأرسل إليكم في أيام السبت ما أكتبه، وستسلمونه الإثنين.

يصادف أن أزور قاضي الصلح غولوخفوستوف المعروف بتعاونه مع (مجلة) «روس». وألتقي ماركيفيتش الذي يستلم من كاتكوف (صاحب مجلة «البشير الروسي») ٥٠٠٠ روبل في العام مقابل روايتيه «الانعطاف» و«الهاوية».

أنهيت الدراسة (الجامعية)... وأعتقد أني كتبت لكم عن ذلك، أو ربما لم أكتب. عرضوا عليّ وظيفة طبيب ريفي في زفينيغورود فرفضت.(...) في الختام أعتقد أنه لم يبق ما يستحق الكتابة عنه. أقدم تحياتي وألوذ بابتهالاتكم الكريمة.

المخلص والمستعد دوماً لخدمتكم

طبيب الناحية المعالج أ. تشيخوف

نسيت أن أذكر أنني طبعت كتابي بقرض سأسدده في غضون ٤ أشهر من تاريخ النشر. ولا أعرف ماذا يجري لكتابي في موسكو الآن.

أتهيأ حالياً للذهاب لصيد السمك... والمشكلة أنني تلقيت طلباً من «المنبه» أعتقد أنني لن أتمكن من تنفيذه لضعف طاقاتي البدنية.

اقرأوا الرسالة التالية التي تعثرت وتأخرت لأسباب لا علاقة لهيئة التحرير بها.

٢٢. إلى نكولاي ليكين

فوسكريسينسك، ٢٧ يونيو ١٨٨٤

رسالة رقم ٢

استلمت مساء أمس رسالتكم، يا نكولاي ألكساندروفيتش المحترم، وقرأتها بارتياح. فالرسائل في المنزل الريفي مبعث ارتياح كبير. أمس استلمت من أندريه

يغوريتش ست رسائل لا أقل ولا أكثر، بالإضافة إلى الجرائد و«الشظايا»، وتلذذت بالقراءة حتى منتصف الليل. قرأت كل شيء، حتى الإعلانات في الجرائد، بل وحتى نكات الفكاهي الناشئ ي- ني (ربما اسم مستعار). وبالأمس قرأت رسالتكم، وها أنا أرد عليها الآن... جئت قبل قليل من التشريح الطبي الجنائي في منطقة تبعد ١٠ كيلومترات عن فوسكريسينسك. ارتحلت إلى هناك على عربة تجرها ثلاثة خيول سريعة مع محقق قضائي هرم يكاد يعجز عن التنفس، ولا نفع يرجى منه بسبب شيخوخته. إنه رجل صغير أشيب في منتهى الطيبة. وهو منذ ٢٥ عاماً يحلم بمرتبة عضو المحكمة. قمت بالتشريح مع طبيب الناحية في الحقل تحت ظلال شجرة بلوط فتية تطل على الجادة الترابية... المتوفى شخص غريب، فيما راح فلاحو المنطقة التي عُثر فيها على الجثة يستعطفوننا باكين، لوجه المسيح، أن لا نقوم بالتشريح في قريتهم... «فلن تنام النسوة والأطفال الليل من الخوف...». في البداية مانع المحقق خوفاً من الغيوم، ثم تصور أن المحضر يمكن أن يكتب بالقلم الرصاص بشكل مسودة. وعندما رأى أننا موافقون على التشريح في العراء نزل عند رجاء الفلاحين. (...) قام على حراسة الجثة ليل نهار لحين وصول مركبتنا فلاحون متطوعون لم يدفع لهم أحد شيئاً... الجثة في قميص أحمر وجوارب جديدة، وهي مغطاة جزئياً بشرشف عليه منشفة وأيقونة. طلبنا من الحارس ماءً. الماء متوفر في البركة القريبة، وما من أحد يقدم دلواً خشية التلوث. فلجأ فلاح إلى التحايل. سرق دلواً من الآخرين، فلا خوف على دلو الغير من التلوث. وليس واضحاً متى استطاع الفلاح أن يسرق الدلو وأين... راح يضحك مع رفاقه مسروراً لمأثرته... وكشف التشريح عن كسور في ٢٠ ضلعاً وتورم الرئة ورائحة كحول في المعدة. حصلت الوفاة بالخنق. وقد ضُغط صدر السكران بأداة ثقيلة أو بركبة متينة لأحد الفلاحين. وعلى البدن آثار رضوض (...) لن يكون هناك (في نظر الدعوى) محامي دفاع ولا متهم... فالمحقق طاعن في السن لدرجة يمكن أن تفوّت فيها عينه الكليلة ليس القاتل فقط، بل وحتى الطفل المريض. ها قد مللتم من القراءة، فيما عافت نفسي مواصلة الكتابة... أكتفي بإضافة نقطة هامة وألوذ بالصمت. القتيل عامل خرج من الحانة حاملاً دورق فودكا. وأعلن الشاهد بوليكاربوف الذي هو أول من رأى الجثة على حافة الطريق أنه لمح دورقاً قربها. وعندما مر الشاهد من خلالنا جنب الجثة لم ير الدورق (...) صاحب الحانة الذي لا يجوز له أن يبيع الفودكا

بدوارق خارج المبنى قد عمد إلى سرقة الدورق من المتوفى ليخفي التهمة. ولكن كفاية بهذا الخصوص. (. . .)

عندكم ٦٠٠ شتلة من زهرة الداليا. . . ما حاجتكم إلى هذه الزهرة الباردة التي لا توحي للمرء بالإلهام؟ مظهر هذه الزهرة أرستقراطي نبيل، لكن مخبرها هو الخواء بعينه (. . .) أنا لم أرغب في نشر إعلان عن كتابي في «الشظايا» ليس لأنني أعتقد بعدم فائدة الإعلان، كما تفترون عليّ، بل لأنني أخشى أن أضايقكم. المجال عندكم محدود، وستشعرون بالحرج إذا تقاضيتم مني قدر ما تتقاضون من الآخرين. . . . إذا نشرتم الإعلان أكون شاكراً لكم. (. . .) أنا في الحقيقة لا أفقه شيئاً في شؤون الطباعة. . . فافعلوا ما ترونه أفضل. . . شكري وامتناني على توجيهاتكم. سأنفذ كل ما أشرتم إليه. ها قد أطلتُ عليكم، فلا مؤاخذة. أنا أتردد على مستوصف الناحية وأستقبل المرضى بين يوم ويوم. المفروض أن أداوم هناك يومياً، ولكنْ، قاتل اللّه الكسل. تربطني علاقة صداقة قديمة مع طبيب الناحية.

المخلص أ. تشيخونته

٢٣. إلى نكولاي ليكين

زفينيغورود، ١٠٤ يوليو ١٨٨٤

نكولاي ألكساندروفيتش المخترم

أنا حالياً بمدينة زفينيغورود (ضواحي موسكو)، حيث قادتني الأقدار لأتولى دور طبيب الناحية الذي طلب مني أن أحل محله لمدة أسبوعين. أقضي النصف الأول من النهار في فحص المرضى (٣٠ - ٤٠ شخصاً كل يوم)، والوقت المتبقي للاستجمام أو الضجر الفظيع الذي ينتابني وأنا جالس عند النافذة أتطلع إلى السماء الداكنة، والمطر يتساقط مدراراً من ثلاثة أيام، مطر كريه لا يريد أن يتوقف. . . أمام نافذتي جبل مكسو بالصنوبر، وإلى يمينه منزل مدير الشرطة، وإلى يمين هذا المنزل مدينة شعثاء مغبرة كانت في زمن ما حاضرة مشهودة. وإلى الشمال سور قلعة مهجورة، وإلى يساره أجمة يلوح من ورائها دير القديس سافا. المدخل الخلفي، أو

على الأصح الباب الخلفي واضح للعيان، وجنبه مرحاض فواح وخنوص يصأصئ. اليوم هو السبت، وأنا مسرع إلى البريد لأبعث طرداً مستعجلاً كيلا أفوت الموعد. سأكتب الأقصوصة اليوم، في المساء وأبعثها إليكم غداً. اكتبوا لي على عنوان مدينة فوسكريسينسك. فمن هناك يرسلون إليّ البريد بانتظام. كنت في موسكو، وسمعت بزفاف بالمين على العجوز. التقيته، لكنه لم يخبرني عن ذلك. لا تبلغوه بأني نقلت إليكم هذا النبأ النثري العادي عن رجل شاعري رهيف... ولعلكم تعلمون بهذا النبأ من دوني. وداعاً

المخلص أ. تشيخوف

٢٤. إلى ألكسندر تشيخوف

زفينيغورود، منتصف يوليو ١٨٨٤

ساشا!

أبعث إليك رسالة لتوصلها إلى ليفينسون. آسف لأنني أرغمك، أخي المسكين، على الذهاب عشرات المرات إلى هؤلاء اليهود. آسف جداً، وأعلل النفس بأنني سأتمكن من الاعتراف لك بالجميل.(...)

كما أبعث إليك رسالة الوالد لتسترشد بها. عار على نكولاي أن يجعل العجوز يطأطئ رأسه ويستدين. الرحلة إلى بوشكاروف كلفت نكولاي في حدود ٤ - ٥ روبلات. كان الأفضل لو سلم هذه النقود لتسديد (ديون أبينا)...

أقيم في زفينيغورود، وقد بدأت أتعود على دوري فيها.

أتطلع إلى نفسي وأشعر بأننا لن نعيش معاً يا إخوتي! سنضطر إلى الطواف في مجاهل الدنيا، كأطباء - دراويش في الأقضية والنواحي... هل تتصور؟!

اكتب لي على عنوان فوسكريسينسك (...)

أ. تشيخوف

٢٥. إلى ماريا تشيخوفا (شقيقة الكاتب)

فوسكريسينسك، ٣ سبتمبر ١٨٨٤

أختنا العزيزة المكرمة باستحقاق!

أنا مسافر. وقد حاولت ان أقنع جميع الأهل قائلاً لكلٍّ منهم: إذا كنت تعتقد أنك ستعيش في تلك الأصقاع بصورة أفضل فعش ولا تتردد.

ساشا سيبقى في موسكو حتى منتصف سبتمبر.

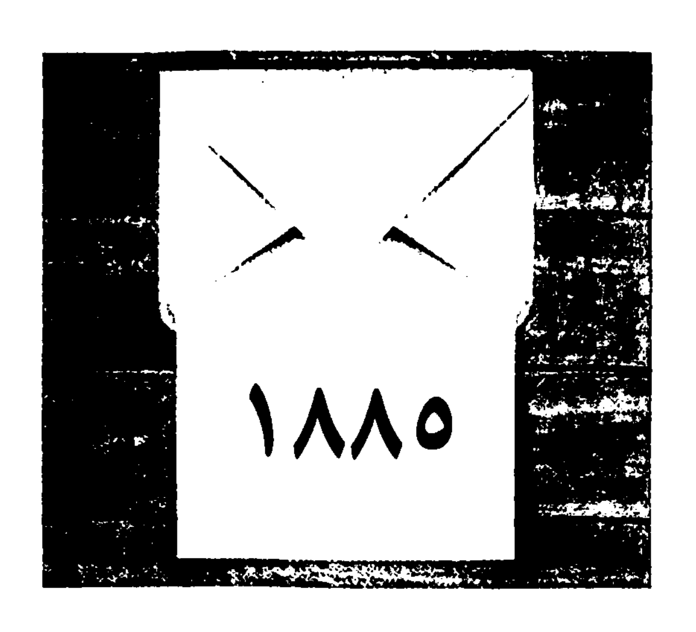
تحياتي للسيدة شبيخ.

واحتراماتي إلى عائلة كيسيليوف، أبعثها من خلال إيفان. نظراً لكونه يجيد القراءة.

أولغا لاشكيفيتش تعاني من إسهال بنزيف دموي. كنت أريد ان أتزوجها شرعاً، لكنني غيرت رأيي الآن، بسبب الإسهال.

يقال إنكِ متعلقة كثيراً بالسيدة شبيخ. وجّهي لها دعوة لزيارتنا في موسكو. وسندبر لها هي أيضاً إسهالاً بنزيف، مجاناً. أكتب لك عن الإسهال كيلا تعرضي رسائلي على أحد.

المخلص أ. تشيخوف



٢٦. إلى نكولاي ليكين

فوسكريسينسك، ٩ مايو ١٨٨٥

نكولاي ألكساندروفيتش المحترم

أبعث إليكم أول إرسالية من المنزل الريفي. تكرموا عليّ واكتبوا في الفراغات التي تركتها في أقصوصة «الطاووس» (طاووس في ريش غراب، فيما بعد سميت الأقصوصة «الغراب») أسماء أماكن الترفيه في بطرسبورغ، وقد أهملتها لأني لا أعرفها، كما أبعث مقالة انتقادية مقتضبة («شظايا من حياة موسكو») وعدة أقاصيص قصيرة. («كيت وكيت» و«التهديد» و«المتغنجات»). في الأسبوع الماضي لم أبعث شيئاً لأني كنت مشغولاً جداً بنقل العائلة إلى الريف. كادت الدموع تنهمر من عينيّ عندما قرأت رسالتكم بشأن مصير أقصوصة «الإلغاء» (منعتها الرقابة في البداية، ثم أفرجت عنها، ونشرت فيما بعد). لست آسفاً على ما فيها من مزايا، فهي قليلة، لكنني آسف على الأجرة التي كان يمكن أن أستلمها. أليس بالإمكان إرسالها إلى «جريدة بطرسبورغ» فقد تصلح لها. ولكنني لا أستلم هذه الجريدة. ولا علم لي بشأن القصتين اللتين أرسلتهما إليها. («آخر نساء الماغيكان» و«الدبلوماسي»). سأكون شاكراً ومديناً لكم لو طلبتم منهم ان يبعثوا الجريدة لي. سأكون ممتناً وأنشد ابتهالاً من الطقوس لكم، ولن أثقل عليكم أكثر. كلمة شرف...

بدات أستلم «الصبار» وأفرح لكتابات شقيقي (ألكسندر). ولكن لا أدري لماذا اختار هذا الاسم المستعار الشائك ولا يكتب إلا عن الجمارك.... ففي الجمارك،

إلى جانب الأضواء، مطبات. إليكم دليلاً آخر على فساد موسكو. تركها الرجل إلى بطرسبورغ وعاداتها المغايرة فتحول من حال إلى حال، وغدا أفضل. . .

أعيش في الأحلام. آكل وأشرب وأنام. وأمارس تفاهات مفيدة. أصطاد السمك. وكنت مرة في الصيد البري. . . صباح اليوم ابتلعت صنارة الطعم الحي سمكة جري، وقبل ثلاثة أيام اصطاد شريكي في الصيد البري أرنباً. يقيم معي الرسام ليفيتان /ليس أدولف الذي تعرفونه في «الشظايا»، بل أخوه إسحق المختص بالمناظر الطبيعية/ وهو مولع بالرماية لحد كبير. هو الذي اصطاد الأرنب. المسكين يعاني مما لا يبشر بخير. لعله بدايات هلوسة. أردت أن أذهب معه في عيد الفصح إلى محافظة فلاديمير لنستنشق الهواء الطلق، بناءً على طلبه، وعندما جئت إليه في اليوم الذي اتفقنا عليه أبلغوني أنه سافر إلى القوقاز. . . وعاد في أواخر أبريل لا أدري من أين. ليس من القوقاز. . . أراد أن ينتحر. . . أخذته معي إلى المنزل الريفي، وأقوم بمرافقته الآن. . . وكأنما هان الأمر عليه. . .

نصبت مصيدتَي الأسماك في النهر وفي البركة. أنتشلهما من الماء بين الحين والآخر، ويعوزني صبر الانتظار الطويل. الطبيعة تفوق الوصف. إذا جئتم في الصيف إلى موسكو وزرتم أورشليم الجديدة للصلاة أعدكم بطبيعة لن ترون مثلها في أي مكان. إنها رائعة لدرجة تشتد بي الرغبة لألتهمها. . .

استلمت الأجرة، وكذلك المجلة. فما رأيكم ؟ هل يمكن تسليم «الإلغاء» إلى «جريدة بطرسبورغ»؟ الطبيعة هنا رائعة، والمنزل فخم، لكن النقود قليلة لدرجة تجعلني أشعر بالخجل عندما أنظر إلى جيوبي. فهل يتعين علي أن أتزوج تاجرة ثرية؟ سأتزوج تاجرة بدينة وأصدر مجلة سميكة. وداعاً، ولا تزعلوا من العنيد الذي لا صلاح له

أ. تشيخوف

٢٧. إلى ميخائيل تشيخوف

بابكينو، ١٠ مايو ١٨٨٥

ميشا- ترينتيشا! (من أبطال الحكايات الروسية المسلية)

وأخيراً خلعتُ الجزمة المطاطية الثقيلة، رائحة السمك لا تفوح من يدي. وبوسعي ان أكتب رسالة. الآن السادسة صباحاً. الأهل نيام. . . والهدوء يفوق الوصف. . . الطيور وحدها تزقزق، وصرير جندب ربما وراء ورق الجدران. أكتب هذه السطور جالساً أمام النافذة المربعة الضخمة في حجرتي. أكتب وأتطلع عبر النافذة من حين لآخر. وأمام أنظاري ينبسط منظر رقيق دافئ خلاب ورائع: جدول والغابة في الرحاب الأبعد. ثم سافونتيفو التي هي جزء من بيوتات كيسيليفسكي. . . ولتسهيل القراءة أكتب الرسالة بنداً بنداً:

أ) وصلنا بأسوأ حال، إن لم أقل أكثر. استأجرنا في المحطة فرسين عجفاوين بـ ٣ روبلات للواحدة. (كلفة عربة البريد بثلاث أفراس ٦ روبلات). نقلتنا العجفاوتان ببطء مقرف شديد. وكان لعابهما يسيل طول الوقت حتى وصلنا الكنيسة المبرقشة. وفي يريميفو أطعمونا. ومنها سرنا حتى المدينة ٤ ساعات، هكذا هو الطريق المقيت. وقطعت أكثر من نصف الطريق ماشياً. عبرنا النهر قرب موقع نكولين. كنت في المقدمة، والوقت ليل، فكدت أغرق. وتمكنت من السباحة، فيما عبرت الوالدة وماريا بقارب. يمكنك أن تتصور مدى الزعيق والغليان وغيرهما من تعابير الغضب النسوي! في غابة كيسليوفسكي شعر الحوذيان بالتعب. وهكذا دواليك. خلاصة القول وصلنا إلى بابكينو في الواحدة بعد منتصف الليل. . . نعم، بعد منتصف الليل!!

ب) أبواب المنزل الصيفي لم تكن مقفلة. . . دخلنا دون أن نقلق أصحاب البيت، وأشعلنا المصباح، فرأينا ما فاق كل توقعاتنا. الغرف فسيحة والأثاث أكثر من المطلوب. . . كل شيء رائع جداً ومريح. منافض وعلب ثقاب وأوعية للسجائر، ومغسلتان. ما أكثر ما هيأه لنا أصحاب البيت الكرماء. إيجار مثل هذا المنزل الصيفي بضواحي موسكو يكلف ٥٠٠ في أقل تقدير. عندما تأتي إلينا سترى. بعد أن دخلتُ أبعدت حقائبي وجلست أجتر. شربت قليلاً من الفودكا والنبيذ، وأخذت أنظر مسروراً إلى الأشجار المدلهمة عبر النافذة وإلى النهر. . . سمعت

البلابل تغرد ولم أصدق أذني. . . كنت لا أزال أظن أنني في موسكو. . . وغفوت على أروع ما يكون. . . مع تباشير الصباح اقترب من النافذة بيغيتشيف، ونفخ في الصور، لكنني لم أسمع صفيره. كنت أغط في النوم مثل إسكافي سكران.

ت) في الصباح نصبت السلة، وسمعت صوتاً يناديني: «تمساح». ورأيت على الضفة الثانية ليفيتان. . . جاءوا به على ظهر حصان. . . احتسيت القهوة ومضيت معه ومع الصياد المعهود إيفان غافريلوف للصيد. تجولنا ثلاث ساعات ونصفاً، اجتزنا قرابة ١٥ كيلومتراً، وكانت الغنيمة أرنباً واحداً. كلاب الصيد ليست على المستوى المطلوب. . .

ث) والآن عن الأسماك. السمك لا يُقبل على الصنارة جيداً. لا شيء غير سميكات صغيرة. لكنني، بالمناسبة، اصطدت شبوطاً صغيراً يتعين عليه أن يذهب إلى المدرسة ليتعلم، وليس إلى المقلاة.

ج) ثمة إقبال على الطعم الحي. فانيا اصطاد به سمكة جرّي ضخمة. حالياً مصائد هذا النوع غير منصوبة لعدم توفر الطعم الحي. مساء أمس هبّت ريح شديدة فتعذر الصيد. جلبنا صنانير الطعم الحي متوسطة الحجم. ولم تبق عندي ولا صنارة واحدة منها.

ح) سلّتي لصيد السمك. اتضح أن نقل هذا النوع من السلال مريح وخفيف. لم تتقرمش مع العفش، وربطناها على مؤخرة العربة. . . نصبنا سلة في النهر، وقد وقعت فيها بنّية وأخفس ضخم. الأخفس ضخم بالفعل حتى إن كيسيليف سيتناول الغداء عندنا اليوم. وكانت السلة الثانية مركونة في البركة أولاً، ولكن من دون جدوى. وهي الآن منصوبة وراء حاجز البركة. يوم أمس وقع فيها أخفس، والآن في ساعات الصباح استخرجتُ منها تسعاً وعشرين سميكة من نوع الزوري. هل تتصور؟ طعامنا اليوم طبيخ السمك وشرائحه المقلية وحساء مكثف منه. . . ولذا اجلب معك سلتين أو ثلاثاً. وهي تباع جنب جسر موسكفو ريتشيسكي في أكشاك السمك الحي. أنا دفعت ٣٠ كوبيكاً للسلة، لكن ادفع ٢٠ أو ٢٥ كوبيكاً (بالجملة). الحوذي بالطبع سيوصلها من الكشك إلى منزلك. . .

خ) ماريا فلاديميروفنا بصحة جيدة. أهدت لوالدتي قنينة من المربى، وعلى العموم إنها في غاية اللطف. تزودني بالنكات والنوادر من المجلات الفرنسية العتيقة. . . وأتقاسم الكسب معها. كيسيليف لا يبارحنا. بالأمس احتسى مع الفطائر

ثلاث كؤوس هائلة. بيغيتشيف لم يشرب، اكتفى بتناول الطعام... وكان يتطلع بعينين مستعطفتين إلى دورق الفودكا.

د) أنا لا أشرب، ومع ذلك لم يبق شيء من النبيذ. ما ألذه، حتى إن نكولاي وإيفان ملزمان بجلب قنينتن /في الحقائب مثلي/. النبيذ نادر هنا. فما ألذ أن تشرب قدحاً من النبيذ بعد العشاء على تعريشة البلكون! أوضح لهما. النبيذ رائع... اشتريته في كشك الخمور الجورجية على شارع ميسنيتسكايا، إلى اليمين إذا كنت قادماً من دائرة البريد صوب المدينة. غيلاي يعرف هذا المتجر. والنبيذ فاتح اللون وتسميته «أحمد» أو «محمد»...

ذ) (إسحق) ليفيتان يقيم في ماكسيموفكا. وقد تحسنت صحته تقريباً. يسمي كل أسماك النهر بالتماسيح. وقد ربطت علاقات صداقة بينه وبين بيغيتشيف الذي يسميه ليفيافان ويقول متأوهاً عندما يغيب التمساح «أشعر بالملل من دون ليفيافان»

ر) الطريق بات ممهداً، والمعبر جيد حتى ان تيشكو جاءنا يوم أمس. بلّغ ليليا أن تأتي إلينا لأسبوع. في الأماكن متسع، والأطعمة ممتازة. أدعها وأوضح لها الطريق وكم ينبغي أن تدفع للحوذي وما إلى ذلك. طريق العودة يمكن أن يكون بخساً. لمدة أسبوع، لا أقل... كيف حال نكولاي؟

ز) اجلب جواز سفر أولغا، مع سجق مطبوخ بالثوم لأجل كيسيليف /٣ - ٤ قطع من السجق/ وكذلك توابل الغار والفلفل وورق البريد من القطع الكبير.

س) استنسخ لي من المعجم الإنسكلوبيدي مفردات يونيو ويوليو وأغسطس. وهذا أسهل مما لو حملت المعجم الثقيل إلينا في بابكينو. نهضت من النوم في الثالثة والنصف فجراً، والآن أحتسي الشاي، وسأمضي للنوم. أنام حتى موعد القهوة. وبعدها أذهب مع كيسيليف لتفقّد مصائد السمك. يوم أمس كتبت كثيراً جداً، وسأبعث المادة الآن. العمل يسير على ما يرام...

المخلص أ. تشيخوف

(...)

٢٨. إلى نكولاي ليكين

موسكو، ١٢ أكتوبر ١٨٨٥

نكولاي ألكساندروفيتش المحترم

استلمت رسالتكم وأنا في الشقة الجديدة. شقتي تقع فيما وراء نهر موسكفا، والمنطقة كما في المدن الهامشية، حيث النظافة والهدوء وشيء من. . . الغباوة. خبر الهجوم على «الشظايا» صعقني كضربة فأس على الرأس. فمن جهة أنا آسف على كتاباتي، ومن جهة أخرى أشعر بالضيق لهذه الفعلة الشنيعة. أنتم على حق بالطبع: تقليص العمل وتكرار ما ينشر أفضل من المخاطرة بمصالح المجلة من خلال الدخول في معركة خاسرة. لا بدّ من الانتظار والصبر على الأحداث. وأظن أنها ستضطركم إلى التقليص طول الوقت. فما هو مسموح به اليوم قد يقتضي مراجعة اللجنة (الرقابية) غداً. . . وسيأتي في القريب العاجل زمان تمنع فيه حتى صفة «التاجر» كتاجر. أجل، لا يوفر الأدب الخبز الكفاف لأصحابه. وقد تصرفتم أنتم بذكاء عندما وُلدتم قبلي، حيث كان التنفس أريح والكتابة أسهل. . .

لم أكن أنوي إرسال شيء إليكم هذا الأسبوع. فلديكم ثلاث مواد لي، وكنت أرى أن قسطاً من الراحة أمر مشروع، لا سيما وأن أعباء الانتقال أثقلت عليّ. والآن، بعد أن استلمت رسالتكم وعلمت بمصير المواد الثلاث (منعتها الرقابة) أرسل إليكم قصة («دواء الإدمان») كتبتها ليس من أجل «الشظايا»، بل على سبيل الاحتياط. القصة طويلة نسبياً، وتتناول ممثلي المسرح، وتأتي في الوقت المناسب نظراً لبدء الموسم. يخيل إليّ أنها فكاهية. (. . .)

أنتم تنصحونني بالسفر إلى بطرسبورغ لأتكلم مع (سرغي) خوديكوف (رئيس تحرير «جريدة بطرسبورغ»)، وتقولون إن بطرسبورغ ليست الصين. . . أنا أعرف أنها ليست الصين، وقد أدركت من زمان، كما تعلمون، الحاجة إلى هذه الزيارة. ولكن ماذا أستطيع أن أفعل؟ بسبب كوني أعيل أسرة كبيرة لا تتوفر لدي حتى عشرة روبلات زائدة، فيما تتطلب الرحلة مهما كانت بائسة وغير مريحة ٥٠ روبلاً كحد أدنى. فمن أين لي بها؟ لا أستطيع ان أقتطعها من العائلة، ولا أعتقد أن ذلك ممكن. . . فإذا قلصت طبقي الطعام وجعلتهما طبقاً واحداً تعتل صحتي بسبب تأنيب الضمير. في السابق كنت آمل أن أنتزع تكاليف السفر من أجوري في «جريدة

بطرسبورغ»، ولكن اتضح عندما بدأت التعاون مع الجريدة، أنني سأكسب لا أكثر مما كنت أكسبه، لأنني أسلم إلى هذه الجريدة ما سبق ونشرته في «الترفيه» و«المنبه» وغيرهما. الله وحده يعلم كم ستكون مصاعب التوازن، وما أسهل أن أفقد توازني وأسقط إلى تحت. لو كسبت في الشهر القادم ٢٠ - ٣٠ روبلاً أقل من المعتاد يتحطم رصيدي وأرتبك متحيراً. من الناحية المالية أنا في فزع شديد، وبحكم هذا الجبن المالي، المنافي لأمور التجارة، أنا أتحاشى الاقتراض والاستلاف... أنا سريع التحرك. وفيما لو توفر المال لرأيتموني أطير فوق المدن والأرياف طول الوقت. (...)

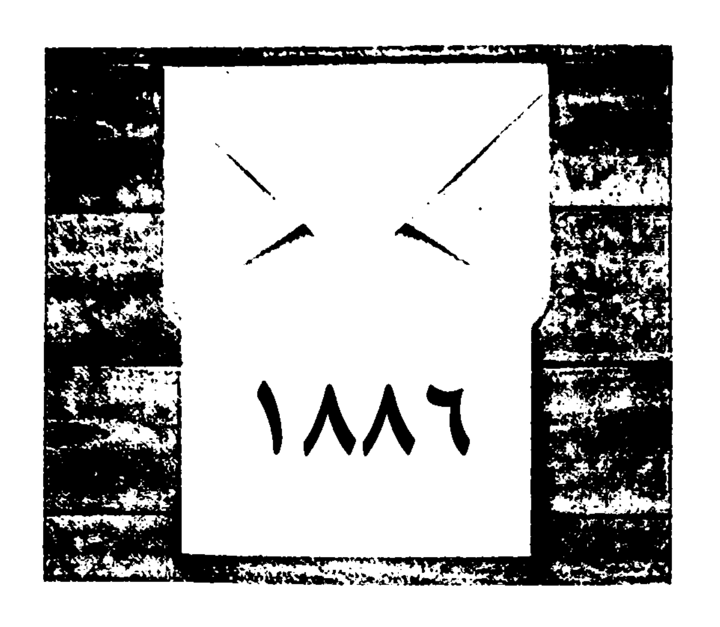
لا يجوز لي الآن أن أكتب أكثر مما أكتب. (أنا طبيب) والطب ليس كالمحاماة، إذا لم أمارس التطبيب أبقى على مستواي السابق. بمعنى أن ريعي الأدبي ثابت على مبلغ يمكن أن يقل ولا يمكن أن يزداد.

أنتظر «الشظايا» يوم الثلاثاء، فأنا لا أستلمها بانتظام من زمان. أهنئكم على ما اشتريتموه. أنا أحب كثيراً كل ما يسمى في روسيا ضيعة. هذه الكلمة لم تفقد بعد رونقها الشاعري. يعني أنكم سترتاحون في الصيف...

الجو عندنا صقيع، لكن الثلج لم يتساقط بعد.

بالمان كان في زيارتي، وسيأتي مرة أخرى يوم الثلاثاء. ففي مثل هذا اليوم كل أسبوع عندي لقاء مع الفتيات والموسيقى والغناء والأدب. أريد أن أعرّف الشاعر على المجتمع، وإلا سيتوحش.

المخلص أ. تشيخوف



٢٩. إلى ألكسندر تشيخوف

موسكو، ٤ يناير ١٨٨٦

موظف الحجر الجمركي ساشا! أهنئك والزمرة كلها بالعام الجديد متمنياً لكم المزيد من السعادة والبنين السعداء... ولينعم عليكَ الله بكل الخيرات! يبدو أنك زعلان عليّ لأنني لا أراسلك. وأنا أيضاً زعلان للسبب ذاته. بهيمة! بغل! موظف لا همّ له سوى إنجاب الأطفال! لمَ لا تكتب لأخيك؟ هل فقدتْ رسائلك روعتها السابقة ومفعولها السابق؟ ألا تعتبرني أخاك؟ ألستَ حنزيراً بعد ذلك كله؟ اكتب، أكرر عليك ١٠٠٠ مرة اكتب. اكتب ولو كنت تتذمر... أمورنا على ما يرام، ما عدا مشتروات الوالد من المصابيح. إنه مهووس بها. على فكرة، سأبحث في الجرارات عن نص نادر أرفقه لك إذا وجدتُه، اقرأه وأعده إليّ.

كنتُ في بطرسبورغ. نزلت عند ليكين. وتحملت كل العذابات التي قال عنها الكتاب المقدس: «تحملها حتى النهاية». أطعمني بأروع صورة، لكنه، البهيمة، كاد يخنقني بأكاذيبه. تعرفت على هيئة تحرير «جريدة بطرسبورغ»، حيث استقبلوني وكأنني شاه إيران. أنت، أغلب الظن، ستعمل في هذه الجريدة، ولكن ليس قبل فصل الصيف. لا تعلق آمالك على ليكين. فهو يعاكسني بكل الوسائل في «جريدة بطرسبورغ». وسيعاكسك أنت أيضاً. في يناير سيزورني خوديكوف، رئيس تحريرالجريدة، وسأكلمه في الموضوع.

بالله عليك اترك الموظفين لحالهم. ألا تشعر، بحاسة الشم، أن هذا الموضوع

بات عتيقاً ومملاً؟ ثم أين تجد في منطقتك الآسيوية تلك العذابات التي يعاني منها الموظفون في قصصك؟ أقول لك الحق: مجرد قراءة هذه القصص شيء فظيع. قصة «الأناقة» رائعة ما عدا... الموظفين. فلو وضعتَ مواطناً طيباً بدلاً من الموظف ولم تركز على رؤسائه ومرؤوسيه لجاءت القصة (أجمل وأبهى، وألذ). ولا تسمح بتقليص أقاصيصك وتحويرها... فمن المقرف أن نلمس في كل سطر أصابع ليكين... من الصعب عدم السماح بذلك. الأفضل أن تستخدم الوسائل المتوفرة لديك: اختصر بنفسك إلى أدنى حد، ومارس التحوير. كلما اختصرت أكثر سينشرون لك أكثر... والأهم أن تتيقظ وتتقيد بالأصول وتبذل جهداً على قدر الإمكان. أعد الكتابة ونقّح واختصر خمس مرات، ولا تنس أن بطرسبورغ كلها تتابع ما يكتبه الأخَوان تشيخوف. لقد دهشتُ للحفاوة التي استقبلني بها أهالي المدينة. سوفورين وغريغوروفيتش وبورينين، كلهم دعوني ودعوا لي... حتى إنني شعرت بالخجل لأنني كنت أكتب بإهمال، من دون جهد جهيد. ولو كنتُ أعلم أنهم يقرأونني لهذا الحد لما كتبت حسب الطلب... فتذكر أن الناس يقرأونك. ثم لا تستخدم في قصصك أسماء وألقاب معارفك. فهذا إسفاف غير جميل، إضافة إلى أن معارفك يفقدون، والحال هذه، احترامهم للكلمة المطبوعة... تعرفت على بيليبين. إنه شاب نزيه يمكنك، عند الضرورة، أن تثق به تماماً. بعد عامين أو ثلاثة سيلعب دوراً بارزاً في المجال الصحافي في بطرسبورغ، وسيغدو رئيساً لتحرير «الأخبار» أو «العصر الحديث»، ما يعني أنه شخص نافع...

بالله عليك، مرة أخرى. متى استطعتَ أن تنفخ في /ط... ك/ هذا القدر من البرودة؟ ومن تريد أن تدهش بخذلانك وجبنك؟ ما يعتبره الآخرون خطراً يعتبره الجامعي مَضحكة، مثاراً للضحك المتسامح. أما أنت فقد انتسبت بكل مسامات روحك إلى سلك الجبناء. ما هذا الخوف من الرسائل المدموغة بأختام هيئات التحرير؟ وماذا يستطيع البعض أن يفعلوا لك عندما يعرفون أنك أديب تكتب؟ فليعرفوا. أنت أردت أن تبصق على الجميع. فهم لن يضربوك أو يشنقوك أو يطردوك، أليس كذلك؟ بالمناسبة، ليكين، عندما التقى مدير دائرتكم (الجمارك) في اجتماع لهيئة الائتمان، إنهال عليه باللوم والتقريع على ما تتعرض له أنت من مضايقات بسبب نشاطك الأدبي... فارتبك المدير وأخذ يقسم الأيمان الغلاظ (بعدم وجود مضايقات)... بيليبين يمارس الكتابة بينما هو يخدم كما ينبغي في

مديرية البرق والبريد. ليفينسكي يصدر مجلة فكاهية ويشغل ١٦ منصباً. حتى الضباط في نظامهم المتشدد لا يخجلون من الكتابة علناً. إخفاء الشيء ضروري، ولكن الاختفاء غير جائز مطلقاً. كلا، يا ساشا، لقد حان الوقت لإحالة موضوع مضايقة الموظفين وملاحقة مراسلي الصحف إلى الأرشيف... والأكثر واقعية الآن هو تصوير صغار الموظفين الذين يقضّون مضاجع كبار الرؤساء والمراسلين الذين يسممون حياة الآخرين... وما إلى ذلك. لا تزعل من هذه المواعظ. أكتب إليك لأسفي عليك. فأنت كويتب جيد، ويمكنك أن تكسب ضعف ما تكسب، بينما طعامك الجراد والعسل البري (مثل يوحنا المعمدان) بحكم سوء فهم يعشش في قحف جمجمتك...

أنا لم أتزوج بعد، وليس لدي أطفال. حياتي ليست يسيرة. في الصيف ربما ستكون لدي نقود. يا ليت!

اكتب لي، اكتب. أنا كثيراً ما أفكر فيك، وأفرح لك... فلا تتحول إلى بغل، ولا تنس

أخاك المخلص أ. تشيخوف

نكولاي يؤجل ويجرجر. إيفان لا يزال شهماً كالسابق. أختنا (ماريا) في غليان دائم: المعجبون كثيرون، واللقاءات السمفونية على قدم وساق، والشقة كبيرة...

٣٠. إلى فكتور بيليبين (كاتب كوميدي)

موسكو، ١٤ فبراير ١٨٨٦

سيدي! (في الأصل بالفرنسية) أستعطفكم أن ترمموا خطكم البشع. صدقوني، إنه أبشع حتى من خطي... حرف الكاف وحرف الزاي في خطكم مقيتان يثيران سخط الخالق لدرجة تستوجب شنقهما. تدهشني الحكومة، كيف تسكت عليكم كموظف في إحدى دوائرها بمثل هذا الخط الأعوج؟

رسالتكم الأخيرة لطيفة وتستحق أن تكتب بخط ألطف من خطكم.

أنا على قيد الحياة وفي صحة يعزوها (الصديق الشاعر) بالمان إلى كوني لا

أداوي نفسي. العمل كثير جداً. ولا وقت حتى لتناول الطعام... فرغت تواً من كتابة مشهد- مونولوج بعنوان «ضرر التبغ»، وهو مخصص في مجاهل صدري وأفكاري للممثل الفكاهي غرادوف - سوكولوف. وكان لدي من الوقت ساعتان ونصف فقط، فأفسدت هذا المونولوج. وأرسلته لا إلى الشيطان، بل إلى «جريدة بطرسبورغ». كانت النوايا حسنة، إلا أن التنفيذ جاء على أسوأ ما يكون. (...)

لقد نصحتموني أن أوقع كتاباتي بالاسم الصريح وليس المستعار. ولعلكم على حق. إلا أنني فكرت وفضلت الاسم المستعار، ليس من دون مبرر. فقد كرست لقب عائلتي للطب الذي لن أفارقه حتى الرمق الأخير. أما الأدب فسأفارقه آجلاً أم عاجلاً. هذا أولاً. وثانياً - ينبغي أن يكون للطب الذي يصبو إلى الجدية وللأدب الذي يميل إلى اللهو توقيعان مختلفان.

بالمناسبة، سوفورين طلب مني برقياً أن أسمح له بتوقيع قصتي بالاسم الحقيقي، فسمحت له، ولذا باتت محاججاتي في الموضوع هباءً منثوراً على أرض الواقع.

أنا لا أفهم قولكم بأن توقيع «أنط. تشيخوف» يسر مسامع الجمهور أكثر من توقيع «أ. تشيخونته»، أليس الأمر سواءً بالنسبة له؟ (...)

أنا مسرور لموقف غريغوروفيتش. فهو الشخص الوحيد الذي قدرني حق قدري. فبلغوا جميع الكتّاب المشاهير، ومن بينهم طبعاً ليكين، بأن يقتدوا به.

بالمان سجل عنوانكم ليبعث إليكم بطاقته الشخصية مع معطف من فرو الدببة. قصيدة (بالمان) في نعي أكساكوف جيدة حقاً. والمؤسف أن لدى شاعرنا كثيراً من النقاط (الفراغات)... كل أشعاره تتألف من مقاطع مبتورة من ألحان غير مكتملة...

على أية حال لنبتعد عن النقد...

أنتما مسافران إلى فنلندة! عندما يتحول شهر العسل في فنلندة إلى بوضة مجمدة تذكروا دعوتي وتأسفوا لضعف إرادتكم. كم ستكلفكم الرحلة إلى فنلندة الهمجية هذه؟ ١٠٠ روبل؟ هذا المبلغ يكفي للسفر والاستجمام الرائع في الجنوب (الروسي) أو، على الأقل، المجيء إليّ في ضواحي موسكو...

في الطابق الثاني للعمارة التي أسكن في طابقها الأول تعزف الآن موسيقى

الزفاف... حماران يتزوجان، والأقدام تقرع الأرضية كحوافر الخيل... ولن أتمكن من النوم...

أما زواجي أنا فلا أعرف عنه شيئاً حتى الآن (...)

اكتبوا لي، أستحلفكم برفات (يوليوس) قيصر...

أ. تشيخوف

٣١. إلى أليكسي سوفورين (كاتب وناشر)

موسكو، ٢١ فبراير ١٨٨٦

السيد الكريم أليكسي سرغييفيتش

استلمت رسالتكم وأشكركم على تقديركم لكتاباتي وعلى سرعة نشر أقصوصتي («المأتم»). يمكنكم أن تحكموا بأنفسكم على مدى التأثير الفعال والملهم الذي تركه في نفسي كمؤلف ذلك الاهتمام الحريص من إنسان موهوب ومجرب مثلكم...

أوافقكم على تعديل خاتمة الأقصوصة وأشكركم على هذا التوجيه المفيد. أنا أعمل منذ ست سنوات، لكنكم أول من تكلف عناء التوجيه وتعليل مبرراته.

ولعل اسمي المستعار أ. تشيخونته غير مألوف ونادر. لكنني تبنّيته من زمان، في فجر شبابي، وتعودت عليه، ولذا لا ألاحظ غرابته (مدرس الواجبات في ثانوية تاغانروغ كان يسمي تلميذه تحبباً أنطوشه تشيخونته)...

أكتب قليلاً على العموم. أقصوصتين أو ثلاثاً في الأسبوع. وسأجد وقتاً للعمل في «العصر الحديث»، ويسرني بالطبع أنكم لم تشترطوا لتعاوني سرعة التنفيذ. فالسرعة هي التسرع والإحساس بالثقل على العاتق، وكلاهما يعيقان العمل. ثم إن السرعة بالنسبة لي شخصياً غير مريحة لأنني طبيب ممارس... ولا أستطيع أن أتعهد بأن أحداً لن يلهيني غداً عن طاولة التشريح ليوم كامل. المجازفة واردة دوماً واحتمال التأخر قائم، فلا أستطيع أن أكتب شيئاً في الموعد المقرر.

المكافأة التي خصصتموها لي مجزية تماماً في الحال الحاضر. ولو أمرتم بإرسال الجريدة لي أكون شاكراً لكم جداً، ذلك لأنني نادراً ما أراها.

أبعث إليكم هذه المرة قصة («الشريرة») أطول من السابقة بمقدار الضعف، و. . . أخشى أن تكون أسوأ منها بنفس المقدار. . .

يشرفني أن أقدم احتراماتي

المخلص أ. تشيخوف

ضاحية ياكيمانكا

٣٢. إلى دميتري غريغوروفيتش (كاتب)

موسكو، ٢٨ مارس ١٨٨٦

رسالتكم، عزيزي الطيب الحبيب الغالي، أصابت مني مأخذاً كالصاعقة، حتى كدت أبكي من شدة الانفعال. وقد أدركت الآن أنها تركت أثراً عميقاً في نفسي. وكما حرصتم على شبابي فليجعل الله شيخوختكم سكينةً وسلاماً وهدوء بال. أنا لن أجد الأقوال والأفعال الكافية للتعبير عن امتناني لكم. أنتم تعرفون بأي منظار ينظر الناس إلى المختارين من أمثالكم. وبناءً على ذلك يمكنكم أن تحكموا على مدى قيمة رسالتكم بالنسبة لمداراة غروري. إنها أسمى من أية شهادة جامعية، وهي بالنسبة للكاتب الناشئ مكافأة على عمل الحاضر والمستقبل. أنا في نشوة ساحرة، أفتقر إلى القدرة على البت في ما إذا كنت أستحق هذه المكافأة أم لا. ولا يسعني إلا أن أكرر بأنها أدهشتني كالصاعقة.

إذا كانت لدي موهبة تستحق التقدير فأنا أعترف أمام طيبة قلبكم ونقاء ضميركم بأنني لم أكن أقدر هذه الموهبة. كنت أشعر بأنها موجودة، لكنني تعودت على أن أعتبرها ضئيلة بائسة. ثمة أسباب خارجية كافية للكيان البشري كي يظلم نفسه ويشكك في قابلياته ويرتاب بقدراته. . . . وأنا أتذكر الآن أن لديّ القدر الكافي من هذه الأسباب. كل أهلي كانوا دوماً ينظرون بإشفاق إلى نشاطي الأدبي وينصحونني بمودة أن لا أستبدل العمل الحقيقي بتسويد الورق الأبيض. لديّ في موسكو مئات المعارف بينهم زهاء عشرين من الكتّاب وأنا لا أتذكر أحداً يعتبرني أو يرى في شخصي فناناً. وثمة في موسكو ما يسمى «بالحلقة الأدبية»: الموهوبون وأشباه

الموهوبين من كل شاكلة وطراز ومن جميع الأعمار يلتقون أسبوعياً في أحد المطاعم ويطلقون ألسنتهم وحناجرهم. ولو مضيت إلى هناك وقرأت عليهم ولو مقطعاً واحداً من رسالتكم لضحكوا عليّ ساخرين. فخلال خمس سنوات من التردد على الصحف تلمست هذه النظرة العامة إلى ضآلة نشاطي الأدبي حتى تعودت أن أنظر بإشفاق إلى كتاباتي. هذا هو أول الأسباب. والسبب الثاني هو أنني طبيب غارق في التطبيب حتى الأذنين. ولذا لم يكن القول المأثور بشأن ضرب عصفورين بحجر ليمنع النوم عن أحد أكثر مما منعه عني.

أقول ذلك لكي أبرر نفسي ولو قليلاً وأعترف أمامكم بخطيئتي الفادحة. كنت حتى الآن أقف من نشاطي الأدبي، للأسف الشديد، موقف المستهتر به غير الحريص عليه أبداً. أنا لا أتذكر ولا قصة واحدة من قصصي أمضيت في كتابتها أكثر من يوم واحد. أما قصة «ناظر الغابة» التي أعجبتكم فقد كتبتها في الحمام. وكما يفعل المراسلون في كتاباتهم عن الحرائق ألّفت أنا قصصي ميكانيكياً، من دون وعي تقريباً، دون أن أفكر في القارئ أو أشفق على نفسي... كنت أكتب وأحاول جهدي أن لا أستنفد مخزون الشخوص والمشاهد على القصة الواحدة، فهو عزيز علي، والله وحده يعلم لماذا أبخل به وأخفيه عن الأنظار.

وكان أول ما دفعني إلى الانتقاد الذاتي رسالة طيبة تماماً، وصادقة، على ما أتذكر، من (أليكسي) سوفورين. فبدأت أتهيأ لكتابة شيء له شأن. لكنني لم أكن أثق بأن لكتاباتي الأدبية شأناً يستحق الذكر.

وها هي رسالتكم تصلني على غير المتوقع. لا مؤاخذة على المقارنة. لقد أثّرت فيّ كتأثير أمر حاكم المدينة بالاستنفار والمغادرة في غضون ٢٤ ساعة. بمعنى أنني شعرت فجأة بحاجة ماسة إلى الاستعجال والخروج بأسرع ما يمكن من المستنقع الذي غصت فيه...

أنا أوافقكم الرأي في كل شيء. حالات الاستهتار التي تلفتون نظري إليها تحسستها عندما رأيت «الجنية» منشورة. فلو لم أكتب هذه القصة في يوم واحد، لو صرفت في تأليفها ثلاثة أو أربعة أيام لما حصل ذلك الاستهتار...

إنني أحاول أن أتخلص من العمل العاجل، ولكنني لن أتخلص منه قريباً... فلا أستطيع أن أحيد عن السكة التي دأبت عليها. أنا لا أمانع في تحمّل الجوع، كما تحمّلته، لكن المسألة لا تتوقف عليّ... أنا أخصص للكتابة فترة الراحة، ٢-٣

ساعات في النهار وهزيعاً من الليل، أي الأوقات الصالحة لأعمال طفيفة فقط. وفي الصيف عندما تزداد أوقات الراحة وتقل الأشغال أتولى عملاً أكثر جدية.

لا يمكن أن أوقع الكتاب («قصص مبرقشة») باسمي الحقيقي، لأن الوقت فات. الإطار جاهز والكتاب طبع. الكثيرون في بطرسبورغ نصحوني قبلكم أن لا أشوه كتبي بالأسماء المستعارة، لكنني لم آخذ بالنصيحة، ربما بسبب الغرور. كتابي لا يعجبني إطلاقاً. إنه عصيدة، خليط غير منتظم من كتابات طالب نهشتها الرقابة ومحررو الجرائد والمجلات الفكاهية. وأنا متأكد من أن الكثيرين سيصابون بخيبة أمل عندما يقرأونه. ولو كنت أعرف أن كتاباتي تحظى بإقبال القراء وأنكم تراقبونني لما نشرت هذا الكتاب.

كل الآمال معلقة على المستقبل. فأنا في السادسة والعشرين. ولربما يتسنى لي أن أفعل شيئاً، مع أن الزمن سريع الجريان.

لا مؤاخذة على الإطالة. ولا تلوموا شخصاً تجرأ لأول مرة في حياته أن يداري نفسه متلذذاً بتحرير رسالة إلى غريغوروفيتش.

تفضلوا عليّ بصورتكم، إن أمكن. لقد تلقيت منكم ملاطفة مؤثرة تجعلني أكتب لكم حزمة كاملة من الأوراق وليس رسالة في ورقة واحدة. فليهبكم اللّه السعادة والصحة والعافية. وثقوا باحترام وإخلاص

الشاكر لكم أ. **تشيخوف**

٣٣. إلى نكولاي تشيخوف (شقيق الكاتب. رسام)

موسكو، (؟) مارس ١٨٨٦

(السكير) الصغير! (بالمقارنة مع الإقطاعي زابيلين، السكير الكبير في تاغانروغ). بلغني أنك تشعر بالإهانة من سخريتي وسخرية فيودور شيختيل (صديق عائلة تشيخوف) بك... الشعور بالإهانة محصور بالنفوس النبيلة الكريمة. ومع ذلك إذا جازت السخرية من إيفانينكو ومني ومن ميشا ومن نيللي فما المانع من السخرية بك؟ ليس في ذلك شيء من العدل... على أية حال إذا كنت جاداً لا تمزح، وإذا كنت تشعر بالإهانة حقاً فأنا أسارع للاعتذار منك.

الناس عادة تسخر وتضحك فقط على ما هو مضحك أو غير مفهوم. ولك اختيار أحد التوصيفين.

التوصيف الثاني ليس سلبياً. إنه أقرب إلى الإطراء. ولكنك بالنسبة لي شخصياً لا تشكل، مع الأسف، أحجية غير مفهومة. فليس صعباً فهم الإنسان الذي شاطرته الأفراح والأتراح من حلاوة القند إلى قساوة المعلم فوتشينا إلى اللغة اللاتينية إلى العيش سوية في موسكو. أضف إلى ذلك أن حياتك عبارة عن شيء سيكولوجي بسيط يفهمه حتى الذين لم يدرسوا في الثانوية. واحتراماً لك سأكون صريحاً معك. أنت زعلان تشعر بالإهانة... إلا ان القضية ليست في السخرية منك... بل في كونك تشعر، كإنسان شريف، أنك تقف على أرضية زائفة. والشخص الذي يعتبر نفسه مذنباً إنما يبحث دوماً عن مبررات لسلوكه من الخارج: السكير يتحجج بالمصائب والأحزان، و(الصحفي نكولاي) بوتاتا يلقي الذنب على الرقابة، والهارب من ياكيمانكا (مسكن عائلة تشيخوف) بحثاً عن الدعارة والتهتك يتشكى من برودة البيت ومن السخرية به وما إلى ذلك... ولو تركتُ أنا العائلة في مهب الريح لبحثتُ عن مبررات لتصرفي ذاك في طباع الوالدة وفي قشع الدم الذي أعاني منه وهكذا دواليك. هذا شيء طبيعي لا يُلام المرء عليه. تلك هي طبيعة البشر. أما شعورك بأنك على أرضية زائفة فهو أيضاً صحيح، وإلا لما وصفتك بالإنسان الشريف. وإذا انتهى الشرف تختلف المسألة: فتعتبر الواقع مبرراً ولن تشعر بزيفه.

وصحيح أيضاً أنك لا تشكل أحجية أو لغزاً بالنسبة لي. وإلى ذلك أنت، أحياناً، مضحك بوحشية. إنك إنسان بسيط كسائر البشر المعرضين للموت. كلنا معرضون له، ولا نشكل أحجية إلا عندما نكون أغبياء، لكننا مضحكون طوال ٤٨ أسبوعاً في العام... أليس كذلك؟

كنتَ غالباً ما تشكو لي بأن الآخرين «لا يفهمونك!!». (عجيب!). حتى غوته ونيوتن لم يتشكيا من ذلك... الشخص الوحيد الذي تشكى منه هو المسيح. لكنه لم يتكلم عن «أناه»، بل عن تعاليمه... الآخرون يفهمونك تماماً... وإذا كنت لا تفهم نفسك فليس الذنب ذنبهم.

أؤكد لك أنني أتفهمك، كأخ شقيق وعزيز، وأشفق عليك بكل جوارحي... أنا أعرف كل خصالك الطيبة خير معرفة وأقدرها حق قدرها وأقف منها موقف الاحترام العميق. وتدليلاً على أنني أفهمك يمكنني، إذا شئتَ، أن أعدد تلك

الخصال. في اعتقادي إنك طيب القلب كخرقة من قماش، وإنك شهم غير أناني تتنازل عن آخر كوبيك، وإنك صادق لا تعرف الحسد والبغضاء، وإنك أريحي تشفق على البشر والبقر، ولست بخيلاً ولا تضمر الحقد على أحد وإنك سريع التصديق. وقد وهبك اللّه ما ليس لدى الآخرين. لديك موهبة تجعلك أسمى من ملايين البشر، ذلك لأن الرسام الواحد يقابل مليارين من سكان المعمورة... الموهبة تضعك في منزلة خصوصية، تحظى فيها بالاحترام حتى لو كنت ضفدعاً أو عنكبوتاً ساماً، ذلك لأن كل مساوئ صاحب الموهبة تغتفر.

وعيبك الوحيد الذي تتلاقى فيه أرضيتك الزائفة ومصيبتك ومعاناتك من التهاب الأمعاء هو سوء التربية وقلة الأدب. لا مؤاخذة، الحقيقة أغلى من الصداقة (في الأصل باللاتينية). والحياة لها شروطها واستحقاقاتها. ولكي تهتدي إلى سواء السبيل في أوساط المثقفين ولا تغدو غريباً عليهم ولا ترزح تحت ثقلهم ينبغي أن تكون على قدر معين من حسن التربية والأدب... الموهبة دفعتك إلى هذه البيئة، إلى هذه الأوساط، وأنت مُلك لها، لكنك تتوق إلى الابتعاد عنها، فيما يتعين عليك أن توازن بين جمهور المثقفين وسكان مغايرين لهذا الجمهور. (في الأصل بالفرنسية). وبهذا الخصوص تترك أثرها طبيعة الناس المبتذلين القائمة على الصدقات وعلى السياط أمام متاجر الخمور. ومن الصعب، من الصعب جداً تجاوز تلك الطباع.

المؤدبون، في اعتقادي، ينبغي أن يلبوا الشروط التالية:

١) إنهم يحترمون شخصية الفرد، ولذا فهم دوماً متسامحون رقيقو المعشر مهذبون يتنازلون للغير... وهم لا يتشاجرون من أجل مطرقة أو حاجة ضائعة، وإذا عاشروا شخصاً لا يعتبرون هذه المعاشرة منة منهم عليه، وعندما يهجرونه لا يقولون له العيش معك عذاب. إنهم يتساهلون مع الصخب والضجيج والبرد واللحم المقلي المحروق ويسكتون على نكات الاستهزاء، وعلى وجود غرباء في منازلهم.

٢) إنهم يشفقون ليس فقط على المتسولين والقطط المقرورة. ويتألمون حتى لأمور لا تراها العين المجردة. إذا كان بطرس، على سبيل المثال، يعلم أن الشيب وخط شعر أمه وأبيه حزناً عليه وأنهما يسهران الليل لأنهما نادراً ما يريانه، ولا يريانه إلا في حالة سكر، فإنه يسارع للقائهما ويصرف النظر عن الفودكا. وهما لا ينامان الليل ليساعدا (أسرة ماريا) بوليفايفا (التي أقام عندها ألكسندر ونكولاي

تشيخوف أثناء الدراسة) ويسددا نفقات ابنيهما الطالبين ويؤمّنا كلفة ثياب الوالدة.

٣) إنهم يحترمون ملكية الغير، ولذا يسددون ديونهم.

٤) إنهم صادقون يخشون الكذب خشيتهم من السعير. ولا يكذبون حتى في صغائر الأمور. الكذب مهين للمخاطب وللمتكلم على حد سواء. إنهم لا يصعرون خدودهم، بل يتصرفون في الشارع كما يتصرفون في المنزل، ولا يذرون الرماد في أعين إخوتهم الأصغر... وهم ليسوا ثرثارين ولا يتصارحون مع من لا يريد مصارحتهم... وهم في الغالب صامتون احتراماً لأسماع الآخرين.

٥) إنهم لا يعمدون إلى إيذاء أنفسهم من أجل إثارة شفقة الغير. ولا يعزفون على أوتار أفئدة الآخرين ليتلقوا تأوهاتهم وشفقتهم. ولا يقولون: «الآخرون لا يفهمونني!» أو «لقد تحولتُ إلى قطعة نقدية صغيرة! أنا /.../ (غائط)!» لأن ذلك كله يهدف إلى التأثير الرخيص، وهو مشين زائف وعتيق...

٦) إنهم غير مهووسين ولا تشغل بالهم المجوهرات الاصطناعية الرخيصة مثل التعارف مع المشاهير أو مصافحة (المحامي فيودور) بليفاكو السكران أو الإعجاب بتاجر نبيذ يصادفونه في الصالون. وهم يسخرون من عبارة «أنا ممثل الصحافة» التي تليق فقط بأمثال (الصحفيَين المغمورَين) رودزيفيتش وليفينبيرغ. وهم عندما يصنعون ما قيمته كوبيك لا يحملون حقيبة ثمنها مائة روبل، ولا يتباهون بأنه سمح لهم بدخول ما لا يسمح لغيرهم بدخوله... الموهوبون الحقيقيون يبقون في الظل دوماً، بين الجموع، بعيداً عن المعارض. حتى إن (الشاعر) كريلوف قال: «والطبل يُقرع وهو خالٍ أجوفُ»...

٧) إذا كانوا يمتلكون موهبة فإنهم يحترمونها ويضحون في سبيلها بالراحة والغانيات والخمرة ومشاغل العيش... إنهم يعتزون بموهبتهم. ولا يسكرون مع مفتشي المدرسة الأهلية ومع ضيوف سكفورتسوف مدركين أنهم مدعوون إلى التأثير عليهم تربوياً وليس معاشرتهم، خاصة وأن هؤلاء يتقززون منهم.

٨) إنهم يتربّون على آداب السلوك الجميلة، فلا يأوون إلى النوم في ثياب النهار ولا يطيقون وجود شروخ في الجدار تعج بالحشرات ولا يتنشقون الهواء الفاسد ولا يسيرون على أرضية الغرفة الملوثة بالبصاق ولا يطهون الطعام على طباخ الكيروسين. وهم يحاولون ترويض الغريزة الجنسية على قدر المستطاع وجعلها أكثر

طهارة، ويتحملون منطقها ولا يحيدون عنه. المؤدبون، من هذه الناحية، لا يتشبثون بأذيال المرأة كطبق شهي. ما يريدونه منها ليس الفراش، ولا العرق المتصبب من الجسد، ولا الذكاء المتجسد في الحيلة والمكر والتظاهر بالحمل والكذب بلا كلل. إنهم، وخصوصاً الفنانين، بحاجة إلى الطراوة والرشاقة والشفقة وقابلية أداء دور الأم وليس دور / . . ./ (العاهرة). إنهم لا يتجرعون الفودكا بمناسبة وبغير مناسبة ولا يتشممون خزانات الثياب كونهم يعرفون أنهم ليسوا خنازير. وهم لا يشربون (الخمرة) إلا في المناسبات وفي أوقات الفراغ. . . ذلك لأنهم بحاجة إلى روح سليمة في بدن سليم (في الأصل باللاتينية).

وهكذا دواليك. تلك هي خصال المؤدبين. . . ولكي يتثقف الشخص ويتربى على آداب السلوك ولا يبقى دون مستوى الوسط الذي ولجه لا تكفيه قراءة (مذكرات) بكويك (تشارلز ديكنز) وحفظ مونولوج من فاوست (غوته) عن ظهر قلب. ولا يكفيه أن يركب عربة إلى ياكيمانكا ثم يهرب من هناك بعد أسبوع. . .

لا بدّ له، والحال هذه، أن يعمل بلا انقطاع، ليل نهار، وأن يقرأ أبد الدهر، وأن يحفظ ويدرس طول الوقت، ويمتلك الإرادة والعزيمة. فلكل ساعة في هذا المضمار ثمن. . .

لن تسعفك الرحلات (القصيرة) إلى ياكيمانكا ذهاباً وإياباً. ينبغي أن تعلن القطيعة (مع الماضي) وتبصق عليه بكل جرأة. . . تعال إلينا. حطم دورق الفودكا وتمدد لتقرأ. . . على الأقل تورغينيف الذي لم تقرأه.

ينبغي أن تتخلص من الأنانية /المقيتة/ ، فأنت لم تعد صغيراً، ستبلغ الـ ٣٠ قريباً. آن الأوان!

أنا أنتظر. . . كلنا ننتظر. . .

أخوك أ. تشيخوف

٣٤. إلى الكسندر تشيخوف

موسكو، ٦ أبريل ١٨٨٦

كفاكَ يا موظف الحجر الجمركي، ما الموجب لهذه العبارات الخشنة؟ من أين جاء «ظل الإنسان البائد» ؟ وما الذي يجعلك لا تتعرف على نفسك في المرآة؟

١ . (الممثل فلاديمير) دافيدوف سيرسل النقود. وطالما لم يرسلها حتى الآن فذلك يعني أنه نفسه خالي الوفاض.

٢ . لك مستحقات من «الجدجد» ومن «المنبه». غداً سيجمع ميشا دراهمك الزهيدة ويحولها لك بعد غد. عموماً راجع ميشا بخصوص الأجور. فهو محام جيد. الأجور في «الجدجد» ممتازة، وسيدفعون لك ٨ كوبيكات للسطر الواحد.

٣ . أنت مختص في العلوم الطبيعية، ومع ذلك لا تفهم طبيعة وضعك. تقول «إنهم يلسعونني ويقطّعون أوصالي ويسحقونني ويرفسونني». تعني أنهم يطالبونك بتسديد الديون؟ عزيزي، يجب تسديد كل الديون. مهما كلف الأمر. للأرمن على الأقل، حتى بثمن الجوع. . . وإذا كان الجامعيون والكتّاب يرون في الديون آلاماً فماذا يبقى للآخرين؟ لا أدري، القضية كلها قضية مبدأ. . . لماذا تستدين؟ لا مؤاخذة على هذا السؤال الشبعان. إلا أنه، واللّه، ليس ملامة أو توبيخاً. فمن السهل الاستغناء عن الديون. أنا أحكم انطلاقاً من وضعي الشخصي. أنا أعيل عائلة أكبر بكثير من عائلتك، والأطعمة في موسكو أغلى بعشر مرات مما عندكم. إيجار شقتك بقدر كلفة تأجير البيانو التي أسددها أنا. كما أن ثيابي ليست أفضل من ثيابك. . . كل المشكلة في المشتريات والمصروفات التي ما كان يحق لك أن تقدم عليها وكان من اللازم التخلي عنها من زمان، مثل مسحوق نستله /؟!؟/ والخادمة التي لا موجب لها وما إلى ذلك. إذا لم تتوفر النقود لدى الزوج والزوجة لا يكلفان خادمة بخدمتهما. تلك قاعدة معروفة. . .

٤ . إلا أن الديون متراكمة. ولا فائدة من الكلام عن بواعثها. . . لا يبقى سوى الحديث عن تسديدها. . . بالنسبة لك يغدو الدين البالغ ١٠٠٠ - ٢٠٠٠ روبل أمراً فظيعاً. ولكن الـ ٣٠٠ - ٥٠٠ روبل التي أنت مدين بها، أغلب الظن، لا تستحق «الآلام الأخلاقية» التي تتحدث عنها. فستسددها آجلاً أم عاجلاً. لا سيما وأن ثمة إجراءً ملائماً هو الحسم من الراتب. فقبل أن تستعد لتسديد الدين تخلصك الخزانة

منه. الاستقطاع من الراتب يؤدي إلى متاعب بالطبع. فما العمل؟ المتاعب وقتية، وخصوصاً بالنسبة لشخص يمتلك مورداً للدخل إضافة إلى الراتب. . .

محكمة الصلح حكمت عليّ بدفع الـ ١٠٥ روبلات التي سجلها صاحب الحانوت سيميونوف ديناً عليك وعلى نكولاي. وأنا مدين للخياط بأكثر من مائة روبل لقاء ثيابي وثياب الذين كفلتهم. . . . لكنني لا أتساءل «ماذا سيحصل؟». أثق بأن الأمور ستسوّى والديون ستسدد على أية حال، وتصبح في خبر كان. سأقتّر وأوفر في المنزل الصيفي. وسأعيش مع العائلة بخمسين روبلاً في الشهر، ولن يبقى للديون أثر. . .

٥. لماذا تكتب القليل؟ ما هذ ه الحماقة؟ في «الجدجد» و«المنبه» شواغر كثيرة، بينما تجلس أنت مكتوف اليدين وتئن مثل (كلبك) غيرشكا عندما تلسعه البراغيث في المنام. لماذا تتهاون في الكتابة إلى «الشظايا»؟ فالأقاصيص التي بعثتها إليّ لأسلمها إلى ليكين تفوح منها رائحة التهاون والإهمال. هل كتبتها في يوم واحد؟ لا أستطيع ان أفرد منها جميعاً سوى أقصوصة موفقة واحدة، أما الباقي فهو على غرار ما تنفثه ريشة جيفتشيك (العيّاش، نعت أطلقه تشيخوف على المراسل الصحفي بتروف) في تاغانروغ. الحبكات فظيعة. . . التهاون وحده يجعل الأديب يكتب في مجلة خاضعة للرقابة عن قسيس يعمّد طفلاً في حوض كنسي. ذلك تهاون كسول يدفع صاحبه إلى العمل دفعة واحدة من دون تفكير وبلا جدوى. . . أين رأيت زوجين يتناولان طعام الغداء في قصتك ويتحدثان عن الإصلاحات. . . وهل هناك إصلاحات على أرض الواقع؟ احترم نفسك، لوجه المسيح، ولا تطلق يديك عندما يكون الدماغ كسولاً خاملاً. لا تكتب أكثر من أقصوصتين في الأسبوع، واختصرهما ونقّحهما لتكون لعملك قيمة العمل. لا تبتكر آلاماً لم تعانِ منها ولا ترسم صوراً لم ترها، فالأكاذيب في القصة مملة أكثر مما في الكلام.

تذكر طول الوقت أنك ستحتاج إلى ريشتك وموهبتك في المستقبل أكثر من حاجتك الآن إليهما. فلا تفسدهما بالسفاسف. . . اكتب وكن يقظاً في كل سطر تكتبه، كيلا تفوح رائحة الزيف. . .

هل كتبت مادة في أكثر من أمسية واحدة؟ ما عدا (قصة) «السائر في النوم». . . يا للشيطان! أسألك هل كتبت يا مهرج؟. كلا، بالطبع. كلا، ثم كلا. الأدب بالنسبة لك ليس عملاً. في حين أنه عمل. ولو كنت إنساناً نزيهاً تعكف على كتابة

قصة /بـ ١٥٠ - ٢٠٠ سطر/ طوال ٥ - ٧ أيام فماذا سيحصل؟ إنك لن تتعرف على نفسك في السطور التي كتبتها، مثلما لا تتعرف على نفسك الآن في المرآة. . . خذ بالاعتبار أنك لست مشغولاً كثيراً بأعمال عاجلة، ويمكنك أن تصرف عدة أمسيات في تحبير المادة الواحدة. فهل في ذلك نفع كبير؟ احسب. . . عندما تبذل قصارى جهدك تؤلف ٥ - ٧ أقاصيص في الشهر تبلغ أجرتها قرابة ١٠٠ روبل. أما الآن فأنت تكتب الكثير ولا تكسب حتى ٥٠ روبلاً. . . أختتم هذه الموعظة بمقتطف من رسالة استلمتها قبل أيام من غريغوروفيتش: «ذلك يتطلب احترام الموهبة التي لا توهب إلا نادراً. . . حافظوا على انطباعاتكم لعمل متمعن ومنقح ومكتوب ليس بعجالة في جلسة واحدة. . . وعندها تتلقون الجائزة رأساً وتتبوأون منزلة رفيعة في أنظار النابهين، ثم في أنظار جمهور القراء بكامله. . .»

وكتبت لي شخصية بارزة أخرى، سوفورين، «عندما يكتب المرء كثيراً لا يأتي كل ما يكتبه جيداً بنفس القدر. . .».

والعظيم الثالث، صديقنا إ. غريك /بيليبين/، ينهال عليّ في رسائله بالشتائم البذيئة لأنني أكتب كثيراً. هل رأيت ما يقولون يا شاسا؟!

أنا الآن أتعاون مع «العصر الحديث» وأتقاضى ١٢ كوبيكاً على السطر الواحد. سأتمكن من ترشيح غيلياي المتخلف رغم الموهبة التي يمتلكها للعمل في صحافة بطرسبورغ. أليس بالإمكان القيام بالشيء ذاته لك؟ لا سيما أنك أكثر تطوراً وأكبر موهبة بألف مرة من أولئك الجهلة الذين ينشرون في «العمل» و«المراقب». فاعمل، يا عزيزي. تيقظ واجتهد ولا تصرف طاقاتك على باطل الأباطيل. لا تحوّل نفسك وكتاباتك إلى مسحوق نستله. . . وللبداية الأفضل لك ان تعمل في «جريدة بطرسبورغ»، ومنها تنتقل من دون إبطاء إلى «العصر الحديث». الأحوال غامضة ومجهولة بالنسبة لك في كلتا الجريدتين. أنت لا تعرف ما تحتاجان إليهه. . . ألا تستطيع أن تبحث عن (أرشيف) الجريدتين في نوفوروسيسك حيث تقيم لتتطلع عليهما؟ تابع أعداد السبت. . . ليكين لم يعد شائعاً بين القراء. أنا شغلت مكانه. فأنا الآن شائع على الموضة في بطرسبورغ، وبودّي لو لم تتخلف أنت. . .

هل يعقل أنك ستغادر نوفوروسيسك؟ أليس بالإمكان تأجيل السفر حتى الخريف؟ إذا لم تغادر أعاهدك، كلمة شرف، بأن آتي إليك في الصيف. /. . ./ (طز) على الديون. الموتى والموهوبون لا يشعرون بالعار. كولكا (نكولاي) مدين

بـ ٣٠٠٠ وهو غير مبالٍ. حبذا لو عشنا معاً بعض الوقت. رحيلك لا يعجبني، لا سيما وأنني على يقين من أن بطرسبورغ لن تعطيك شيئاً، سوى المزيد من الديون. . . انتظر حتى الخريف. سأكون في بطرسبورغ، وسأعرّف غريغوروفيتش والآخرين على شخصكم (الكريم). ومن يدري؟ غريغوروفيتش مستشار فعلي وحامل أوسمة. . . فهو قد يجد لك (عملاً) أسرع مما تجد لنفسك. كل الوزراء يعرفونه. . . تذكر إذن: ابذل قصارى الجهود في تأليف القصص. أنا أنطلق من تجربتي. راسلني. واكتب للوالدة. وخبرني بطريقة الوصول إليك. تحياتي.

أخوك أ. تشيخوف

٣٥. إلى نكولاي ليكين

موسكو، ٢٤ ديسمبر ١٨٨٦

قبل كل شيء، وحسب العادات المسيحية، أهنئكم وعائلتكم، يا نكولاي ألكساندروفيتش الطيب، بالعيد وبمقدم العام الجديد. ومع التهنئة أبعث إليكم عدة تمنيات. أتمنى لكم المزيد من النقود ولحم الدجاج الرومي السمين وميلاد جراء من كلاب أصيلة وعدم تهدل الكرش والتعاون مع ناثرين فطنين وشعراء متنورين.

خلال شهر ديسمبر بعثت إليكم ٣ أقاصيص («تحفة فنية»، «من المذنب؟»، «إنها هي بالذات») وثلاث رسائل. هل استلمتموها؟ أهالي بطرسبورغ عموماً لا يتقيدون بقواعد المجاملة ولا يردون على الرسائل. حبذا لو اقتديتم بأهالي موسكو من هذه الناحية.

في الحال الحاضر أجد نفسي إنساناً منهكاً معذباً. مرت ثلاثة أسابيع وأنا في مخاض كتابة قصة لجريدة «العصر الحديث» لمناسبة أعياد الميلاد (قصة «على الطريق»). شرعت بكتابتها خمس مرات، وبنفس القدر شطبت منها، وبصقت ومزقت وتحيرت وشتمت، وبالنتيجة تأخرت وأرسلت إلى سوفورين (صاحب الجريدة وملحقها الأسبوعي) صيغة ممططة سيرميها أغلب الظن في سلة المهملات. لقد تعذبت لدرجة تعتبر فيها حتى أجرة ألف روبل قليلة. . . اليوم عيد شفيع والدتي. أنا أستريح، ولا أصدق بأني أستريح. . . (. . .)

لماذا تنشرون ما أكتب في الطابق السفلي، في موضع المقالات الانتقادية؟ هذا شيء يغازل غروري، ولكنه من الناحية الأخرى... في السنوات الماضية كانت قيمة هذا التشريف كل مرة ٢ - ٣ روبلات لأن فكتور فكتوروفيتش كان يحسب أجر الأقاصيص المضاهية للمقالات الانتقادية، ولا أدري لماذا، بـ ٧ كوبيكات للسطر الواحد.

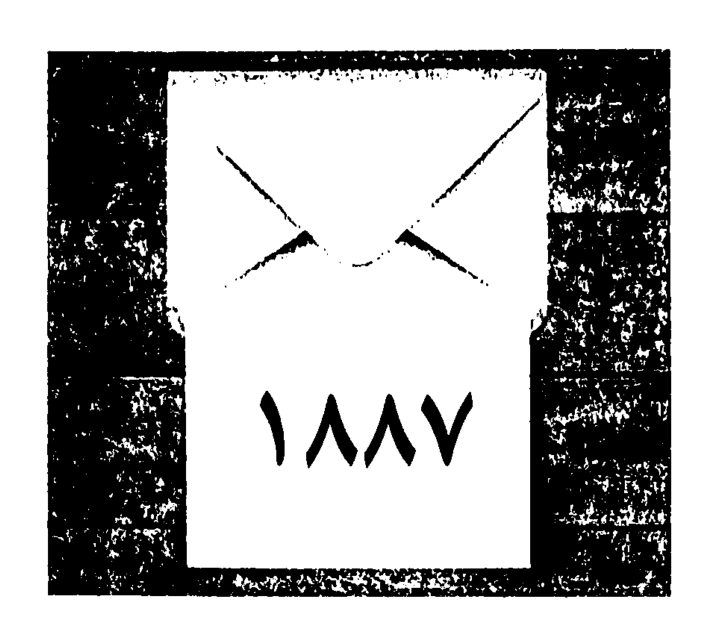
على فكرة، تفضلوا بالإيعاز إلى المحاسبة أن يدفعوا لي أجوري لا أبعد من ٣١ ديسمبر. فأنا، والله، شحاذ. لم أعمل من أجل سوفورين طوال ديسمبر، ولا أعرف أين تجد المشاعر المهانة متنفساً. لا مؤاخذة لأني أخالف قوانين المحاسبة عندكم... لا حيلة لي في الأمر.

هل استلمتم الرسم من (أخي) نكولاي؟

الطقس عندنا لا أخلاق له. بليل كما لو كان مصاباً بالرمد. ٣ درجات فوق الصفر. طريق الزحافات لم يعد، والطقس دافئ هكذا، صالحاً لاستخدامها.

وداعاً، وانعموا بالصحة والعافية.

المخلص أ. تشيخوف



٣٦. إلى ماريا كيسيليوفا (كاتبة ومالكة أطيان)

موسكو، ١٤ يناير ١٨٨٧

قصتكم «لاركا» (الراعي الأعزب) لطيفة جداً، يا ماريا فلاديميروفنا المحترمة. فيها بعض الركاكة، إلا أن الإيجاز وشهامة البطل يغطيان على كل الهنات. ولعدم رغبتي في أن أكون القاضي الشخصي الوحيد للحكم على نتاجكم قررت أن أبعث القصة إلى سوفورين ليقرأها، فهو إنسان فهيم جداً. وسأنقل إليكم رأيه في حينه. أما الآن فاسمحوا لي أن أرد مصطك الأسنان على انتقادكم لي. فحتى المديح الذي يكيله البعض لقصي «على الطريق» لا يخفف من حدة غضبي على انتقادكم الجارح لقصتي الأخرى «تينا». ولذا أسارع للأخذ بثأر «تينا». فاحذروا. وكيلا يغمى عليكم تشبثوا بظهر الكرسي بكلا الساعدين. ها أنا قد بدأتُ...

في العادة وبمقتضى اللياقة الأدبية أواجه بالصمت والامتنان أية مقالة انتقادية حتى وإن تضمنت ملامات جارحة من دون حق... فليس الرد تقليداً متبعاً. وكل الذين يردّون يلامون بحق على المبالغة في الاعتزاز بالنفس. ولكن طالما يتسم انتقادكم بصبغة «المحادثة» مساءً عند مدخل الجناح في ضيعة بابكينو أو في تعريشة منزل صاحبة الضيعة بحضور ماما وبابا ومزوّر العملة (كلب عائلة كيسيليوف) وليفيتان، وطالما أنه يتخطى الجانب الأدبي وينقل المسألة إلى مجال أعمّ، فإنني لن أخالف أصول اللياقة إذا سمحتِ لنفسي أن أواصل حديثنا.

في المقام الأول أنا، مثلكم، لا أحب أدب الاتجاه الذي نتحدث عنه. فأنا

كقارئ وإنسان عادي أتحاشاه بسرور. ولكن إذا أردتم رأيي الصادق والنزيه فيه أقول إن مسألة حقه في الوجود لا تزال مفتوحة ولم يبت فيها أحد، مع أن أولغا أندرييفنا تتصور أنها حلتها. فليس لدي ولا لديكم، بل ولا لدى نقاد العالم بأسره معطيات راسخة تمنحهم حق إنكار هذا الأدب. وأنا لا أدري من المحق هل هو هوميروس أو شكسبير أو لوبيه دي فيغا، أو الأدباء القدامى عموماً حينما لم يخشوا النبش في «كومة الروث»، وكانوا إلى ذلك أكثر منا سداداً وصموداً من الناحية الأخلاقية، أم الكتّاب المعاصرون المتحذلقون على الورق والوقحون ببرود في دخيلتهم وفي حياتهم؟ لا أدري ذوق من هو الأسوأ، ذوق الإغريق الذين لم يخجلوا من التغني بالحب كما هو عليه في واقع الحال في الطبيعة الرائعة أم ذوق قراء (أميل) غابوريو و(يفغينيا) مارليت وبيير بوبو؟ هذه المسألة لا يمكن أن تحل إلا في المستقبل، شأنها شأن مسألة عدم مقاومة الشر ومسألة حرية الإرادة وما إلى ذلك. وكل ما نقوى عليه هو التذكير بها، ذلك لأن حلها يعني تجاوز حدود صلاحياتنا. أما الاستشهاد بتورغينيف وتولستوي اللذين تفاديا «النبش في كومة الروث» فلا يلقي الضوء على هذه المسألة. وتقززهما لا يعني شيئاً. فقد كان ثمة قبلهما جيل من الكتّاب الذين يصنفون في خانة القمامة والروث ليس فقط «السفلة والسافلات»، بل وحتى توصيف الفلاحين وصغار الموظفين. ثم إن فترة ما واحدة، مهما كانت مزدهرة، لا تعطينا الحق في الخروج باستنتاج لمصلحة هذا الاتجاه أو ذاك. وأيضاً لا يحل المسألة الاستشهاد بالتأثير الفتاك للاتجاه الآنف الذكر. كل شيء على وجه البسيطة نسبي تقريبي. فثمة أناس يفسخّهم حتى أدب الأطفال، ممن يقرأون بكل ارتياح المواضع الحساسة في المزامير وفي حِكَم سليمان. وثمة أناس يغدون أكثر طهارة وصفاء كلما اطلعوا على المزيد من قاذورات الحياة. الكتّاب الاجتماعيون والحقوقيون والأطباء المطلعون على كل أسرار خطيئة الإنسان غير معروفين من وراء اللاأخلاقيين. والكتّاب الواقعيون، في الغالب، أكثر أخلاقية من القساوسة. ثم إن الأدب، مهما كان، لا يستطيع بوقاحته في كل الأحوال أن يتبختر متعالياً على الحياة الواقعية. القدح الواحد لا يكفي لإثارة نشوة من تجرع برميلاً كاملاً.

٢) صحيح أن العالم «يعج بالسفلة والسافلات». والطبيعة البشرية بعيدة عن الكمال. ولذا سيكون من الغريب أن نرى الصالحين والأتقياء وحدهم على وجه البسيطة. أما الاعتقاد بأن من واجب الأدب ان ينتشل «الحبة» من كومة السفلة فيعني

إنكار الأدب نفسه. فالأدب الفني يسمى كذلك تحديداً لأنه يرسم الحياة كما هي في واقع الحال. ووظيفته هي الحقيقة الصادقة غير المشروطة. حصر وظيفته في التخصص بانتشال «الحبوب» أمر فتاك بالنسبة له كما لو أرغمنا ليفيتان أن يرسم شجرة دون أن يمس قشرتها الوسخة وأوراقها الذابلة. أنا موافق على أن «الحبة» شيء جيد. ولكن الأديب ليس خبازاً ولا صيدلانياً، ولا مطرباً. إنه إنسان ملتزم ينطلق من إدراك واجبه ومما يمليه عليه ضميره. وإذا تولى حمل الثقل لا ينبغي له أن يتراجع أمام ثقله. ومهما كان ذلك فظيعاً بالنسبة له عليه أن يتجاوز تقززه ويلوث مخيلته بقاذورات الحياة. وهو مثل أي مراسل بسيط. فماذا ستقولون لو أن المراسل، بسبب تقززه أو رغبته في إرضاء القراء، كتب فقط عن آباء المدينة الشرفاء وعن السيدات الراقيات وعن عمال السكك الفضلاء؟

بالنسبة للكيمياويين لا وجود لقاذورات على الأرض. الأديب ينبغي أن يكون موضوعياً مثل الكيمياوي تماماً. ينبغي أن يتخلص من ذاتية الحياة المعيشية وأن يعرف أن أكوام الروث تلعب في المشهد الطبيعي دوراً محترماً جداً، وأن المشاعر الشريرة ملازمة للحياة شأن المشاعر الخيرة.

٣) الأدباء أبناء عصرهم، ولذا يتعين عليهم، شأن أي تجمهر آخر، أن يخضعوا للظروف الخارجية للحياة العامة. على سبيل المثال ينبغي لهم أن يتقيدوا باللياقة من دون قيد أو شرط. هذا ما يحق لنا أن نطالب الواقعيين به. على فكرة، إنكم لم تعترضوا على الأداء وعلى الشكل في قصة «تينا»، ما يعني أنني متقيد باللياقة.

٤) أنا أعترف آسفاً بأنني نادراً ما أتحدث مع ضميري عندما أكتب. سبب ذلك هو العادة وضآلة العمل. ولذا فعندما أعرض رأياً في الأدب لا أحسب الحساب لنفسي.

٥) كتبتم تقولون: «لو كنت رئيسة تحرير لأعدت لكم القصة». فلم لا تسيرون إلى أبعد؟ لم لا تعاقبون رؤساء التحرير الذين ينشرون مثل هذه القصص؟ لم لا تعلنون توبيخاً شديد اللهجة للإدارة العامة للمطبوعات التي لا تغلق الجرائد المنافية للأخلاق؟

مصير الأدب / الكبير والصغير/ كان سيكون بائساً لو تُرك على كف الأهواء الشخصية. هذا أولاً، وثانياً - ليس ثمة بوليس يعتبر نفسه مؤهلاً في الشؤون الأدبية. أنا موافق على تعذر الأمور من دون القمع ومن دون / العصا لمن عصى/

لأن النصابين يتغلغلون في كيان الأدب أيضاً. ولكن مهما حاولنا لن نخترع بوليساً للأدب أفضل من النقد وضمير الكتّاب أنفسهم. فالاختراعات سائرة منذ الخليقة، لكنّ أحداً لم يبتدع أفضل منهما.

لعلكم ترغبون في أن أتكبد خسارة بمبلغ ١١٥ روبلاً، وأن يسلط رئيس التحرير عليّ سيفه. فيما يبدي الآخرون، ومنهم والدك، إعجابهم بالقصة. ويبعث البعض رسائل إلى سوفورين يلومونه فيها ويتهجمون على الجريدة وعليّ وهلمجرا. فمن المحق؟ من المحكّم الصادق؟

٦) ثم إنكم تقولون: «اترك كتابة مثل هذه الأشياء للكتبة من بؤساء الروح الذين ظلمهم المصير» (. . .). سامحكم اللّه لو كنتم قد كتبتم هذه الكلمات بصدق. إن لهجة الاستهانة بصغار الناس لمجرد كونهم صغاراً لا تشرف قلب الإنسان. فالمراتب الصغيرة في الأدب ضرورية كما في الجيش. هذا ما يقوله العقل، وما يقوله الفؤاد ينبغي أن يكون أكثر. . .

آه، يبدو انني أثقلت عليكم بالإسهاب. . . ولو كنت أعرف أن النقد سيكون بهذا الطول لما كتبت. . . فاعذروني رجاءً!

سنأتي (إلى ضيعتكم في بابكينو). أردنا أن نأتي في الخامس من الشهر، فأعاقنا مؤتمر الأطباء، ثم احتفالات (القديسة) تاتيانا (لمناسبة تأسيس جامعة موسكو)، وفي الـ ١٧ عندنا أمسية (. . .)، وبعد الـ ١٧ نحدد موعداً للمجيء إلى بابكينو.

لقد قرأتم قصتي «على الطريق». . . فهل أعجبتكم شجاعتي؟ أكتب عن «الذكي» دون خوف أو وجل. في بطرسبورغ قوبلت بعاصفة من الإعجاب. وقبل ذلك بقليل تناولت موضوع «عدم مقاومة الشر» (في قصة «أناس طيبون»). وأثرتُ دهشة الجمهور أيضاً. جميع الجرائد امتدحتني في أعداد رأس السنة. وفي عدد ديسمبر من «الثروة الروسية» التي تنشر كتابات ليف تولستوي ثمة مقالة بقلم أوبلونسكي / في ملزمتين/ بعنوان «تشيخوف وكورولينكو». الكاتب معجب بي ويدلل على أنني فنان أكثر من كورولينكو. . . ولعله يكذب، ومع ذلك بدأتُ أشعر بأن لي فضلاً، كوني الشخص الوحيد الذي حظي باهتمام النقاد الذين يتحلون بأذن مرحة، مع أنني لم أنشر في المجلات السميكة، بل أكتب سفاسف في الجرائد لا غير. نعم الشخص الوحيد حتى الآن. . . وانتقدتني «المراقب»، فتلقت جزاءها (برد من «الشظايا»).

في نهاية عام ٨٦ شعرت أنني غدوت عظمة رميت إلى الكلاب. . . (. . .)

كتبت مسرحية («أنشودة البجع») على قصاصات من الورق. ويستغرق عرضها ١٥ - ٢٠ دقيقة. وهي أقصر دراما في العالم. سيمثل فيها دافيدوف الشهير الذي يعمل حالياً في مسرح كورش. وهي تنشر في «الموسم»، ولذا ستوزع على نطاق واسع. عموماً كتابة النتاجات القصيرة أفضل كثيراً من المطولة. الاعتراضات عليها قليلة والنجاح أكيد، فماذا نريد أكثر؟ كتبت هذه الدراما في غضون ساعة وخمس دقائق. وبدأت بكتابة مسرحية أخرى ولم أكملها بعد. لا وقت لدي. (. . .)

تحياتي للجميع. وأعتذر بالطبع للإطالة في رسالتي إليكم. اليد انطلقت من دون عائق. . .

أهنئ ساشا وسرغي بالعام الجديد.

هل يستلم سرغي «حول العالم»؟

المخلص الذي يحترمكم

أ. تشيخوف

٣٧. إلى ألكسندر تشيخوف

موسكو، ١٧ يناير ١٨٨٧

يا صاحب الحكمة والحشمة!

لكي أتمكن من التعبير عن الشكر لك على تحويل النقود لا بدّ لي أن أمتلك لغة كلغة عمنا متروفان يغوروفيتش. شكراً، فلولاك لوصلت النقود متأخرة أسبوعاً. أسامحك على الإزعاج، ويسرني لو أنك تقاضيت نسبة واحد بالمئة عمولة. . .

أهنئ ابن أخي ووالديه. الأول بمنحه (الاسم الكنسي) قنديل، والوالدين بعيد شفيع ابنهما. أتمنى لهم كل خير!!!

أنتظر وصول ليكين منقبض الصدر. فسيثقل عليّ من جديد. حصل لي خلاف مع كوازيمودو هذا. فقد رفضت العلاوة وامتنعت عن الكتابة حسب الطلب. فيما يواصل رسائله إليّ بدموع التماسيح، ملقياً عليّ تبعة قلة الاشتراكات، متهماً إياي بالخيانة والرياء وما إلى ذلك. وهو يكذب عندما يقول إنه يستلم رسائل من

المشتركين يتساءلون فيها: لماذا لا يكتب تشيخونته؟ وهو غاضب عليك لأنك لا تعمل... سأطالبه بـ ١٢ كوبيكاً للسطر الواحد.

ولعل عدم العمل في «الشظايا» يسعدني، لأني مللت من كتابة الأقاصيص القصيرة، وبودّي أن أكتب شيئاً أطول أو لا أكتب أصلاً. أمضينا يوم الاحتفال بالقديسة تاتيانا حسب الأصول. وعندي أمسية بعده. فتعال.

هل تلتقي سوفورين؟ وهل تكتب شيئاً؟ ماذا تكتب؟ ألم تعرض على العاملين عند سوفورين أن يستفيدوا مما تكتب؟ عموماً ينبغي لك أن تقفز بكل ما تستطيع. غوليكيه (من أولئك العاملين) ألماني رائع. كلما حاولت أن أكتب إليه أرجئ الرسالة. بيليبين طيب أيضاً، لكنه يؤثر على الشخص غير المتعود تأثير الوسط الذي يدور فيه بفتور وخفوت وملل. ولكنك إذا تعودت عليه لن تأسف.

العمة استلمت ثلاثة روبلات.

وطالما أن جيبي سيفرغ من جديد في أواخر يناير سأزعجك مرة أخرى بشأن التحويل كي أتفادى تذمر الأهل ولا أستعين بالقروض التي لها تأثير مرضي عليّ. ساعدني، وسأبعث لك وصفة طبية بالمقابل.

ما أغبى الوضع الذي أنا فيه! استلمت حوالة بمبلغ ٢٢٠ روبلاً من «المنبه» في العشرين من الشهر، ولم يبق منها الآن سوى ٣٠ روبلاً، سأنفقها حتى الثاني والعشرين من يناير. فقل، يا روحي، متى سأعيش كبشري، أي متى سأعمل ولا أكون في عوز دائم؟ أما الآن فأنا أعمل وفي عوز. وأسيء إلى سمعتي بلزوم العمل السيئ.

هل رأيت زوجة سوفورين؟ في العيد زارني زوج شقيقتها (ماميشيفا). اضطررت أن أرد الزيارة رغماً عني، وأتعرف على أختها وأمها.

ما طبيعة عملك في «العصر الحديث» (جريدة سوفورين)؟ هل يتسم بصبغة إبداعية؟

اكتب لي حتماً. ونظراً للبؤس الذي أنت فيه، وتحاشياً لزيادة عدد البروليتاريا، لا تنجب المزيد من الأطفال. تلك هي رغبة مالثوس وبافل تشيخوف (والد الكاتب).

أتمنى لك الصحة وتحياتي للجميع. أبارك كوكوشا وتوتوشا (نكولاي وأنطون

ولدَي ألكسندر). فليعملا. ماما وبابا بحاجة إلى طعام... وبطرسبورغ تحب الفلوس.

أنطوني تشيخوف والطبابة تشيخوفا

بالإضافة إلى زوجتي الشرعية الطبابة (الطب في اللغة الروسية مؤنث) لدي أيضاً عشيقة، هي الأدب (الأدب في اللغة الروسية مؤنث). إلا أنني لا آتي على ذكرها، لأن الذين يدخلون في معاشرة لاشرعية يهلكون خلافاً للقانون.

٣٨. إلى نكولاي ليكين

موسكو، ٢٦ يناير ١٨٨٧

نكولاي ألكساندروفيتش الطيب!

استلمت رسالتكم اليوم، وها أنا أرد عليها. أؤكد في المقام الأول واقع كون صحتي متوعكة /على حد تعبير العلماء اليهود/. فمنذ أسبوع أشعر بأن بدني مهدم وأعاني من ضعف شديد. استمعت قبل قليل إلى محاضرة زاخارين /عن سفلس القلب/. وقفت لا أكثر من ساعة ونصف فانتابني إرهاق وكأنني ذهبت إلى كييف سيراً على الأقدام. عليّ أن أعمل، لكنني لا أفلح في العمل. وكل ما أكتبه يأتي غير مقبول. هذا هو سبب عدم إرسال قصة إليكم. يوم الإثنين سيستلم بيليبين رسالة مني، بدلاً من الصرف على البرقية، أطلب فيها منه أن يبلغكم حالاً بأن القصة لن تصلكم.

بخصوص (اقتراحكم) حول الترشيح للصندوق الأدبي (لمعونة المعوزين من الأدباء والعلماء) أنا موافق بكل سرور. فإذا قبلوا ترشيحي ادفعوا لهم بدل الاشتراك ليس من أجرة يناير، بل من أجرة فبراير، لأنني الآن مفلس بكل معنى الكلمة! ولم أتعلم الاستدانة بعد، فهي غير مريحة بالمطلق!

بخصوص الرحلة إلى بطرسبورغ في الأسبوع الثاني من الصوم لا أدري ماذا أقول لكم. يسرني جداً أن أكون نافعاً (للصندوق الأدبي)، ولكن، تصوروا، أهلي يؤكدون لي أن تلاوتي لنصوصي مقرفة، وأنا أيضاً أشعر كل مرة أنني بعد تلاوة ٤٠

- ٥٠ سطراً تجف أوتار حنجرتي ويتحول صوتي إلى فحيح. أخشى أن أجيء عبثاً ويمكن أن أتعرض لفضيحة. فكروا في الأمر...

ألكسندر بافلوفيتش (شقيقي) كتب لي أنه لم يعد يعمل في «الملاحة». ويتضح من رسائله أنه يعيش في بحبوحة ترضيه.

الطقس عندنا أيضا سيّئ. بالأمس ذاب الجليد، واليوم عاد الصقيع، وغداً سيهطل المطر. يبدو أن الطبيعة أخذت تعمل في الصحف الصغيرة. وإلا فما سر تصرفها الغريب هذا؟ (...)

ما الذي منع إخوتنا أدباء بطرسبورغ من إقامة مأتم لتأبين سيميون نادسون؟ (توفي في يالطا ١٩ يناير ١٨٨٧ ودفن في بطرسبورغ). نادسون شاعر أكبر بكثير من جميع الشعراء المعاصرين وأكبر حتى من ليودور إيفانيتش (بالمين) الذي تلهج الآلهة بذكره. ومن بين كل الشباب الذين بدأوا الكتابة في عهدي يمكن الإشادة بثلاثة فقط: غارشين وكورولينكو ونادسون.

تحياتي لعائلتكم.

المخلص أ. تشيخوف

شكراً على الـ ١١ كوبيكاً للسطر الواحد (بدلاً من الـ ٨).

٣٩. إلى دميتري غريغوروفيتش

موسكو، ١٢ فبراير ١٨٨٧

قرأت الآن «حلم كاريلين» (فصل من رواية غريغوروفيتش «بطرسبورغ في سالف الزمان») ويشغل بالي كثيراً السؤال عن مدى كون الحلم الذي تصورونه حلماً. يخيل إليّ أن تصويركم لعمل دماغ الشخص النائم وشعوره العام جاء رائعاً من الناحية الفنية وصحيحاً من الناحية الفسلجية. طبيعي أن الحلم ظاهرة ذاتية ولا يمكن مراقبة جانبه الداخلي إلا بالتجربة الشخصية. ولكنْ طالما أن عملية رؤية الأحلام متماثلة عند جميع الناس يخيل إليّ أن كل قارئ يمكن أن يقيس كاريلين بمقياسه الشخصي، وأن كل ناقد يجب أن يكون ذاتياً، شاء أم أبى. أنا أنطلق في ذلك من الأحلام التي أراها كثيراً.

الشعور بالبرد (في المدينة الشمالية) مجسد من قبلكم، في المقام الأول، برهافة وبراعة فائقة. عندما تنزلق البطانية عن بدني ليلاً أرى في المنام صخوراً لزجة هائلة في مياه الخريف الباردة على الشواطئ الجرداء. كل ذلك ضبابي غامض، بلا شبر من السماء الزرقاء الصافية. وأنظر إلى تلك الصخور في كآبة وضجر وكأنني تائه أو مهجور، وأشعر لسبب ما بحتمية عبور النهر العميق، وأرى في تلك الأثناء مراكب جر صغيرة تسحب عوامات خشبية ضخمة وجذوعاً طافية وأكلاكاً عائمة وما إلى ذلك. كل شيء متخشب إلى أقصى حد، كل شيء كئيب بليل. وعندما أفر مبتعداً عن النهر أواجه في الطريق بوابة مقبرة متهاوية ومراسم دفن معلمي مدرستي الثانوية... وأنا، آنذاك، أرتعش من كابوس البرد الخارق الذي لا يمكن أن نصادفه في اليقظة، ولا يتحسسه إلا النيام. وهو يعود إلى الذاكرة متجسداً في صورة مجسمة عندما أقرأ الصفحات الأولى من كاريلين، وخصوصاً النصف العلوي من الصفحة الخامسة حيث يدور الكلام عن برودة القبر ووحشته...

يخيل إليّ أنني، لو ولدت وعشت في بطرسبورغ على نحو دائم، كنت سأرى في المنام حتماً شواطئ نيفا وساحة السنات وأساسات المباني المصمكة...

عندما أتحسس البرد في المنام أرى الناس أيضاً كل مرة. قرأت بالصدفة ما كتبه ناقد في «وقائع بطرسبورغ» يتشكى من أنكم صورتم شخصاً «يكاد يكون وزيراً» وبذلك أخللتم باللهجة الغامة المتسامية للقصة. أنا لا أوافقه الرأي. ما يخل باللهجة العامة ليس الأشخاص، بل توصيفاتهم التي تقطع حبل الحلم في عدة مواضع من لوحته... صور الأشخاص ترد في الأحلام، وهي كل مرة في ضوء لا يسر الأنظار. فأنا، على سبيل المثال، أرى في المنام دوماً عندما أحس بالبرد ذلك القسيس الصبوح المتعلم الذي أهان أمي عندما كنت صبياً. أرى أشراراً لا صلاح لهم يتسمون متشفين مستفزين. إنهم تافهون لا نرى لهم حضوراً في اليقظة. القهقهة في نوافذ حافلة القطار سمة ملازمة لكوابيس كاريلين. عندما يشعر المرء في المنام بضغط الإرادة الشريرة وحتمية الهلاك على يد صاحبها فهو يرى دوماً ما يشبه هذه القهقهة... وأنا أرى في الأحلام أحبائي أيضاً، ولكنهم يبدون عادة في معاناة كما أعاني...

وعندما يتعود بدني على البرد أو أن أحداً من أهلي يغطيني بالبطانية يتلاشى تدريجياً الإحساس بالبرد والعزلة وبضغط الإرادة الشريرة. وبتوفر الدف أشعر وكأنني

أسير على سجاد ناعم أو على عشب أخضر، وأرى الشمس والنساء والأطفال... المشاهد تتبدل شيئاً فشيئاً، ولكن بحدة أشد مما في اليقظة. ولذا يصعب تذكر الانتقال من مشهد إلى آخر عندما أستيقظ... هذه الحدة واضحة للعيان عندكم، وهي تقوي انطباعات الحلم.

كما تبدو واضحة للعيان خاصية طبيعية أخرى لاحظتموها في قصتكم: الذين يرون الأحلام يعبرون عن نأمات الروح في اندفاعات متقطعة وبلهجة حادة، كما يفعل الأطفال. فما أصدق هذا التصوير! النيام يبكون ويصرخون أكثر بكثير من المستيقظين.

لا مؤاخذة، دميتري فاسيليفيتش. أعجبتني قصتكم لدرجة يمكنني معها أن أحبر لكم دزينة أوراق /مع أنني أعرف جيداً بأنني لن أتمكن أن أقول لكم شيئاً جديداً ذا أهمية تذكر/ . أنا أخشى أن أسبب لكم مللاً أو أقول شيئاً غير معقول، ولذا ألجم نفسي وألوذ بالصمت. أكتفي بالقول إن قصتكم تبدو لي رائعة، فيما يعتبرها الجمهور «ضبابية». إلا أن هذا الضباب، بالنسبة للكاتب الذي يتلذذ بكل سطر، أكثر شفافية من ماء التعميد. ورغم محاولاتي لم أكتشف في القصة سوى بقعتين ضئيلتين يصعب أن نعتبرها من نقاط الضعف: ١) توصيف الشخوص يقطع حبل الحلم ويخلق انطباعاً وكأنه رقعة توضيحية كالتي يعلقها البستاني الحصيف على أشجار الحديقة ويفسد بها المنظر الجميل. ٢) الشعور بالبرد في بداية النص يخفت عند القارئ بعض الشيء فيتعود عليه نظراً لتكرار مفردة «البرد» كثيراً.

لم أجد أكثر من ذلك، وأدرك أن «حلم كاريلين» يمثل ظاهرة متألقة بالنسبة لكياني الأدبي الذي يحتاج دوماً إلى نماذج طرية منعشة. ولذا لم أضبط نفسي وتجرأت على أن أنقل إليكم جزءاً من انطباعاتي وأفكاري.

معذرة على الإطالة،، وتقبّلوا أصدق التمنيات بكل خير من المخلص لكم

أ. تشيخوف

٤٠. إلى ماريا كيسيليوفا

موسكو، ١٧ مارس ١٨٨٧

الفاضلة ماريا فلاديميروفنا!

آمل أنكم ستصدقونني الآن ولا تتهمونني بالكذب. فأنا لم آتِ إلى بابكينو (ضيعة تمتلكها كيسيليوفا وأمضت فيها عائلة تشيخوف صيفين متتالين آنذاك) لأنني سافرت إلى بطرسبورغ تلبية لبرقية من شقيقي. وأنتم تعرفون التفاصيل من أختي. والشيء ذاته، ولكن بشكل مصغر، منعني من المجيء إلى بابكينو في عيد الفصح. فقد توعكت الوالدة ولم أتمكن من تركها من دون طبيب. على أية حال، كل ذلك (لا شأن له)، باطل الأباطيل.

كانت سفرتي إلى بطرسبورغ كئيبة، ولكنْ رب ضارة نافعة. أولاً- توفرت لي فرصة التحدث مع مدير ورشة الكتب المدرسية في بطرسبورغ حول كتابكم. واتفقنا على أن تبعثوه إلى اللجنة مع رسالة مني. على فكرة، متى تبدأ طباعته؟ الإسراع فيها أفضل. الكتب عموماً تنتشر بصعوبة بالغة، بمقدار ملعقة طعام في كل ساعة. ولذا يمكنكم تسويق الكتاب بصورة أفضل إذا سارعتم في طباعته. ثانياً- نهبتُ سوفورين. أخذت منه سلفة ضخمة. ثالثاً- سوفورين يطبع أقاصيصي المنشورة في «العصر الحديث» في كتاب مستقل (مجموعة «في الغسق»). كل بطلاتي، من أمثال فيرا والعفريتة وأغافيا وغيرهن، يسافرن غداً إلى بطرسبورغ ويظهرن بعد أيام في التنضيد الطباعي. الكتاب يأتي بشروط ملائمة تماماً. والنجاح لا ريب فيه. لأن بطرسبورغ لا تعترف الآن إلا بكاتب واحد هو أنا! ألا ترون أنني أمارس الرياء حتى أمام نفسي؟

بطرسبورغ خلفت عندي انطباع مدينة الموتى. دخلتها بتصور مفزع، حيث صادفت في الطريق جنازتين، واكتشفت أن أخي مصاب بالتيفوئيد. وهربت من التيفوئيد إلى ليكين وعلمت أن حاجب المبنى توفي بالتيفوس الطفحي «تواً» وبصورة مفاجئة. ومن ليكين مضيت إلى غوليك فوجدت ابنه البكر مصاباً بالخناق يتنفس في أنبوب وليس عبر الحنجرة. والوالدان يبكيان... وعندما توجهت إلى المعرض صادفت كل النساء في حداد كما لو كان ذلك عمداً. وفي اليوم الثاني لوصولي عالجت والدة إحدى موظفات «الشظايا» وهي تحتضر بالسل.

إلا أن تلك أمور بسيطة. والأدهى منها ما يلي: مضيت إلى غريغوروفيتش. قبّلني العجوز في جبيني وعانقني واغرورقت عيناه بالدموع من التأثر، ثم.. حصلتْ له بسبب الانفعال نوبة قاسية من الذبحة الصدرية وراح يتضور ألماً ويئن مرتبكاً، فيما بقيت أنا جنبه ساعتين ونصفاً أشتم الطب العاجز بأشنع الشتائم. ومن حسن الحظ أن بيرتينسون وصل، فتمكنت من الفرار. الشيخ مصاب بمرض عضال، ولعله سيقضي نحبه قريباً. وستكون تلك، بالنسبة لي، خسارة لا تعوض. جلبت معي رسالة كان قد بدأ بكتابتها إليّ (رداً على رسالة تشيخوف بخصوص «حلم كاريلين»)، وفيها يصف مرضه تفصيلاً وما إلى ذلك.

هل تتصورون تلك الانطباعات؟ يحق للمرء أن يدمن على الشراب بسببها. على فكرة، يقال إن كل شيء نافع بالنسبة للأديب.

إلا أن رسالتي هذه كريهة كئيبة. أتوقف عن التمادي فيها، وأبقى ذلك الشخص الوفي الذي يحترمكم بإخلاص

أ. تشيخوف

تحياتي إلى فخامة فاسيليسا ومعالي سريوجا!

٤١. إلى نكولاي ليكين

تاغانروغ، ٧ أبريل ١٨٨٧

المسيح قام، يا عزيزي نكولاي ألكساندروفيتش! حقاً قام!

استلمت رسالتكم يوم أمس. جاء بها إليّ ساعي بريد يرتدي معطفاً برتقالياً فاقعاً، وبوزه ينم عن السذاجة والطيبة. سلمني الرسالة ووضع حقيبته قرب الطست على المصطبة ومضى إلى المطبخ يحتسي الشاي من دون التفات إلى مستلم الرسالة. يا لهؤلاء الآسيويين! آسيا في كل مكان حوالينا، حتى أنني لا أصدق ما تراه العين. سكان تاغانروغ (مسقط رأس تشيخوف) ٦٠٠٠٠ نسمة، لا همّ لهم سوى الطعام والشراب والتناسل. ولا شيء آخر. أينما مضيت هناك الفطائر والبيض (الملون) ونبيذ سانتورين والأطفال الرضع، ولا أثر للجرائد والكتب... موقع المدينة رائع

من جميع الوجوه. الطقس بديع، محاصيل الأرض وفيرة، إلا أن الأهالي خاملون إلى أبعد الحدود. الجميع موسيقيون من ذوي الخيالات والفطنة وحضور البديهة. كلهم عصبيون شديدو الحساسية، لكن تلك المواهب تذهب سدى... فليس هناك متحمسون للمدينة ولا رجال أعمال ولا شعراء، بل ولا خبازون محترمون.

السبت سأسافر إلى نوفوتشيركاسك لأحضر زفاف إحدى القوزاقيات الغنيات بصفة وصيف. وبعد أن أعب من خمرة الدون أعود إلى تاغانروغ لأسافر إلى دونيتس في الـ ١٤ من الشهر. ومع ذلك اكتبوا لي على عنواني في تاغانروغ.(...)

ما أجمل النساء هنا!

يوم أمس مضيت لأتفرج على البحر. كل شيء تمام، سوى أن مصيبة ألمّت بي: خلل في انتظام المعدة والأمعاء بسبب تغير الطعام وماء الشرب. صرت أركض إلى المرحاض بين الحين والآخر. وهو في الخلاء بعيداً عن المنزل... وقد تحصل قبل الوصول إليه مصادفات كثيرة لا تسر الأنظار.

كتبت أقصوصة («القوزاقي») «لجريدة بطرسبورغ»، وأنا ماضٍ الآن لتوصيلها إلى محطة القطار مع هذه الرسالة.

اكتبوا إذن. تحياتي إلى بروسكوفيا نكيفيروفنا وفيديا. وداعاً.

المخلص أ. تشيخوف

٤٢. إلى ماريا تشيخوفا

تاغانروغ، ٧ - ١٩ أبريل ١٨٨٧

القراء الأماجد والمستمعون الأكارم (في عائلة تشيخوف)

أواصل متفتح الأسارير، متقيداً بالتسلسل الزمني.

٢ أبريل. كان الطريق من موسكو إلى سيربوخوف مملاً. المرافقون إيجابيون شديدو المراس. حديثهم طول الوقت يدور عن أسعار الدقيق. وصلت إلى سيربوخوف في الساعة السابعة. مياه أوكا صافية وعذبة. البواخر تسير فيه إلى كاشيرا وكالوغا. حبذا لو جربت هذا الطريق.

وصلت إلى تولا، أم المدن، في الحادية عشرة. في عربة القطار تعرفت على الضابط فولجيسكي الذي دعاني إلى سيواستوبول. وهو متوجه من موسكو حيث توفي أخوه الطبيب بالتيفوس تاركاً أرملته. في تولا تناولنا شيئاً من الشراب وفي حالة سكر خفيف غفونا. نمت مقرفصاً كما يفعل فيودور تيموفييتش (قط عائلة تشيخوف) وجوارب الجزمة قرب أنفي. استيقظت في أوريول، ومن هناك بعثت بطاقة بريدية إلى موسكو. الطقس لطيف والثلج لا يزال نادراً.

في الثانية عشرة وصلنا إلى كورسك. الانتظار ساعة، مع قدح من الفودكا وحساء. وفي العربة غسال. استبدلنا القطار. العربة مكتظة عن آخرها. وحالما غادرنا كورسك تعرفت على أقطاعي من خاركوف، مغناج مثل ياشا كورنييف، كما تعرفت على سيدة أجريتْ لها عملية جراحية في بطرسبورغ، وعلى ضابط أوكراني، ومدير شرطة، وجنرال في بزة قاضٍ بمحكمة عسكرية. وأخذنا نبحث الشؤون الاجتماعية. الجنرال يناقش بعقلانية وبإيجاز وبتفتح ليبرالي. مدير الشرطة نموذج للفرسان القدامى المحنكين، يحن إلى المرأة، ويتكلم بلهجة حاكم مدينة. فقبل أن يتفوه بكلمة يفتح فمه طويلاً، وعندما يتفوه بها يطلق قهقهة كنباح كلب. والسيدة ترش المورفين على جرحها وتبعث الرجال إلى مبنى المحطة ليحضروا لها مكعبات الثلج...

في بيلغورود تناولنا حساء الخضروات. وسنصل إلى خاركوف في الساعة التاسعة. وداع مؤثر مع مدير الشرطة والجنرال وغيرهما. العربة خالية تقريباً. استلقينا، أنا وفولجسكي، على أريكتين طويلتين، وسرعان ما غفونا من دون معونة القنينة الصغيرة. استيقظت في الثالثة بعد منتصف الليل، وكان زميلي الضابط يجمع حاجياته للمغادرة. (محطة) لوزوفايا. توادعنا ووعدنا بعضنا بعضاً أن نلتقي / ؟!/. غفوت والقطار يواصل سيره. استيقظت في سلافيانسك. ومنها بعثت بطاقة بريدية. وهنا جاء راكبان جديدان: إقطاعي آخر (...) ومفتش تذاكر في السكك الحديدية. ننتقد السكك. مفتش التذاكر يحدثنا كيف سرقت سكة لوزوفو- سيواستوبول من سكة آزوف ٣٠٠ عربة وصبغتها بصبغتها.

(محطة) خارتسيزسكايا. الساعة ١٢ ظهراً. الطقس رائع. تفوح روائح السهب، ونسمع تغريد الأطيار. ها أنا ارى أصدقائي القدامى: الشواهين محلقة فوق السهب...

التلال والنواعير والمباني كلها معروفة ولها موقعها في الذاكرة. في البوفيه طبق من الحساء الأخضر الدسم بطعم لذيذ فوق العادة. ثم جولة على رصيف المحطة. آنسات. في آخر نافذة على الطابق الثاني من مبنى المحطة جلست آنسة / وربما سيدة، الشيطان أعلم/ في بلوزة بيضاء. إنها جميلة، سمراء. أنظر إليها، وتنظر إليّ... أرتدي نظارتي الأحادية وترتدي نظارتها... ما أروع المنظر! أصبت بنزلة قلبية وواصلت السفر. الطقس رائع لحد يستثير الأعصاب. يا للشيطان! وتومض كما في الحلم كثبان وبغال وشواهين وأكواخ بيضاء وجداول الجنوب وفرع سكة حديد دونيتسك بسلكها التلغرافي الوحيد، وبنات الإقطاعيين والمستأجرين وكلاب شقراء وخضرة الأعشاب... الحر شديد. بدأت أتضايق من مفتش التذاكر. بقايا الكباب والفطائر أخذت تبعث روائح كريهة... دسستها تحت أريكة شخص آخر مع ما تبقى من الفودكا.

الساعة الخامسة. لاح البحر. هذه سكة روستوف. تستدير جميلة، وهذا هو الحصن والمصلى المسيحي والمتغزلون بالفتيات قربه. وها هي عربات الشحن... وفندق بيلوف. وكنيسة ميكائيل ذات المعمار البدائي... أنا، إذن، في تاغانروغ. يستقبلني يغوروشكا (يغور)، الشاب الضخم في ثياب على الموضة: قبعة وقفاز بروبل و٥٠ كوبيكاً. أنا لم أتعرف عليه رأساً، بينما هو يعرفني. استأجر حوذياً، وركبنا. الانطباع كما في هرقولانوم وبومبي: لا بشر هناك. وبدلاً من المومياوات شبان ناعسون ورؤوس كالبطيخ (تشيخوف يقصد الفتيات الغبيات). كل المنازل ملتصقة بالأرض، تساقط طلاؤها من زمان والسطوح غير مطلية أيضاً، ودرف النوافذ مغلقة... من شارع بوليتسيسكايا (الشرطة) يبدأ وحلٌ أخذ ينشف، فبات متموجاً لزجاً. وكان يمكن السير عليه ببطء وبحذر شديد. وصلنا المدخل. ننتظر.

- هذا، هذا أنطوشيتشكا...

- أهلاً بك، يا روحي!

قرب المنزل مصطبة أشبه بصندوق صابون فارغ. المدخل يكاد ينهار، ولم يبق من مظهره اللائق سوى نظافته الفائقة. عمي (متروفان) باق على حاله، كما كان، سوى أن الشيب وخط شعره. وهو كالسابق رقيق المعشر طيب القلب وصادق. لودميلا بافلوفنا «مسرورة» لدرجة أنها نسيت أن تعد الشاي الثمين، وهي على العموم ترى من واجبها أن تعتذر وتنتحل الأعذار حيث لا موجب للاعتذار. نظرتها

مستفهمة بارتياب: هل سألومها؟ ومع ذلك يسرها أن تطعمني وتلاطفني. يغوروشكا شاب طيب، ومهذب بالنسبة لتاغانروغ. إنه متأنق يهوى التطلع في المرآة. اشترى ساعة نسائية ذهبية بـ ٢٥ روبلاً، ويعاشر الآنسات (. . .) اللواتي خلقن خصيصاً لسد شواغر رؤوس البطيخ في المستقبل. فلاديميرتشيك، الشبيه بميشينكا النحيل المحدودب الظهر الذي كان عندنا، قليل الكلام، ولعله إنسان طيب. يستعد لخدمة الكنيسة. يسعى إلى دخول المدرسة الكنسية ويحلم بالوصول إلى مرتبة مطران. ما يعني أن عمي سيكون له مطران، فضلاً عن منزلته العالية. ساشا لم تتغير. ولا تختلف لوليا عنها كثيراً. وما يلفت النظر رأساً هو تعلق الأطفال بوالديهم وحسن معاملة بعضهم لبعض. إيرينا غدت بدينة. وفي الغرف نفس ما كان فيها: الصور النصفية رديئة قطعاً، و(اللوحات الزيتية الرخيصة) مركونة في كل مكان. وتشم رائحة التظاهر بالأبهة والفخفخة، بينما الذوق أقل مما في جزمة المستنقعات النسائية. الضيق والحر وقلة الطاولات وعدم توفر أسباب الراحة أياً كانت. إيرينا وفولوديا ويوليا ينامون في غرفة واحدة، بينما ينام عمي ولودميلا بافلوفنا وساشا في الغرفة الأخرى. وينام يغور على صندوق في غرفة المدخل. وهم لا يتعشون، ربما يهملون العشاء عمداً، وإلا لتقوض منزلهم من زمان. الهواء الساخن يأتي من المطبخ ومن الفرن الذي لا يزال يشتغل رغم دفء الجو. المرحاض بعيد، جنب السياج، يختبئ فيه النصابون بين الحين والآخر. ولذا فالتغوط ليلاً أخطر من تجرع السم. ولا وجود للطاولات، ما عدا الموائد المربعة والمستديرة المركونة في الغرف للزينة فقط. ولا وجود لمبصق أو لغسال نظيف. . . والمناشف الورقية رمادية كالحة. إيرينوشكا مترهلة وليست رشيقة. . . أي أن الوضع سيّئ يدفع إلى الانتحار. أنا لا أحب أذواق تاغانروغ، لا أطيقها، ويخيل إليّ أنني يمكن أن أهرب منها إلى أطراف الدنيا.

منزل سيليفانوف خالٍ مهجور (منزل والد تشيخوف قبل إفلاسه). منظره لا يسرّ الأنظار. أنا لا أوافق على استعادته ولو مجاناً. ويدهشني كيف استطعنا أن نعيش فيه؟! على فكرة، سيليفانوف (الذي اشترى منزل تشيخوف في حينه) يعيش في ضيعة، بينما ابنه ساشا مطرود. . .

شربت الشاي، كثيراً من الشاي، وها أنا ماض مع يغور إلى الشارع الكبير. والمساء يقترب. الشارع معتبر، قارعته أفضل من شوارع موسكو. تفوح منه رائحة

أوروبا. إلى اليسار يتمشى الأرستقراطيون، وإلى اليمين الديمقراطيون. الأوانس أكثر مما يمكن تصوره: شقراوات وسمراوات، يونانيات وروسيات وبولونيات. . . والموضة: فساتين بلون الزيتون زائداً بلوزات. ليس الأرستقراطيون وحدهم (أي اليونانيون الأجلاف) بل وحتى البُناة الجدد يرتدون الزيتون. الفساتين المذيلة غير منتشرة كثيراً. اليونانيات فقط يتجرأن على ارتداء الفساتين المذيلة الفضفاضة، بينما الأخريات تعوزهن الشجاعة.

في المساء عدت إلى البيت. عمي يرتدي بزة حامي الكنيسة. وأنا أساعده في تعليق الميدالية الكبيرة التي لم يحملها في السابق أبداً. وضحكنا. ومضينا إلى كنيسة ميكائيل. الظلام دامس، ولا حوذي هناك. في الشوارع تلوح أشباح الفتيان غير المهذبين وهم يتجولون على الكنائس. وبأيدي الكثيرين مصابيح. كنيسة متروفان مضاءة جيداً، والصلبان من أسفلها إلى أعلاها. فيما يلوح منزل لوبودا بنور نوافذه في عتمة الليل.

دخلنا الكنيسة. جوها مكفهر وداخلها ضئيل وممل. وعلى النوافذ شموع. تلك إنارة بعثت ابتسامة وادعة على محيا عمي، وحلت محل شمس الكهرباء. تزيين الكنيسة متواضع شأن تزيين كنائس الآحاد. أخذنا نبيع الشموع. يغور، بصفته ليبرالياً أنيقاً، لا يبيع الشموع. وقف متنحياً يلقي نظرات لاأبالية على الجميع. فيما يشعر فلاديميرتشيك بالارتياح لكل ما حواليه.

مسيرة الصلبان. اثنان من الحمقى يسيران في الأمام ويلوحان بمشاعل بنغالية تبعث الدخان وتسلط الشرر على الجموع. والجموع مسرورة. وفي مدخل الكنيسة وقف مؤسسوها والمتبرعون لها والذين يحترمونها، وفي مقدمهم عمي، حاملين الأيقونات في انتظار عودة مسيرة الصلبان. وعلى الخزانة جلس فلاديميرتشيك يرش اللبان على المبخرة، فيتصاعد منها دخان خانق. وهاهم القساوسة وحاملو الرايات يدخلون. ويخيم صمت مهيب. وأنظار الجميع موجهة إلى القس فاسيلي. . .

- بابا، هل أرش أكثر؟ - جاء صوت فلاديميرتشيك على غير المتوقع من فوق الخزانة.

وبدأت صلاة الصبح. اصطحبت يغور ومضينا إلى الكاتدرائية. لا حوذية هناك، فاضطررنا أن نقطع المسافة سيراً على الأقدام. الوضع في الكاتدرائية معتبر وهادئ ومهيب. فرقة الإنشاد رائعة. وأصوات المنشدين بديعة للغاية، إلا أن

الانضباط غائب. وخط الشيب شعر بوكروفسكي، وضعف صوته فبات خافتاً. وتغير الشماس فكتور كثيراً. فيما صار غريغوريفيتش أشبه بالميت.

في الكاتدرائية التقيت إ. لوبودا، وقد عرفته عن بعد من قفا رقبته الأحمر السميك. وبقينا نتحدث حتى نهاية الصلاة.

مضينا من الكاتدرائية إلى البيت سيراً على الأقدام. أشعر بألم وخدر في الساقين. في البيت فطور في غرفة إيرينوشكا. فطائر كنسية لذيذة وسجق مقيت ومناشف كالحة، والجو خانق تفوح فيه رائحة بطانيات الأطفال. عمي يتناول الفطور عند الأب فاسيلي. وبعد أن شبعت من الطعام وشربت الشمبانيا رقدت وغفوت وسط ثرثرة باللهجة المحلية.

في الصباح تقاطر القساوسة والمنشدون. مضيت إلى عائلة آغالي. بولينا إيفانوفنا مسرورة (لمجيئي). ليبوتشكا لم تخرج للقائي، لأن زوجها يغار عليها. نكولاي آغالي شيطان ضخم يؤدي امتحانات التخرج من دون نجاح يذكر، ويحلم بجامعة زوريخ. يا لغبائه. ومنه توجهت إلى مدام سافيليفا التي تقيم على شارع كونتورسكايا، في جناح صدئ متهاوٍ. في غرفتين صغيرتين جداً سريران لبنتين ومهد. ومن تحت السريرين تتطلع مبولتان (نونية أطفال) كعينين ساذجتين وادعتين. يفغينيا إياسونوفنا تعيش مع ابنتيها من دون زوجها. وقد ساءت حالها وذبلت لحد فظيع. وتشير كل الدلائل إلى أنها تعيسة. (زوجها) ميتيا يخدم في القوقاز ويعيش هناك بصفة أعزب. إنه، عموماً، خنزير.

ذهبت إلى يريميييف ولم أجده. تركت له تذكرة، ومضيت إلى مدام زيمبولاتوفا. في الطريق إليها عبر البازار الجديد تأكد لي أن تاغانروغ موحلة وخالية ومتكاسلة وجاهلة ومملة. فلا رقعة واحدة مكتوبة بلغة سليمة. وهناك «حانة روسيا» اسمها مكتوب بخطأ إملائي. الشوارع تصفر فيها الريح، أبواز الشبان الطائشين تنم عن الرضا. والمتأنقون يرتدون معاطف طويلة وسدارات على الرأس. والبُناة الجدد في ثياب الزيتون، والأوانس والعشاق وطلاء المنازل المتشقق والكسل الشامل والاقتناع بالنزر القليل من المال، والمستقبل الغامض- كل ذلك مقيت يقذي العينين، حتى بدت لي موسكو بأوساخها وتيفوسها الطفحي ألطف.

بعد ثرثرة فارغة وشمبانيا عند زيمبولاتوفا مضيت إلى بيت عمي. على الغداء: حساء ودجاج مقلي / في الأعياد لا يمكن الاستغناء عن لحم الطير، يا عزيزتي. فلم

لا نسمح لأنفسنا ببحبوحة؟/ .أثناء الغداء عرج علينا كامبوريونوك، وهو كائن بشري ببوز أسمر حليق وصديرية بيضاء. كان قد شرب ما فيه الكفاية، فراح يتجول في زيارات. وهو موظف في مصرف، فيما يعمل أخوه/ . . ./ في مصرف أيضاً ولكن في وارشو.

- باللّه عليك، تعال إليّ - قال - أنا أقرأ دوماً كتاباتك يوم السبت. والدي نموذج. تعال لترى. آه، إنك تنسى أنني متزوج. ولي بنت، واللّه العظيم. . . لقد تغيرتَ كثيراً. وهكذا دواليك.

بعد الغداء / حساء الرز الجاسئ والدجاج/ ذهبت إلى خوداكوفسكي. السيد البولوني يعيش حياة لا بأس بها، مع أنها خالية من الفخفخة التي كنا نعرفها سابقاً. زوجته الشهباء مانيا عبارة عن قطعة من اللحم البولوني الدهين والمقلي جيداً. إنها جميلة من صفحة وجهها ومقززة من الأمام. غضون منتفخة تحت العينين ونشاط مكثف للغدد الدهنية. يبدو أنها طائشة رأت ما رأت. عرفتُ فيما بعد أنها كادت تهرب في الموسم الفائت مع ممثل مسرحي، وقد باعت حتى خواتمها وأقراطها وما إلى ذلك. هذا سر بيننا طبعاً. . . عموماً تشهد تاغانروغ موضة الفرار مع الممثلين. الكثيرون يفقدون زوجاتهم وبناتهم.

غادرت السيد خوداكوفسكي إلى لوبودا. كل أفراد عائلته شاخوا بشكل فظيع. وجه آنوشا مبقع كالقمر. داشينكا ترهلت، فارينكا شاخت ونحلت وتحشفت. عندما تضحك ينبعج أنفها ملتصقاً بوجهها، ويتغضن ذقنها صاعداً إلى الأنف. مارفا إيفانوفنا شاخت هي الأخرى. شعرها أشيب. فرحت للقائي جداً ووافقت على السفر معي إلى موسكو.

رأيت في بيت لوبودا (السيد) تسارينكو، ذلك الليبرالي المغناج الثرثار. بيوتر زخاريتش لا يزال على قيد الحياة. فرح للقائي كثيراً، وتساءل عن أحوال أهلنا جميعاً. . . صوته أبح غريب يثير الضحك عند الاستماع إليه. كان متزوجاً، إلا أنه طلّق زوجته. في طريقي من لوبودا إلى البيت صادفت مدام سافيولوفا وابنتها. البنت تشبه أباها كل الشبه: تقهقه طول الوقت، وتتكلم بشكل رائع. عندما ساعدتها في ارتداء فردة الجزمة المطاطية التي انفلتت من قدمها ألقت عليّ نظرة غامضة وقالت شاكرةً:

- تعال لتبيت الليل عندنا.

في بيت عمي وجدت الأب يوحنا ياكيموفسكي، القسيس البدين السمين الذي تكرم بالاهتمام بشؤوني الطبية وأثار دهشة عمي بقوله:

- يسر الوالدين أن يكون لهما أبناء طيبون كهذا.

الأب الشماس اهتم بي هو الآخر، وقال إن جوقة المنشدين في كنيستهم، كنيسة ميكائيل، تعتبر الأولى في المدينة. /وهي عبارة عن زمرة من الذئاب الجياع يقودها مشرف سكير/. ووافقته رأيه، مع علمي بأن الأب يوحنا والشماس لا يفقهان شيئاً في الغناء. كان الشماس جالساً على مسافة تدل على الاحترام، يلقي نظرة تواقة على المربى والنبيذ اللذين يرغب في التلذذ بهما القس الأب والشماس نفسه.

في الساعة الثامنة استولى النعاس على العم وأولاده وإيرينا والكلاب والجرذان التي تعيش في السرداب والأرانب، وغط الجميع في نوم عميق. فاضطررت أن أرقد رغماً عني. أنا أنام على الأريكة في غرفة الاستقبال. الأريكة لم تكبر، لا تزال قصيرة كالسابق، ولذا أضطر إلى الرقاد رافعاً قدميّ إلى أعلى بغير حشمة أو خافضاً إياهما على الأرضية. أتذكر سرير بروكروستوس. وألتحف ببطانية مضربة وردية اللون، وهي خشنة وخانقة تغدو مقيتة ولا تطاق عند المساء حيث تزداد الحرارة من المدافئ التي تسخنها إيرينا. (القط النادرالكسول) يعقوب أندريفيتش أمنية لا ترى إلا في الأحلام. وفي تاغانروغ كلها شخصان فقط يتمتعان بهذه النعمة في الواقع، وهما رئيس البلدية و(الإقطاعي نكولاي) ألفيراكي. أما الباقون فعليهم أن يلقوا بثقلهم على الأسرّة أو يرتحلوا إلى أبعد مكان.

٦ أبريل. استيقظت في الخامسة. السماء مكفهرة. والريح تهب باردة غير مريحة، كما في موسكو. الضجر ينتابني. انتظرت ناقوس الكاتدرائية ومضيت لحضور صلاة الظهر المتأخرة. داخل الكاتدرائية جميل جداً. ومعتبر وغير ممل. المنشدون يغنون جيداً، ليس كالعامة. والحضور أغلبهم من أوانس في فساتين الزيتون وبلوزات بنية اللون. الحسناوات كثيرات، كثيرات لدرجة جعلتني آسف لأني لست ميشكا (أخي ميخائيل) الذي هو بحاجة ماسة إلى الحسناوات... معظم البنات هنا بقوام رهيف ووجوه رائعة ولا يمانعن في المغازلة، بينما الشبان غائبون كلياً، ما عدا الباعة اليونانيين وأفراد عائلة كامبوروف السيئي السمعة. ولذا يخلو الجو في هذا المضمار للضباط والوافدين.

انطلقتُ من الكاتدرائية إلى منزل يريمييف. وجدتُ زوجته. سيدة لطيفة جداً. يريمييف رتب حياته بشكل مقبول تماماً، كما في موسكو. وأنا ألقي نظرة على شقته الهائلة ولا أصدق ما قاله ألكسندر(أخي) من أن العيش في بحبوحة متعذر في تاغانروغ. زوار (البيت) كثيرون، وكلهم من أرستقراطيي المدينة. إنهم من صغار السن الذين لا شأن كبيراً لهم، ومع ذلك يمكن أن تجد بينهم من يحظى بالقبول. تعرفتُ على الضابط جباريدزه الذي ذاع صيته هنا بعد أن اشتبك في مبارزة. والتقيت (عدداً من الأطباء). وفي الساعة الثالثة جاء يريمييف إلى منزله في حالة سكر شديد. أعلن عن سروره البالغ بمقدمي، وأقسم الأيمان بشأن صداقته الدائمة لي. معرفتي به قليلة، لكنه أقسم أن لديه صديقين مخلصين اثنين في الدنيا، هما أنا وكوروبوف. جلسنا إلى مائدة الطعام وأخذنا نعبّ من نبيذ سانتورين. طعام الغداء معتبر: حساء جيد، من دون رز جاسئ، وأفراخ دجاج. ورغم الريح الباردة توجهنا بعد الغداء إلى (منطقة) كارانتين. وفيها كثير من المنازل الصيفية الرخيصة والمريحة. يمكن أن نستأجر لموسم العام القادم، لكن ما يجعلني أتردد هو كثرة تلك المنازل، ما يعني كثرة الناس وشدة الضجيج. وثمة منازل (للإيجار) في باحة المطحنة، إلا أن المكان لا يعجبني. الكثيرون ينصحون بالذهاب مسافة ٧ فراسخ عن تاغانروغ إلى منطقة ميوس التي توجد فيها أيضاً منازل صيفية. سأكتب عن ذلك عندما أذهب إلى هناك. في ميوس تباع المنازل بثمن زهيد. يمكن شراء منزل من خشب الصنوبر مع بستان على ضفة النهر بـ ٥٠٠ - ١٠٠٠ روبل. أرخص من الفجل.

٧ و٨ و٩ و١٠ أبريل. أيام ملؤها الضجر. الجو مكفهر بارد. وعندي «إسهال» مستمر طوال هذه الأيام. أركض (إلى الخلاء) ليل نهار. وما أشد العذاب في الليل. الظلام دامس والريح تعوي، والأبواب تصر أثناء فتحها بصعوبة، والباحة مظلمة يتيه فيها الإنسان، والسكون مريب، وورق الجرائد غير متوفر... اشتريت مستحضر الإمساك، واتضح أنه تقليد مغشوش بلا وازع من ضمير. مذاقه مر كطعم نبات الشيح. كل ليلة أشعر بالأسف وألوم نفسي على تقبل الآلام طوعاً وعلى مغادرة موسكو إلى بلاد المستحضر المغشوش والظلام الدامس والمراحيض النائية. ثمة شعور دائم بحياة المعتقلات غير المريحة، تضاف إليه اللهجة المحلية التي (... تخدش الآذان). السلوى الوحيدة هي وجود يريمييف وزوجته وشقته الفارهة... لقد رأف المصير بي، فلم أرَ أنيسيم فاسيليفيتش ولم أضطر إلى الخوض في السياسة

ولا مرة واحدة. وإذا التقيت أنيسيم فسأسدد المسدس إلى صدغي.

«الإسهال» يلاحقني، ولذا نادراً ما أغادر المنزل. ذلك أمر متعذر بسبب البرد (. . .). في ١٩ و٢٠ من الشهر سأشرب وألهو، فأنا وصيف في زفاف (بمدينة) نوفوتشيركاسك. وقبل ذلك التاريخ وبعده سأكون عند كرافتسوف حيث صعوبات المعيشة أريح بألف مرة من أسباب الراحة في تاغانروغ.

١١ أبريل. مأدبة وسكر عند يريمييف، ثم توجهنا بمجموعنا إلى المقبرة وإلى كارانتين. دخلتُ الحديقة. كانت هناك موسيقى. الحديقة رائعة، تفوح منها عطور السيدات، وليس دخان السماورات، كما في سوكولنيكي (متنزه في موسكو. . .).

كل يوم أتعرف على الفتيات، بمعنى أنهن يترددن على منزل يريمييف ليرين أي نوع من الطيور تشيخوف هذا الذي «يكتب». معظمهن لسن قبيحات ولا غبيات. لكنني لاأبالي، لأنني أعاني من نزلة في الأمعاء تحجب كل العواطف والأحاسيس.

والآن أتناول أحداث الساعة. توفي الدكتور شريميف، وتوفيت سيلا مارينتشينكو وكذلك مارفا بتروفنا. . . التقيت ماريا نكيفيروفنا التي نعتتني بـ «أخيها». (ابن عمي) يغوروشكا موظف في الجمعية الروسية للملاحة. يمضي للعمل في الخامسة صباحاً ويعود لتناول الغداء ثم يمضي من جديد في الخامسة مساءً ويعود في التاسعة منهكاً جائعاً، ويذهب من الوكالة إلى الحديقة العامة لمغازلة الفتيات. إنه شاب شغول ولطيف. يدخن خفية عن أبيه. لودميلا بافلوفنا تتستر على خطيئة ابنها وتخشى أن يتشمم متروفاشا (عمي متروفان تشيخوف) رائحة هذه الزندقة. يغوروشكا متحرر من الحانوت ومن الكنيسة، فلا وقت لديه. يداوم يومياً، حتى في الأعياد الكبيرة. (العائلة) تسمح له بالعودة إلى المنزل في ساعة متأخرة من الليل وبالحديث عن النساء. فلاديميرتشيك ينظر إليه وإلى حياته ويتحسر.

الصومعة مطلية بالأحمر. أ. ف. دياكونوف لا يزال نحيلاً كالأفعى، يرتدي سروالاً قطنياً ومقلاة بدلاً من السدارة. كورت وفايست لا ينويان مفارقة الحياة.

شاهدت تشييع جنازة. لا تبعث على الارتياح رؤية تابوت يهتز فيه رأس المتوفى. المقبرة جميلة، لكن بعض محتوياتها منهوبة. شاهدُ قبر كاتابولي متضرر بوحشية. الأب بولص أسمر كالسابق، متأنق لا يعرف الهدوء. يحبر الإخباريات ويهذر بالشتائم في كل مكان. دخل سرادق السوق ورأى مارفوتشكا جالسة جنب كشكها.

- يا للشيطان! لماذا تجلسين هنا؟ الشيطان وحده يعرف شدة البرد وأنت لا تغلقين كشكك. أي تجارة في هذا الزمهرير؟

عمي يرافق المفتش. المفتش - مفتش الإتاوات - يلعب هنا دوراً يجعل لودميلا بافلوفنا ترتعش عندما تراه، فيما همّت مارفوتشكا بصبغ فساتينها المذيلة باللون الأصفر لفرحتها عندما دعاها لتكون عرّابة ابنه. وواضح أنه متزلف كبير يعرف من أين تؤكل الكتف. يدّعي أنه جنرال. ويصدّق هذا الادعاء عمي وعائلة لوبودا.

بوكروفسكي في منزلة مرموقة. فهو السيف والشمس معاً في دائرة معارفه. يصور نفسه بطريركاً. وامرأته تتحايل في لعب القمار ولا تدفع إذا خسرت.

١٤ أبريل. للأسف الشديد لم يرأف القدر بي. فقد جاءني بالأمس جيفتشيك - العياش اللجوج، بتروف، وهو كالشرطي المهذار أنيسيم فاسيليفيتش. دخل عليّ وبدأ يتكلم بزعيق طفولي يعلو على زعيق مائة طفل من أولاد عائلة كامبوروف.

وتساءل باللهجة المحلية المتعثرة عن أحوالي وعن سبب عدم مجيئي إليه وعن لوحات (أخي) نكولاي بافلوفيتش وهل هي موجودة في المعرض.

قال إن مدير الشرطة طلب منه تعهداً بأن لا يكتب في الصحف وهدده بنفيه إلى ما وراء الأورال في ٢٤ ساعة إذا تجرأ وكتب ولو سطراً واحداً (عن الأوضاع في تاغانروغ) وما إلى ذلك. ثم تكلم عن الطقس، وعن الاشتراكيين وعن إيطاليا وعن التفسخ الخلقي، وعن سناجب السصلق. تكلم بلا انقطاع، بشهيق وزفير مع كل علامات التعجب، وبصوت مرتفع لدرجة جعلتني أكاد أتقيأ، فاقتدته إلى الباحة. جلس حتى المساء. ولكي أتخلص منه مضيت إلى البستان، فلحق بي. وفررت من البستان إلى يريمييف. فلحق بي. لم أجد يريمييف في المنزل فعدت أدراجي، والشرطي الدنيء يلاحقني. وهكذا دواليك. وعد أن يأتي إليّ اليوم ليرافقني إلى المقبرة.

استلمت الآن رسالة من (أخي) إيفان. أرسلت إليكم على دفعتين ١٦ صفحة من اليوميات، ويدهشني أنكم لم تستلموها حتى الآن.

النزلة المعوية لا تزال تحملني من الغرفة إلى الخلاء ذهاباً وإياباً. الزكام انتهى، وحل محله مرض آخر يؤلمني هو تصلب الشريان في باطن الساق اليسرى. الجزء المتكلس من الشريان، كقلم أردواز، طوله فِتر تقريباً. أمراضي لا عد لها ولا

حصر. ينطبق عليّ القول بأن الناس يلدون الأطفال في الآلام... وأطفالي ليس يغور ولا فلاديميرتشيك، بل القصص والأقاصيص التي لا أستطيع الآن أن أفكر فيها... فالكتابة باتت مقيتة.

لدى «جريدة بطرسبورغ» قصتان لي، أجرتهما ٦٥ - ٧٠ روبلاً. وسأرسل إليها في أبريل قصة أخرى، ما يعني أنكم ستستلمون من الجريدة ١٠٠ روبل لشهر أبريل. أما بخصوص «العصر الحديث» فلا أستطيع أن أقول شيئاً الآن على وجه التحديد.

صحة الأب فاسيلي متدهورة لدرجة خطيرة.

بلغني الآن أن إيروديادا يغوروفنا، أو إيرايدا، ترغب في رؤيتي. توفيت أمها وزوجها، وتريد لشدة الحزن أن تتزوج مرة ثانية. الطقس عندنا جيد، لكن الريح شديدة. (...)

تجارة لوبودا كاسدة، فيما يتاجر عمي بمبلغ خمسة روبلات في اليوم، وبصعوبة بالغة. والغريب أن منشدي الكنيسة وعمالها الذي يستلمون رواتبهم منه ملزمون بشراء البضاعة من حانوته.

مراسم القداس في القصر متوقفة. الكنيسة مغلقة وقد أكلها الصدأ.

يوم الثلاثاء شهدت تشييعاً في المقبرة. التشييع أصيل يستحق توصيفاً خصوصياً. ولذا ألوذ بالصمت الآن وأترك وصفه للمرة القادمة. كان عليّ أن أواصل السفر يوم الأربعاء. إلا أن تصلب الشريان في ساقي أعاقني. من الأربعاء حتى السبت تسكعت متجولاً في البستان والنادي وفي لقاء الأوانس. مهما كانت الحياة في تاغانروغ مملة وثقيلة على المعدة، إلا أنها تجتذب المرء بشكل ملحوظ، وليس صعباً التعود عليها. طوال مكوثي في المدينة تمكنت أن أقدر شأن الأمور التالية فقط: فطائر البازار اللذيذة للغاية، نبيذ سانتورين، الكافيار الأسود، الحوذية الرائعين وحسن ضيافة عمي غير المتكلفة. وفي ما عدا ذلك كل شيء سيئ لا تحسد المدينة عليه. صحيح أن السيدات هنا على شيء من الجمال، ولكن يجب التعود عليهن. إنهن عنيفات في التحرك، وطائشات في العلاقات مع الرجال. يهربن من الوالدين مع الممثلين المسرحيين ويقهقهن بأصوات مرتفعة، ويقعن فريسة الغرام، وينادين الكلاب بالصفير (الذكوري) ويشربن الخمرة وما إلى ذلك. وبينهن وقحات من أمثال مانيا خوداكوفسكايا الشقراء. هذه المتكبرة تسيء ليس للأحياء وحدهم، بل وللموتى أيضاً. عندما تجولت معها في المقبرة كانت طول الوقت تضحك على

الموتى وتسخر من الكتابة على شواهد القبور وتستهزئ بالقساوسة والشماسين وسواهم. وما يثير الاستياء في تاغانروغ هو غلق درف النوافذ طول الوقت. وفي الصباح عندما تفتح الدرف ويقتحم الضوء الغرفة تشعر النفس بفرحة غامرة.

يوم السبت واصلت طريقي. في محطة مورسكايا النسيم عليل والكافيار الأسود بـ ٧٠ كوبيكاً للرطل. في روستوف انتظرنا ساعتين. وفي نوفوتشيركاسك فترة الانتظار ٢٠ ساعة. أبيت الليل عند معارفي. عموماً الشيطان وحده يعلم أين أنا مضطر للمبيت: على أسرّة تعشش فيها البراغيث، على أرائك طويلة وقصيرة، على صناديق. . . في الليلة الأخيرة نمت في صالة طويلة ضيقة على أريكة علقت فوقها مرآة. ويعقوب أندرييتش (اسم أطلقته عائلة تشيخوف على المبولة الليلية) أشبه بقدر حساء مزين بألوان رقيقة فاتحة. أنا في نوفوتشيركاسك. تناولت فطوري تواً: كافياراً وزبدة محلية لذيذة للغاية وكباباً دهيناً مع البصل الأخضر.

الآنسة التي كنت سأغدو وصيفاً في زفافها أرجأت حفل الزفاف إلى يوم الجمعة. وعليّ أن آتي إلى نوفوتشيركاسك مرة أخرى يوم الخميس. أما اليوم فسأواصل رحلتي في الساعة الرابعة بعد الظهر. وسأضطر إلى الانتظار في زفيريف ٩ ساعات. فوداعاً.

أ. تشيخوف

٤٣. إلى نكولاي ليكين

راغوزينا بالكا، ٥ مايو ١٨٨٧

بالأمس، يا نكولاي ألكساندروفيتش الطيب، ذهبت إلى دائرة البريد في إيفانوفكا /٢٣ فرسخاً/ واستلمت هناك رسالتين منكم، إحداهما مرسلة إلى كريستنايا والأخرى أعيد إرسالها إليّ من تاغانروغ. البريد يعتبر هنا من النوادر، وعدد دوائره قليل، وحتى هذه عاطلة عن العمل تقريباً. . . للحصول على رسالة أو جريدة لا بدّ من انتظار الفرصة المناسبة، ولا أحد يسافر هنا من أجل المراسلات وحدها. وإذا أخذ المرء يسافر طول الوقت عبثاً، أي من أجل استلام الجرائد، يذيع صيته كإنسان عاطل أو ثوري أو اشتراكي.

ليس ثمة ما يبرر زعلكم على صمتي. فأنا يطيب لي أن أكتب. لكنّ البريد لا يعمل. وقد بعثت إليكم رسالتين، وليس رسالة واحدة كما تقولون. رسالة إلى بطرسبورغ وأخرى إلى بلدة إيفانوفسكويه.

أنا الآن في طريقي إلى سلافيانسك، ومنها سأتوجه إلى سفياتيه غوري (التلال المقدسة)، حيث أقضي ٣ - ٤ أيام في الصوم والصلاة. ومن هناك إلى تاغانروغ...

أفظع ما في الأمر أن معي ٥٣ روبلاً فقط. وأضطر إلى تقصير الجناحين والتحسر على الطعام. أستقل القطار حالياً في الدرجة الثالثة، وحالما يبقى في جيبي ٢٠ روبلاً أعود إلى موسكو، كيلا أضطر إلى الاستجداء.

لو كانت بحوزتي ٢٠٠ - ٣٠٠ روبل إضافية لما أعرت بالاً لشيء ولطفت العالم كله. أجوري من «جريدة بطرسبورغ» تمضي إلى العائلة في موسكو. وأعلق آمالاً كبيرة على مستحقاتي من «الشظايا» حيث طلبت من فكتور فكتوروفيتش أن يحولها إليّ في تاغانروغ.

في الآونة الأخيرة أقمت في سويسرا الأوكرانية، وسط ما يسمى بسلسلة جبال دونيتس: قمم ووهاد وأجمات وجداول، والسهب منبسط في كل مكان... عشت عند ملازم ثانٍ متقاعد يقيم في أرضه بعيداً عن الناس (ضيعة كرافتسوف). أطعموني حساء البط وفرشوا لي كي أنام على أريكة خشبية وكانوا يوقظونني بإطلاق النار من البندقية (على الدجاج والبط، فهم هنا لا يذبحونها، بل يقتلونها رمياً بالرصاص) وكذلك بعواء الكلاب وهي تتلقى العقوبة. ومع ذلك كنت في أحسن حال. والانطباعات لا تعد ولا تحصى. ولو عاش فكتور فكتوروفيتش (محاسب «الشظايا») ولو يوماً واحداً معي لأطلق ساقيه للريح هرباً أو لتصور أنه في سنغافورة أو البرازيل. عموماً أنا راض عن رحلتي. والشيء المزعج الوحيد هو قلة المال. لعلكم لا تصدقون أنني غادرت موسكو ومعي ١٥٠ روبلاً لا غير.

وداعاً. الحصان جاهز. سأحدثكم عن البواسير فيما بعد. اليوم سأقضي الوقت في الطريق حتى حلول الظلام.

تحياتي لذويكم.

المخلص أ. تشيخوف

٤٤. إلى ماريا تشيخوفا

تاغانروغ، ١١ مايو ١٨٨٧

أواصل متفتح الأسارير. غادرت كرافتسوف إلى التلال المقدسة. ولكي أصل إلى سكة آزوف اضطررت إلى استخدام سكة دونيتسكايا المتشعبة المعقدة (. . .) وفي هذا التعقيد الشديد اعتمدت على فطنتي ولم تختلط عليّ القطارات والتحويلات. فوصلت بالسلامة إلى كراماتوروفكا في السابعة مساءً. الجو خانق هنا، وروائح الفحم منتشرة، والانتظار ساعة ونصف. من هنا توجهت بسكة آزوف إلى سلافيانسك، وقد حل الظلام. والحوذية يرفضون الذهاب إلى التلال المقدسة ليلاً، وينصحون بالمبيت في سلافيانسك، وهذا ما فعلته برحابة صدر، لأني أشعر بأن بدني متقوض وقد صرت أعرج بسبب الألم في ساقي شأن ٤٠٠٠٠ من أمثال ليكين. المسافة من المحطة إلى المدينة ٤ فراسخ، بـ ٣٠ كوبيكاً في العربة العمومية المكشوفة. المدينة أشبه بمدينة ميرغورود عند غوغول. ثمة محل حلاقة وساعاتي، ما يعني أن الهاتف سيظهر في سلافيانسك بعد ١٠٠٠ عام. وعلى الجدران والأسيجة علقت إعلانات حديقة الحيوان، وتحت الأسيجة براز وروث، وتجوب الخنازير الأهلية والأبقار والدواجن شوارع المدينة المتربة والخضراء. منظر البيوت يبدو على رقة وترحيب، شأن العجائز الطيبات. قارعة الطرق لينة والشوارع عريضة والهواء مشبع برائحة الليلك والأقاصيا. ومن بعيد يتناهى تغريد بلابل ونقيق ضفادع ونباح. وأصوات هارمونيكا وزعيق امرأة. . . نزلت في فندق كوليكوف في حجرة بـ ٧٥ كوبيكاً. بعد النوم على الأرائك الخشبية وفي العربات غمرتني الفرحة لرؤية سرير بحشية وثيرة ومغسلة. والأكثر من ذلك، ويا للمصادفة السارة، رأيت يعقوب أندرييتش اللطيف تحت السرير. /خلال جولاتي حول العالم تأكدت أن يعقوب أندرييتش (المبولة) أنفع وأريح كثيراً من يعقوب أليكسييتش ويعقوب سرغييتش أورلوفسكي وسائر اليعاقبة!/ الأغصان الخضراء تقتحم النافذة المفتوحة على مصراعيها ويهب النسيم. . . تمططت وضيقت جفوني كالقط وطلبت طعاماً، فجاءوني، مقابل ٣٠ كوبيكاً، بطبق فخم من اللحم المقلي، أكبر من أكبر شعر مستعار، ويحق لنا أن نسميه بنفس القدر الروزبيف (اللحمة الباردة) أو كباب اللحم المطروق أو البيفشتيكس المقدد أو حتى وسادة اللحم التي بإمكاني أن أضعها تحت

جنبي حينما أنام، لولا أنني جائع جداً مثل الكلب أو مثل (صديقي الرسام) ليفيتان أثناء الصيد.

في اليوم التالي حل نهار رائع. ولمناسبة أحد الأعياد الكنسية المقررة /٦ مايو/ قرعت النواقيس في كاتدرائية المدينة. أصواتها تنطلق من جناح صلاة الظهر. ورأيت كيف يغادر الكنيسة مفتشو الشرطة وقضاة الصلح ورؤساء العسكر وباقي السدنة. اشتريت بذور عباد الشمس بكوبيكين، واستأجرت عربة ذات نوابض إلى التلال المقدسة ذهاباً /وإياباً بعد يومين/ بـ ٦ روبلات. غادرت المدينة عبر أزقة غارقة، بكل معنى الكلمة، في خضرة الكرز والمشمش البري والتفاح. الطيور تغرد بلا كلل. الأوكرانيون، عندما أمر بهم، يرفعون قبعاتهم بالتحية ربما يتصورون أنني تورغينيف. ومن حين لآخر يقفز حوذيي غريغوري بولينيتشكا من مقعده الأمامي على العربة ليعدل من وضع عدة الحصان أو لينهر الصبية الذين يتراكضون وراء المركبة... طوابير الحجاج تمتد على طول الطريق. وفي كل مكان تلال وهضاب بيضاء والأفق أزرق مائل إلى البياض. وسنابل الجودار عالية، وتصادف أجمات بلوط. ولا يعوز الطبيعة هنا سوى التماسيح والأفاعي ذات الأجراس.

وصلت إلى التلال المقدسة في الثانية عشرة. المكان رائع وأصيل للغاية. الدير على شاطئ نهر دونيتس أسفل صخرة جبلية بيضاء هائلة تزاحمت عليها وتشابكت بساتين وبلوط وصنوبر معمر. يخيل للمرء أن الأشجار المتحاشكة على الصخرة متضايقة بعضها من بعض وأن ثمة قوة تدفعها عنوة إلى أعلى فأعلى.... أشجار الصنوبر تبدو معلقة في الهواء حتى لتكاد تهوي من فوق. ويتناهى هديل الوقواق وتغريد البلابل ليل نهار...

الكهنة، وهم أناس لطيفون للغاية، أنزلوني في حجرة غير لطيفة، على سريرها حشية أشبه بالرغيف الرقراق. بتُّ في الدير ليلتين وتراكمت لدي انطباعات كثيرة. ولمناسبة عيد القديس نكولاس شهدتُ تقاطر ١٥ ألف من المصلين تسعة أعشارهم نساء طاعنات في السن. قبل ذلك لم أكن أعرف أن في الدنيا مثل هذا العدد الكبير من العجائز، وإلا لكنت انتحرت بالمسدس من زمان... سأكتب إلى «العصر الحديث» عن الكهنة وتعرفي عليهم وكيف عالجت القساوسة والعجائز. وسأحدثكم عن ذلك عندما نلتقي. القداس متواصل لا ينتهي. في الثانية عشرة ليلاً تقرع نواقيس صلاة الصبح، وفي الخامسة صلاة الظهر الباكر وفي التاسعة صلاة الظهر المتأخر،

وفي الثالثة الابتهالات وفي الخامسة صلاة العصر وفي السادسة قواعد التبجيل بعد صلاة الغروب. وقبيل كل صلاة يسمع في الدهاليز نواح نواقيس صغيرة ويتراكض كاهن يصيح بصوت كصوت دائن يستعطف المدين تسديد ما بذمته ولو بمقدار خمسة كوبيكات من كل روبل:

- ارحمنا يا رب. يا سيدنا يسوع المسيح. هلموا إلى صلاة الصبح.

ليس من اللائق البقاء في الحجرة. ولذا أنهض وأخرج... وقد أعجبتني بقعة على شاطئ دونيتس، فكنت أقضي فيها كل أوقات الصلاة والقداس.

اشتريت أيقونة لعمتي فيودوسيا ياكوفلوفنا.

الطعام كنسي. يقدم مجاناً إلى الجميع- ١٥ ألف شخص. حساء السمك المجفف وعصيدة الدُخن. وكلاهما لذيذ، شأن رغيف الجودار.

رنين النواقيس رائع، والمنشدون سيئون. وقد شاركتُ في موكب الصلبان على الزوارق.

هنا أتوقف عن توصيف التلال المقدسة، لتعذر وصف كل ما فيها. فهو يأتي مبتسراً إذا لخصته.

في طريق العودة اضطررت إلى الانتظار في المحطة ٦ ساعات. في جو ممل. (...).

طول الليل في الدرجة الثالثة من قطار ركاب وبضائع هزيل بائس بروائح كريهة. وشعرت بتعب شديد ككلب سائب.

والآن أنا في تاغانروغ، أسمع من جديد اللهجة المحلية المشوهة. ومن جديد ها هي الأريكة القصيرة والغشاوة على العينين والماء العفن في المغسلة... مضيت إلى دوبكي وكارانتين وتجولت في بساتينهما. الكثير من الجوقات الموسيقية وملايين الفتيات. بالأمس جلست في حديقة ألفيراكي جنب بنت من الأرستقراطية المحلية، فأومأتْ إلى إحدى العجائز قائلة:

- هذه امرأة مراوغة كالنسر الجارح. انظروا إليها: حتى مشيتها مراوغة.

بين البنات حسناوات، لكنني قررت أن لا أقدم على خيانة (أحبابي).

درست الحياة المحلية. دخلت دائرة البريد، والحمامات، وزرت (حارة كاسبيروفكا (التاريخية)... واكتشفت أن في تاغانروغ شارعاً باسم (الكاتب الفكاهي) مياسنيتسكي. (...)

أشعر بالغثيان عندما أكتب. ليس لدي مال. ولولا قدرتي على العيش على حساب الغير لما كنت أعرف ماذا أفعل.

عبق الأقاصيا يفوح. لودميلا بافلوفنا (زوجة عمي) تميل إلى البدانة، وقد باتت شبيهة جداً بامرأة يهودية. ما من عقل بقادر على سبر غور أعماق عقلها. عندما أستمع إليها أتحير تماماً أمام الأقدار المجهولة التي تخلق أحياناً مثل هذه الجواهر!

إنها كائن غير مفهوم. أنا لم أنس علم التشريح بعد، ولكنني عندما أنظر إلى جمجمتها أفقد ثقتي بوجود مادة اسمها الدماغ.

أما عمي (متروفان) فهو إنسان رائع، ولعله أفضل من جميع سكان المدينة.

أ. تشيخوف

٤٥. إلى ألكسندر تشيخوف

بابكينو، ما بين ٢ و٥ أغسطس ١٨٨٧

من كان يتصور أن «النفع الصغير» سيتحول إلى عبقري؟ قصتك الأخيرة «في المنار» رائعة بكل معنى الكلمة. (نشرت في «العصر الحديث» ١ أغسطس ١٨٨٧). الأرجح أنك سرقتها من كاتب كبير. قرأتها بنفسي ثم طلبت من ميشكا أن يتلوها بصوت مسموع، ثم أعطيتها لماريا لتقرأها. وكنت كل مرة أقتنع بأنك تفوقت على نفسك بهذا المنار. تلك شرارة براقة في ظلمة الجهالة. كلمة ذكية في ثلاثين عاماً غبية! لا حدود لإعجابي بها. ولذا أكتب إليك، وإلا لما كنتَ ستستلم مني رسالة قريباً. . . /بسبب الكسل!/. صورة التتري رائعة، وصورة الأب جيدة أيضاً. ومدير البريد مرئي من ثلاثة سطور. الموضوع لطيف جداً، والشكل ليس لك، فهو شكل جديد وجيد. البداية كانت ستأتي من دون كليشهات لو أنها جاءت في منتصف القصة وبالتقسيط. ثم إن صورة أوليا ليست صالحة، شأن كل النساء اللواتي تصورهن في قصصك. أنت لا تعرف النساء بالمطلق! لا يجوز، يا حبيبي، الدوران طول الوقت حول نمط واحد من النساء. أين ومتى رأيت أمثال أوليا هذه؟ /وأنا لا أقصد فترة دراستك الثانوية/. أليس الأذكى والأبدع أن تضع جنب الوجوه والأبواز

العجيبة، مثل التتري والأب، امرأة لطيفة حيوية وموجودة فعلاً وليس دمية. بطلتك أوليا إهانة للوحة المنار الكبرى. وهي، إضافة إلى كونها دمية، مجرد صورة غامضة معتكرة وتترك، بين سائر شخوص القصة، انطباعاً عن جزمة بليلة ملوثة بين سائر الجزمات النظيفة اللماعة. ألا تخشى اللّه؟! ليس في قصصك ولا امرأة واحدة مؤنسنة، من لحم ودم، كلهن دمى تتقافز وتتكلم بلغة البطلات المدللات الساذجات في كوميديا الفصل الواحد.

أعتقد أن المنار رفعت منزلتك في أنظار قراء «العصر الحديث» ثلاث مراتب. ويؤسفني أن أحداً لم ينصحك بتوقيع القصة باسمك الكامل. لوجه اللّه واصل بنفس الروحية. نقّح ولا تنشر ما لم ترَ أن شخوصك أناس أحياء وأنك لا تكذب على الواقع. يمكنك أن تكذب في «عجائب وغرائب» (عمود يحرره ألكسندر تشيخوف في «الشظايا») حيث نجد عريف الشرطة يخوض مجال الإحصائيات /!/ ويلتقي كاتب الدائرة مع المجرمين /!!/. أما في مقالات السبت التي توفر لك الكسب والسمعة فاحذر الأكاذيب. لا تكتب مجدداً عن ممثلين في حفلات المنوعات يتعرضون لمحاكمة لم يتعرض أحد لمثلها من قبل. ثم لا تتناول مرة أخرى الجمعيات الخيرية. موضوعها معلوك مكرر. الشيء الوحيد الجديد في قصتك كلها هو زوجة المحافظ في فستان من قماش قطني رخيص.

خبئ «المنار». وإذا كتبت زهاء عشر قصص من هذا المستوى يمكنك أن تصدرها في كتاب.

استلمت الآن رسالة من شيختيل يبلغني فيها بمرض نكولاي. نزيف من القصبات. ربما هو طفيف، ذلك لأن نكولاي زارني قبل أيام في بابكينو، وكان في صحة تامة.

أبعث إليك رسالة مفتوحة من أحد أشد المعجبين بسوفورين. ولما كانت الرسالة تعبّر عن أماني ورغبات الكثيرين من أهالي موسكو أرى من واجبي أن أعرضها على سوفورين. مع أني أعتقد أن من المستبعد أن يأخذ الرجل بما في الرسالة. بلّغه بمضمون الرسالة (...)، وبلّغني بالنتائج. أنا لا أعرف عنوان سوفورين (حالياً).

هل قضى كتابي نحبه؟ («في الغسق» كان قيد الطبع في مطبعة سوفورين).

أنتظر أجوره. قسيمة الحساب أرسلت إليك، فإذا فُقدت استلم المبلغ من دونها وحوّله إليّ بأسرع ما يمكن. أنا متعطش إليه!!

تحياتي لأهلك جميعاً، ما عداك. فأنت لست عبقرياً، ولا شيء مشتركاً بيننا.

المواطن تشيخوف

٤٦. إلى ألكسندر تشيخوف

موسكو، ما بين ٦ و٨ أكتوبر ١٨٨٧

عزيزي

استلمت الرسالة والنقود. بلغ بورينين بأنني خولتك أن تنقل إليه امتناني الخالص على تقريظه (لكتابي «في الغسق») وسأحتفظ بهذا التقريظ لأحفادي. وقل له إنني قرأته مع كورولينكو الذي يوافقه في الرأي تماماً. التقريظ رائع، ولكن ما كان يجدر ببورينين أن يصب على ملعقة العسل برميلاً من القار. ما كان يجدر به، وهو يثني عليّ، أن يسخر من (الشاعر الروسي) الراحل سيميون نادسون.

أهلنا كلهم بخير. نكولاي يأتينا كومضات البرق.

اطلب من فيودوروف أو بيجيتسكي أنْ ينشر في أخبار المسرح معلومة بالمعنى التالي: «ألف أنطون تشيخوف ملهاة من ٤ فصول بعنوان «إيفانوف». وقد تليت في إحدى الحلقات الأدبية الموسكوبية /أو في وسط أدبي من هذا القبيل/ فتركت انطباعاً عميقاً. حبكة المسرحية جديدة وطباع الشخوص مجسمة وما إلى ذلك. . .»

هذه المعلومة بمثابة إعلان تجاري. المسرحية جاءت خفيفة الظل كريشة طائر. من دون أي إسهاب. والحبكة غير مطروقة. وربما سأعرضها في (مسرح) كورش /إذا لم يبخل عليّ هذا الأخير بالمال/.

هذا كل ما أردت أن أقوله لك. حاول نشر المعلومة، فهي ترفع الثمن. لا داعي للمديح فيها. يكفي التركيز على الأمور العامة. تحياتي لعائلتك، واكتب لي عنوانك الجديد.

لا تعرّض نفسك للاستبراد.

بلّغ بورينين وسوفورين أن كورولينكو كان في زيارتي. وقد ثرثرت معه ثلاث ساعات. فوجدته إنساناً موهوباً ورائعاً. وقل لهما إن بالإمكان، في نظري، أن نتوقع منه خيراً عميماً.

أخوك أ. تشيخوف

٤٧. إلى الكسندر تشيخوف

موسكو، ما بين ١٠ و١٢ أكتوبر ١٨٨٧

عزيزي!

رسالتك وصلت. وكيلا أرقد على السرير وأبصق في السقف (من دون عمل) جلست إلى المكتب أرد عليك.

أختنا سالمة وفي صحة جيدة. مهتمة بالأدب وتتردد على أفروس (خطيبة تشيخوف). تصورتْ مؤخراً، فإذا كنت تريد صورتها اكتب لها.

الوالدة موافقة على رتق القمصان، بل وحتى على رتق كبدك. فأرسلها. ولا داعي للنفقات، فلدينا الكثير من الخرق والأقمشة. الوالدة تعتب عليك لأنك لا تكتب لها.

صحتي متوعكة والكآبة تستولي عليّ كفرخ دجاجة. الريشة تسقط من يدي، فلا أعمل. وأتوقع الإفلاس في وقت قريب. إذا لم تنقذني المسرحية (في ذاك الشهر فرغ تشيخوف من تأليف «إيفانوف»، باكورة مسرحياته الناجحة. ترجمة عبد اللّه حبه) سألقى حتفي في عز الشباب. المسرحية يمكن أن تدرّ عليّ ٦٠٠ - ١٠٠٠ روبل، ولكنْ ليس قبل منتصف نوفمبر. ولا أعرف ماذا سيحصل حتى ذلك التاريخ. لا أقوى على الكتابة، كل ما أكتبه تافه. طاقاتي فرت مني فرار كل اليهود من باريس (في الأصل بالألمانية). موضوعات الحبكات متوفرة، وما عداها لا أكثر من دموع القطط.

أحبّر أقصوصة السبت («دم بارد»)، ولكنْ كيفما اتفق. وفي موضوع لا يعجبني. ستكون الأقصوصة رديئة ومع ذلك سأرسلها (إلى جريدة سوفورين).

«الوقائع الروسية» تدفع ١٥ كوبيكاً للسطر الواحد، ومجلة «سيفير» («الشمال») تدعوني للتعاون وتعدني بأن «تدفع قدر ما أريد». كما تدعوني للتعاون «الفكر الروسي» و«بشير الشمال». سوفورين كان سيفعل خيراً لو أنه زاد أجرتي. وطالما يتقاضى كوتشيتوف ٣٠٠ روبل في الشهر، فيما يستلم آتاوا ٢٠ كوبيكاً على السطر بالإضافة غلى راتبه، فالأحرى أن أستلم أنا كما يستلم الآخرون وليس كوبيكات زهيدة، ما دامت طاقاتي لم تستنفد بعد. إنني أسرق نفسي عندما أكتب للجرائد. فقد استلمت على «الهارب» ٤٠ روبلاً، بينما يمكن أن تعطيني المجلات السميكة على نصف ملزمة... على أية حال تلك تفاهات فلنتركها جانباً.

ألّفت المسرحية («إيفانوف») من دون قصد مبيت. بعد حديث مع كورش. أويت إلى الفراش وابتكرت الموضوع وكتبت. أمضيت في تأليفها أقل من أسبوعين، ١٠ أيام على وجه التحديد. لأنه كانت في الأسبوعين المذكورين أيام لم أعمل فيها أو أنني كتبت أشياء أخرى. أنا نفسي لن أحكم على مزايا المسرحية. فقد جاءت قصيرة لحد يثير الشكوك. إنها تعجب الجميع. ولم يعثر فيها كورش على غلطة أو هفوة واحدة منافية لفن المسرح. وهذا دليل على مدى مهارة ودقة نقادي. هذه أول مرة أكتب فيها مسرحية. فالأخطاء لا مفر منها والحال هذه. الحبكة معقدة وليس فيها حماقة. وقد أختتمت كل فصل كما أختتم الأقاصيص: أسير بكل الأحداث في هدوء وسلام، وفي الأخير أنهال بصفعة على بوز المتفرج. وقد بددت طاقاتي كلها على مواضع قوية ومتألقة حقاً، أما القناطر التي تربط بين هذه المواضع فهي روتينية ضئيلة فاترة. ومع ذلك أنا مسرور: فمهما كانت المسرحية رديئة، فقد خلقتُ نموذجاً ذا أهمية أدبية، وأبدعت شخصية لن يتولى أداء دورها سوى الممثل الموهوب دافيدوف. فذلك الدور يمكّن الممثل أن ينطلق ويكشف عن موهبته... للأسف لا أستطيع أن أقرأ عليك مسرحيتي. أنت شخص طائش وقليل الاطلاع، لكنك أكثر طراوة ورهافة سمع من جميع الذين يمتدحونني وينتقدونني في موسكو. غيابك خسارة ليست طفيفة بالنسبة لي.

شخوص المسرحية ١٤، بينهم ٥ نساء. وأرى أن نماذج سيداتي، ما عدا واحدة، غير مكتملة.

بعد الخامس عشر من الشهر استفسر في دائرة التسويق عن مبيعات «في الغسق». من يدري؟ ربما هناك كوبيكات من نصيبي...

واسأل سوفورين أو بورينين هل يتمكنان من نشر نص بـ ١٥٠٠ سطر؟ إذا وافقا فسأرسله لهما، مع أنني شخصياً لا أحبذ نشر نصوص طويلة في الجرائد مع بقية أو ذيل في العدد القادم. لدي رواية بهذا الحجم، ليست مملة، إلا أنها لا تصلح للنشر في مجلة سميكة، لأن فيها شخوص رئيس وأعضاء محكمة عسكرية عرفية، أي رجالات من غير الليبراليين. استفسر وأجبني بأسرع ما يمكن. بعد ردك أبيّض المسودة على عجل وأرسلها. (المشروع لم ينفذ، والمسودة مفقودة).

(. . .) تحياتي.

أ. تشيخوف

٤٨. إلى فلاديمير كورولينكو (روائي)

موسكو، ١٧ أكتوبر ١٨٨٧

أبعث إليكم تشكراتي الكثيرة، يا فلاديمير غالاكتيونوفيتش المحترم، على كتابكم (بحوث وأقاصيص) الذي استلمته وأعيد قراءته الآن مرة أخرى. ولما كانت كتبي متوفرة لديكم أكتفي بداهةً بإرسال التشكرات وحدها.

على فكرة. كيْلا تأتي الرسالة قصيرة جداً أقول إني مسرور كل السرور لتعرفي عليكم. أقول ذلك بصدق وإخلاص من قلب صافٍ. فأنا، أولاً- أقدر رفيع التقدير وأحب موهبتكم. وهي عزيزة عليّ لجملة أسباب. ثانياً - يخيل إليّ لو أننا، أنا وأنتم، عشنا في هذه الدنيا ١٠- ٢٠ سنة أخرى لما استغنينا عن نقاط تماس بمخرج مشترك. ومن بين جميع الكتّاب الروس الموفقين أنا الأكثر طيشاً والأقل رصانة. وقد لاحظت أنني كنت، بلغة الشعراء، أحب إلهة الإلهام الصافي دون أن أحترمها. لقد خنتها وقدتها مراراً إلى حيث لا ينبغي لها أن تكون. وبالمقابل أنتم إنسان جدي متين ومخلص. والبون شاسع بيننا، كما ترون. ومع ذلك عندما أقرأ ما تكتبون، وبعدما تعرفت عليكم شخصياً، أعتقد أننا لسنا غريبين بعضنا على بعض. هل أنا محق أم لا؟ لا أدري. ولكنْ يسرني أن أظن ذلك.

بالمناسبة أبعث إليكم مستلاً من مجلة «العصر الحديث». وستتعرفون فيه على (ديفيد هنري) ثورو (الكاتب الأميركي مؤلف «ولدن» أو الحياة في الغابة)،

وسأحتفظ لكم بمستلات الفصول القادمة. الفصل الأول يعد بالكثير: فيه أفكار وطراوة وأصالة. إلا أن قراءته صعبة. معمار وتركيبة الكتاب غير مألوفين. الأفكار الجميلة والقبيحة، الخفيفة والثقيلة، متراكمة يضيّق بعضها على بعض وتمتص نسغ بعضها الآخر. وهي تكاد تزعق من شدة الزحام.

عندما تصلون إلى موسكو أسلمكم مستلات ثورو هذا. فوداعاً الآن. مع التمنيات بالصحة.

مسرحيتي («إيفاتوف») ربما ستعرض في مسرح كورش. وإذا صح ذلك فسأحيطكم بتاريخ العرض. ولربما يتوافق هذا اليوم مع موعد مجيئكم إلى موسكو. وعندها تفضلوا على الرحب والسعة.

المخلص أ. تشيخوف

٤٩. إلى نكولاي يجوف (صحفي)

موسكو، ٢٧ أكتوبر ١٨٨٧

نكولاي ميخائيلوفيتش الطيب!

استلمت رسائلكم. ولما كانت مسألة شكواكم من العين اليسرى والأجور باتت منتهية فلن نتناولها وننتقل إلى الأمور الجارية.

أعتقد أن من اللازم أن أبلغكم، بصفتكم إشبين مسرحيتي «إيفانوف»، أن المسرحية ستعرض حتماً في أواخر نوفمبر أو أوائل ديسمبر. فقد تم توقيع الشروط مع كورش. سيمثل دافيدوف دور إيفانوف. وقد سرني جداً أنه معجب بالمسرحية وقد تحمس لها وفهم طبيعة بطلي بالشكل الذي أريده. يوم أمس جلست عنده حتى الثالثة بعد منتصف الليل وتأكد لي أنه فنان عظيم حقاً.

إذا صدقنا أقوال محكمين مثل دافيدوف نستنتج أنني أجيد كتابة المسرحيات... ويتضح أنني كتبت عفو الخاطر، بالهواجس وحدها، دون أن ألاحظ ذلك، مسرحية مكتملة تماماً ولم أقع في خطأ مسرحي واحد. خلاصة القول: «يا شباب، لا تتهيبوا!»

طبيعي أنكم تسيئون التصرف عندما تتكاسلون وتكتبون قليلاً. أنتم كاتب

«ناشئ» بكل معنى الكلمة، ولا ينبغي أن تنسوا، ولو تحت التهديد بالإعدام، أن كل سطر يكتب في الحاضر يشكل رأسمالاً في المستقبل. وإذا لم تعوّدوا يدكم ودماغكم على الانضباط والتحرك السريع وإذا لم تستعجلوا وتستحثوا نفسكم الآن فسيكون الوقت متأخراً بعد ٣ - ٤ أعوام. وأظن أنه يتعين عليكم وعلى غروزينسكي أن تروضا النفس يومياً ولفترة طويلة ترويض الحصان بالسوط. فكلاكما تعملان قليلاً. ينبغي بذل قصارى الجهود ذات اليمين وذات الشمال. أنا لا أستطيع إقناع غروزينسكي أن يحرر موضوع السبت. وجنابكم أيضاً يصعب إقناعه بإرسال الأقاصيص إلى كل عدد من «الشظايا». ولا أدري إطلاقاً ماذا تنتظران؟ بالعمل النزر الخجول والمتهيب لن تحصلا على مثقال ذرة من المنفعة، بمعنى أنكما ستستنفدان طاقاتكما الكتابية قبل أن تشرعا بالكتابة الحقيقية./والمثال على ذلك هو شقيقي آغافوبود (اسم مستعار لألكسندر تشيخوف). إنه شحيح الكتابة، لكنه يتحسس نفاد طاقاته الكتابية... وتعرفون أن الذي < ... > (يجامع) قليلاً وبكسل سرعان ما يصاب بالبرود الجنسي. أقول لكم ذلك على أساس علمي/.

باختصار، حبذا لو ضربناكما كليكما بالسوط، لكننا لا نستطيع، فأنتما موظفان.

كلنا بخير. نحييكم. تعالوا إلينا في أعياد الميلاد. أتمنى لكم دوام الصحة ولا تنسوا

المخلص أ. تشيخوف

٥٠. إلى نكولاي ليكين

موسكو، ١٥ نوفمبر ١٨٨٧

معذرة، يا نكولاي ألكساندروفيتش الطيب، لا أستطيع أن أبعث إليكم قصة هذه المرة أيضاً. انتظروا قليلاً. يوم الخميس تعرض مسرحيتي («إيفانوف»)، وبعدها أواظب على الكتابة بانتظام. ما كتبتموه بشأن إخراج المسرحيات حيرني. تقولون «إن المؤلف يعيق الإخراج ويضايق الممثلين، وفي أغلب الأحيان يعطي توجيهات غبية». أجيبكم على النحو التالي: ١) صاحب المسرحية هو المؤلف وليس

الممثلون. ٢) توزيع الأدوار من واجب المؤلف في كل مكان، إلا إذا تقرر خلاف ذلك. ٣) كل توجيهاتي عادت بالمنفعة حتى الآن وكانت الأمور تسير حسب ما وجهتُ به. ٤) الممثلون أنفسهم يطلبون توجيهات. ٥) بموازاة مسرحيتي يجري التدريب في «مسرح مالي» على مسرحية جديدة للكاتب شباجينسكي الذي استبدل أثاث الديكور ثلاث مرات وأرغم الخزينة على الصرف ثلاث مرات على المستلزمات. وهلمجرا. وإذا ألغينا مشاركة المؤلف الشيطان وحده يعلم ماذا سيحصل... تذكروا كيف كان غوغول يشتاط غضباً أثناء إخراج مسرحيته («المفتش العام» على خشبة مسرح ألكسندرينسكي في بطرسبورغ عام ١٨٣٦).

ألم يكن على حق؟

تقولون إن سوفورين يوافقكم الرأي. شيء يدهشني. قبل فترة طلب مني سوفورين قائلاً: «أوقفوا الممثلين عند حدهم»، وقدم لي نصائح بخصوص هذا التصرف.

على أية حال، شكراً لكم لأنكم فتحتم هذا الموضوع. سأكتب رسالة إلى سوفورين أطرح فيها مسألة حجم صلاحيات المؤلف.

ثم إنكم تكتبون لي: «اتركوا مسرحيتكم للشيطان»، وأجيبكم السن بالسن: اتركوا للشيطان جمعيتكم الائتمانية! ترك المسرحية يعني ضياع الأمل في صفقة رابحة.

أكيد أنكم مللتم من انفعالي. ولذا ننتقل إلى المسائل اليومية (...)

سأصل إلى بطرسبورغ في مطلع ديسمبر.

وسنتحدث عن أمور كثيرة.

لا أدري كيف أرد على ملاحظتكم (السلبية) بخصوص دافيدوف. ربما أنتم على حق. أما أنا فأحكم عليه ليس انطلاقاً من انطباعاتي الشخصية، بل من تزكية سوفورين الذي كتب لي ناصحاً: «ثق بدافيدوف».

تحياتي إلى براسكوفيا نكيفيروفنا وإلى الملاك فيودور. عائلتي تكلفني كل مرة أن أنقل إليكم تحياتها، لكنني أنسى الكتابة عن ذلك. فلا مؤاخذة.

متى سنتغدى في (مطعم) تيستوف (بموسكو)؟ تعالوا إلينا.

المخلص أ. تشيخوف

٥١. إلى ألكسندر تشيخوف

موسكو، ٢٠ نوفمبر ١٨٨٧

هكذا تعثرت المسرحية («إيفانوف»، العرض الأول). . . سأصف لك الموقف بالترتيب. قبل كل شيء كورش وعدني بعشر بروفات ولم يفِ بوعده. أجرى أربع بروفات فقط، اثنتان منها تطابقان مصطلح البروفة، أما الأخريان فهما بمثابة أدوات رياضية تدرب بها الممثلون على الشتائم والتنابز بالألقاب. ولم يكن أحد منهم يحفظ نص دوره سوى دافيدوف و(الممثلة) غلاما (ميشيرسكايا)، أما الباقون فكانوا يمثلون بمعونة الملقن وحسب قناعاتهم الشخصية.

الفصل الأول. أنا جالس وراء خشبة المسرح في مقصورة صغيرة تشبه الزنزانة. والعائلة في مقصورة مريحة تتطلع متلهفة قلقة. أعصابي باردة على غير المتوقع ولا أشعر بالارتباك. الممثلون منفعلون، متوترو الأعصاب، يرسمون شارة الصليب على الصدور. وترفع الستارة. ويظهر الممثل المرشح للتكريم في ذلك اليوم. إلا أنني بسبب من التردد وعدم حفظ الأدوار والإكليل الذي قدموه لم أتعرف على مسرحيتي منذ العبارات المنطوقة الأولى. كيسيلوفسكي الذي علقت عليه آمالاً عريضة لم يتفوه بجملة صحيحة واحدة. نعم، لم يتفوه بجملة صحيحة واحدة. كان يقول ما يعنّ له. ومع ذلك ورغم أخطاء الإخراج حظي الفصل الأول بنجاح كبير. وبعاصفة من التصفيق.

الفصل الثاني. على الخشبة عدد كبير من الأشخاص. ضيوف. لا يعرفون أدوارهم، اختلطت عليهم الأمور، فأخذوا يهذرون. كل كلمة يقولونها طعنة لي في الظهر. إلا أن هذا الفصل، ويا لغرابة إلهة الإلهام، حقق نجاحاً أيضاً. الجمهور استدعى جميع الممثلين مهللاً، واستدعاني مرتين للتهنئة بالنجاح.

الفصل الثالث. الأداء مقبول. والنجاح باهر. الجمهور استدعاني ثلاث مرات، وعندما أظهر على خشبة المسرح يشد دافيدوف على يدي كل مرة، فيما تأخذ غلاما يدي الأخرى وتضغطها على صدرها، كما يفعل مانيلوف (أحد شخوص «النفوس الميتة» لغوغول). ذلك هو انتصار الموهبة والفضيلة.

الفصل الرابع. المشهد الأول. التمثيل لا بأس به. مناداة الممثلين. وبعدها استراحة طويلة مملة. الجمهور متذمر، لأنه غير متعود على النهوض بين مشهدين

والذهاب إلى البوفيه. ترفع الستارة. المنظر جميل. مائدة عشاء (زفاف) تلوح من تحت الطيقان. الموسيقى تعزف مقطوعة تحية. يظهر الأشابين (وكلاء العريس) سكارى. ولذا تعين عليهم القيام بتهريج وبهلوانيات. هرج ومرج أفزعاني. وبعد ذلك يظهر على الخشبة كيسيلوفسكي. الموقف هنا شاعري عاطفي يداعب خلجات الروح. إلا أن كيسيلوفسكي لا يعرف دوره، وهو سكران كالإسكافي، فتحول الحوار العاطفي القصير إلى لغو ممطط كريه. والجمهور في حيرة واستغراب. وفي ختام المسرحية يموت البطل لإهانة يتلقاها ويعجز عن تحملها. الجمهور المتعب الذي خفت حماسه لا يفهم هذه الميتة /التي أصر عليها الممثلون، بينما صيغتي للخاتمة تختلف/. ونودي على الممثلين وعليّ مرات. وأثناء أحد تلك الاستدعاءات تناهى فحيح استهجان غطى عليه التصفيق وطرق الأرضية بالأقدام.

عموماً الشعور السائد هو الأسف والضجر. شيء مقيت، مع أن المسرحية سجلت نجاحاً ملحوظاً /أنكره كيتشييف وزمرته/ (في جريدة «المنشور الموسكوبي» ٢٢ نوفمبر ١٨٨٧).

هواة المسرح يقولون إنهم لم يشهدوا يوماً مثل هذا الغليان وعواصف التصفيق في المسرح، ولم يسمعوا في أي وقت آخر مثل تلك المجادلات التي سمعوها وشاهدوها في عرض مسرحيتي. ولم يحصل في مسرح كورش ولا حادث واحد نودي فيه على المؤلف بعد الفصل الثاني.

العرض الثاني للمسرحية يجري في ٢٣ من الشهر بصياغة أخرى وتعديلات: **أنا** أحذف دور الأشابين.

وسأحدثك بالتفاصيل عندما نلتقي.

بلّغ بورينين أنني عدت إلى وضعي الطبيعي بعد المسرحية وباشرت بكتابة قصة السبت (لعلها «القبلة»).

المخلص أ. تشيخوف

٥٢. إلى ألكسندر تشيخوف

موسكو، ٢٤ نوفمبر ١٨٨٧

وأخيراً، يا عزيزي غوسيف (الاسم المستعار لألكسندر)، استقرت الأمور وانقشعت الغمة، وها أنا أجلس من جديد إلى مكتبي وأؤلف القصص بهدوء بال. لا يمكنك أن تتصور ما حصل! الشيطان وحده يعرف ما حصل من عجينة الغائط الصغيرة التي هي مسرحيتي. كنت قد كتبت لك أن العرض الأول شهد غلياناً بين الجمهور وعلى الخشبة لم يشهد مثله أبداً الملقن الذي يعمل في المسرح منذ ٣٢ عاماً. صخب وضجيج وتصفيق وصفق أقدام وصفير، وكاد البعض يتعاركون في البوفيه، وهمّ الطلاب أن يرموا أحدهم من الشرفة العليا، فتدخّل البوليس واحتجز اثنين منهم. الهياج عمّ الجميع. وكاد يغمى على شقيقتنا. وتصاعد نبض قلب دوكوفسكي ففر من القاعة، وألصق كيسليوف يديه على صدغيه من دون سبب واضح وزعق صادقاً: «ماذا سأفعل بعد اليوم؟».

الممثلون كانوا في توتر عصبي شديد. كل ما كتبته إليك وإلى ماسلوف عن أدائهم وعن موقفهم من القضية ينبغي بالطبع أن يبقى سراً بيننا. وثمة حاجة إلى تبرير الكثير وتفسيره... فقد اتضح أن ابنة ممثلة الدور الأول في المسرحية تحتضر. فهل هناك مجال للتمثيل؟ وقد أحسن كوريبين عندما امتدح الممثلين (في «العصر الحديث»).

في اليوم التالي لعرض المسرحية ظهر في «منشور موسكو» تقريظ بقلم بيوتر كيتشييف ينعت مسرحيتي بالهذر الوقح واللاأخلاقي، فيما امتدحتها «الوقائع الموسكوبية».

العرض الثاني جرى بشكل لا بأس به، مع حصول مفارقات. فبدلاً من الممثلة التي مرضت ابنتها، أدت الدور ممثلة أخرى من دون بروفة. ونودي على الممثلين هذه المرة أيضاً بعد الفصل الثالث /مرتين/ والفصل الرابع، ولكن من دون صفير الاستهجان.

هذا كل شيء. يوم الأربعاء ستعرض مسرحيتي «إيفانوف» من جديد. وقد هدأ الجميع وعادت الأمور إلى مجراها. سجلنا يوم التاسع عشر من الشهر وسنحتفل به كل عام بالشراب، لأنه سيبقى عالقاً في ذاكرة العائلة لأمد طويل.

لن أكتب لك أكثر عن المسرحية. إذا كنت تريد أن تأخذ فكرة عنها اطلب نسخة تنضيد من ماسلوف واقرأها. قراءة المسرحية لن توضح لك الهياج الذي وصفتُه ولن تجد فيها ما يثير الاهتمام بخاصة. نكولاي وشيختيل وليفيتان، وكلهم رسامون، يقولون إنها على خشبة المسرح أصيلة مميزة لدرجة تثير الاستغراب. وذلك أمر لا يلاحظ من خلال القراءة.

إذا لاحظت أن أحداً يريد أن يلوم الممثلين في «العصر الحديث» اطلب منه أن لا ينساق وراء القدح والذم. فقد كان أداؤهم رائعاً في العرض الثاني.

إذن، أنا مسافر إلى بطرسبورغ بعد أيام. سأحاول في الأول من ديسمبر. في كل الأحوال سنحتفل معاً بعيد شفيع ولدك الأكبر... بلّغه بأنني لا أستطيع أن أجلب كعكة العيد.

أهنئك بالترقية. فإذا كنت سكرتيراً بالفعل انشر معلومة بالمعنى التقريبي التالي: «في ٢٣ من نوفمبر عرض مسرح كورش للمرة الثانية مسرحية «إيفانوف». ونودي على الممثلين عدة مرات، وخصوصاً دافيدوف وكيسيليوفسكي وغرادوف - سوكولوف وكوشيفا. كما نودي على المؤلف بعد الفصلين الثالث والرابع»... بفضل معلومة كهذه تعرض مسرحيتي مرة إضافية، وأستلم إضافياً ٥٠ - ١٠٠ روبل. وإذا كنت تعتبر أن من غير المناسب نشر المعلومة لا تنشرها.

كيف حال (الزوجة) آنّا إيفانوفنا ؟ اللّه كريم! (في الأصل باللغة العربية، ولكنْ بأحرف روسية) طقس بطرسبورغ لا يناسبها.

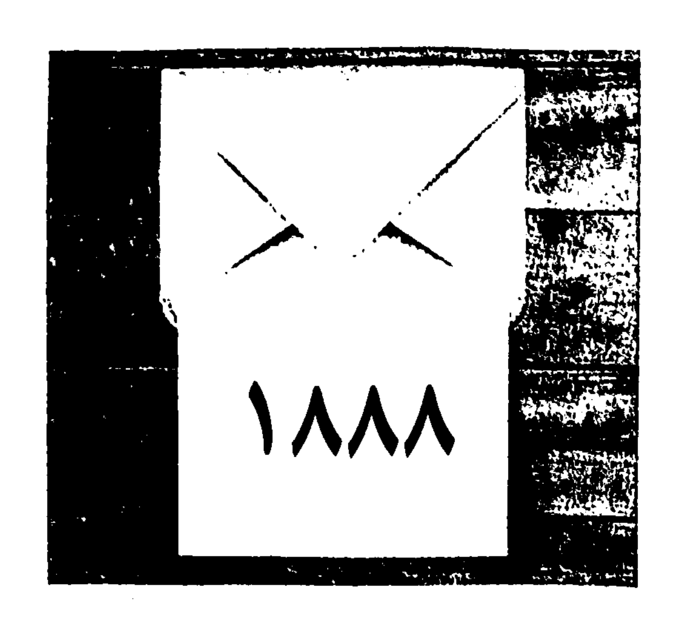
استلمت الـ ٤٠ روبلاً. شكراً.

ألم تملّ مني؟ يخيل إليّ أنني كنت مهووساً طوال أكتوبر. (...) أتمنى لك الصحة. سامحني على الهلوسة. لن أنساق إليها أكثر. اليوم وضعي طبيعي...

بعثت رسالة شكر إلى ماسلوف على برقيته.

المخلص شيلر شكسبيروفيتش غوته

(شيلر بن شكبير آل غوته)



٥٣. إلى إيفان ليونتيف - شيغلوف (كاتب مسرحي)

موسكو، ١ يناير ١٨٨٨

عزيزي (. . .) خطكم فظيع. إنه مأساوي كالقول الفصل في محاكم التفتيش. عيناي جحظتا عندما فرغت من قراءة رسالتكم.

أهنئكم بحلول العام الجديد، متمنياً لكم موفور الصحة والسعادة في الحب وفي الأدب. قهقهوا قدر ما تشاءون، ولكن بصوت أخف. وليحفظكم الله من غزو آباء سيبيريا!

رداً على رسالتكم أقول إن الاسم المستعار شيغلوف لا يصلح «للشظايا». فابتكروا للقصص القصيرة اسماً آخر، من قبيل «زوج لفصل الصيف». وإذا اعترض ليكين على الاسم المستعار تحججوا بي في دهاء واسألوه:

- يا سيدي، لم لا يكتب تشيخوف باسمه الحقيقي؟

تعرفوا على بيليبين وغوليكه (الموظفَين في الجريدة). إنهما رجلان طيبان.

(قصتكم) «مينيونا» رائعة. أحسنتم! كل التصفيق لكم، يا شيغلوف! أنتم كاتب موهوب حقاً! القراء يقبلون على ما تكتبون. فاكتبوا إذن.

ثم لو كنتم قد درستم على يد مكسيم بيلينسكي (اسم مستعار للكاتب إ. ياسنسكي) لاستطعتم أن تتفننوا أكثر.

بلّغوا أليكسي بليشييف بأني بدأت كتابة قصة «البشير الشمال» / «دار الأرامل» الأدبية/ ولا أدري متى أنجزها. فإن فكرة الكتابة لمجلة سميكة تنظر إلى قصتي

البسيطة بجدية أكثر من اللزوم تشل يدي مثلما يشد إبليس على كوع الراهب المتعبد. أكتب قصة عن السهب. أكتب، لكنني لا أشم رائحة الحشيش.

بيبيكوف لا يزودني برواياته. ولا أستطيع أن أنسى وعوده. لقد خوفني (بها) من دون إثم ارتكبته.

عائلتي معجبة جداً بكتبكم. ولدى أفرادها حدس جيد.

رأيتُ دافيدوف. لم يصافح كيسيليوفسكي. ويعتقد عموماً أن الأمور لا ينبغي أن تكون كما حصل (مع مسرحية «إيفانوف»).

وداعاً، بالصحة والعافية.

المخلص أ. تشيخوف

(. . .)

٥٤. إلى فلاديمير كورولينكو

موسكو، ٩ يناير ١٨٨٨

لقد خدعتكم من دون قصد، يا فلاديمير غالاكتيونوفيتش الطيب. لم أتمكن من استلام نسخة التنضيد من مسرحيتي («إيفانوف»). وعندما تنشر سأرسلها لكم أو أجلبها بنفسي حين ألتقيكم. . فلا مؤاخذة.

راودتني رغبة في استنساخ رسالة الشيخ غريغوروفيتش التي استلمتها يوم أمس لكي أرسل النسخة إليكم. إنني أقدرها بأغلى من الذهب لجملة أسباب، وأخشى قراءتها مرة ثانية كيلا أبدد انطباع القراءة الأولى. سترون منها أن الشهرة الأدبية والأجرة الجيدة لا تنقذاننا أبداً من تفاهة الحياة العادية كالمرض والبرد والشعور بالوحدة. فالعجوز يكاد يفارق الحياة. كما ستعلمون من الرسالة أنكم لستم الشخص الوحيد الذي وجهني إلى الطريق القويم لطيبة قلبكم، وستفهمون مدى خجلي.

عندما قرأت رسالة غريغوروفيتش (يتحدث فيها من نيتس عن صحته المعتلة وينصح تشيخوف أن يكف عن كتابة الأقاصيص القصيرة، وخصوصاً في الصحف)

تذكرتكم وشعرت بالخجل. واتضح لي أنني لست على حق. أكتب ذلك لكم تحديداً، لأنه لا وجود لأشخاص حولي بحاجة إلى صراحتي ولهم الحق فيها. أما أنتم فقد عقدت معكم تحالفاً روحياً دون أن آخذ موافقتكم.

وبناءً على نصيحتكم الودية بدأت بكتابة قصة غير طويلة «البشير الشمال». وللبداية شرعت بتوصيف السهوب وأهاليها وما عايشته هناك. الموضوع جيد، وكتابته تجري بسرور، ولكنْ للأسف بسبب عدم تعوّدي على الكتابة المطولة وخوفي من تحبير ما لا لزوم له أميل إلى التطرف والمبالغة، ويخيل إليّ أن الصفحة تأتي مكثفة كقصة قصيرة والمشاهد تتكدس وتتراكم ويخنق بعضها بعضاً ويحجبه، ما يؤدي إلى إفساد الانطباع العام. وبالنتيجة نحصل ليس على لوحة تندمج فيها الجزئيات، كنجوم السماء، في كلٍّ متكامل واحد، بل مجرد ملخص جاف أو قائمة جرد الانطباعات. الكاتب، من أمثالكم، يفهمني، أما القارئ فسيشعر بالضجر ويبصق متأففاً.

أمضيت في بطرسبورغ أسبوعين ونصفاً ورأيت الكثير. عموماً أخذت انطباعاً يمكن تلخيصه في ما يلي: «لا تعلق الآمال على الأمراء، فهم بشر من بني آدم...» رأيت الكثير من الناس الطيبين، ولم أر قضاة بينهم. ولعل ذلك هو الأفضل.

أنتظر عدد فبراير من «بشير الشمال» لأقرأ ما كتبتموه «في الطريق». يقول بليشيف إن الرقابة نهشتكم. تهانينا بالعام الجديد. أتمنى لكم موفور الصحة والسعادة. المخلص لكم

أ. تشيخوف

٥٥. إلى دميتري غريغوروفيتش

موسكو، ١٢ يناير ١٨٨٨

هذا اليوم ذكرى تأسيس الجامعة.

ليس من داعٍ أن أوضح لكم، يا دميتري فاسيليفيتش، أهمية رسالتكم الرائعة الأخيرة (من نيس) بالنسبة لي ومدى اعتزازي بها. أعتذر لأنني لم أتحمل الانطباع

العميق وحدي، فأرسلت نسخة من الرسالة إلى كورولينكو. على فكرة إنه إنسان في منتهى الطيبة. بعد قراءة رسالتكم قلّ خجلي، لأنها وصلتني وأنا أعكف على الكتابة لمجلة سميكة. هذا هو ردي على جزء أساسي من الرسالة: شرعتُ بكتابة مادة مطولة. على أية حال ما كتبته ملزمتان ونيف. وسأكتب على الأرجح ثلاث ملازم طباعية أخرى. ولبداية النشر في مجلة سميكة اخترت السهب الذي لم أتناول توصيفه من زمان. أصور سهلاً منبسطاً بأبعاده البنفسجية، وثمة رعاة غنم ويهود وقساوسة وزوابع الليل وخان النزلاء وحناطير الأحمال وطيور البراري وما إلى ذلك. كل فصل عبارة عن قصة مستقلة، وجميع الفصول مترابطة بصلة القربى مثل خمسة راقصين في الكادريل. أحاول أن أمنحهم رائحة مشتركة ومزاجاً واحداً، وقد يسهل عليّ ذلك لأن شخصاً واحداً يجتاز كل الفصول. وأشعر بأنني تجاوزت أموراً كثيرة كانت تلاحقني، وأن هنالك أماكن تفوح منها رائحة القش المحشوش، ولكن على العموم جاء العمل غير مألوف وغير أصيل بالقدر المطلوب. وبسبب عدم تعوّدي على الكتابة المطولة وبسبب الخوف الدائم المعتاد من الإسهاب أقع في التطرف فتأتي كل الصفحات مكثفة وكأنها مضغوطة ومكبوسة، والانطباعات تتزاحم وتتلاطم ويطرد بعضها بعضاً، واللوحات أو التلاوين المتلألئة، كما تسمونها، تتخانق بشدة وتتجاور في سلاسل متصلة، ولذلك تبعث على الملل. ما يحصل على العموم ليس لوحة أو مشهداً، بل هو تعداد مفصل جاف للانطباعات من قبيل ملخصات النصوص. وبدلاً من التصوير الفني المتكامل للسهوب أقدم للقارئ «دائرة معارف سهبية». الفطيرة الأولى غير مستوية. (هكذا يقول المثل السائر)، لكنني لست متردداً. فلعل في دائرة المعارف ما يفيد. ولعلها تفتح عيون زملائي الذين هم في مثل سني وتبين لهم كمية الثروات ومكامن الجمال التي لم تتناولها اليد ومدى رحابة المجال الذي لا يزال واسعاً أمام الفنان الروسي. وإذا كانت قصتي المتواضعة تذكر زملائي بالسهوب التي نسوها وإذا كانت إحدى الحبكات التي رسمتها بخفة وجفاف توفر لشاعر ما فرصة التفكير فذلك خير الثواب. أنا أعرف أنكم تفهمون سهوبي وتسامحونني من أجلها على الهفوات. هفواتي غير مقصودة، لأنني، كما اتضح الآن، غير متمكن بعدُ من كتابة النتاجات المطولة.

الرواية التي توقفت عنها سأواصل كتابتها في الصيف (لم يقدر للرواية المذكورة أن ترى النور، وقد ضاعت مخطوطتها). أحداثها تشمل قضاءً بكامله، ضيعات

النبلاء في النواحي والأرياف، وتتناول الحياة المعيشية لعدة عوائل. «السهب» موضوع استثنائي وخصوصي جزئياً. وإذا أردنا تحليله ليس من أجل التحليل، بل لتقديره حق قدره أقول إنه ممل بعض الشيء من حيث رتابته وجموده. أما الرواية التي أنا بصددها فأبطالها أناس عاديون، مثقفون ونساء، وفيها الحب والزواج والأطفال. والمرء يشعر هنا أنه بين أهله ولا مجال للملل.

انتحار الصبي في السابعة عشرة من العمر موضوع مرغوب فيه وكله إغراء. إلا أن تناوله مرعب حقاً. (غريغوروفيتش شجع تشيخوف على تناول هذا الموضوع لأهميته الاجتماعية) ورداً على السؤال الذي عذب الجميع ينبغي توفر جواب قوي أليم، فهل تكفي الكاتب طاقاته الداخلية لهذا الغرض؟ كلا. لأنكم عندما تتوقعون النجاح لهذا الموضوع إنما تحكمون عليه انطلاقاً من طاقاتكم الشخصية. ولدى الأشخاص في سنكم، إضافة إلى الموهبة، سعة إدراك فطرية ومدرسة متينة متانة الفوسفور والحديد، فيما يفتقر الموهوبون المعاصرون إلى ذلك، وأقول بصراحة إننا ينبغي أن نفرح لأنهم لا يتناولون المسائل الجدية. اقترحوا عليهم صبيكم (المنتحر) وسترون، وأنا واثق من ذلك، أن الواحد منهم سيلجأ من دون قصد، وبطيبة قلب، إلى الافتراء والمبالغة والتطاول المشين، فيما يجيز الآخر توجهاً باهتاً صغيراً، ويعزو ثالث الانتحار إلى مرض نفساني. صبيكم إنسان طاهر محبوب يبحث عن الإله ويحب بقلب رقيق ويعاني من الإهانة كثيراً. ولكي يحيط الكاتب بملامح وخصال كهذه ينبغي أن يجرب المعاناة شخصياً، أما المنشدون المعاصرون فلا يجيدون غير النواح والتشكي. وفيما يخصني شخصاً فبالإضافة إلى ذلك إنني خامل كسول.

قبل أيام زارني فلاديمير دافيدوف. وقد مثّل في (مسرحيتي) «إيفانوف». وعلى هذا الأساس تصادقنا. وعندما عرف بأنني أنوي الكتابة لكم تحمس وجلس إلى الطاولة وكتب هو أيضاً رسالة أرفقها طياً.

هل تقرأون كورولينكو وشيغلوف؟ الناس تتحدث عن الأخير كثيراً. أنا أعتقد أنه كاتب موهوب وأصيل. أما كورولينكو فلا يزال محبوب االجمهور والنقاد. الإقبال رائع على كتاباته. ومن بين الشعراء أخذ يسطع نجم فوفانوف. وهو موهوب حقاً. أما الباقون فلا قيمة لهم كفنانين. كتّاب السرد النثري لا بأس بهم. أما الشعراء فمن أوطأ المستويات. لا ثقافة لهم ولا معارف ولا وجهة نظر. تاجر

الماشية (أليكسي) كولتسوف الذي لا يجيد قواعد النحو كان أكمل وأذكى وأكثر ثقافة من جميع شعراء اليوم الشباب.

قصتي «السهب» (باكورة أعمال تشيخوف المطولة، ترجمة عدنان جاموس) ستنشر في «بشير الشمال». وسأكتب إلى بليشييف كي يأمر بإعداد نسخة تنضيد لكم.

يسرني جداً أن الآلام زايلتكم. فهي تشكل جوهر مرضكم، والباقي لا أهمية له. لا خطر من السعال ولا علاقة له بمرضكم. إنه بسبب الاستبراد، ولا ريب في انتهائه مع انتهاء البرد. اليوم يتعين أن نشرب كثيراً نخب الأشخاص الذين علموني تشريح الجثث وكتابة الوصفات. والأرجح أننا سنشرب نخب صحتكم، ذلك لأن الشاربين عندنا في كل المناسبات يتذكرون بكلمة طيبة تورغينيف وتولستوي وشخصكم الكريم. الأدباء يشربون نخب تشيرنيشيفسكي وسالتيكوف وغليب أوسبينسكي. أما الجمهور المكون من الطلبة والأطباء وأساتذة الرياضيات وغيرهم والذي أنتمي إليه كطبيب فلا يزال متقيداً بتقاليد الماضي ولا يريد تغيير الأسماء العزيزة عليه. وأنا على يقين راسخ بأن روسيا لن تنساكم شخصياً، ولا تورغينيف أو تولستوي، كما لا تنسى غوغول، ما دامت فيها غابات ووديان وليالٍ بيضاء وما دام طائر الشنقب يصيح وطيور أبو طيط تنوح على صفحة الماء. وسيموت ويطوي النسيان الأشخاص الذين صورتموهم، لكنكم تبقون بسلام، بالتمام والكمال. تلك هي قوة إبداعكم، وتلك هي، بالتالي، سعادتكم.

معذرة لأني أثقلت عليكم بالرسالة الطويلة، فما العمل، اليد استرسلت والنفس أرادت أن أتحدث إليكم بأطول ما يمكن.

آمل أن تصلكم رسالتي وأنتم في دفء ونشاط وفي موفور الصحة والعافية. تعالوا إلى روسيا في الصيف، يقال إن الجو في القرم جيد مثلما في نيس.

أشكركم مجدداً على رسالتكم، وأتمنى لكم كل خير، وأبقى المخلص لكم روحياً

أ. تشيخوف

٥٦. إلى يعقوب بولونسكي (شاعر)

موسكو، ١٨ يناير ١٨٨٨

يعقوب بتروفيتش الموقر! من عدة أيام أفكر في الكيفية الأفضل للرد على رسالتكم. لكنني لم أتوصل إلى شيء لائق كريم. وخرجت باستنتاج مفاده أنني لا أجيد حتى الآن الإجابة على الرسائل الجيدة والثمينة، مثل رسالتكم. كانت لي هدية غير متوقعة بمناسبة العام الجديد. ولو تذكرتم ماضيكم عندما كنتم أديباً ناشئاً تدركون مدى قيمة هذه الرسالة بالنسبة لي. (بولونسكي أعرب في رسالته عن إعجابه البالغ بقصة تشيخوف «كاشتانكا»)

أنا أشعر بالخجل لأنني لم أكن البادئ في مراسلتكم. والحقيقة أنني اردت أن أكتب لكم من زمان، إلا أنني كنت خجولاً متهيباً. وقد خيل إليّ أن حديثنا، مهما قربني إليكم، لن يعطيني الحق بشرف مراسلتكم. فلا مؤاخذة على ضعف العزيمة والتردد.

استلمت كتابكم («التلال المنحدرة») والصورة الفوتوغرافية.

صورتكم حالياً معلقة فوق مكتبي، والرواية تقرأها عائلتي جماعياً. فلماذا تقولون إن نثركم اعشوشب وغطته الطحالب؟ إذا كان سبب ذلك يكمن في الجمهور المعاصر الذي لا يقرأ شيئاً سوى الجرائد، فهذا السبب غير كاف لإصدار حكم خريفي بارد حقاً مثل هذا الحكم. لقد شرعت بقراءة كتاباتكم النثرية وكلي ثقة بها، بل الأصح أنا متحيز لها. ذلك لأنني عندما كنت أدرس تاريخ الأدب علمت بظاهرة اعتبرتها بمنزلة القانون تقريباً، ألا وهي أن جميع الشعراء الروس الكبار يمتلكون ناصية النثر بأروع صورة. وليس بوسعكم أن تنتزعوا هذه القناعة من ذهني حتى بمسمار. كانت تلازمني في الأمسيات التي قرأت فيها نثركم. ربما أنا غير محق، إلا أن «قصة تامان» لليرمونتوف و«ابنة الضابط» لبوشكين، ناهيك عن نثر الشعراء الآخرين، تسوقان الدليل على صلة الرحم بين القصيد الروسي الريان والنثر البديع.

ولا يسعني أن أرد على رغبتكم بإهداء قصيدتكم («عند الباب») لي إلا بالامتنان وبالرجاء أن تسمحوا لي أن أهدي لكم في المستقبل قصتي التي سأكتبها بمودة خصوصية («السعادة»). عنايتكم مسّت شغاف قلبي ولن أنساها أبداً. فبالإضافة إلى دفئها وإلى الروعة التي ينطوي عليها إهداؤكم الشخصي كمؤلف تتسم قصيدتكم «عند

الباب» بقيمة خصوصية بالنسبة لي كونها تساوي مقال ثناء نقدياً كاملاً من شخص رفيع المنزلة، لأنني بفضله سأرتفع ما شاء اللّه في أنظار الجمهور والأصحاب.

بخصوص التعاون مع الصحف وتزيينها أوافقكم الرأي تماماً. أليس سواء أن يغرد البلبل على شجرة باسقة أو شجيرة قميئة؟ المطالبة بأن ينشر الموهوبون في المجلات السميكة وحدها مطالبة تافهة تفوح منها رائحة الإيعاز الإداري، وهي مضرة شأن كل الأوهام العتيقة. هذا الوهم غبي ومثير للسخرية. وكان له معنى عندما تولى رئاسة تحرير المطبوعات أشخاص بهويات متألقة، من أمثال بيلينسكي وهيرتسن وغيرهما ممن كانوا يدفعون أجر الكاتب ويستدرجونه ويعلمونه ويربونه. أما الآن حيث تلوح بدلاً من الوجوه الأدبية في رئاسة المطبوعات أبواز بهماء وأعناق كلاب لا يصمد الولع بالمجلات السميكة أمام الانتقاد ويغدو الفارق بين أضخم مجلة وأرخص جريدة كمياً فقط، بمعنى أنه لا يستحق، في نظر الفنان، أي اهتمام أو احترام. إلا أن للتعاون مع المجلات السميكة ميزة لا تنكر، وهي أن القصة الطويلة تنشر بالكامل من دون تجزئة. وأنا عندما أكتب نتاجاً مطولاً أبعثه إلى إحدى المجلات السميكة، فيما تذهب الأقاصيص حيثما تحملها الريح وحريتي.

على فكرة، أنا الآن أكتب قصة طويلة ستنشر أغلب الظن في «بشير الشمال». ففي هذه الرواية غير المطولة أصور السهب والسهوبيين والأطيار والليالي والزوابع وما إلى ذلك. أكتب بمرح وحبور، لكنني أخشى التعثر والابتعاد عن السياق بين الحين والآخر لعدم تعوّدي على تأليف المطولات. وأشعر بالتعب السريع ولا أقول ما أريد أن أقول، ولا أتقيد بالقدر اللازم من الجدية. وثمة مواضع كثيرة لن يفهمها النقاد ولا الجمهور. وستبدو لأولئك وهؤلاء تفاهات لا تستحق الاهتمام. إلا أنني مسرور سلفاً، لأن هذه المواضع سيفهمها ويقدرها اثنان أو ثلاثة من متذوقي الأدب، وهذا يكفيني تماماً. على العموم قصتي لا ترضيني. وتبدو لي مملة ومثقلة بالجوانب التخصصية. فالحبكة التي تتناول موضوع السهب وطبيعته وأهاليه تبدو للقراء المعاصرين اختصاصية قليلة الأهمية.

سأجيء إلى بطرسبورغ، أغلب الظن، في مطلع مارس حيث أودع معارفي الطيبين وأسافر إلى كوبان. وسأمضي هناك وعلى مقربة من البحر الأسود شهري أبريل ومايو. فيما أقضي الصيف في سلافيانسك أو على الفولغا. ففي الصيف لا أستطيع المكوث في مكان واحد. اسمحوا لي أن أشكركم مرة أخرى على رسالتكم

وعلى إهداء القصيدة. فأنا لم أستحق بعد لا هذه ولا تلك. أتمنى لكم الصحة والسعادة، وتقبّلوا صادق احترام ومحبة

المخلص أ. تشيخوف

ملحوظة: قبل أيام عدت من الريف. الجو هناك جيد حتى في الشتاء. يا ليتكم ترون الحقول البيضاء الناصعة والغابات التي تلمع فوقها الشمس! منظر يغشي الأبصار. اضطررت إلى تشريح بقرة نفقت قبل الأوان. ومع أنني طبيب معالج ولست بيطرياً، فالموقف يقتضي أحياناً أن أتولى دور البيطري لعدم وجود الاختصاصيين (في هذه الأنحاء).

٥٧. إلى أليكسي بليشييف (شاعر)

موسكو، ١٩ يناير ١٨٨٨

عزيزي أليكسي نكولايفيتش!

أهنئكم بالعام الجديد، متمنياً لكم الصحة وطول العمر. كل عام وأنتم بخير. وليكن صدق تمنياتي وإخلاصي لكم وسيلة تشفع لي وتخفف من ذنبي، واعذروني على تأخري في التهنئة.

لديّ رجاء إليكم. قبل أيام استلمت رسالة من الأديب نكولاي أبولونوفيتش بوتياتا العامل في صحف موسكو والمترجم والمحرر غير العلني لمجلات كانت تصدر في حينه، «الضوء والظلال»، و«كلام الناس» و«المكتبة الأوروبية»، وصاحب عدة كتب وما إلى ذلك. وهو يتشكى من عسر الحال ويستعطفني أن أساعده بمفاتحة أحد ما في بطرسبورغ ليتشفع له في «الصندوق الأدبي». وأنا ألبي طلبه متحمساً لأنني أعالجه وأرى الفقر المدقع الذي هو فيه وأعتقد أنه مصاب بمرض عضال. إنه يعاني من التدرن. وهو يعمل مصححاً في «وقائع موسكو». وبسبب مرضه يعمل قليلاً أو بجهد جهيد، ولربما سيفصل من الجريدة قريباً.

وقد استفاد من معونة «الصندوق الأدبي» مرتين. عنوانه: مطبعة «وقائع موسكو».

والآن أقول كلمتين عن نفسي. أنا في صحة أعمل وأشعر بالملل. أكتب حالياً قصة تصلح للنشر في مجلة سميكة، وسأبعثها لكم حالما أفرغ من تأليفها. وأرجوكم أن توصوا بي وتزكوني في «بشير الشمال» (بليشييف يعمل في هذه المجلة الأدبية). أصف في هذه القصة السهب. الحبكة شاعرية، وإذا لم أبتعد عن النسق الذي باشرت الكتابة به فسأحصل على نتاج «خارق للعادة». وأشعر أن في قصتي مواضع ترضيكم عني، يا شاعرنا الرقيق، ولكنني، عموماً، من المستبعد أن أحظى برضاكم. فالقصة ستأتي في ٤ - ٥ ملازم طباعية يشغل وصف الطبيعة والأماكن ملزمتين منها. شيء ممل!

آه، ما أشد رغبتي في نشر «السهب» في عدد مارس من مجلتكم. طوال يناير أعكف على تأليفها، ولا أكتب شيئاً للكسب، فأصابني الإفلاس التام. وإذا نشرت القصة بعد شهر مارس فسأعوي كالذئب (الجائع). سأبعثها إليكم في الأول من فبراير. وإذا كنتم ترون أن عدد مارس لن يتسع لها بلغوني، يا عزيزي، حتى لا أستعجل في إتمامها، بل أكتب شيئاً ما لأجل (صحيفة) «العصر الحديث» و«جريدة بطرسبورغ» كي أوفر لقمة العيش.

تأليف النتاجات الكبيرة أمر ممل وأصعب بكثير من القصص القصيرة. وسترون عندما تقرأون القصة كثرة الصعوبات التي تمكن دماغي غير المحنك أن يذللها.

وداعاً، وكونوا في موفور السعادة. احتراماتي لكل أفراد أسرتكم البشوشين. أعانقكم، لو سمحتم، وأظل دوماً المخلص لكم بصدق

تشيخوف

موسكو، شارع كودرينسكايا الدائري، عمارة كورنييف

(تعقيب رقم ١): في رسالة إلى ليونتيف - شيغلوف بتاريخ ٢٢ يناير ١٨٨٨ كتب تشيخوف يقول: «قصتي ستنشر في عدد مارس من «بشير الشمال». وهي غير مألوفة، إلا أن فيها بعض المواضع التي ترضيني. وما يزعجني كل الإزعاج هو خلوها من الغراميات. فالقصة من دون النساء كالقاطرة من دون بخار. على أية حال، لديّ نساء، ولكنهن لسن زوجات ولا عشيقات. في حين أنني لا أستطيع أن أعيش من دون النساء!!!»

(تعقيب رقم ٢): في رسالة أخرى إلى شيغلوف بتاريخ ٤ فبراير ١٨٨٨ كتب

تشيخوف يقول: «أنا بخير. أنهيت «ثمرة مارس» وأرسلتها إلى أليكسي بليشييف. لا تنتظروا شيئاً جيداً جداً، أو حتى مجرد جيد. سيَخيب ظنكم بأنطون، ذلك لأن أنطون، كما تيقنتُ الآن، لا يجيد كتابة المطولات».

٥٨. إلى أليكسي بليشييف

موسكو، ٢٣ يناير ١٨٨٨

عزيزي الغالي أليكسي نكولايفيتش. شكراً جزيلاً على رسالتكم الرقيقة الطيبة. وللأسف أنها لم تصلني قبل ثلاث ساعات من وصولها. تصوروا، استلمتها وأنا منكبّ على تحبير أقصوصة رديئة «الجريدة بطرسبورغ». فنظراً لقدوم موعد المدفوعات في الأول من الشهر ضعفت عزيمتي وعكفت على كتابة أقصوصة مستعجلة للجريدة. ولكنْ لا ضير في ذلك. فالأقصوصة («النعاس») أخذت من وقتي لا أكثر من نصف يوم. والآن أستطيع أن أواصل «السهب». في رسالتكم تقدير كريم لقصتي جعلني أخشى... أنكم تتوقعون مني شيئاً في منتهى الجودة. وهذا مجال واسع لخيبة الأمل! فأنا أخشى وأخاف أن تأتي «السهب» مبتسرة لا قيمة لها. أنا أكتبها بلا استعجال، كما يفعل متذوقو الأطعمة عندما يأكلون لحم الشنقب بتلذذ وتفهّم وتأنٍّ. وأقول صراحة إنني أعتصر من خلاصة روحي وأبذل قصارى جهدي لحد الغضب، لكنها رغم ذلك لا ترضيني، مع أن بعض المواضع جاءت بشكل «الشعر المنثور». أنا لم أتعود بعد على الكتابة المطولة، بل أنا كسول في هذا المضمار. لقد دللتني الكتابات القصيرة وأفسدتني.

سأفرغ من «السهب» في ١ - ٥ فبراير تحديداً، لا قبل ذلك الموعد ولا بعده. وسأبعثها على عنوانكم الشخصي، ذلك لأني، وأنا أبدأ العمل في المجلات السميكة، أريد أن أطلب منكم أن تكونوا عراباً لي. ولن تضطروا للذهاب إلى دائرة البريد خصيصاً، فسأبعث القصة بطرد توصيل غير مدفوع. وما عليكم إلا أن تدفعوا خمسة وعشرين روبلاً تكون ديناً في ذمتي. بالله عليكم سامحوني على الإزعاج. فلديكم كثير من الهموم حتى من دوني، وجئت أنا لأضيف إليها تفاهاتي، بل وأتطاول على خمسة وعشرين روبلاً من مالكم...

أوستروفسكي أعجبني جداً جداً. الحديث معه شيق، بل ومرح... ثم إنه يصلح أن يكون ناقداً. فلديه حس رهيف، وقراءات جمة، ويبدو أنه يحب الأدب كثيراً ويتحلى بالأصالة. وقد تلقفتُ بضعة تعابير وتعريفات أطلقها وتستحق أن تنشر بحذافيرها في الكتاب الدراسي «نظرية الأدب». سأزوره من كل بد حالما أفرغ من «السهب». وبعد أن تحدثت معه عن إجهاض مسرحيتي «إيفانوف» عرفت ثمن الرجال من أمثاله بالنسبة لإخوتنا الأدباء.

تسألونني رأيي في ليونتيف (شيغلوف)؟ إنه كائن بشري ودود، لطيف المعشر ومحبوب وموهوب. لكنه متجهم يميل إلى الاكتئاب. ولا بدّ من حفزه دوماً وتكويكه كالساعة... نحن نتراسل. وهو يسميني إيغمونت في رسائله، ولا أدري لماذا. وكي أرد الصاع صاعين صرت أسميه في رسائلي آلبا (من أبطال تراجيديا غوته «إيغمونت»).

سآتي إلى بطرسبورغ قبل الخريف، وفي الخريف أفر إلى أحد الأماكن الدافئة. فلنسافر معاً.

كل مجلاتنا السميكة يسودها جو الحزبية والمحسوبية الخانق الممل. لهذا السبب أنا لا أحب المجلات السميكة ولا يستهويني العمل فيها. الحزبية، وخصوصاً إذا كانت بليدة متحجرة، لا تحب الحرية وسعة نطاق التفكير.

وداعاً، يا عزيزي. أشكركم مجدداً. تحياتي لعائلتكم ولمعارفنا المشتركين. تعالوا إلينا في عيد المرافع لتناول الفطائر... واصطحبوا شيغلوف. أتمنى لكم موفور الصحة والسعادة.

المخلص أ. تشيخوف

٥٩. إلى أليكسي بليشييف

موسكو، ٣ فبراير ١٨٨٨

مرحباً عزيزي أليكسي نكولايفيتش! أكملت «السهب» وها أنا أبعثها إليكم. لم يكن هناك شيء فجاءت أشياء. كنت أريد كتابة ملزمتين أو ثلاثاً، فكتبت خمساً

بالتمام والكمال. أرهقتني، وتعذبت لعدم تعوّدي على تأليف المطولات. كتبت ببعض التوتر، وأشعر بأني حبّرت تفاهات ليست قليلة.

فلا مؤاخذة!!

حبكة «السهب» ليست مثيرة بقدر كبير. وإذا حظيت بأدنى درجة من النجاح فسوف أعتمدها أساساً لقصة أطول وأواصل كتابتها (تشيخوف لم يواصل «السهب» رغم نجاحها الباهر). وستجدون فيها أكثر من شخصية تستحق اهتماماً أكبر وتصويراً أوسع.

أثناء الكتابة صرت أتنسم عبق الصيف والسهوب حواليّ. حبذا لو سافرتُ إلى هناك!

عزيزي، لوجه اللّه، ارفعوا الكلفة ولا تتساهلوا معي. اكتبوا لي أن القصة عادية ورديئة إذا كانت كذلك فعلاً. فأنا شديد الرغبة في معرفة الحقيقة كما هي.

إذا كانت هيئة التحرير ترى القصة صالحة «لبشير الشمال» فسأكون مسروراً جداً لخدمتها وخدمة قرائها. حاولوا نشر «السهب» كاملة في عدد واحد من المجلة، فليس بالإمكان تجزئتها، وستقتنعون بذلك حينما تقرأونها. واتركوا لي عدة نسخ من التنضيد. أريد أن أرسلها إلى غريغوروفيتش وأوستروفسكي... بخصوص السلفة سبق أن تحدثنا في الموضوع. وأضيف هنا أن الأفضل أن أستلمها باكراً، لأنني نحيل هزيل مثل البرغوث في نكتة (راوي المنوعات) بافل وينبيرغ. وإذا سألت مديرة الدار عن مبلغ الأجرة قولوا لها إن القرار بيدها، لكنني، أنا العبد الخاطئ، أحلم في دخيلتي بمائتي روبلٍ للملزمة.

أرجو المعذرة عن الإزعاج، وقد يسعدني المصير، طالما نحن على قيد الحياة، أن أرد بالجميل على جميلكم! (...)

وداعاً. أتمنى لكم السعادة.

أنا الآن آخذ قسطاً من الراحة. غداً سأذهب إلى أوستروفسكي. تحياتي لعائلتكم ولشيغلوف

المخلص لكم روحياً والكاتب البادئ (في مجلتكم)

أنطون تشيخوف

«السهب» لا تشبه القصة كقصة، وإنما هي بمثابة دائرة معارف سهبية.

٦٠. إلى ألكسندر لازاريف - غروزينسكي (كاتب)

موسكو، ٤ فبراير ١٨٨٨

شكراً لكم، يا ألكسندر سيميونوفيتش الطيب، على رسالتكم. أنا أيضا بخير. أنهيت «السهب» يوم أمس وأرسلتها إلى «بشير الشمال». جاءت القصة، على ما أعتقد، بأكثر من خمس ملازم طباعية: ٢٠٠ × ٥ = ١٠٠٠ روبل.

لا بدّ للمرء أن يكون كاتباً عظيماً جداً ليكسب ألف روبل في شهر واحد. أليس كذلك؟

بذلت في تأليف «السهب» الكثير من عصارة الروح والطاقة والفوسفور. كتبتها بتوتر شديد وبجهد جهيد. استنفدت كل طاقاتي وتعرضت لإجهاد بشع. ولا أدري هل وفقت فيها أم لا. على أية حال إنها تحفة لا أستطيع أن أصوغ أفضل منها. ولذا فإن ما تقولونه للتخفيف عليّ في حال الفشل من أن «النتاجات لا تأتي موفقة أحياناً» لن يستطيع أن يخفف أحزاني. ومن المستبعد أن تصلح مفردتكم «أحياناً» للحالة التي أنا فيها: أول محاولة (لكتابة قصة مطولة) واستهلاك طاقات كبيرة وتوتر شديد إلى جانب الحبكة الجيدة. وإذا كنت قد كتبت في مثل هذه الملابسات قصة رديئة فسأكتب أسوأ منها في ظروف أسوأ.

أجل، يا أبتي! لا يزال أمامكم مستقبل /بعامين أو ثلاثة/ ، فيما أعاني أنا من أزمة. فإذا لم أستلم المكافأة الآن أهوي بالخط الهابط. وأنتم تهدئون خاطري بمفردة «أحياناً»! عندما ستشارفون الموت سأكتب لكم: «الناس يموتون أحياناً»، وعندما تنفقون كل ما تملكون وتبدأون بشيء ما سأكتب لكم: «البادئون يخفقون أحياناً». وسيكون ذلك عزاءً لكم وسلوى.

أسمع من ليكين وبيليبين صمتاً كصمت القبور. صمت الأول ينطوي على شر مستطير. نعيب البوم أهون عليّ من صمت دبلوماسيين محنكين مثل ليكين. أتوقع بهلع شديد حماقة كبرى أو نميمة مؤذية. أتمنى لكم الصحة والعافية.

المخلص أ. تشيخوف

٦١. إلى أليكسي بليشييف

موسكو، ٥ فبراير ١٨٨٨

شكراً جزيلاً، عزيزي أليكسي نكولايفيتش! استلمت أمس ٧٥ روبلاً (معونة من الصندوق الأدبي) وأوصلتها إلى بوتياتا. جاء المبلغ في الوقت المناسب، ذلك لأن بوتياتا طريح الفراش، ومع ذلك يسير بخطى واسعة متسارعة إلى القبر.

هل استلمتم قصتي «السهب»؟ هل رفضت أم قبلت في محراب «بشير الشمال»؟ بعثتها لكم أمس ليس في إرسالية كما كنت أريد سابقاً، بل في طرد مسجل، لتصل في وقت أسرع. فهل تأخرتُ عليكم؟

أتعطش لقراءة قصة كورولينكو («في الطريق»، نشرت في عدد فبراير من «بشير الشمال»). فهو أحب كاتب إليّ من بين الكتّاب المعاصرين. ألوانه غامقة وزاهرة، ولغته رفيعة المستوى لا شائبة فيها، ونماذجه البشرية نبيلة. كما أن ليونتيف كاتب جيد... وهو ليس بجسارة كورولينكو وجمال لغته، إلا أنه أكثر دفئاً منه وأكثر استسلاماً وأنوثة. ولكن،/ واللّه كريم!/ لماذا يتخصصان، كلاهما؟ الأول لا يفارق سجناءه، والثاني يطعم قراءه على حساب ضباط الصف وحدهم... أنا أعترف بالتخصص في الفن، كنوع فني، برسم المناظر، بالتاريخ، وأتفهم اهتمام الممثل المسرحي بأدوار معينة، كما أفهم مدرسة الملحن أو العازف الموسيقي، ولكنني لا أستطيع قبول تخصصات مثل السجناء والضباط والقساوسة... فتلك ليست تخصصات وإنما هي ولع وتعلق. عندكم في بطرسبورغ لا يحبون كورولينكو، وعندنا (في موسكو) لا يقرأون شيغلوف، لكنني واثق تماماً من مستقبلهما. آه، يا ليتنا نمتلك نقداً أدبياً صالحاً!

عيد المرافع وشيك. وقد وعدتموني تقريباً بالمجيء. أنتظركم.

اليوم حفل تكريم دافيدوف. وهو يخرج «البرجوازي النبيل» (كوميديا موليير). سيكون الجو خانقاً، مكتظاً، صاخباً. بعد التمثيلية سينتابني السعال طول الليل. لم أعد أتردد على المسارح.

إذا لم ترفض «بشير الشمال» قصتي «السهب» أخبروهم إن أمكن أن يبعثوا لي المجلة. فبودّي أن أقرأ فيها قصة كورولينكو «في الطريق».

لعلّي أثقلت عليكم برسائلي.

إلى اللقاء. تحياتي لأسرتكم جمعاء.

المخلص لكم روحياً

أ. تشيخوف

٦٢. إلى دميتري غريغوروفيتش

موسكو، ٥ فبراير ١٨٨٨

العزيز دميتري فاسيليفيتش!

قبل ثلاثة أيام أنجزت قصتي «السهب» التي كتبت لكم عنها، وأرسلتها إلى مجلة «بشير الشمال». جاءت القصة في حوالي خمس ملازم طباعية، وربما أكثر. وإذا لم يرفضوها فستنشر في عدد مارس. وسأرسل إليكم نسخة تنضيد. كتبت إلى هيئة تحرير المجلة بهذا الخصوص.

أنا أعرف أن غوغول في السموات مستاء مني. فهو مالك السهوب في أدبنا. وقد ولجتُ مملكته بحسن نية. ولكني كتبت عنها الكثير من السفاسف. لقد أخفقتُ في ثلاثة أرباع القصة.

في حوالي العاشر من يناير بعثت لكم رسالتين، إحداهما مني والأخرى من ف. دافيدوف. فهل استلمتموهما؟ والحال أني كتبت في رسالتي عن حبكتكم - انتحار صبي في السابعة عشرة من العمر. وقد قمت بمحاولة خجولة للاستفادة منها في قصتي «السهب». فأنا أقود عبر كل الفصول الثمانية صبياً في التاسعة من العمر يجد نفسه لاحقاً في بطرسبورغ أو موسكو ويلقى نهاية مؤسفة. وإذا كانت «السهب» ستحظى ولو بأدنى قدر من النجاح فسأواصل كتابتها. وقد تعمدتُ في تأليفها على نحو يخلق انطباعاً بأنها نتاج غير مكتمل. وهي، كما سترون، أشبه بجزء أول لقصة مطولة. وفيما يخص الصبي ولماذا صورته على هذه الصورة سأحدثكم عندما تقرأون القصة.

لا أدري هل فهمتكم أم لا. انتحار صبيكم الروسي ظاهرة خصوصية لا تعرفها أوروبا. كل طاقات الفنان يجب أن توجه إلى قوتين مؤثرتين: الإنسان والطبيعة. من جهة ثمة الضعف البدني والتوتر العصبي والبلوغ الجنسي المبكر والتعطش الشديد

إلى الحياة وإلى الحقيقة، وتمني ممارسة نشاط واسع سعة السهوب والتحليل المتمحص وقلة المعارف إلى جانب تحليق الفكر البعيد. ومن الجهة الأخرى السهول المترامية الأطراف والطقس القاسي والشعب الجاهل المتشدد بتاريخه الثقيل البارد والغزو التتري وأخلاقيات الموظفين والفقر والجهالة ورطوبة العواصم والخمول السلافي وما إلى ذلك. الحياة الروسية تضرب الروسي حتى الرمق الأخير، وتنهال عليه كصخرة يفوق وزنها التقدير. الناس في أوروبا الغربية يموتون لضيق العيش الخانق، فيما يموتون عندنا لسعة العيش ورحابته... الرحاب مترامية الأطراف لدرجة أن الإنسان الصغير لا يهتدي فيها إلى سواء السبيل. لا تكفيه قواه...

هذا ما أفكر فيه عندما أفكر في المنتحرين الروس...

فهل فهمتُ رأيكم بالشكل الصحيح؟ على فكرة، الكلام عن ذلك في رسالة متعذر، لضيق المجال. والمهم أن تشتروا لفيفة سجائر أفضل. فاللفائف بلا تبغ يصادف أن تحتوي سموماً أكثر من سموم التبغ نفسه. إلى اللقاء! أتمنى لكم موفور الصحة والبهجة والسعادة.

المخلص لكم بصدق

أنط. تشيخوف

٦٣. إلى أليكسي بليشييف

موسكو، ٩ فبراير ١٨٨٨

عزيزي أليكسي نكولايفيتش! وصلتني الآن من مكتب يونكر ٥٠٠ روبل، أظنها حوالة من «بشير الشمال»، فليس لدي مصدر آخر يمكن أن أستلم منه. شكراً.

رسالتكم الأخيرة أفرحتني وشجعتني إلى أبعد الحدود (بليشييف امتدح «السهب»). أنا مستعد أن أمتنع عن شرب الخمرة والتدخين مدى الحياة بشرط أن أستلم مثل هذه الرسائل. إلا أن الرسالة ما قبل الأخيرة التي أجبتكم عليها ببرقية ثبطت عزيمتي (أفاد بليشييف أن من الصعب على هيئة تحرير المجلة دفع الأجرة

التي يطلبها تشيخوف). فقد أربكني وأخجلني أني دفعتكم إلى الكلام عن الأجرة. أنا بحاجة ماسة إلى النقود، لكنني لم أعد أستطيع الكلام عنها، وخصوصاً مع أناس طيبين. فلتذهب إلى الشيطان. وأشعر بالأسف لأنني لم أكن واضحاً في الموضع الذي قلت فيه في رسالتي إني أعول في الأمور المالية على حسن نية الناشرة وإنني أحلم باستلام ٢٠٠ روبل للملزمة. فأنا لم أقصد المطالبة ولم أقدم شروطاً، ناهيك عن الإنذار. وإذا كنت قد أشرت إلى المائتي روبل بين هلالين فذلك لأنني غير مطلع على الأجور والمكافآت في المجلات السميكة ولم أكن أعتبر المبلغ المذكور كبيراً جداً. لقد استعنت بمعايير «العصر الحديث»، أي أنني حاولت في تقييم «السهب» أن أتقاضى لا أكثر ولا أقل مما يدفعه لي سوفورين /١٥ كوبيكاً للسطر الواحد/، معاذ الله أن أفكر في إنذار. أنا دوماً آخذ فقط ما يعطونني. فلو أعطتني «بشير الشمال» ٥٠٠ روبل على الملزمة آخذها، ولو أعطتني ٥٠ آخذها أيضاً.

في مقابل وعدكم بنشر «السهب» بكاملها من دون تجزئة وإرسال عدد المجلة إليّ أعدكم بأن أسقيكم من نبيذ الدون الرائع عندما نقوم بجولة على الفولغا في الصيف (جولة تشيخوف وكورولينكو وبليشييف لم تتحقق). ومن سوء الحظ أن كورولينكو لا يتعاطى الكحول، في حين أن عدم الشرب في الطريق على ضوء القمر حيث تلوح التماسيح من تحت الماء أمر غير مريح شأنه شأن عدم إجادة القراءة. الخمرة والموسيقى بالنسبة لي دوماً مفتاح السرور. عندما تطبق سدادة على قلبي ودماغي في الطريق يكفيني أن أحتسي قدحاً من النبيذ حتى أشعر بوجود جناحين لدي وبغياب السدادة.

غداً سيأتيني كورولينكو، كما تعلمون. نفس كلها طيبة. وللأسف أن الرقابة نهشت قصته «في الطريق». إنها /القصة وليس الرقابة/ فنية ولكنها منهوشة بشكل ملحوظ. لماذا بعثها إلى مجلة خاضعة للرقابة ؟ ثم لماذا وصفها بالقصة الكنسية؟

أنا أسارع لكتابة أقصوصة، وليست بي رغبة للشروع بعمل مطوّل. يا ليتكم تعلمون أية حبكة روائية تقبع في جمجمتي! وأي نساء رائعات! وأي مآتم وأي حفلات زفاف! لو كانت لدي نقود لفررت إلى القرم ولجلست تحت السرو وكتبت رواية في شهر أو شهرين. تصوروا، لدي ثلاث ملازم جاهزة! الحقيقة أنا أكذب. لو كانت لدي نقود لغرقت في مشاغل تجعل كل الروايات تنقلب رأساً على عقب.

عندما أكتب الجزء الأول من الرواية أبعثه إليكم شخصياً لقراءته، (بليشييف قرأ

الفصول الثلاثة الأولى من الرواية المذكورة وأعرب عن أسفه لأن تشيخوف لم يكمل كتابتها) ولكن ليس إلى «بشير الشمال»، ذلك لأن روايتي لا تصلح لمجلة خاضعة للرقابة. أنا طمّاع، أحب في كتاباتي كثرة الشخوص، ولذا ستأتي روايتي مطولة. زد على ذلك أن الأشخاص الذين أصورهم أحباء وأعزاء عليّ. والمرء يحب أن يبقى طويلاً مع من يعزه.

(...) (...)

غداً أحضر حفل زفاف خياط ينظم الشعر بمستوى لا بأس به (هو الشاعر إي. بيلوأوسوف)، وقد أصلح سترتي احتراماً لموهبتي / بقصد التكريم/ (في الأصل باللاتينية).

لقد أثقلت عليكم بالهذر، ولذا أختتم رسالتي متمنياً لكم موفور الصحة. وأتمنى لدائنيكم أن يذهبوا إلى سقر وبئس المصير... إنهم قوم لجوجون، أسوأ من البعوض.

المخلص من صميم القلب

أ. تشيخوف

٦٤. إلى ميخائيل تشيخوف

بطرسبورغ، ١٥ مارس ١٨٨٨

أكتب لك هذه الرسالة من مقر هيئة تحرير «العصر الحديث». دخل عليّ قبل قليل ليسكوف. وإذا لم يشاغلني فسأكمل الرسالة.

وصلت (إلى بطرسبورغ) بالسلامة. لكنني لم أشعر بالراحة في الطريق بسبب ليكين. أعاقني عن القراءة والأكل والنوم... كان، اللعين، يتباهى طول الوقت ويلح عليّ بأسئلته. حالما أغفو يمس قدمي متسائلاً:

٤) هل تعلم أن قصتي «خطيبة المسيح» ترجمت إلى اللغة الإيطالية؟

نزلت في فندق «موسكو»، لكنني سأنتقل اليوم إلى مقر «العصر الحديث»، حيث هيأت لي مدام سوفورينا غرفتين مع بيانو وأريكة ذات متكأ. الإقامة عند سوفورين ستضايقني كثيراً.

سلّمتُ البقسماط إلى ألكسندر. عائلته بخير. شبعانة وترتدي ثياباً نظيفة. أما هو فلا يتعاطى الكحول مطلقاً، الأمر الذي أدهشني كثيراً.

الثلج يتساقط والجو بارد. وحيثما توجهتُ أسمع كلاماً عن قصتي «السهب». زرت بليشييف وشيغلوف وآخرين. هذا المساء سأزور بولونسكي.

انتقلت إلى المسكن الجديد. بيانو وأرغن- هارمونيوم وأريكة ذات متكأ وخادم اسمه فاسيلي وسرير ومدفأة جدارية ومكتب رائع. تلك هي أسباب الراحة. أما أسباب الإزعاج والانزعاج فلا عد لها ولا حصر. أولها، على سبيل المثال، أنني محروم من إمكانية المجيء إلى البيت في حالة سكر أو مع شلة من الأصدقاء...

قبل الغداء حديث طويل مع مدام سوفورينا عن كراهيتها للنوع البشري وعن البلوزة التي اشترتها اليوم بـ ١٢٠ روبلاً. وأثناء الغداء حديث عن الصداع، علماً بأن الصغار لا يحيدون بأبصارهم عني وينتظرون مني أن أقول شيئاً ذكياً خارقاً للعادة. وهم يعتقدون أنني عبقري لأنني كتبت قصة عن الكلبة «كاشتانكا». عند عائلة سوفورين كلبان اسم الأول فيودور تيموفييتش واسم الثاني إيفان إيفانيتش وكلبة اسمها العمة.

الفترة بعد الغداء وحتى احتساء الشاي نقضيها بالمشي في مكتب سوفورين وبالفلسفة. وتتدخل زوجته في الحديث عشوائياً فتتكلم بصوت ذكوري جهوري أو تقلد نباح كلب.

ها هو الشاي. نحتسيه ونتكلم عن الطب. وأخيراً أنا حر طليق. أجلس في مكتبي ولا أسمع أصواتاً. غداً سأفر طول النهار: أزور بليشييف في مجلة السيدة ساباشنيكوفا («بشير الشمال»)، ثم أزور بولونسكي وأذهب إلى (مطعم) بالكين، وأعود في ساعة متأخرة من الليل متعباً مهدوداً. على فكرة، لدي مرحاض خصوصي وباب إضافي للخروج. فمن بدون ذلك تغدو الحياة موتاً لا ريب فيه. خادمي فاسيلي يرتدي ثياباً أكثر لياقة من ثيابي. وهو بمحيا نبيل، وأستغرب لأنه يحوم حولي طائعاً ويمشي على أطراف أصابعه ويحاول أن يحزر رغباتي واحتياجاتي.

عموماً أن تكون أديباً ليس بالأمر المريح.

أريد أن أنام، بينما أهل البيت لا ينامون قبل الثالثة. وهم لا يتناولون طعام العشاء. وأنا أتوانى في الذهاب إلى المطعم.

يطيب لي أن أبعث تحياتي إلى الجميع. أتواني في الكتابة، وهم يشوشون عليّ.

المخلص أ. تشيخوف

(في الأصل بفرنسية ركيكة)

حل الليل، وأنا أسمع تصادم كريات البليارد. غَيمان (مترجم في «العصر الحديث») يلعب مع خادمي فاسيلي. عندما اقتربت من سريري وجدت قدحاً من اللبن مع قطعة خبز. أشعر بالجوع. رقدت وأخذت أطالع تقويم «اليعسوب». هذا كل ما استطعت أن أحققه من أمور ذكية وعظيمة منذ وصلت إلى سانت بطرسبورغ.

٦٥. إلى يعقوب بولونسكي

موسكو، ٢٥ مارس ١٨٨٨

اسمحوا لي أن أقدم اعتذاري، يا يعقوب بتروفيتش المحترم. وأرجوكم أن تقبلوا توبتي وتغفروا لي خطاياي. أنا مذنب بحقكم، أولاً، لأنني لم أفِ بوعدي ولم أحضر أمسية الجمعة (الأدبية) عندكم. ولكنني تلقيت العقاب. ذلك لأن جريرتي نفسها تنطوي على العقوبة. فقد حرمت من لذة مشاهدة أمسياتكم والتعرف شخصياً على عائلتكم التي أعرفها وأحترمها من زمان. ما يعني أنني لم أحصل على ما جئت من أجله إلى بطرسبورغ. لقد شعرت بوعكة يوم الجمعة طول الوقت ولم أغادر المنزل. عائلة سوفورين شاهدة على ما أقول... ثانياً - أنا مذنب بحقكم أيضاً كلص من اللصوص. قمت بالنهب والسلب في وضح النهار. فقد استفدت من تذكرتكم وأخذت من مكتبة غارشين جميع مؤلفاتكم، بينما سمحتم لي أن آخذ فقط الكتب النثرية التي تعوزني. نعم، أخذت الكتب النثرية والدواوين الشعرية. ويقع الذنب جزئياً على يكاترينا غارشينا (والدة الكاتب فسيفولود غارشين) التي جلستُ معها ساعة كاملة واتضح أننا من منطقة واحدة (في أوكرانيا). فهي لم تفهم التذكرة وحزّمت لي جميع كتبكم ما عدا رواية «التلال المنحدرة» وبعض الأقاصيص. ولم أعرف بالأضرار التي ألحقتُها بكم إلا بعد وصولي إلى البيت. ولذا فأنا مدين لكم.

بعد إعلان التوبة لديّ رجاء إليكم. أنا أصدر مجموعة قصصية جديدة لي. ومن ضمنها قصة «السعادة» التي أعتبرها أفضل قصة بين جميع قصصي. اسمحوا لي، رجاءً، أن أهديها لكم وستتفضلون بذلك كثيراً على إلهة الإلهام التي ترعاني. القصة تصور السهب: في المشهد أرض منبسطة وليل وفجر باهت في المشرق وقطيع خراف وثلاثة أشخاص يتجادلون في موضوع السعادة. أنا في انتظار موافقتكم.

استأجرت منزلاً صيفياً في ضواحي مدينة سومي على نهر بسيول. المكان شاعري مفعم بالدفء ومكسو بالغابات، يسكنه الخوخول (الأوكرانيون) والأسماك والسرطان (أبو جنيب). على مقربة منه بولتافا وأختيركا وغيرهما من المناطق الأوكرانية الشهيرة. وواضح أنني مستعد للغالي والنفيس كي أرتاح لدعوتكم إلى الجنوب، مع إلهة الإلهام التي ترعاكم، فنتجول في ربوع خوخلاند (أوكرانيا) من نهر الدون حتى نهر الدنيبر.

عندما تمرون بموسكو اسمحوا لي أن ألتقيكم. أما الآن فيطيب لي أن أتمنى لكم المزيد من النقود وموفور الصحة والسعادة. كونوا على ثقة بصدق مشاعر المخلص الذي يحترمكم

أ. تشيخوف

(تعقيب): في رسالة إلى أليكسي بليشييف بتاريخ ٣١ مارس ١٨٨٨ كتب تشيخوف يقول: «استأجرت منزلاً صيفياً في ضيعة على نهر بسيول / المتفرع عن نهر الدنيبر/ في قضاء سومي ليس بعيداً عن بولتافا وعن المدائن الصغيرة المريحة والقذرة التي كان نوزدروف يشتاط غضباً فيها («النفوس الميتة» لغوغول) وكان «إيفان إيفانيتش يتشاجر مع إيفان نكيفوروفيتش» (في قصة غوغول بهذا العنوان). قبل ثلاثة أيام بعثت إلى هناك مقدم مبلغ الإيجار. بسيول نهر عميق وعريض يعج بالأسماك والسرطان. وبالإضافة إلى النهر ثمة، في منزلي الصيفي، بركة منفصلة عن النهر بسد، وفيها صغار السمك. المنزل واقع أسفل جبل تكسوه البساتين. والغابات هناك في كل مكان. والحسناوات بلا حساب».

٦٦. إلى كازيمير بارانتسيفيتش (كاتب)

موسكو، ٣٠ مارس ١٨٨٨

العزيز الطيب كازيمير ستانيسلافوفيتش!

(. . .)

في ما يخص الكتاب المكرس لـ«ذكرى غارشين» يطيب لي أن أشد على يدكم وأعبّر عن شكري لكم. فكرتكم (عن تغطية كلفة نصب شاهد قبر الكاتب الكبير) تستحق المشاطرة والتقدير لسبب واحد على الأقل هو أن مثل هذه الأفكار تغدو، بالإضافة إلى هدفها المباشر، وسيلة لتثبيت التواصل فيما بين أسرة الأدباء القليلة العدد والمفككة والتي يعيش أفرادها في عزلة بعضهم عن بعض. وكلما ترسخ التلاحم والتآزر يتسارع تعلمنا احترام وتقدير بعضنا لبعض وتتزايد مصداقية علاقاتنا. السعادة في المستقبل لا تنتظرنا جميعنا. ولا حاجة بالمرء أن يكون نبياً ليقول إن المصائب والآلام ستكون أكثر من هدوء البال والمال. ولذا ينبغي لنا أن نتكاتف ليسند أحدنا الآخر، ولذا أنا معجب بفكرتكم وبرسالتكم الأخيرة التي عبّرتم فيها عن مدى حبكم لغارشين.

سأشارك حتماً في الكتاب، وأرجوكم أن تبلغوني بآخر موعد لإرسال المساهمة، وهل ستضم المجموعة قصصاً منشورة سابقاً؟ حبذا لو جاء الجواب على السؤال الثاني بالإيجاب، لأن يدي لم تعد تطاوعني وقد فقدتُ القدرة على كتابة القصص القصيرة /ولا أدري إلى متى؟/ (أجاب بارانتسيفيتش بأنهم سينشرون أي شيء يبعثه تشيخوف سواءٌ كان منشوراً في السابق أم لا). ولربما سأكتب أقصوصة، لكنني أنبّه مسبقاً (من غير تواضع)، أنها ستأتي رديئة فارغة، مهما بدا ذلك غريباً للوهلة الأولى.

إذا أدرجتم في المجموعة كتابات منشورة سابقاً لن يقل شأنها. فكل أديب سيختار أفضل ما كتب.

حجم الكتاب في ١٠ - ١٥ ملزمة قليل. اطبعوا ٢٠ ملزمة. هل فاتحتم كورولينكو؟ إذا لم تكونوا كتبتم له بلغوني وسأكتب له بنفسي.

أتمنى لكم موفور الصحة والتوفيق.

المخلص أ. تشيخوف

٦٧. إلى أليكسي سوفورين

موسكو، ٣ أبريل ١٨٨٨

أليكسي سرغييفيتش المحترم

كتابي («قصص» صدر عن مطبعة سوفورين)، كما قلتم لأخي وكتب هو لي، يكون أغلى بمقدار الضعف تقريباً إذا طبع على ورق جيد. ذلك شيء لا بأس به لو كنت واثقاً من أن الطبعة ليست مكلفة، وطالما أنا لست واثقاً من ذلك فلنعمل بالأسلوب القديم، أي نطبع الكتاب على ورق رخيص. فلا أهمية لذلك. وطالما هناك حاجة إلى جعل الكتاب سميكاً سأوافيكم بنصوص إضافية، وما أكثر النصوص في حقيبتي! أما أمنية إصدار طبعة أنيقة فسأحققها في إصدار «كاشتانكا» (قصة تشيخوف عن كلبة هذا اسمها، ويعني الكستناء). وإذا كانت رسومها جيدة (للرسام أ. ستيبانوف) والطبعة أنيقة لن أشعر بالأسف على الخسارة المادية.

أشكركم على كرامسكوي الذي أقرأه الآن (سيرة الرسام الشهير إيفان كرامسكوي). ما أذكاه. لو كان كاتباً لكتب حتماً بإسهاب وأصالة وصدق. وأنا آسف لأنه لم يكن كاتباً. أدباؤنا ومسرحيونا يحبون تصوير الرسامين في مؤلفاتهم، وأنا أرى الآن من خلال قراءتي لكرامسكوي أنهم وجمهورهم لا يعرفون إلا القليل وبشكل سيّئ عن هذا الرسام الروسي. ولا أعتقد أن كرامسكوي هو الوحيد، ففي عالم الرسامين من أمثال ريبين وباكلانوفيتش هناك الكثير من الشخصيات الرائعة.

أعتقد أن في ملاحق هذا الكتاب فراغاً قد يبدو جوهرياً بالنسبة للكثيرين. فهي تخلو من التقرير الذي تلاه (الطبيب) سرغي بوتكين في الجمعية الطبية عن مرض كرامسكوي ووفاته.

أشكر فكتور بتروفيتش (بورينين) على مقالته عن (فسيفولود) غارشين. يقال إن غارشين كان يحلم بكتابة رواية تاريخية، ولعله شرع بتأليفها. والمثير أنه كان يعلم قبل أسبوع من وفاته بأنه سيسقط من السلم وتهيأ لهذه النهاية. تلك حياة لا تطاق. والسلم رهيب فظيع. رأيته بنفسي، مظلم وقذر...

من بين أدباء الآونة الأخيرة أقيم وزناً فقط للكتّاب غارشين وكورولينكو وشيغلوف وماسلوف. فهم أناس طيبون للغاية وليسوا ضيقي الأفق. ياسينسكي كاتب غامض /إما كناس نزيه وإما نصاب ذكي/. ألبوف وبارانتسيفيتش يراقبان

الحياة في الدهاليز المظلمة وفي مجاري دورات المياه. أما الباقون فيفتقرون إلى الموهبة وقد دسوا أنوفهم في الأدب لمجرد أنه يمثل مجالاً رحباً للتزلف والكسب اليسير والكسل.

(. . .) اسمحوا لي أن أشكركم مرة أخرى على حسن الضيافة والوفادة. والله ما كنت أريد أن أغادركم. أتمنى لكم كل خير. المخلص حقاً

أ. تشيخوف

٦٨. إلى إيفان ليونتيف – شيغلوف

سومي، ٩ يونيو ١٨٨٨
ضيعة لينتفاريفا

تحياتي إليكم، يا كاتبي المسرحي العزيز، مع تحيات الجد أليكسي بليشييف الذي حل ضيفاً عليّ منذ شهر. كلانا نقرأ الصحف ونتابع نجاحاتكم (عرض مسرحيتين موفقتين لشيغلوف في بطرسبورغ). أنا مسرور وأغبطكم، مع أنني أكرهكم لأن نجاحكم يمنعكم من المجيء إليّ في الضيعة على نهر بسيول. بالطبع مسألة الأذواق غير خاضعة للنقاش. لكلٍّ ذوقه. إلا أن العيش على النهر المذكور من دون ممارسة أي عمل، إنما يريح النفس أكثر بكثير من العمل ومن النجاح فيه. معاشرة إلهات الإلهام لذيذة في فصل الشتاء فقط.

أنتم، بلا ريب، إنسان موهوب، أديب محنك في أعاصير المعترك، فطين حاضر البديهة، غير مثقل بالأفكار والمنظومات المتحيزة. ولذا ربما تكونون على يقين بأن مخبز مسرحياتكم يعطي رغيفاً كبير الشأن. أباركم بكلتا يدي، وأبعث إليكم ألفاً مؤلفاً من الأمنيات القلبية. تريدون أن تكرسوا حياتكم بالكامل للمسرح. هذا شيء جيد يستحق بذل الجهود. فجلد الشاة صالح للدباغة، واللعبة تبرر كلفة الشموع (كما تقول الأمثال السائرة) ولكن. . . هل تكفيكم قواكم؟ لا بدّ من توفر طاقات عصبية كثيرة وإصرار دؤوب لتحمّل أعباء المدون المسرحي الروسي. وأخشى أن تنهدّ قواكم قبل أن تبلغوا سن الأربعين. فلدى كل مسرحي / محترف،

كما تريدون أن تكونوا/ ثمة ٨ محاولات فاشلة من كل عشر مسرحيات يؤلفها. ويتعرض كل مؤلف مسرحي لفشل يستمر أحياناً سنوات، فهل لديكم القوى الكافية للتحمل؟ أنتم تميلون، بسبب توتر الأعصاب، إلى استخدام أصغر ذريعة للتبرير، وسيسبب أدنى إخفاق ألماً لكم، وهذا شيء لا يصلح للمسرحي. ولذلك أخشى أن تتحولوا إلى مسرحي بطرسبورغي، وليس مسرحياً روسياً. ولا يستطيع أن يكتب للمسرح ويحظى بالنجاح في عموم روسيا إلا من يتواجد في بطرسبورغ بصفة ضيف وقتي ويتابع الحياة فيها ليس من على جسر توجكوف. ينبغي لكم أن تغادروا، ولكنكم، على ما يبدو، لا تتجرأون على مفارقة التندرا و(جدتكم العجوز) البارونة في زمن ما. كتبتم (مسرحية) «في جبال القوقاز» لأنكم كنتم في القوقاز، وألفتم مسرحيات في مواضيع عسكرية بفضل تجولكم في ربوع روسيا. أما بطرسبورغ فلم تعطكم سوى مسرحية «زوج لفصل الصيف»... وإذا قلتم إن مسرحية «تشابك الملابسات» هي أيضاً ثمرة التأمل في حياة بطرسبورغ لن أصدقكم. أكتبُ هذا الكلام لقصد شرير هو أن أستهويكم للمجيء إليّ ولو لدقيقة. تعالوا! أعدكم بدزينة من الحبكات ومائة من النماذج البشرية.

بخصوص قصتي «النيران» أسمح لنفسي أن لا أوافقكم الرأي. ليس من شأن المحلل النفساني أن يفهم ما لا يفهمه، ناهيك عن أن يتظاهر بأنه يفهم ما لا يفهمه أحد. فنحن لن نتحايل ولن نعلن صراحة بأن الأمور غير مفهومة عموماً على وجه البسيطة. فلا يعرف كل شيء ولا يفهم كل الأشياء إلا الحمقى والنصابون. على أية حال أتمنى لكم موفور الصحة والسعادة. اكتبوا لي، يا عزيزي، لا تبخلوا عليّ. بدأت أتعود على خط يدكم وأفقه فيه تماماً.

المخلص أغمونت

صدر كتابي (مجموعة «قصص»، بطرسبورغ، ١٨٨٨). إذا لم يسلمكم أخي نسخة منه ذكّروه. ويمكن أن تلتقيا.

لا تستنكفوا من كتابة مسرحيات الفصل الواحد (فوديفيل). اكتبوها بالدزينات. الفوديفيل تمثيلية جيدة. كل المدن الهامشية تقتات عليها.

٦٩. إلى أليكسي بليشييف

سومي، ١٢ يونيو ١٨٨٨

أولاً، يا عزيزي الغالي أليكسي نكولايفيتش، أشكركم من صميم القلب على زيارتكم لي. وأقول صادقاً إن الأسابيع الثلاثة التي أمضيتها في لوكا (من ضواحي سومي) بحضوركم البالغ الأهمية تشكل إحدى أفضل الصفحات الممتعة في حياتي. ثانياً - لا يمكنكم أن تتصوروا مدى أسفي على رحيلكم وكيف استولى الحزن والاكتئاب علينا جميعاً عندما ودعناكم في القطار. النساء حاولن مغالبة الدموع، وأنا عاهدت السموات ذهنياً بأن أجتذبكم في العام القادم أيضاً إلى أرض الميعاد هذه.

ما إن غادرتم حتى عدنا إلى مبنى المحطة واحتسينا قارورة أخرى من شراب العنب المخمّر نخب صحتكم. وبعد أن سكرنا أبرقنا إليكم، ولم ندرك أن البرقية ستزعجكم إلا بعد مرور ساعتين أو ثلاث. أظن أنها أيقظتكم.

في طريق العودة من (مدينة) فوروجبا إلى البيت ركبنا قطار الدرجة الثالثة في صخب وضجيج، واستمعنا إلى الخوخول يغنون في العربة. وفي البيت شربنا من جديد نخب صحتكم وأوينا إلى النوم تخيم علينا فكرة حزينة: لن نراكم غداً بين ظهرانينا. حتى «الرقابة» (نعت إحدى صديقات صاحبة الضيعة) شربت. أفلا يعني ذلك شيئاً؟

اليوم موعد التسوق العام في بازار سومي. إشتريت صفّارتين و٨ ملاعق لا لزوم لها و٤ أقداح تفوح منها رائحة الطلاء وقرطاً بـ ١٠ كوبيكات، أهديته لرفيقة محترمة (مالكة الضيعة). كما اشتريت حافظة سجائر عليها نقش فتاة بـ ١٥ كوبيكاً.

استأجرنا أربعة جياد نستقلها غداً في السفر إلى (ضيعة الإقطاعي) سماغين وإلى بلدة سوروتشينتسي (المرتبطة باسم غوغول). وسأكتب لكم رسالة من منزل سماغين.

كل أفراد عائلتي تشيخوف ولينتافريفا يحيونكم. الخنفس الجميل وباربوس الطيب القلب وبولكا المتأنقة وروزكا المتسامحة (كلاب الضيعة) على قيد الحياة، وكالسابق تنهش آذان الخنازير وتقتحم علينا غرفة الطعام.

أرتيومينكو اصطاد شبوطاً اليوم. وأنا وجدت في المصيدة ٦ سميكات.

سنستقل غداً مركبة الأجداد الضخمة التي ورثتها عائلة لينتافريفا (. . .).

أتمنى لكم الصحة والسعادة وهدوء البال. فلا تنسونا نحن الآثمين المثقلين بالخطايا.

تحياتي لعائلتكم فرداً فرداً.

أنا ماضٍ للنوم.

الليل رائع، ولا سحابة في السماء. والقمر ينير في إطلالته جميع الأنحاء.

المخلص أ. تشيخوف

٧٠. إلى إيفان ليونتيف - شيغلوف

فيودوسيا، ١٨ يوليو ١٨٨٨

أكتب لكم، يا عزيزي الكابتن، من سواحل البحر الأسود. أقيم في فيودوسيا، عند الجنرال سوفورين. الحر لا يطاق، والرياح جافة لاسعة كالسياط. نستغيث ولا من مغيث. فيودوسيا خالية من الأعشاب والأشجار. ولا ملاذ. ليس ثمة سوى السباحة. وأنا أسبح. البحر رائع، أزرق ورقيق كشعر بنت عذراء. يمكن العيش على الساحل ألف عام من دون شعور بالملل.

نقضي الأيام في الكلام. ليل نهار. وبالتدريج أتحول إلى آلة حاكية. نجحنا في حل كل المسائل، ورسمنا كماً هائلاً آخر منها لم يتطرق إليه أحد قبلنا. نحن نتكلم ونتكلم، ولربما سننتهي إلى الموت من التهاب اللسان والأوتار الصوتية. الجلوس مع سوفورين والتزام الصمت ليس بالأمر اليسير، كما لو كنت جالساً في مطعم بالكين ولا تشرب. حقاً، سوفورين يجسد الإحساس المرهف بكل معنى الكلمة. إنه إنسان كبير. في الفن يصور نفسه وكأنه كلب الصيد الشاطر يطارد طيور الجهلول، أي أنه يعمل بحدس خارق غير مألوف. وفي كل الأحوال يلتهب حماساً. إنه نظري ضعيف، لم يدرس العلوم، ولا يعرف الكثير. فهو عصامي في كل شيء. وهذا هو سبب نقائه وتكامله كالكلب الأصيل، وهذا هو سبب استقلاليته في الرأي. ولما كان يفتقر إلى النظريات تطور لديه عفوياً ما وهبته الطبيعة بوفرة، تطور لديه الحدس عفوياً

حتى بلغ أحجام العقل الكبير. الحديث معه شيق دوماً. وعندما تفهم أسلوبه في الكلام، وصدقه الذي لا نجده عند معظم المتكلمين، تتحول الثرثرة معه إلى متعة تقريباً. إلا أنني أفهم تماماً انزعاجك من سوفورين.

أرسلوا لي (كوميديا) «عصفور المسرح». إذا كنتم قد كتبتم ملهاة بالفعل عفارم عليكم وعلى ذكائكم. اكتبوا قدر ما تستطيعون، بكل الجهود، كما يحلو لكم في كل لحظة. إذا أردتم أن تكتبوا تراجيديا اكتبوا. وإذا أردتم كتابة تمثيلية هزلية قصيرة اكتبوا. طباعكم لا تجيز لكم محاكاة أفكار الغير وأحكامهم. عليكم أن تسيروا وراء إحساسكم الباطني الذي هو أفضل محرار لدى الأشخاص العصبيين الانفعاليين. والأفضل أن تكتبوا المزيد من المسرحيات. آه، أنا أنساق مجدداً للمواعظ! فمعذرة، يا عزيزي. . . هذه ليست موعظة، بل حديث شخصي معكم. عندما أكتب لكم أرى وجههكم أمامي.

أنا ماض إلى المدينة لاستلام البريد. وداعاً.

في أمان الله!

المخلص أ. تشيخوف

٧١. إلى ماريا تشيخوفا

فيودوسيا، ٢٢ يوليو ١٨٨٨

أهل بيتي الأعزاء! أبلغكم بأنني سأغادر فيودوسيا غداً. كسلي هو سبب فراري من القرم. لم أكتب ولا سطراً واحداً، ولم أكسب ولا كوبيكاً. وإذا استمر لهوي الشنيع أسبوعاً آخر أو أسبوعين لن يبقى في جيبي ولا فلس واحد، وستضطر عائلة تشيخوف إلى قضاء فصل الشتاء في (ضيعة) لوكا. كنت أحلم بأن أولف في القرم مسرحية وأقصوصتين أو ثلاثاً. ولكن اتضح أن الصعود حياً إلى السموات تحت شمس الجنوب أسهل بكثير من كتابة ولو سطر واحد. أستيقظ من النوم في الحادية عشرة ظهراً، وأرقد في الثالثة بعد منتصف الليل. طول الوقت آكل وأشرب وأتكلم، أتكلم بلا نهاية. لقد تحولت إلى آلة حاكية. سوفورين لا يفعل شيئاً هو الآخر. ولم

تبق مسألة دون أن نحلها. حياة الشبع المليئة كالكأس المترعة تجرني إلى دوامتها... اللهو على الساحل مع الليكيور وشراب العنب المخمر والألعاب النارية والسباحة وكذلك موائد العشاء المرحة والرحلات والغراميات - كل ذلك يقصّر الأيام، فتمر دون أن نلاحظها، والوقت يتسارع ويطير والدماغ ينساق للنعاس تحت وشوشة الأمواج، ولا رغبة في العمل... النهار ساخن، والليل خانق كما في آسيا... كلا، لا بدّ من الرحيل!

يوم أمس مضيت إلى ضيعة (رسام البحار) آيوازوفسكي في ضاحية شاه - ماماي على مسافة ٢٥ فرسخاً عن فيودوسيا. الضيعة باذخة كأنها من الحكايات. ولعل المرء يصادف مثل هذه الضياع في بلاد فارس. آيوازوفسكي نفسه شيخ نشيط في الخامسة والسبعين. وهو يمثل خليطاً من أرمني طيب وأسقف مترهل. يعتز بكرامته الشخصية. يداه رقيقتان، يقدمهما للمصافحة على طريقة الجنرالات. ليس حاضر البديهة، لكنّ طبيعته معقدة تستحق الاهتمام. يجمع بين الجنرال والأسقف والرسام والمواطن الأرمني والجد الساذج وعطيل. متزوج من امرأة شابة وجميلة للغاية. يحرص عليها كما عطيل. تربطه صلات شخصية مع السلاطين والشاهنشاهات والأمراء. ساعد غلينكا في تلحين (أوبرا) «رسلان ولودميلا» (ألكسندر بوشكين). كان صديقاً لبوشكين، لكنه لم يقرأ مؤلفات صديقه. وهو عموماً لم يقرأ ولا كتاباً واحداً في حياته. عندما يعرضون عليه كتاباً للقراءة يقول: «ما الداعي أن أقرأ إذا كنت أمتلك آرائي الشخصية؟» أمضيت النهار كله عنده. وتناولت طعام الغداء. كان الغداء طويلاً مثقلاً بأنخاب لا نهاية لها. على فكرة، أثناء الغداء تعرفت على الطبيبة تارنوفسكايا، زوجة البروفيسور المعروف. إنها كتلة لحمية مترهلة لو خلعنا ثيابها وطليناها بالأخضر لرأينا ضفدعة مستنقعات. وعندما تحدثت إليها شطبت اسمها ذهنياً من قائمة الأطباء...

أنا أرى الكثير من النساء. أفضلهن زوجة سوفورين. فهي متميزة فريدة شأن زوجها، وتفكيرها ليس أنثوياً. تثرثر بحماقات كثيرة، ولكنها إنْ أرادت الكلام بجدية إنما تتكلم بفطنة وذكاء وباستقلالية. متيمة بتولستوي حتى النخاع، ولذا لا تطيق الأدب المعاصر. عندما تتحدث معها عن الأدب تدرك أن كورولينكو وبيجيتسكي وأنا وغيرنا أعداؤها شخصياً. إنها تمتلك موهبة فائقة للثرثرة التافهة المتواصلة. تثرثر ببراعة ممتعة، فيمكنك الاستماع إليها طول النهار بلا كلل ولا

ملل، كما لو كانت كانارياً يغرد. عموماً إنها إنسان ممتع ذكي وطيب القلب. في الليل تجلس على رمل الساحل وتبكي، وفي الصباح، كل صباح، تقهقه وتترنم بمواويل الغجر...

ثمة أحد خيارين: فإما أتوجه إلى المنزل مباشرة، وإما أهيم بوجهي إلى أماكن لم يسق الراعي ماكار عجوله إليها. إذا كان الخيار الأول انتظروا وصولي بعد أسبوع، وإذا كان الثاني فلا تنتظروني بعد أسبوع.

تحياتي (لأفراد العائلة) ولجميع النصارى الأرثوذكس.

معي الآن في الغرفة سوفورين، يطالبني بإلحاح أن يقرأ هذه الرسالة. يئن ويشتم في إلحاحه. أنا ذاهب إلى المدينة.

سأحوّل لكم النقود هذه الأيام.

المال اللازم لشراء الضيعة متوفر - ٢٠٠٠ روبل. سوفورين أهداني مركبة وقاربين. يقول إن القاربين رائعان. سأحاول أن أكلف أشخاصاً بنقلهما إلى (نهر) بسيول. وكان الرجل قد اشتراهما من نادي اليخوت في بطرسبورغ. أحدهما شراعي.

أقبّل يد الوالدة. آمل أنكم جميعاً شبعانون وعندكم تبغ وما إلى ذلك. لا تبخلوا بالنقود، بل ولا تأسفوا على عدم توفرها.

أقبّلكم جميعاً.

المخلص أ. تشيخوف

٧٢. إلى أليكسي سوفورين

سوخوم، ٢٥ يوليو ١٨٨٨

أنا في أبخازيا. بتّ ليلتي في دير «نوفي آفون» (آثوس الجديد)، واليوم أتواجد منذ الصباح (بمدينة) سوخوم. الطبيعة مدهشة لحد الجنون. كل شيء جديد، أسطوري، وشاعري مثير. اليوكالبتوس ومزارع الشاي والسرو والإرز والنخيل والحمير والبجع والجاموس والكراكي الرمادية، والأهم - الجبال، الجبال بلا نهاية

ولا حدود... أجلس الآن في تعريشة البلكون ويمر جنبي أبخازيون في سراويل أشبه بثياب الحفلات التنكرية. وعبر الطريق بولفار تؤطره أشجار الزيتون والصنوبر والسرو. ووراء البولفار ينبسط البحر الأزرق الغامق.

والحر لا يطاق. العرق يتصبب، وبدني كالمطبوخ فيه. الشريط الأحمر على قميصي تنقع بالعرق وأخذ ينضح نسغاً، كما ينز العرق من القميص والجبهة والإبطين، وأستفيد من السباحة كوسيلة للإنقاذ... المساء قادم... وسأستقل الباخرة قريباً. ما ألذ البرقوق هنا، يا عزيزي، لن تصدقوا. حبة البرقوق المخملية الطرية بحجم التفاحة الكبيرة... اللسان يتلهف إلى لعق الأصابع بعد تناولها.

غادرت فيودوسيا على متن الباخرة «يونونا»، واليوم ركبت «درا»، وغداً سأركب «بابوشكا»... جربت العديد من البواخر، ولم أتعرض للغثيان.

في آثوس (...) اشتريت أيقونة للوالدة.

لو عشت في أبخازيا شهراً على الأقل لكتبت، على ما أظن، خمسين حكاية في إطرائها. فمن كل شجيرة، ومن كل الظلال والتلاوين على الجبال، ومن البحر والسماء تتطلع آلاف الموضوعات والحبكات. وأنا أتحسس تفاهتي لأنني لا أجيد الرسم.

في كل الأحوال ابقوا على قيد الحياة في صحة وعافية. ولتحفظكم ملائكة السموات.

تحياتي للجميع.

المخلص أ. تشيخوف

لا تظنوا أنني مسافر إلى بلاد فارس.

(من رسالة أخرى إلى سوفورين بتاريخ ٣٠ مايو ١٨٨٨: «والآن أتحدث عن المستقبل. في أواخر يونيو أو أوائل يوليو أسافر إلى كييف، ومنها على نهر الدنيبر صوب الجنوب إلى يكاترينا سلاف، ثم إلى ألكسندروفسك، وعلى هذا المنوال حتى البحر الأسود... طوال يونيو سأواضب على الكتابة، ولذا ستكون لدي على الأرجح نقود للطريق. ومن القرم سأنتقل إلى بوتي، ومنها إلى تفليس، ومن هذه إلى الدون ومنه إلى بسيول... وفي القرم سأبدأ بكتابة مسرحية غنائية»).

٧٣. إلى أليكسي بليشييف

سومي، ١٣ أغسطس ١٨٨٨

مرحباً، عزيزي أليكسي نكولايفيتش! لقد عدت. كنت في القرم ونوفي آفون وسوخوم وباتوم وتفليس وباكو. أردت أن أسافر إلى بخارى وبلاد فارس، إلا أن الأقدار شاءت أن أعود القهقرى. الانطباعات جديدة، مركزة ومكثفة حتى إن كل ما رأيته يبدو لي الآن وكأنه حلم لا أكثر. لم تتوفر لي الفرصة أن أكتب إليكم وأنا في الطريق، لأن الحر لا يطاق، وكنت أشعر بأنني كحصان مطارد بحبل الترويض. ثم إن الانطباعات كانت كثيرة لدرجة أذهلتني نهائياً، فلم أعد أعرف عماذا أكتب. استلمت رسالتكم في فيودوسيا. وكان من الصعب أن أرد بتفصيل مفهوم ورأسي في دوخة من نبيذ القرم وحنجرتي جافة من الأحاديث الطويلة والانطباعات اختلطت كحساء الخضروات البارد.

سأحدثكم في بطرسبورغ عن رحلتي. سأحدثكم على مدار ساعتين. ولن أصفها على الورق، فالتوصيف يأتي موجزاً فاتراً.

حالياً أنا جالس عند النافذة، أكتب وأتطلع عبر الزجاج إلى الخضرة المغمورة بأشعة الشمس وأتصور باكتئاب ما ينتظرني من حياة موسكو التي تفتقر إلى الشاعرية. يا إلهي، لا أريد مغادرة هذه البقاع. بسيول اللعين يتفنن في إبداء محاسنه عمداً ويغدو أكثر جمالاً يوماً بعد يوم. الطقس رائع، ومن الحقل ينقل المزارعون محصول القمح... أما موسكو المرتجفة من البرد بمسرحياتها الرديئة وبوفيهاتها وأفكارها الروسية فهي تخيفني وترعب تصوراتي... حبذا لو عشت الشتاء بعيداً عنها.

بعد ستة أشهر يحل الربيع. وبعد خمسة أشهر أبدأ بقصفكم بالدعوات للمجيء إليّ. فالأرجح أنني سأقضي الصيف القادم أيضاً على ضفاف بسيول.

يمكنكم أن تأتوا في مايو وتقيموا عندي شهرين.

أريد لكم أن تطلعوا على محافظة بولتافا. (...)

روايتي لا تزال في نقطة التجمد. ولم تزدد طولاً (في تلك الحقبة عمل تشيخوف على روايتين لم يعرف مصيرهما، ومسوداتهما مفقودة). وكيلا أبقى خالي الوفاض أسارع لكتابة مختلف التفاهات. وسأقدم إلى «بشير الشمال» قصة («عيد

الشفيع») في نوفمبر أو أكتوبر. أما الرواية فمن المستبعد أن تنشر على صفحاتها (بسبب خضوعها للرقابة). وقد قررتُ أن أنجز الرواية بعد ثلاثة أو أربعة أعوام.

سوفورين كان مرحاً وفي صحة جيدة عندما استضافني. أما الآن، وبعد وفاة ابنه، فهو في حالة يأس وقنوط حسبما جاء في برقياته. يبدو أن الأقدار تلاحق عائلته.

هل صدر الكتاب المكرس لذكرى غارشين؟ متى يصدر؟

يبدو أن جهود بارانتسيفيتش (في إصدار الكتاب) تتعثر.

جورج (ابن عم تشيخوف) يعزف ويفكر في الالتحاق بالكونسرفاتوار.

أتمنى لكم الصحة والسعادة، ولتحفظكم السموات. سنلتقي، على الأرجح، في نوفمبر.

خططي كثيرة، لا تعد ولا تحصى. وسأبلغكم بعد أسبوع بإحداها، وهي تخصكم جزئياً (كان تشيخوف ينوي شراء ضيعة يحولها إلى منتجع للأدباء).

سلامي لجميع ذويكم، ولا تنسوا نقل تحياتي إلى أولادكم.

المخلص أ. تشيخوف

٧٤. إلى اليكسي بليشييف

موسكو، ١٥ سبتمبر ١٨٨٨

عزيزي أليكسي نكولايفيتش! اعذروني ولا تلوموني. عندما وعدتكم بإرسال قصة لعدد أكتوبر من «بشير الشمال» اختلط حساب التواريخ في دماغي (ولا أستطيع الآن أن أفي بوعدي) (. . .) أرجوكم كل الرجاء وآنّا ميخائيلوفنا (صاحبة المجلة) أن تعذراني على هذا السهو. سأوافيكم بالقصة («عيد الشفيع») لتنشر في عدد نوفمبر بكل تأكيد /إلا إذا رفضتموها/. أنا أواظب على كتابتها شيئاً فشيئاً، وفيها مسحة من الغضب، لأنني شخصياً غاضب جداً على نفسي...

فيما يخص مجموعة ذكرى غارشين لا أدري ماذا أقول لكم. أنا لا أرفض المشاركة في المجموعة بقصة. ذلك لأنني أحب المرحوم غارشين وأمثاله حباً جماً، وأرى من واجبي أن أعترف على الملأ بحبي لهم. هذا أولاً، وثانياً -

غارشين في الأيام الأخيرة من حياته اهتم بشخصي كثيراً (امتدح قصة «السهب»)، ولا يمكن أن أنسى ذلك. ثالثاً- الامتناع عن المشاركة في المجموعة يعني تصرفاً لا يليق بالأصدقاء، على طريقة الخنازير. أنا أدرك ذلك تماماً، ولكنْ تصوروا موقفي المحرج. ليست لديّ ولا حبكة واحدة تناسب المجموعة بأدنى قدر ممكن.

كل ما عندي إما قصص تافهة، وإما مرحة أو طويلة جداً... كانت لدي حبكة لا بأس بها (أقصوصة «الحسناوات»)، لكنني استخدمتها وأرسلتها إلى «العصر الحديث» بصيغة مقالة مقتضبة، ذلك لأنني غرقت في الديون المستحقة... على أية حال عندي حبكة أخرى: شاب فذ تربى على تقاليد غارشين، أريحي نزيه، يدخل منزل دعارة لأول مرة في حياته. وطالما الكلام عن الأمور الجدية يتطلب جدية ففي هذه القصة تسمى كل الأشياء بأسمائها. ولعلني سأتمكن من كتابتها بصيغة أريد لها أن تخلق انطباعاً يثقل على النفس، ولربما تأتي القصة جيدة، وصالحة لمجموعة ذكرى غارشين، ولكن هل تتعهدون لي، يا عزيزي، أن الرقابة أو هيئة التحرير لن تحذفا منها ما أعتبره الأهم فيها؟ المجموعة مزينة بالصور، ما يعني أنها خاضعة للرقابة. إذا تعهدتم بعدم شطب كلمة واحدة من القصة فسأكتبها في أمسيتين. (كتب تشيخوف قصة «الصرع» في هذا الموضوع وأدرجت ضمن المجموعة) وإذا تعذر مثل هذا التعهد انتظروا أسبوعاً، وسيأتيكم ردي النهائي: فلعلّي أبتكر حبكة ملائمة أخرى!

المجد لـ (سالتيكوف) شيدرين و(جان) شيغلوف لكثرة ما يكتبان. لا شك أن العمل الكثير أفضل من الكسل. لومكم للكتّاب الشباب وجيه. ولكنْ، لو أخذتموني، على سبيل المثال، ترون أنني ألّفت في الموسم الحالي (قصتين طويلتين) هما «السهب» و«النيران» ومسرحية وتمثيليتين قصيرتين وعدداً من الأقاصيص وشرعت بكتابة رواية. ثم ماذا؟ لو غربلنا أطناناً من هذا الرمل لما حصلنا على أكثر من ١٠٠ قيراط من الذهب لا غير /من دون حساب أجور التأليف/.

ومع ذلك لن أستطيع تفادي كثرة الكتابة في الموسم القادم أيضاً. سأبذل قصارى جهدي لأكسب أكبر قدر من المال كي أقضي الصيف من جديد دون أن أفعل شيئاً... ليتكم تعلمون مدى مللي من موسكو! الخريف في بداياته، بينما أفكر أنا في الربيع.

أرجأتُ شراء الضيعة حتى شهر ديسمبر. وأنتم تخشون عليّ من الوقوع في

شراك البنوك. أنا لا أعتقد ذلك. القضية أنني أشتري قطعة أرض تافهة، وسأدفع للبنك لا أكثر مما أدفعه سنوياً لاستئجار منزل ريفي، أي في حدود ١٠٠- ١٥٠ - ٢٠٠ روبل. وأنا قادر على تسديد مبلغ كهذا. أما القرض المصرفي فيمكن تسديده في عامين أو ثلاثة لدى توفر كسب متوسط. وإذا فكرت في البناء فإن أغلى منشأة من ٦ - ٧ غرف عالية السقف مع أرضية خشبية لا تتجاوز ألف روبل أستطيع أن أستلمها في فصل الصيف سلفة من ثلاث مجلات أو أكسبها قبل حلول الصيف. وسأبني السطح في المرحلة الأولى من القش الذي اشتهرت محافظة بولتافا بإعداده جميلاً للغاية. وسنطلي الأرضية والنوافذ بأنفسنا /ميشا ماهر في الطلاء/ ويمكننا عمل الكثير بأنفسنا لأننا متعودون على العمل منذ نعومة أظفارنا. أهم شيء هو الأثاث وأسباب الراحة. فإذا لم تتوفر يبدو أحسن منزل خرابة من الخرائب. وللأسف، الأثاث تحديداً هو ما أفتقر إليه!

إذا كان تصوركم عن كورولينكو صحيحاً فهذا شيء مؤسف. (بصدد نية كورولينكو ترك مجلة «بشير الشمال») ما من أحد يمكن أن يحل محل كورولينكو. وهو محبوب ومقروء، إضافة إلى كونه إنساناً في منتهى الطيبة. وأقول صراحة إن من المؤسف أن يترك «بشير الشمال» أيضاً ميخايلوفسكي (الذي ينوي إصدار مجلة يلتحق بها كورولينكو). فهو ذكي وموهوب، مع أنه بات مملاً في الآونة الأخيرة، إلا أن استبداله بزيد أو عمر أمر صعب صعوبة الاستعاضة عن القمر بشمعة.

يبدو أننا سنقيم في ضيعة لينتفاريفا من جديد الصيف القادم، أو حتى يوليو في أقل تقدير. وأنا لا أنصحكم بالسفر إلى القرم. إذا كنتم تريدون أن تفتتنوا بالطبيعة الخلابة سافروا إلى القوقاز. لا تعرّجوا على مصايف مثل كسيلوفودسكايا، بل توجهوا عبر الطريق العسكري الجورجي إلى تفليس، ومنها إلى بورجوم، ومنها عبر مضيق سورامسكي الجبلي إلى باتوم. هذه الرحلة أرخص من الإقامة في يالطا / الموبوءة/. (...)

تحياتي إلى ذويكم وكذلك إلى ليونتيف (شيغلوف).

أتمنى لكم السعادة.

سأكون في بطرسبورغ في نوفمبر.

المخلص أ. تشيخوف

٧٥. إلى أليكسي بليشييف

موسكو، ٤ أكتوبر ١٨٨٨

حالما بعثت رسالتي إليكم وصلني منكم، يا أليكسي نكولايفيتش الطيب، الخبر الذي لن يعجب (ممثل مسرح كورش) سفيتلوف أبداً. سأبلغه الآن ردكم وأوصيه بإلحاح أن يخرج «الرجل السيئ» (كوميديا الألماني يوليوس روزين، ترجمة بليشييف).

ولو كنت استلمت رسالتكم قبل ساعتين من موعد وصولها لأرسلت قصتي إليكم شخصياً، كما تطلبون. أما الآن فهي في طريقها إلى (هيئة تحرير مجلتكم) على زقاق باسكوف.

كان بودّي أن أقرأ ما كتبه ميريجكوفسكي (عني). (. . .) عندما تقرأون قصتي اكتبوا لي. القصة لن تعجبكم. لكنني لا أخشاكم ولا أخشى آنّا ميخائيلوفنا. أنا أخشى أولئك الذين ينبشون بين السطور عن اتجاه معين ويريدون من كل بد أن يروا في شخصي إما ليبرالياً وإما محافظاً. في حين أنني لست ليبرالياً ولا محافظاً، لا من التدريجيين ولا الرهبان، ولا اللاأباليين. بودّي أن أبقى فناناً حراً لا أكثر ولا أقل. أنا آسف لأن الخالق لم يهبني القدرة على أن أكون فناناً كهذا. أنا أبغض الزيف والعنف بكل أشكالهما، وأكره بنفس القدر أمناء سر إدارة الأبرشيات وكذلك نوتوفيتش وغرادوفسكي (ممن كتبوا تخرصات عن المسيح). الرياء والغباء والتعسف ظواهر منتشرة ليس فقط في البيوتات التجارية والمعتقلات. فأنا أراها في العلوم والآداب وبين الشباب. . . ولذا أنا لا أبدي اهتماماً خصوصياً بالغاً بنفس القدر لا بالجندرمة ولا بالقصابين ولا بالعلماء ولا بالكتّاب ولا بالشباب. وأعتبر الماركات المسجلة والملصقات البراقة باطل الأباطيل. قدس أقداسي هو بدن الإنسان، صحته، عقله، مواهبه، إلهامه، وكذلك الحب والحرية المطلقة، بمعنى التحرر من القوة ومن الكذب بأي لبوس يظهران به. ذلك هو المنهاج الذي بودّي أن أتقيد به لو كنت فناناً كبيراً.

يبدو أني تماديت في الثرثرة. أتمنى لكم الصحة والعافية.

المخلص أ. تشيخوف

٧٦. إلى أليكسي سوفورين

موسكو، ١٠ أكتوبر ١٨٨٨

كان لخبر منحي جائزة (بوشكين وقيمتها ٥٠٠ روبل) وقعٌ مثير للغاية. شاع في أرجاء الشقة وفي أنحاء موسكو كهدير رعد بعثه رب الأرباب زيوس. كل هذه الأيام أسير وكأنني عاشق متيم. الوالدة والوالد يهذران بسخف مخيف وهما في منتهى السرور، وأختي التي تسهر على سمعتنا بكل ما تتميز به وصيفات البلاط من حرص وتشدد حتى في صغائر الأمور تتردد منفعلة فخورة على صديقاتها وتقرع الأجراس في كل مكان. ويتحدث جان شيغلوف عن الأدباء المتزلفين على طريقة ياغو (في مسرحية عطيل) وعن خمسمائة عدو سينصبون لي الشراك حسداً على الـ ٥٠٠ روبل؟ صادفت (الممثل) لينسكي وزوجته وأخذا مني وعداً أن أتناول طعام الغداء عندهما. كما صادفت سيدة من عاشقات الموهوبين دعتني هي الأخرى إلى تناول طعام الغداء عندها. وجاء لتهنئتي مفتش الثانوية المدنية واشترى مني نسخ «كاشتانكا» بـ ٢٠٠ روبل لغرض «الانتفاع» (. . .) وأعتقد حتى آنّا إيفانوفنا التي لا تعترف بي وبشغيلوف يمكن أن تدعوني على الغداء معها. أما زيد وعبيد وغيرهما من العاملين في مطبوعات كـ«المنبه» و«اليعسوب» و«المنشور» فقد اضطربوا كثيراً وراحوا يتطلعون إلى مستقبلهم بأمل عريض. أكرر من جديد أن أدباء الجرائد من المرتبة الثانية والثالثة (وأنا منهم) يجب أن يقيموا لي تمثالاً أو، على الأقل، يهدوني محفظة سجائر فضية لأنني فتحت الطريق أمامهم إلى المجلات السميكة وإلى الأمجاد وإلى أفئدة الناس الشرفاء. وهذا، لحد اللحظة، هو فضلي الوحيد. فكل ما كتبته وما تلقيت الجائزة تقديراً له لن يبقى في ذاكرة الناس عشر سنوات.

أنا محظوظ جداً. أمضيت الصيف سعيداً بأروع صورة دون أن أنفق الكثير ودون أن أغرق في الديون. وابتسم لي نهر بسيول والبحر والقوقاز والضيعة وسوق الكتب، حيث كنت أستلم شهرياً عائدات «في الغسق». وفي سبتمبر كسبت ما يكفي لتسديد نصف ديوني وألفت مسرحية («عيد الشفيع») بملزمتين وربع عادت عليّ بأكثر من ٣٠٠ روبل. كما صدرت الطبعة الثانية من «في الغسق». وفجأة، كالبَرَد من السماء، جاءت هذه الجائزة.

حالفني الحظ لدرجة جعلتني أنظر بارتياب إلى السماء. ولربما سأختبئ تحت

الطاولة وأجلس هناك بهدوء دون أن أرفع صوتي. وما لم أعزم على القيام بخطوة جديدة، أي كتابة رواية، سأظل في منأى عن الدنيا، بهدوء وتواضع، أكتب أقاصيص، ومسرحيات قصيرة تفتقر إلى الطموح، فلا أتسلق القمم ولا أهوي إلى تحت، بل أعمل باتساق مثل نبضات قلب (صاحبكم) بورينين. وسأسترشد بنصيحة الخوخول الذي قال: «لو كنت قيصراً لسرقت مائة روبل وهربت». أما الآن فأنا قيصر مصغر في وكري الشبيه بوكر النمل. وسأسرق مائة روبل وأهرب. كفاية. يبدو أني بدأت أكتب حماقات.

والحال فقد صار ينطبق عليّ المثل السائر: اطرق الحديد ما دام ساخناً. حبذا لو نشرنا إعلاناً عن كلا كتابيّ وكررناه ثلاث مرات. وعندما يعلن عن الجائزة رسمياً في ١٩ من الشهر أحتفظ بالـ ٥٠٠ روبل لشراء الضيعة. كما سأدخر عائدات الكتابين للغرض ذاته.

ماذا أفعل لأخي (ميخائيل!)؟ تلك مصيبة. عندما يمتنع عن السكر تراه ذكياً، خجولاً، عادلاً ورقيق المعشر. وفي حالة السكر لا يطاق. ينفعل إلى أقصى حد بعد قدحين صغيرين أو ثلاثة ويتمادى في الكذب. يكتب الرسالة مدفوعاً برغبته الشديدة في تحبير أو اجتراح أكذوبة لا ضير منها، لكنها مثيرة على أية حال. لم يبلغ حد الهلوسة، لأنه لا يشرب كثيراً من حيث المبدأ. ومن خلال رسائله أعرف متى هو في حالة سكر أو خلافه. بعض الرسائل محتشمة وصادقة تماماً، وبعضها كذب في كذب. إنه يعاني من الإدمان. لا ريب في ذلك. ولكن، ما هو الإدمان يا ترى؟ إنه مرض نفساني شأن المورفينية والعادة السرية والغلمة النسوية (الشبق المفرط) وما إلى ذلك. في الغالب ينتقل الإدمان بالوراثة من الأب أو الأم، ومن الجد أو الجدة. لكنّ عائلتنا ليس فيها مدمنون. جدي ووالدي كانا يشربان كثيراً مع الضيوف في بعض الأحيان. إلا أن ذلك ما كان يمنعهما من ممارسة الأعمال في الوقت المناسب ولا من الاستيقاظ في مواقيت صلاة الصبح. وكان للنبيذ تأثير إيجابي عليهما، يشرح الصدر ويحفز الدماغ ويغرس الفطنة والأريحية. أنا وأخي المعلم (إيفان) لم نشرب على انفراد أبداً. ولا نفقه شيئاً في أنواع الخمور. يمكننا أن نشرب قدر ما نشاء، لكننا نستيقظ بدماغ سليم. ذات مرة، هذا الصيف، تراهنّا أنا والبروفيسور (ف. تيموفييف) من خاركوف أن نشرب كثيراً. شربنا كثيراً ولكن من دون جدوى. لم ينجح الرهان لأننا استيقظنا في الصباح وكأننا لم نشرب. غير أن

(أخويّ) ألكسندر والرسام (نكولاي) يفقدان رشدهما من قدحين أو ثلاثة ويتعطشان إلى الخمرة أحياناً. اللّه وحده يعلم من أين حلت بهما هذه النازلة. الشيء الوحيد الذي أعرفه أن ألكسندر لا يشرب عبثاً، بل يقدم على الشراب عندما يكون تعيساً أو محبطاً لسبب ما. ليس عندي عنوانه. أرسلوا لي عنوانه المنزلي رجاءً، إذا لم يثقل عليكم إرساله. وسأبعث إليه رسالة لوم مؤدبة ورقيقة. رسائلي تؤثر فيه.

أنا مسرور لأن افتتاحيتي («المراءون في موسكو») أفادت مجلتكم. كما أرسل إلى مجموعة غارشين القصة («الصرع») التي حدثتكم عنها بخصوص الشاب والمبغى.

أنا لا أشعر بالاطمئنان النفساني. على أية حال تلك توافه لا تستحق الذكر. تحياتي واحتراماتي لجميع العاملين معكم. (. . .) أتمنى لكم الصحة وهدوء البال.

المخلص أ. تشيخوف

(. . .).

٧٧. إلى أليكسي سوفورين

موسكو، ٢٤ أكتوبر ١٨٨٨

أليكسي سرغييفيتش المحترم.

لقد تأثرت وكتبت المقالة التي أرفقها لكم طياً (في نعي ن. برجيفالسكي). الموضوع جيد، إلا أن النعي تأخر، في اعتقادي، فجاء منقوصاً. هذه الأمور ينبغي أن تكتب دفعة واحدة، في ٥ دقائق، بينما كان يلهيني الضيوف تارة وأهل البيت تارة أخرى.

طلبت رسماً لقصة «كاشتانكا». وأنا الآن ذاهب إلى صديقي (أ. ستيبانوف) الرسام والصياد الماهر الذي درس الكلاب من جميع الوجوه. سأطلب منه رسم صورة كلبة للغلاف.

«جني الغابات» (مسرحية لم تكتب) موضوع يصلح لرواية. أنا أعرف ذلك جيداً، ولكنني لا أقوى على كتابة رواية. الوقت المناسب لم يحن بعد. ويمكن كتابة قصة غير طويلة.

ولو أني كتبت ملهاة «جني الغابات» لوضعت في مرتبة الصدارة ليس الممثلين ولا خشبة المسرح، بل الأهمية الأدبية. فإذا كانت للمسرحية أهمية أدبية فهذا هو المطلوب.

الجميع عندنا يحيّونكم. أتمنى لكم موفور الصحة. سآتي في نوفمبر.

المخلص أ. تشيخوف

٧٨. إلى اليكسي سوفورين

موسكو، ٢٧ أكتوبر ١٨٨٨

يجوف (من العاملين عند سوفورين) ليس عصفوراً، بل هو /إذا تكلمنا بلغة الصيادين النبيلة/ جرو لم يبلغ سن الرشد بعد. إنه لا يزال يتراكض ويتشمم ويهاجم الأطيار والضفادع من دون تمييز. ويصعب عليّ أن أحدد صنفه وقابلياته. من مزاياه عنفوان الشباب والنزاهة والبعد عن الفساد بمعناه الصحافي الموسكوبي.

أنا أحياناً أدعو إلى الزندقة والهرطقة، ولكنني لم أصل بعد إلى الإنكار الكلي للأسئلة في الفن. في أحاديثي مع الإخوة الكتّاب أصر دوماً على أنه ليس من شأن الفنان أن يحل المسائل المختصة الضيقة. فمن أسوأ الأمور أن يتطرق الفنان إلى شيء لا يفقه فيه. فلدينا اختصاصيون للمسائل المختصة، ومن شأنهم أن يحكموا على المجتمع والطوائف ورأس المال وضرر الإدمان على المسكرات ويتحدثوا عن الأحذية والجزمات والأمراض النسائية... أما الفنان فيحكم فقط على ما يفهمه، والحلقة التي هو فيها محدودة مثلما عند أي اختصاصي. إنني أعيد وأكرر ذلك وأصر عليه. ولا يقول إن مجاله يخلو من الأسئلة وليس فيه سوى الأجوبة إلا شخص لم يكتب يوماً ولم يعالج الصور والمشاهد أبداً. الفنان يراقب ويتابع وينتقي ويحزر ويركّب. كل هذه الأفعال تنطوي في بداياتها وفي أساسها على السؤال. وإذا لم يتساءل الفنان منذ البداية لن يبقى لديه ما يحزره وما ينتقيه. باختصار أخلص إلى مثال من علم النفس. إذا أنكرنا السؤال والنوايا في الإبداع لا بدّ لنا أن نعترف بأن الفنان يبدع من دون قصد، بلا نية مسبقة، وإنما بتأثير الانفعالات الطارئة، ولذا فلو

تباهى أمامي كاتب ما بأنه ألّف قصته عفو الخاطر، بدافع الإلهام وحده، من دون تخطيط ونوايا محددة سلفاً لقلت إنه مجنون.

إنكم على حق عندما تطالبون الفنان بموقف واعٍ تجاه عمله. إلا أنكم تخلطون بين مفهومين: حل المسألة والطرح الصحيح لها. النقطة الثانية وحدها إلزامية للفنان. في «آنّا كارينينا» و«أونيغين» لا نجد حلاً لأية مسألة. إلا أنهما تشبعان رغبات القارئ تماماً لأنهما تطرحان كل المسائل بالشكل الصحيح. المحكمة ملزمة بطرح الأسئلة بشكل صحيح، والقرار من شأن المحلفين كلٌ على هواه.

يجوف لم يترعرع بعد. الشخص الآخر الذي أنصحكم بالتعامل معه هو أ. غروزينسكي (لازاريف). إنه أذكى وأكثر موهبة وصبراً (. . .).

غداً تمثل على خشبة كورش مسرحيتي «الدب»، وقد كتبت مسرحية أخرى («عرض زواج») فيها دوران رجاليان ودور نسائي واحد.

كتبتم تقولون إن بطل (قصة) «عيد الشفيع» يحتاج إلى مزيد من الصقل والتنقيح. يا إلهي! هل أنا بهيمة عديمة العواطف؟ أنا أفهم ما تقولون. أفهم أنني جزار يذبح أبطاله ويفسدهم وأن المادة الجيدة تتفسخ عندي من دون جدوى. . . وأقول صادقاً بودي أن أقضي نصف سنة في تجويد «عيد الشفيع». أنا أتلذذ بالكتابة المتأنية ولا أرى متعة في الطباعة المتسرعة. بودّي أن أقدم بكل ارتياح وبتوازن عميق توصيفاً متكاملاً لبطلي وأكشف عن خلجات نفسه أثناء مخاض زوجته، وخلال محاكمته، وعن مشاعره الخبيثة بعد تبرئته، وأصف كيف تحتسي المولدة والأطباء الشاي ليلاً، وأصف المطر. . . فهذا يبعث في نفسي الارتياح ولا شيء غير الارتياح، لأنني أحب النبش والبحث والاهتمام. ولكنْ، ماذا أستطيع أن أفعل؟ أبدأ القصة في ١٠ سبتمبر على أمل أن أنهيها في ٥ أكتوبر كآخر موعد إلزامي للتسليم. وإذا تأخرت يعني أنني أخالف وأبقى بلا نقود. أكتب البداية بهدوء دون أن أتضايق، وعندما أصل إلى المنتصف أتردد وأخشى أن تأتي قصتي أطول من الحجم المطلوب. عليّ أن أتذكر أن «بشير الشمال» لا تمتلك الكثير من المال وأنني أحد العاملين الغالين فيها. ذلك هو السبب الذي يجعل بدايات قصصي واعدة وكأنني شرعت في تأليف رواية، فيما يأتي المنتصف مبتسراً وخجولاً، بينما تكون الخاتمة مختزلة كالومضة العابرة، كما في خاتمة أقصوصة. وبصورة لاإرادية، عندما أكتب قصة، أفكر قبل كل شيء في إطارها. ومن بين جمهرة الأبطال الرئيسيين والثانويين أختار شخصاً

واحداً، إما الزوجة أو الزوج، أضعه على خلفية المشهد وأرسمه وحده وأركز عليه، فيما أوزع الباقين على مساحة الخلفية كالقطع النقدية الصغيرة وأحصل على شيء شبيه بقبة السماء: القمر وحده كبير، وحوله الكثير من النجوم الصغيرة جداً. ولا أفلح في تصوير القمر، لأن فهمه غير ممكن إلا بفهم باقي النجوم حواليه، فيما هي مبعثرة هناك كيفما اتفق. والمحصلة التي أتوصل إليها هي أنني لا أنتج أدباً، بل أرتق القفطان البالي، أخيطه من هنا فينفتق من هناك. فما العمل؟ لا أدري، ولست أدري. أعلق أملي على الزمن الذي يداوي كل داء.

وإذا قلت صادقاً من جديد فإنني لم أبدأ بعد نشاطي الأدبي مع أنني استلمت جائزة. في ذهني تتزاحم حبكات لخمس قصص طويلة وروايتين. وكنت قد فكرت في إحدى الروايتين من زمان حتى إن بعض شخوصهما قد شاخوا قبل أن يتسنى لي أن أجسدهم على الورق. وفي ذهني جيش لجب من الأشخاص التواقين إلى الظهور على السطح وينتظرون الإيعاز. كل ما كتبته حتى الآن تافه بالمقارنة مع ما أطمح إلى كتابته بكل حماس. ولا فرق عندي أن أكتب «عيد الشفيع» أو «النيران» أو مسرحية غنائية، فوديفيل، أو رسالة إلى صديق. كل ذلك أحرره تلقائياً، بضجر وفتور. وأشعر أحياناً بالأسف على الناقد الذي يعلق أهمية على «النيران» مثلاً، ويخيل إليّ أنني أخدعه بنتاجاتي، كما أخدع الكثيرين بملامح وجهي الجدية أو المرحة أكثر من اللزوم... ولا يعجبني أنني حققت نجاحاً. فالحبكات القابعة في تلافيف دماغي تشعر بالحزن والغيرة مما كتبته. ومن المؤسف أن يرى الغث النور، بينما يقبع السمين في غياهب المستودع كأكداس مطبوعات لا خير فيها. طبيعي أن في هذا النواح مبالغة، والكثير من الأمور هي مجرد أوهام تلوح لي. إلا أن فيها شيئاً من الحقيقة. فيها الكثير من الحقيقة. وما الذي أعتبره جيداً؟ إنها الصور والنماذج التي تبدو لي هي الأفضل وأنا أحبها وأحرص عليها كيلا أفسدها وأنحرها لمناسبة «عيد الشفيع»... وإذا أخطأت في حبي هذا فلست على حق. ولكن هذا الحب قد لا يخطئ. أنا أحمق ومغرور أم أنني في واقع الحال كيان يمكن أن يكون كاتباً جيداً. كل ما أكتبه حالياً لا يعجبني وقد مللت منه، إلا أن ما يقبع في تلافيف الدماغ يهمني ويؤثر في نفسي ويحفز مشاعري. وأستنتج من ذلك أن الجميع يقومون بما لا جدوى منه، وأنا الوحيد أعرف سر كيفية العمل! والأرجح بالطبع أن جميع الكتّاب يفكرون كما أفكر. على أية حال، هذه مسائل حتى الشيطان لا يتجرأ على الخوض فيها.

النقود لا تنفع في حل مسألة ما ينبغي عليّ أن أفعله. الألف روبل الإضافية لا تحل المشكلة، والمائة ألف وهم من الأوهام. زد على ذلك أنني عندما تصادف في جيبي نقود أتصرف (ولا أدري، ربما ذلك بسبب عدم التعود على وجودها) بمنتهى اللاأبالية والبطر، ويستولي عليّ الخمول وأتصور أنني قادر قدير... لا يعوزني سوى الانفراد والوقت.

معذرة على إلهائكم بشخصي. الريشة هي التي فرضت عليّ الإطالة. حتى إنني لا أعمل الآن، ولا أعرف السبب.

شكراً لكم على نشر مقالاتي المتواضعة. بالله عليكم لا تعيروا بالاً لها: يمكنكم أن تختصروها أو تطيلوها أو تغيروها أو تهملوها. افعلوا بها ما تشاءون... وسأكون سعيداً إذا لم تنافس مقالاتي أحداً ولم تأخذ مكان الغير. (...)

حصلت عندنا اعتقالات لأدباء كثيرين.

تحياتي لعائلتكم.

المخلص أ. تشيخوف

(...)

٧٩. إلى أليكسي سوفورين

موسكو، ٣ نوفمبر ١٨٨٨

مرحباً، أليكسي سرغييفيتش!

أرتدي الآن بدلة السهرة لأحضر افتتاح «جمعية الفنون والآداب» التي تلقيت منها دعوة بصفة ضيف. سيقام حفل رسمي، وأنا لا أعرف أهداف ووسائل هذه الجمعية ولا أعضاءها وما إلى ذلك. الشيء الوحيد الذي أعرفه أن فيدوتوف، مؤلف العديد من المسرحيات، هو رئيس الجمعية. ولم ينتخبوني عضواً فيها، وأنا سعيد بذلك، لأني لا أرغب أبداً في تسديد بدل الاشتراك ٢٥ روبلاً مقابل حق الشعور بالملل. وسأكتب لكم إذا كان هناك ما يثير الضحك أو الاهتمام. كما أن (ألكسندر) لينسكي سيتلو بعض قصصي.

في عدد نوفمبر من «بشير الشمال» مقالة للشاعر ميريجكوفسكي عن محسوبكم. المقالة طويلة. أقترح عليكم أن تقرأوا خاتمتها. فهي مميزة. ميريجكوفسكي لا يزال في ريعان الشباب، إنه طالب في اختصاص أقرب إلى العلوم الطبيعية. كل من تضلع في حكمة المنهج العلمي ويجيد التفكير علمياً لهذا السبب يواجه الكثير من الغوايات المدهشة. أرخميدس أراد أن يقلب الكرة الأرضية، فيما ترغب الأدمغة الساخنة المعاصرة في احتضان ما لا يمكن احتضانه علمياً. إنهم يريدون اكتشاف القوانين الفيزيائية للإبداع، والإمساك بالقانون العام والصيغ العامة التي يتحسسها الفنان بالحدس ويبدع بها المسرحيات الموسيقية والمناظر الطبيعية والروايات وما إلى ذلك. نحن نعلم أن في الطبيعة ألفياء ومفاتيح دو، را، مي، فا، سول والخط المنحني والمستقيم والدائرة والمربع واللون الأخضر والأحمر والأزرق... ونعلم أن ذلك كله يخلق في تراكيب معينة لحناً أو شعراً أو لوحة مثلما تخلق الأجسام الكيميائية في تراكيب معينة شجرة أو حجراً أو بحراً، لكننا نعرف فقط أن التراكيب موجودة، بينما يغيب عنا نظام التركيب. ومن يتقن المنهج العلمي يشعر بطبيعته أن ثمة شيئاً مشتركاً بين المسرحية الموسيقية والشجرة. وأن تلك وهذه تنشأ وفق قوانين بسيطة وصحيحة بنفس القدر. وهنا يطرح السؤال نفسه: أية قوانين هذه؟ ومن هنا تنشأ غواية الكتابة عن فسلجة الإبداع /بيوتر بوبريكين/، فيما يستعين الكتّاب الأكثر فتوة وخجلاً بالعلوم وقوانين الطبيعة /ميريجكوفسكي/. ولعل فسلجة الإبداع موجودة في الطبيعة. إلا أن الأحلام بشأنها ينبغي أن تجتث من الجذور. وإذا انطلق النقاد من تربة العلوم لن نحصل على ثمرة، ذلك لأنهم سيضيعون عشر سنوات ويحبرون أكداس المقالات ويشوشون المسألة لا غير. التفكير العلمي جيد في كل مضمار، لكنّ المصيبة أن التفكير العلمي بشأن الإبداع يقتصر في آخر المطاف، شئنا أم أبينا، على التسابق من أجل «الخلايا» أو «المراكز» التي تتحكم بالقدرة الإبداعية، ثم يأتي ألماني غبي ويكتشف هذه الخلايا في موضع ما من صدغ الدماغ، ويعترض عليه آخر، ويوافقه ثالث، فيما يقرأ الروسي على عجل مقالة عن الخلايا وينشر بحثاً في «بشير الشمال» تتولى «بشير أوروبا» تحليله، ويبقى تكرار السخافات معلقاً في هواء روسيا ثلاث سنوات ويكسب منه الحمقى مالاً وشهرة، فيما يبعث الاستياء في نفوس الأذكياء.

أعتقد أن ثمة مخرجاً واحداً لعشاق المنهج العلمي، لأولئك الذين وهبهم اللّه القدرة النادرة على التفكير العلمي. وهذا المخرج هو فلسفة الإبداع. يمكن أن

نجمع بين أفضل ما أبدعه الرسامون في كل العصور ونستخدم المنهج العلمي لنلتقط ما هو مشترك بينه وما يجعله مشابهاً بعضه لبعض ويشكل أساساً لقيمته. وهذا القاسم المشترك هو القانون. ثمة قواسم مشتركة كثيرة جداً في النتاجات التي توصف بالخوالد، وإذا جردنا كلاً منها من القاسم المشترك يفقد النتاج قيمته وروعته. ما يعني أن هذا القاسم المشترك ضروري ويشكل شرطاً لا بدّ منه لأي نتاج يطمح إلى الخلود.

بالنسبة للشباب كتابة النقد أنفع من نظم الشعر. ميريجكوفسكي يكتب بنعومة وطراوة، إلا أنه جبان في كل صفحة، فيستدرك ويتراجع. وذلك مؤشر على أنه لم يستوضح المسألة التي يعالجها... إنه ينعتني بالشاعر والحكواتي ويصف أبطالي بالفاشلين، أي أنه يكرر الروتين المعهود. حان الوقت للكف عن الكلام بشأن الأبطال النافلين وغير الموفقين وابتكار شيء مميز. ميريجكوفسكي ينعت الكاهن (إيرونيموس في قصتي «ليلة القديسين» مؤلف أناشيد المدائح بأنه إنسان فاشل. فأي فاشل هو؟ ليت كل إنسان يعيش مثله: كان مؤمناً باللّه، لديه كفافه، ويجيد التأليف... إن تقسيم الناس إلى موفقين وفاشلين يعني النظر إلى الطبيعة البشرية من وجهة ضيقة متحيزة... هل أنت موفق أم لا؟ وأنا؟ ونابليون؟ أين المعيار؟ قدرة التمييز بين الموفقين والفاشلين من دون الوقوع في الخطأ من صفات الخالق وحده... ها أنا ذاهب إلى السهرة.

عدت من حفل الجمعية. هدفها «الوحدة». أحد العلماء الألمان عوّد القطة والفأر والعصفور والباز أن تأكل من صحن واحد. لدى هذا العالم طريقة، منهج. وليس لدى الجمعية أي منهج. ملل خانق. الجميع توزعوا على الغرف متظاهرين بأنهم لا يشعرون بالملل. غنّت إحدى النساء. وتلا لينسكي أقصوصة لي. علماً بأن أحد المستمعين قال: أقصوصة ضعيفة. في حين قاطعه لينسكي قائلاً بغباوة وقسوة: ها هو المؤلف. «اسمحوا لي أن أقدمه لكم». فارتج على ذلك المستمع واختفى كأن الأرض ابتلعته. وكان هناك رقص وعشاء ليس على المستوى. ومارس الخدم الغش في الحساب... إذا كان الممثلون المسرحيون والرسامون والأدباء يشكلون حقاً القسم الأفضل في المجتمع فذلك شيء مؤسف. كيف يبدو المجتمع جيداً إذا كان قسمه الأفضل يفتقر إلى الألوان والطموحات والنوايا ويعوزه الذوق والحسناوات وروح المبادرة؟.. وضعوا فزاعة يابانية في غرفة الاستقبال، وغرزوا مظلة صينية في

الركن ونشروا سجادة على درابزين السلم متصورين أن ذلك نوع من التفنن. المظلة الصينية موجودة ولا أثر للصحف. إذا كان الفنان يزين شقته بفزاعة متحفية ورماح وتروس ومراوح يدوية على الجدران، إذا كان ذلك ليس من بنات الصدفة بل قام به عن قصد وعمد، فهو ليس فناناً، بل قرداً من القرود.

استلمت رسالة من ليكين اليوم. يقول إنه زاركم. إنه إنسان سمح لا يؤذي أحداً، لكنه برجوازي حتى النخاع. فإذا جاء إلى مكان ما أو قال شيئاً ما فلا بدّ أن يكون وراء ذلك غرض معين. لا يتفوه بكلمة إلا بعد تفكير وتمحيص. وكل كلمة يقولها، وإن جاءت بمحض الصدفة، إنما تعني بالتأكيد أنها ضرورية له، وإلا فإن كتبه لن تحظى برواج وأن أعداءه سيفرحون وأصدقاءه سيبتعدون وأنه سيفصل من عضوية جمعية الائتمان... إنه كالثعلب الذي يخشى على فرو جلده طول الوقت. إنه دبلوماسي حاذق. وفيما يخصني أنا فهو يريد أن يتحرش «بالعدميين» / ميخائيلوفسكي/ الذين أفسدوني وبأخي ألكسندر الذي يكرهه. وهو في رسائله إليّ يحذرني ويخيفني وينصحني ويكشف لي أسراراً... إنه الأعرج المعذب التعيس. كان بوسعه أن يعيش بهدوء حتى الممات، إلا أن الشيطان يلاحقه...

(...) في مسرح كورش هرج ومرج. انفجر مرجل غلاية القهوة البخاري وأحرق وجه (الممثلة) ريبتشينسكايا. ميشيرسكايا سافرت إلى بطرسبورغ. غليبوفا رفيقة عمر سولوفتسوف مريضة وهكذا دواليك. لا أحد يمارس التمثيل، ولا أحد يستمع إلى الآخرين. الكل يتصايحون ويتجادلون... ويبدو أن المسرحية التي تتطلب إخراجاً وثياباً سوف ترفض، مهما بدا ذلك مرعباً. فيما أريدهم أن يعرضوا (مسرحية ماسلوف) «الغاوي». أنا أحاول ليس من أجل ماسلوف، بل بسبب الأسف على المسرح والاعتزاز بالنفس. ينبغي بذل كل الجهود لينتقل المسرح من أيدي البقالين إلى أيدي الأدباء. وإلا سيهلك.

غلاية القهوة قتلت «الدب»، فلا أحد غير ريبتشينسكايا المحروقة يمثل في المسرحية.

تحياتي القلبية لكم جميعاً.

المخلص أ. تشيخوف

(...)

(تعقيب): في رسالة أخرى إلى سوفورين بتاريخ ٧ نوفمبر ١٨٨٨ كتب تشيخوف يقول: «المذنب في تدهور مسارحنا ليس الجمهور. الجمهور هو عينه في كل مكان وزمان. إنه ذكي وغبي، رؤوف وقاسٍ حسب المزاج. لقد كان على الدوام قطيعاً يحتاج إلى رعاة جيدين وكلاب متمرسة. وهو يمضي دوماً إلى الجهة التي يقوده إليها هؤلاء الرعاة وهذه الكلاب. أنتم تستاءون لأن الجمهور يقهقه للنكات البائخة ويصفق للعبارات الطنانة. ولكنّ هذا الجمهور الغبي نفسه يقتني جميع تذاكر «عطيل» ويبكي وهو يشاهد أوبرا «يفغيني أونيغين» حينما تكتب تاتيانا رسالتها. ومهما كان الجمهور غبياً فهو على العموم أذكى وأكثر إخلاصاً وسماحة من كورش، فيما يتصور الممثلون أنهم أذكى. ذلك سوء فهم من الطرفين».

وفي رسالة ثالثة بتاريخ ٢٣ ديسمبر ١٨٨٨ يتطرق الكاتب إلى جمهور المسرح من جديد: «تصادف لحظات يستولي الإحباط فيها عليّ تماماً. فلمن أكتب ولأي غرض؟ أكتب للجمهور؟ لكنني لا أراه وثقتي به أقل من ثقتي بجني البيت المسكون. إنه جهول سيئ التربية، وأفضل عناصره غير نزيهين وغير صادقين معنا. فهل الجمهور بحاجة إليّ ؟ سؤال يصعب عليّ فهمه. بورينين يقول إن الجمهور ليس بحاجة إليّ وإنني أكتب تفاهات، بينما منحتني الأكاديمية جائزة. حتى الشيطان لن يفهم شيئاً والحال هذه».

٨٠. إلى أليكسي سوفورين

موسكو، ٣٠ ديسمبر ١٨٨٨

(...)

المخرج (في مسرح ألكسندرينسكي. بطرسبورغ) يعتبر إيفانوف شخصاً ميئوساً منه على غرار أبطال تورغينيف. فيما تتساءل (الممثلة) سافنا عن دناءة إيفانوف، وأنتم تقولون في رسالتكم «ينبغي أن تضاف إلى إيفانوف لمسة تبين لماذا تتعلق به امرأتان وما سبب دناءته، بينما الطبيب بالمقابل إنسان عظيم». إذا كنتم ثلاثتكم قد فهمتم البطل على هذا النحو فذلك يعني أن مسرحيتي «إيفانوف» لا تصلح لشيء. يبدو أن عقلي تجاوز حدود العقل، فكتبت ما لا أريده. فإذا كان إيفانوف دنيئاً

وميئوساً منه، وإذا كان الطبيب عظيماً، وإذا لم يكن واضحاً لماذا تحب سارة وساشا إيفانوف هذا فذلك يعني، على ما يبدو، أن مسرحيتي لم تستقم وأن الكلام عن إخراجها لا معنى له.

إنني أفهم أبطالي على النحو التالي: إيفانوف أحد النبلاء، حاصل على التعليم الجامعي، ليس مشهوراً بشيء خارق للعادة، سريع الانفعال بطبعه، متحمس، ميال جداً إلى الملاهي، نزيه وصريح مثل أغلبية النبلاء المتعلمين. يقيم في الضيعة ويعمل في المجلس الريفي. كلماته الموجهة إلى الدكتور / الفصل ١، المشهد ٥/ تبين ماذا كان يفعل وكيف يتصرف وما الذي يشغل باله ويحظى باهتمامه: «لا تتزوج من اليهوديات ولا من المعتوهات ولا من المتحذلقات... لا تحارب وحدك جيشاً عرمرماً ولا تقاتل الطواحين ولا تناطح الجدران... وليبعدك اللّه عن مختلف أنواع الاستثمارات العقلانية والمدارس الخصوصية والخطب الحماسية...» كل هذا كان لديه في الماضي. تقول سارة عنه للطبيب، وكانت قد رأت استثماراته العقلانية وإجراءاته الأخرى: «إنه، يا دكتور، إنسان رائع. وللأسف أنك لم تكن تعرفه قبل عامين أو ثلاثة. فهو الآن مكتئب صامت لا يفعل شيئاً، أما في السابق... فما أروعه! / الفصل ١، المشهد ٧/. ماضيه رائع مثل معظم المثقفين الجامعيين الروس. وما من نبيل أو جامعي لا يتباهى بماضيه. والحاضر أسوأ من الماضي دوماً. فلماذا؟ ذلك لأن سرعة الانفعال لدى الروس تتميز بخصوصية روسية هي سرعة حلول الإعياء محل الانفعال. فالشخص حالما يترك رَحلة المدرسة يحمل من دون تفكير ما لا طاقة له بحمله، فينوب في الحال عن المدرسة وعن الفلاح ويتولى إدارة الاستثمارة العقلانية ويطالع «بشير أوروبا» ويلقي الخطب ويكتب إلى الوزير ويحارب الشر ويصفق للخير ولا يحب ببساطة كيفما اتفق، بل يحب حتماً المتحذلقات والمعتوهات، أو اليهوديات التافهات، وحتى العاهرات اللواتي ينقذهن من الهوة والدرك وما إلى ذلك... ولكنه حالما يبلغ الـ ٣٠ - ٣٥ يشعر بالإعياء والملل. ومع أن شاربيه مجرد زغب يقول لك في زهو وتعالٍ: «لا تتزوج، يا شيخ، ثق بتجربتي، فهي خير دليل»، أو يقول: «ما هي الليبرالية في حقيقة الأمر؟ بيننا، كاتكوف كان على حق في الغالب». هذا الشاب مستعد لإنكار المجالس الريفية والاستثمارات العقلانية والعلوم والحب... بطل مسرحيتي إيفانوف يقول للدكتور / الفصل ١، المشهد ٥/ : «أنت يا صديقي الطيب تخرجت في العام الماضي لا غير. ولا تزال

شاباً نشيطاً. أما أنا فقد بلغت الخامسة والثلاثين. ويحق لي أن أنصحك...» هذه هي لهجة الأشخاص المتعبين قبل الأوان. ثم يتنهد ويضيف بزهو: «لا تتزوج من المتحذلقات، بل اختر فتاة عادية، جاهلة، من دون ألوان زاهية ومن دون ثرثرة لا طائل تحتها... عموماً عش حياتك كلها حسب الكليشيه. كلما كانت الخلفية رتيبة كالحة كان ذلك أفضل... أما الحياة التي عشتها أنا فهي إعياء وإرهاق. تعبٌ كلُّها الحياة...» (فما أعجب إلا من راغب في ازدياد).

وهو بسبب ما يعانيه من إعياء بدني وملل لا يعرف ماذا يحصل له وما حدث. ويقول للطبيب مستفظعاً / الفصل ١، المشهد ٣/ : «أنت تقول إنها ستموت قريباً، لكنني لا أشعر تجاهها لا بالحب ولا بالرأفة، لا شيء غير الخواء والإعياء... وإذا نظرت إليّ من جهتك قد يبدو لك الأمر فظيعاً، أما أنا فلا أفهم ماذا يجري في داخلي...» الأشخاص الضيقو الأفق ولا يتحلون بالنزاهة، عندما يواجهون وضعاً كهذا، يلقون تبعته عادة على الوسط الاجتماعي أو ينخرطون في سلك النافلين من أمثال هاملت، فيعود إليهم الهدوء. أما إيفانوف الصريح فيعلن للطبيب وللجمهور من دون مواربة أنه لا يفهم ما يعتمل في داخله: «لا أفهم، قطعاً لا أفهم...» ويتضح كونه لا يفهم نفسه حقاً من المونولوج الطويل في الفصل الثالث، حيث يتحدث إلى الجمهور وجهاً لوجه ويدلي باعترافه أمامه، بل ويبكي!

التغيرات التي طرأت عليه تهين كرامته. وهو يبحث عن الأسباب خارج كيانه ولا يعثر عليها. فيبدأ البحث عنها في دخيلته ولا يجد سوى شعور مترجرج واحد هو الشعور بالذنب. هذا الشعور من طباع الروس (في زمن تشيخوف، على الأقل- المترجم). فالروسي، سواء توفي أحد من أهله أو مرض أو استدان أو أدان، يشعر دوماً بأنه مذنب. إيفانوف يتحدث على الدوام عن ذنبه، ويتصاعد لديه الشعور بالذنب في كل لحظة. في الفصل الأول يقول: «يبدو أنني مذنب جداً، إلا أن أفكاري تشوشت وروحي مكبلة بالكسل، وأنا عاجز عن فهم نفسي...». وفي الفصل الثاني يخاطب ساشا قائلاً: «ضميري يؤنبني ليل نهار وأشعر أنني مذنب جداً، لكنني لا أفهم ما هو ذنبي في الواقع...»

وإلى الإعياء والملل والشعور بالذنب يضاف عدو آخر هو الوحدة. فلو كان إيفانوف موظفاً أو ممثلاً أو كاهناً أو بروفيسوراً لتعوّد على الوضع الذي هو فيه. إلا أنه يعيش في ضيعة ريفية في ناحية أهلها إما سكارى أو مقامرون أو من أمثال

الطبيب. . . لا أحد منهم يهتم بمشاعره وبالتغيرات الجارية في نفسه. إنه وحيد. فصول الشتاء الطويلة، والأمسيات المتواصلة والبستان الخالي والغرف الفارغة والكونت المتذمر والزوجة المريضة. . . إلى أين يتوجه؟ ويلاحقه هذا السؤال في كل لحظة: إلى أين؟

وإليكم العدو الخامس. إيفانوف متعب لا يفهم نفسه، إلا أن الحياة غير معنية بهذا الأمر إطلاقاً. إنها تطالبه بحقوقها المشروعة، وعليه أن يحل المشاكل شاء أم أبى. الزوجة المريضة مشكلة، الديون المتراكمة مشكلة، ساشا المتعلقة به مشكلة. كيفية حل كل تلك المشكلات تتضح في مونولوج الفصل الثالث وفي مضمون الفصلين الأخيرين. الأشخاص الذين من فصيلة إيفانوف لا يحلون المشكلات، بل ينهارون تحت ثقلها. إنهم متحيرون، يائسون، منفعلون، يتشمون ويقترفون الحماقات، وفي الأخير يطلقون العنان لأعصابهم الهشة المستهترة، ويفقدون الإحساس بالأرض تحت القدمين وينضوون تحت لواء «المقهورين» و«غير المفهومين».

خيبة الأمل واللامبالاة وهشاشة الأعصاب والإعياء تلك هي ثمار لا مفر منها للانفعال المفرط، وهذا الانفعال يلازم شبابنا لأقصى حد. خذوا الأدب مثلاً. خذوا الحاضر الراهن. . . الاشتراكية أحد أنواع الانفعال. أين هي؟ إنها في رسالة تيخوميروف إلى القيصر (مدبر عدة محاولات لاغتيال ألكسندر الثاني، أعلن ولاءه له فيما بعد). . . أين الليبرالية؟ حتى ميخايلوفسكي يقول إن كل البيادق اختلطت اليوم. وما قيمة طموحات روسيا؟ الحرب أتعبتها /كل شيء أتعبها في إعياء يثير السخرية/ .

ويتجلى الإعياء /وهذا ما يؤكده الدكتور بيرتينسون أيضاً/ ليس في التشكي والملل وحدهما. حياة الإنسان المتعب لا يمكن رسمها بخط مستقيم، فهي ليست مستوية أبداً. كل المتعبين لا يفقدون القدرة على الانفعال بأشد درجاته. ولكن لأمد قصير، وتعقب كل انفعال لأبالية أشد. (. . .) ساشا تعترف بحبها لإيفانوف، وهو يصيح في سورة انفعال الإعجاب «إنها حياة جديدة!». وفي صباح اليوم التالي نجد ثقته بهذه الحياة الجديدة قدر ثقته بجني المنازل المسكونة /مونولوج الفصل ٣/ . زوجته تهينه، فيفقد أعصابه ويوجه إليها منفعلاً إهانة قاسية. يصفونه بالدنيء، وإذا كان ذلك لا يقتل دماغه الهش، فإنه يثير انفعاله لحد يحكم فيه على نفسه.

وكيلا أثقل عليكم أكثر أنتقل إلى الدكتور لفوف. إنه نموذج للإنسان النزيه الصريح الساخن، إلا أنه متعنت ضيق الأفق. يقال عن أمثاله من الأذكياء «غبي يتحلى بالنزاهة». كل ما له علاقة بسعة النظرة أو الأحاسيس المباشرة غريب على لفوف. إنه كليشة حية وواجهة تسير على قدمين. ينظر إلى كل ظاهرة وكل إنسان من خلال إطار أو شق ضيق، لأنه يحكم على الجميع بتحيز. يبجل من يصيح: «افسحوا المجال للعمل النزيه» ويعتبر من لا يصيح على هذا النحو دنيئاً سافلاً كأثرياء الريف. وليس لديه معيار وسط. تربى على روايات ميخائيلوف، وشاهد في المسرح «الناس الجدد»، أي أثرياء الريف وأبناء العصر الحديث «الجشعين»، كما يرسمهم المسرحيون الجدد. لقد أقنع نفسه بهذه النظرة لدرجة جعلته يتساءل حتماً، وهو يقرأ «رودين» (رواية تورغينيف): «رودين سافل أم لا؟». لقد رباه الأدب والمسرح بحيث صار يتساءل على هذا النحو كلما واجه شخصاً في الحياة وفي الأدب. (. . .) إنه يعتبر كل البشر خاطئين، ويقسم الناس إلى سفلة وقديسين.

لقد وصل إلى الناحية متحيزاً أصلاً. يرى في جميع الفلاحين الموسرين أثرياء ممقوتين. كما يرى في إيفانوف المستعصي على الفهم بالنسبة له شخصاً دنيئاً وسافلاً. زوجة إيفانوف مريضة، بينما هو يتردد على جارته الغنية. أليس سافلاً؟ واضح أنه يريد أن يقتل زوجته ليتزوج من الغنية. . .

لفوف إنسان شريف، صريح، لا يخشى لومة لائم في قول الحقيقة ولا يبخل بجهد في العمل. إذا اقتضى الأمر يمكنه أن يرمي قنبلة تحت مركبة مسؤول ويسدد صفعة إلى المفتش ويصفه بالدناءة. ولا يتورع عن أي شيء. إنه لا يشعر بتأنيب الضمير، لكنه يعتبر «فاعلاً نزيهاً» لإعدام «القوى السوداء». أمثاله ضروريون، ومعظمهم جذابون. وليس من النزاهة تصويرهم بالكاريكاتير ولو من أجل المسرح، بل ولا موجب لذلك. صحيح أن الكاريكتير أكثر حدة، ولذا هو أسهل على الفهم. ولكن عدم إكمال رسم اللوحة أفضل من تلويثها. . .

والآن أتناول الفتاتين. ما الذي يدفعهما إلى الحب؟ سارة تحب إيفانوف لأنه إنسان طيب متألق ومشبوب العاطفة، ويتكلم بنفس الحرارة المشبوبة التي يتكلم بها لفوف / الفصل ١، المشهد ٧/ . إنها تحبه طالما هو منفعل ومثير. وعندما يغزو الضباب صورته في عينيها ويفقد شيئاً من وسامته تكف عن فهمه، وفي آخر الفصل الثالث تتكلم عن ذلك بصراحة وخشونة.

أما ساشا فهي فتاة عصرية حداثية من آخر طراز. مثقفة وذكية وشريفة وما إلى ذلك. ومن قلة الخيل شدوا السروج على الكلاب. ولذا تميز إيفانوف البالغ ٣٥ عاماً عن الآخرين، فهو أفضل الجميع. وهي تعرفه منذ كان صغيراً. كما شهدت عن كثب نشاطه قبل أن يلمّ به الإعياء. إنه صديق أبيها.

إنها أنثى تنتصر على الذكر ليس ببرقشة ريشها ولا بمرونتها وشجاعتها، بل بتذمرها وشكاواها وإخفاقاتها. إنها امرأة تحب الرجال في فترات انهيارهم. فحالما انهارت معنويات إيفانوف جاءته فوراً. كانت تنتظر هذه الفرصة. تلك هي مهمتها الإنسانية المقدسة. إنها تعيد الروح لمن يفقدها، وتساعده في الوقوف على قدميه بعد السقوط، وتمنحه السعادة... إنها لا تحب إيفانوف لذاته، بل تحب هذه المهمة تحديداً. أرجانتون، بطل ألفونس دوديه (قصة «جاك»)، يقول إن الحياة ليست رواية! ساشا لا تعرف ذلك، ولا تعرف أن الحب بالنسبة لإيفانوف مجرد تعقيدات لا لزوم لها. إنه طعنة إضافية في الظهر. ثم ماذا؟ عاماً كاملاً تجهد ساشا لإحياء إيفانوف، وهو لا يريد االنهوض من وهدته، بل يغوص فيها أعمق فأعمق.

أصابعي تؤلمني. ولا بدّ أن أختم... إذا كان كل ما كتبته أعلاه غير موجود في المسرحية فلا يجوز إخراجها مطلقاً. وهذا يعني أنني كتبت ليس ما كنت أريده. اسحبوا المسرحية. أنا لا أريد أن أروج للحماقات من خشبة المسرح. وإذا خرج الجمهور من القاعة متصوراً أن أمثال إيفانوف سفلة وأن أمثال الدكتور لفوف عظماء يتعين عليّ أن أستقيل وأرمي ريشتي تحت قدمي الشيطان. ولن تسعفني التعديلات والإضافات. لن تستطيع التعديلات أن تنزل العظيم من منصة التمثال ولن تستطيع الإضافات أن تجعل من السافل الدنيء إنساناً كسائر البشر الخاطئين. يمكن أن نضع ساشا في آخر المسرحية، لكنني لا أستطيع، ولا أجيد، أن أضيف شيئاً إلى إيفانوف ولفوف. وإذا كنت سأضيف شيئاً فسأشعر بأني أفسد المسرحية أكثر. ثقوا بحدسي، فهو حدس المؤلف.

(...) بصراحة إن ما أغواني لعرض المسرحية ليس الشهرة ولا (تمثيل) سافينا... كنت آمل أن أكسب قرابة ألف روبل. ولكن الأفضل أن أستدين هذا الألف من أن أجازف بالإقدام على حماقة. فلا تغووني بالنجاح! النجاح لا يزال ينتظرني إن لم أمت. أراهن على أنني سأنتزع من الإدارة ٦ - ٧ آلاف عاجلاً أم آجلاً. هل تريدون أن تتراهنوا معي؟

(. . .) آه، لقد أثقلت عليكم كثيراً بهذه الرسالة. كفاية. خلاص!
أهنئكم بالعام الجديد. كل عام وأنتم بخير!
ما أسعدكم، ستشربون أو شربتم شمبانيا حقيقية، بينما أشرب نبيذاً عادياً!
شقيقتي مريضة. إنهاك وحرارة مرتفعة، وصداع وما إلى ذلك. نفس هذه الأعراض عند الطباخة أيضاً. كلتاهما تلازمان السرير. أخشى أن تكون عدوى التيفوئيد.
معذرة، أيها العزيز، على الرسالة الطويلة المملة جداً. تحياتي لكم جميعاً. أقبّل يد آنّا إيفانوفنا. وأتمنى لكم الصحة والعافية.

المخلص أ. تشيخوف

(تعقيب من تشيخوف)
إذا لم يفهم الجمهور «الحديد في الدم» فليذهب إلى الشيطان، أقصد الدم الذي ليس فيه حديد.
قرأت هذه الرسالة. في توصيف إيفانوف كثيراً ما استعملت مفردة «روسي». فلا تزعلوا من هذا الاستعمال. عندما كنت أكتب المسرحية توخيت أن أتناول ما هو ضروري فقط، أي الخصال الروسية النموذجية وحدها. الانفعال المفرط والشعور بالذنب والإعياء خصال روسية صرف. الألمان لا ينفعلون إلى هذا الحد أبداً، ولذا لا يوجد في ألمانيا يائسون ولا ميئوس منهم ولا متعبون. . . انفعالات الفرنسيين من مستوى واحد طول الوقت، وليس فيها انعطافات حادة نحو الارتفاع أو الهبوط. ولذا ينفعل الفرنسي بشكل طبيعي حتى آخر العمر. بعبارة أخرى الفرنسيون لا يبددون طاقاتهم على الانفعالات الشديدة. إنهم يستهلكون طاقاتهم بذكاء، ولذا لا يعرفون الإفلاس.
واضح أنني لم أستعمل في المسرحية مصطلحات مثل الروسي والانفعال والإعياء وغيرها، على أمل أن يكون القارئ أو المشاهد متنبهاً ولا يحتاج إلى ما ينبهه «ان هذا برقوق وليس بطيخاً». لقد حاولت أن أعبّر ببساطة، دون أن أتحايل، ولا أظن أن القراء والمشاهدين سيلاحقون أبطالي بسبب كلمة يقولونها أو يشددون على حوار بشأن مهر العروس وما إلى ذلك.
أنا لم أفلح في كتابة المسرحية، للأسف طبعاً. إيفانوف ولفوف في تصوراتي

من البشر الأحياء. وأقول لكم صراحة إنهما ولدا في مخيلتي ليس من زبد البحر وليس من الأفكار المتحيزة وليس من «التظاهر بالذكاء» ولا من بنات الصدفة. إنهما ثمرة المراقبة ودراسة الحياة. إنهما حاضران في دماغي، وأنا أشعر بأني لم أكذب ولم أبالغ قيد أنملة. وإذا كانا قد جاءا على الورق غامضين ميتين فالذنب ليس ذنبهما، والسبب هو عدم تمكني من تجسيد أفكاري، ما يعني أن الوقت بالنسبة لي لا يزال مبكراً لتأليف المسرحيات.

أ. ت.



٨١. إلى ألكسندر تشيخوف

موسكو، ٢ يناير ١٨٨٩

السكرتير الحكيم جداً!

أهنئك، يا صاحب الطلعة البهية، مع أولادك، بالعام الجديد، متمنياً لكم المزيد من السعادة. وأتمنى لك شخصياً أن تربح ٢٠٠ ألف وتغدو مستشاراً حكومياً فعلياً، وفي المقام الأول أن تنعم بالصحة وتمتلك الخبز الكفاف بالقدر الذي يكفي شخصاً نهماً مثلك.

في زيارتي الأخيرة لكم التقينا وافترقنا وكأن سوء تفاهم قد حصل بيننا. وسآتي إليكم قريباً مرة أخرى لأنهي سوء التفاهم ذاك. وأرى من الضروري أن أعلن لك ذلك صراحة وبما يمليه الضمير. لقد كنتُ زعلاناً عليك حقاً. غادرتكم وأنا زعلان. وها أنا الآن أعلن لك عن أسفي. منذ زيارتي الأولى أبعدني عنك سلوكك الفظيع الذي لا يطاق في التعامل مع نتاليا ألكساندروفنا ومع طباخة المنزل. اعذرني يا صاحب السماحة، معاملة النساء على هذا النحو، مهما كنّ، لا تليق بالإنسان الكريم المحب. أية سلطة سماوية أو دنيوية منحتك الحق في تحويلهن إلى وصائف لك؟ أدنى وأخس الشتائم المتواصلة والصياح والملامات والتصرفات الانفعالية أثناء الفطور والغداء والتشكي الدائم من الحياة الشاقة والأشغال اللعينة - أليس ذلك كله تعبيراً عن الاستبداد الفظيع؟ فمهما كانت المرأة تافهة ومذنبة، ومهما كانت تقف على مقربة منك لا يجوز لك بحضورها أن تجلس بلا بنطال، ولا يجوز لك أن

تسكر بحضورها، ولا يحق لك أن تتفوه بألفاظ بذيئة لا يتكلمها حتى عمال المصانع عندما يرون نساءً على مقربة منهم. إنك تعتبر اللياقة وحسن التربية من التقاليد العتيقة، أفلا ينبغي أن تشفق على أحد، على ضعف الأنثى، على الأطفال؟ ألا ينبغي أن تحرص على شاعرية الحياة إذا كنت قد أجهزت على نثرها وماجرياتها اليومية. ما من زوج سوي أو عشيق يسمح لنفسه بمخاطبة المرأة بفاحش الكلام وبالسخرية الوقحة من العلاقة الجنسية لمجرد التندر والتنكيت. فهذا يفسد المرأة ويبعدها عن الخالق الذي تؤمن به. الشخص المهذب المحب الذي يحترم المرأة لا يسمح لنفسه بالظهور أمام خادمة المنزل من دون بنطال ولا يناديها بأعلى صوته: «يا كاتكا، ناوليني المبولة!»... في الليل يرقد الأزواج مع زوجاتهم متقيدين باللياقة كاملة في لهجة الكلام وأسلوب المعاملة، وفي الصباح يسارعون إلى شد ربطة العنق كيلا يهينوا المرأة بمظهرهم المبعثر ولباسهم المكرمش. ذلك تحذلق، لكنه قائم على شيء تفهمه إذا تذكرت الدور التربوي الفظيع الذي تلعبه الملابسات وصغائر الأمور في حياة الإنسان. الفارق بين المرأة الراقدة على فراش نظيف وبين الغافية على فراش وسخ ومع ذلك تقهقه مرحة كالفارق بين الفندق والحانة.

الأطفال مقدسون طاهرون. وهم في مصاف الملائكة حتى عند قطاع الطرق والتماسيح. يمكننا أن نخوض في أي حفرة أو مستنقع، أما هم فيجب أن يحيط بهم جو يليق بمكانتهم الملائكية. لا يجوز التفوه بكلام بذيء بحضورهم من دون رادع. كما لا يجوز إهانة الخدم أو مخاطبة نتاليا ألكساندروفنا بخشونة: «اذهبي إلى الشيطان. أنا لستُ متمسكاً بك». لا يجوز تحويلهم إلى ألعوبة تبعاً للمزاج: مرة تقبلهم بحنان، ومرة تطرق بقدميك على الأرضية في تهديد ووعيد. أنْ لا تحب أفضل من أن تحب بتعسف واستبداد. الكراهية أشرف من حب نصر الدين الذي يجعل من الفرس محبوبين تارة ويجلسهم على السفود تارة أخرى. لا يجوز ذكر الأطفال ارتباطاً بالأباطيل، بينما أنت تقول كلما أعطيت أو أردت أن تعطي كوبيكاً لأحد: «انتزعته من استحقاقات الأطفال». فالذي ينتزع هو المحسن الذي يعطي. وليس من اللائق تماماً التباهي بالإحسان. التباهي بالعطاء أشبه بالملامة. السواد الأعظم يعيشون من أجل الأسرة. ونادراً ما يتجرأ أحد على اعتبار ذلك فضلاً له عليها. ومن المستبعد أن نصادف شجاعاً، سواك، يعطي روبلاً لأحد على سبيل الإقراض ويقول له «انتزعت هذا الروبل من أولادي». لعل المرء لا يحترم الأطفال

ولا يقدس قدسيتهم، وهو مكتفٍ وشبعان ويسكر كل يوم، إذا كان يقول في الوقت ذاته إنه ينفق الراتب كله على أولاده! كفاك، كفاك!

أناشدك أن تتذكر أن الاستبداد والكذب أسفرا عن الفتك بفتوة والدتك. وشوّه الاستبداد والكذب طفولتنا لدرجة يبعث تذكرها على الغثيان ويملأ النفس رعباً. تذكّر الرعب والغثيان اللذين عانينا منهما آنذاك عندما كان الوالد ينتفض ويثور أثناء الغداء بسبب ملوحة الحساء أو عندما يلوم والدتنا ويصفها بالحمقاء. الوالد الآن لا يستطيع أن يغفر لنفسه ذلك السلوك.

الاستبداد جريمة ثلاثية الأبعاد. إذا لم يكن يوم القيامة من بنات الخيال فإنك ستتلقى فيه بأشد من (أعمامك) تشوخوف وغافريلوف. فليس خافياً عليك أن السموات وهبتك ما لم تهبه لـ ٩٩ شخصاً من كل مائة: أنت طيب القلب ورقيق المعشر بالفطرة. ولذا ستطالَب في يوم الدين بمائة مرة أكثر من الآخرين. ثم إنك إنسان متعدد المواهب وتعتبر صحافياً.

الوضع العصيب وسوء طباع النساء اللواتي عاشرتهن وحماقة الطباخات والعمل الشاق والحياة اللعينة وما إلى ذلك ليس بمبرر لتعسفك واستبدادك. الأفضل للمرء أن يكون ضحية وليس جلاداً.

نتاليا ألكساندروفنا والطباخة والأولاد ضعفاء لا حامي لهم. ولا يمتلكون أية حقوق عليك، فيما يحق لك أن ترميهم إلى خارج المنزل في كل لحظة وتسخر من ضعفهم كما يحلو لك. لا تجعلهم يتلمسون حقك هذا.

أنا أدافع (عنهم) قدر الإمكان. وضميري لا يؤنبني. فتسامح أنت واعتبر سوء التفاهم منتهياً. وإذا كنت صريحاً وليس محتالاً فلن تقول إن لهذه الرسالة مآرب أخرى خبيثة. أو إنها، على سبيل المثال، تهين كرامتك، وتنبع من شعور غير طيب لديّ. أنا أبحث في علاقاتنا عن الصدق والإخلاص فقط. فلست بحاجة إلى أكثر منهما.

اكتب لي بأنك أنت أيضاً لست زعلاناً، ولا ترى قطة سوداء مرت بيننا.

العائلة كلها تبعث تحياتها.

المخلص أ. تشيخوف

٨٢. إلى أليكسي سوفورين

موسكو، ٥ مارس ١٨٨٩

أرسل إليكم «الأميرة»، يا عزيزي أليكسي سرغييفيتش. فلتذهب إلى الشيطان. مللت منها: طول الوقت كانت مركونة على الطاولة وتطلب مني أن أنهيها. فأنهيتها. ولكنْ ليس كما يرام. وإذا كنتم لا تنوون نشرها في القريب العاجل فابعثوا لي البروفة كي أنقحها.

أعكف على كتابة قصة أخرى. استولت عليّ، فلا أترك الطاولة تقريباً. على فكرة، اشتريت طاولة جديدة.

أشكركم على وعدكم بإرسال القواميس (...) بالمقابل سأبعث إليكم هدية رخيصة الثمن ولا جدوى منها، ولكنها هدية لا يمكن أن يقدمها لكم شخص آخر سواي. (الهدية هي مسرحية «تاتيانا ريبينا» التي اعتبرها تشيخوف فاشلة). انتظروها. أسمح لنفسي أن أذكركم بصورتكم الفوتوغرافية الكبيرة وكذلك بصوري التي أعدها شابيرو. فإذا كانت قد وصلتكم أرسِلوها لي...

زارني سفوبودين وقال بالمناسبة إنكم كأنما استلمتم رسالة من رجل انتحر ابنه بعد مشاهدة مسرحيتي «إيفانوف». إذا كانت هذه الرسالة واقعاً، وليس خرافة ابعثوها لي رجاءً. وسأضيفها إلى الرسائل التي لديّ عن «إيفانوف». أنا لم أقرأ «المواطن» لأنني لا أستلم هذه الجريدة، ثم إنني مللت جداً من «إيفانوف» ولا أستطيع أن أقرأ شيئاً عنه. فيصادف أني أفقد أعصابي عندما يكتبون عنه بذكاء ويحللون بفطنة.

ليلة البارحة ذهبت إلى الضاحية واستمعت إلى الغجريات. هاته المتوحشات المحتالات يغنين جيداً. غناؤهن أشبه بانهيار قطار من تلة عالية خلال زوبعة شديدة. كثير من الهياج والزعيق والدربكة...

لا تصدقوا ما يقوله ليكين عني. أنا لا أبصق دماً، ولا أكتئب ولا أجن. إذا صدقنا كل ما يقال عني الآن في بطرسبورغ نعترف بأني أنزف دماً، وقد جننت، وتزوجت من سيبرياكوفا واستلمت صداقاً ٢٠ مليوناً.

اشتريت في متجركم دوستويفسكي وأقرأه الآن. يكتب جيداً، ولكن بإسهاب كبير ومن دون تواضع.

قولوا لي، من قضلكم، لماذا قدم المترجمون «العاصفة الرعدية» / ألكسندر أوستروفسكي/ إلى الفرنسيين ليسخروا منها؟ من الذي خطرت في باله هذه الفكرة؟ أخرجوا المسرحية فقط ليكلف الفرنسيون أنفسهم عناء التحدث المتعالي عما هو غير مفهوم لهم ويثير الضجر الشديد في نفوسهم. لو كان الأمر بيدي لنفيت كل هؤلاء السادة المترجمين إلى سيبيريا بسبب التهور وغياب الحس الوطني.

سأكتب «جني الغابات» في مايو أو أغسطس. كنت أذرع الغرفة جيئة وذهاباً في فترة الغداء فقمت بتركيب خطة الفصول الثلاثة الأولى بشكل مقبول تماماً. وبدأت برسم أبعاد الفصل الرابع. الفصل الثالث ينطوي على فضائح مثيرة ستجعلكم تقولون وأنتم تنظرون إليه: «إن الذي كتبه شخص ماكر لا يعرف الرحمة».

احتراماتي الخالصة لآنّا إيفانوفنا والصغار. أتمنى لهم الصحة والعافية.

المخلص أ. تشيخوف

(...)

٨٣. إلى أليكسي سوفورين

موسكو، ٨ أبريل ١٨٨٩

أهنئكم وآنّا إيفانوفنا وناستيا وبوريس بعيد (الفصح) متمنياً لكم الثروة والشهرة والتكريم وهدوء البال وانشراح الصدر مدى الحياة.

الطقس في موسكو غدّار: وحلٌ وبرد ومطر. الرسام (نكولاي، شقيق الكاتب، أصيب بالتيفوئيد وتوفي بعد شهرين) لا يزال يكابر، مع أن حرارته طول الوقت ٣٩ مئوية. أتردد عليه مرتين في اليوم.

مزاجي أشبه بطقس المدينة. لا أعمل، بل أقرأ أو أجوب الغرفة من هذا الركن إلى ذاك. على فكرة، أنا لست آسفاً على توفر الوقت للقراءة. القراءة أكثر مرحاً من الكتابة. وأظن أنني لو عشت ٤٠ عاماً أخرى وواظبت على القراءة كل هذه الأعوام الأربعين وتعلمت الكتابة بإبداع، أي بإيجاز، لأطلقت عليكم جميعاً بعد ٤٠ عاماً من مدفع ضخم يهز السماء. أما الآن فأنا قزم كالآخرين.

أهلي مشغولون: ينظفون ويرتبون ويطهون ويخبزون ويمسحون ويكنسون ويتراكضون على الدرج في صخب وضجيج. أنا ماض إلى الرسام. أتمنى لكم الصحة والعافية. تعالوا وسنسافر معاً إلى الفولغا أو بولتافا.

المخلص أ. تشيخوف

٨٤. إلى الكسندر تشيخوف

موسكو، ١١ أبريل ١٨٨٩

(العزيز الكاتب المسرحي) فكتور كريلوف الثاني!

لم أكتب لك من زمان. كنت متردداً. ما كنت اريد أن أخبرك بنبأ أليم. ظهرت سحب في الأفق. اللّه وحده يعلم هل ستهب الزوبعة أم لا. المشكلة أن الأحول (نكولاي) أصيب بالتيفوئيد في ٢٥ مارس على وجه التقريب. الإصابة هينة، لكن مضاعفاتها انعكست على الرئة اليمنى، حيث ظهر خمود خبيث وحشرجة. نقلتُ الأحول إلى منزلي، وأقوم بعلاجه. وعقدنا اليوم جلسة طبية استشارية تقرر فيها أن المرض خطير، ولكن ليس بالإمكان توقع شيء محدد. فالأعمار بيد اللّه.

حبذا لو نقلناه إلى القرم، ولكنه من دون جواز سفر وليس لدينا نقود.

هل كتبت المسرحية؟ («حصّالة النقود») إذا كنت تريد أن تعرف رأياً قيّماً عنها قدمها إلى سوفورين ليقرأها. سأكتب له اليوم عن مسرحيتك هذه. فلا تتكاسل واحملها إليه. لا تسلمها إلى الرقابة قبل أن تجري عليها التعديلات التي ستجريها حتماً إذا تحدثت مع أشخاص مجربين. إلا أن سفورين وحده غير كافٍ أبداً. وأنصحك أن تكون في المسرحية أصيلاً، وفطيناً على قدر الإمكان، ولا تخش أن تبدو غبياً. لا بدّ من حرية التفكير. ولا يكون حراً في التفكير إلا الذي لا يخشى كتابة الحماقات. لا تصقل النص ولا تشذبه، بل كن متسيباً حاد اللهجة. اكتب ما قل ودل. الإيجاز شقيق الموهبة، رديف الإبداع. وتذكر، بالمناسبة، أن الاعتراف بالحب وخيانة الزوجات والأزواج ودموع الثكالى والأيتام ومن لفّ لفّهم موضوعات مطروقة كتب عنها الكثير من زمان. الحبكة ينبغي أن تكون جديدة. ويمكن عدم

التقيد بتسلسل الأحداث. المهم توفير الطعام للوالد والوالدة. فاكتب. الذباب يطهر الهواء، فيما تطهر المسرحيات الأخلاق.

تحياتي القلبية لأولادك ونتاليا ألكساندروفنا. يؤسفني جداً أنني لم ولا أستطيع أن أقدم لهم ما يسرّ بمناسبة الأعياد. قدَري عجيب غريب. أنا لست شريراً، وأنفق ٣٠٠ روبل في الشهر، لكنني لا أفعل شيئاً يسرّني ويسرّ الآخرين.

أتمنى لك الصحة والعافية.

مرشدك الطيب أنطونيوس الثالث عشر

(في الأصل باللاتينية)

٨٥. إلى أليكسي سوفورين

سومي، أوائل مايو ١٨٨٩

ضيعة لينتفاروفا بضواحي سومي (أوكرانيا)

لا أصدق ما أراه. قبل قليل كان ثمة ثلج وبرد، أما الآن فأجلس عند النافذة المفتوحة أستمع إلى البلابل والهداهد والصفارية وغيرها من الأطيار تغرد بلا كلل في البستان الأخضر. مياه بسول الكبير رقيقة، وطبقات السماء دافئة، وكذلك أبعاد السهول. أشجارالتفاح والكرز مزدهرة، والبطات تتمشى مع أفراخها. باختصار، أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكاً...

لم يرسلوا لي القوارب التي تركتموها في الضيعة، فلا أستطيع أن أبحر في النهر. قوارب صاحب المنزل عند ناظر الغابة. ولذا أكتفي بالتجول على الضفة يقتلني الحسد تجاه الصيادين الذين يمخرون النهر بزوارقهم. أنهض من النوم باكراً، وآوي إلى الفراش باكراً. آكل كثيراً، وأكتب وأقرأ. الرسام (نكولاي تشيخوف) يسعل غاضباً. أحواله سيئة. لعدم توفر كتب جديدة أعيد قراءة ما قرأته. على فكرة، أقرأ غونتشاروف وأستغرب. أستغرب لنفسي، لماذا كنت أعتبره من كتّاب الدرجة الأولى؟ روايته «أوبلوموف» ليست بذات أهمية. إيليا إيليتش (أوبلوموف) شخصية

عادية، ليست كبيرة لدرجة تبرر تأليف كتاب كامل عنه. إنه كسول مهمل مثل الكثيرين. لا تعقيد في طباعه المبتذلة الضيقة. رفع شخص كهذا إلى مستوى النموذج الاجتماعي أمر لا يناسبه. وأنا أتساءل: لو لم يكن أوبلوموف كسولاً فمن تراه يكون؟ وأجيب: لا شيء. وطالما الأمر كذلك فلنتركه في غفوته. أما باقي الشخوص فهم صغار مضحكون، مرسومون بإهمال، ومفتعلون لحد النصف. إنهم لا يمثلون روح العصر ولا يقدمون جديداً. شولتس لا يحظى بثقتي. المؤلف يقول إنه شخص رائع، لكنني لا أصدق هذا القول. إنه محتال ماكر معجب بنفسه يحسن الظن بشخصه. إنه شخصية مفتعلة لحد النصف وتافهة لثلاثة أرباع. كما أن أولغا مفتعلة قسراً. والطامة الكبرى أن الرواية كلها فاترة باردة متجلدة... إنني أشطب غونتشاروف من قائمة أشباه الآلهة الذين أعتز بهم.

وبالمقابل، ما أقوى غوغول فناناً وكاتباً لا يعرف الافتعال! قصته «العربة» وحدها تساوي مائتي ألف روبل. إعجابنا به لا ينتهي. إنه كاتب روسي عظيم. أفضل ما في «المفتش العام» الفصل الأول، وفي «الزواج» الفصل الثالث هو أسوأ. سأقرأ غوغول على أهلي. (...)

في كشك الكتب بمحطة قطار سومي لا تتوفر «في الغسق» ولا «القصص»، فقد نفدت من زمان. فيما يعتبرونني في سومي كاتباً على الموضة، وأقيم ليس بعيداً عن المدينة. حبذا لو أرسلتم خمسين نسخة، وأكيد أنها ستباع.

في الليل الكلاب تنبح بشكل فظيع وتطرد النعاس.

الخطوط العريضة «لجني الغابات» بدأت ترتسم في ذهني.

تحية قلبية إلى آنّا إيفانوفنا وناستيا وبوريس.(...) أتمنى لكم السعادة، ولا تنسوني في صلواتكم المقدسة.

المخلص أكاكي تارانتولوف (أ. تشيخوف)

٨٦. إلى أليكسي سوفورين

سومي، ٤ مايو ١٨٨٩

أكتب إليكم، يا عزيزي أليكسي سرغييفيتش، بعد أن عدت من صيد السراطين. الجو رائع. كل شيء في الطبيعة يغني. ويزدهر ويتلألأ متألقاً بالجمال. الحديقة باتت خضراء عن آخرها. حتى البلوط العصي على التفتح تفتح. جذوع التفاح والكمثرى والكرز والبرقوق مطلية بالأبيض لمكافحة الآفات الزراعية. زهور جميع هذه الأشجار بيضاء، وهي شبيهة لحد مدهش بالعرائس في فساتين الزفاف: الفساتين بيضاء والزهور بيضاء ومنظرها تجسيد للبراءة وكأنها تستحي من نظرات الآخرين. كل يوم تولد مليارات من الكائنات. العنادل واللقالق والوقواق وسائر الأطيار تصيح ليل نهار بمصاحبة نقيق الضفادع. ولكل ساعة من الليل والنهار خصوصيتها. في التاسعة مساءً، على سبيل المثال، يخيم على البستان هدير خنافس مايو. الليالي مقمرة والنهارات مشمسة. وهذا ما يجعلني في أطيب مزاج، ولولا سعال الرسام (أخي) والبعوض الذي لا ينفع في طرده أي مستحضر لكنتُ من أسعد الناس. الطبيعة وسيلة مسكنة تماماً. إنها توفر الوئام، أي تجعل الإنسان لاأبالياً. واللاأبالية ضرورية في عالمنا هذا. اللاأباليون وحدهم يستطيعون أن ينظروا إلى الأشياء بوضوح، ويتحلوا بالعدالة ويعملوا. هذا بالطبع ينطبق على الأذكياء النشامى، أما الأنانيون والفارغون فهم لاأباليون أصلاً.

تقولون في رسالتكم إنني متماهل. لكنّ ذلك لا يعني أني صرت أكثر كسلاً من السابق. فأنا الآن أعمل بقدر ما كنت أعمل قبل ٣ - ٥ سنوات. تعودت على العمل والتظاهر بالعمل في الفترة من التاسعة صباحاً وحتى الغداء ومن شاي العصر حتى المنام. وأنا من هذه الناحية موظف. إذا كان عملي لا يثمر مسرحيتين في الشهر فليس الكسل هو المذنب، بل صفاتي النفسانية والعضوية: بالنسبة للطب أنا لا أحب النقود كثيراً، وبالنسبة للأدب لدي القدر الكافي من الحماسة، وبالتالي الموهبة. اللهب في داخلي يشتعل بفتور وتوازن. من دون وميض أو انفجارات. ولذا لا يحصل أن أكتب ثلاث أو أربع ملازم في ليلة واحدة أو أنهمك في العمل حتى أحرم نفسي من النوم عندما يداهمني النعاس، ولذلك لا أقترف حماقات ولا أبدي تخريجات فكرية تستحق الذكر. أخشى أن أكون من هذه الناحية شبيهاً جداً

بغونتشاروف الذي لا أحبه والذي هو أرقى مني في الموهبة بعشر مرات. الحماسة باتت قليلة، زد على ذلك وجود نوع من الاضطراب النفساني: فمنذ عامين صرت، من دون سبب واضح، أكره رؤية كتاباتي في الصحافة ولا أبالي بالدراسات الأدبية وبالكلام عن الأدب وبالوشايات وبالنجاح أو الفشل، وبالأجور والمكافآت الكبيرة. باختصار، صرت أحمق لحد يفوق الوصف. في روحي ركود أعزوه إلى ركود حياتي الشخصية. أنا لا أعاني من خيبة الأمل والإعياء والاكتئاب، كل ما في الأمر أنني صرت فجأة أقل اهتماماً بالمجريات. ينبغي أن أرش البارود تحت قدميّ.

هل تتصورون؟ الفصل الأول من «الجني» جاهز لدي. وهو لا بأس به رغم طوله. أشعر بأني أقوى كثيراً مما كنت في أثناء تأليف «إيفانوف». في مطلع يونيو تكون المسرحية جاهزة. فيا ويلكِ يا رئاسة. لن أقبل بأقل من خمسة آلاف. المسرحية غريبة عجيبة. ويدهشني أن تخرج بريشتي مسرحيات غريبة لهذ الحد. لكنني أخشى أنِ لا تسمح بها الرقابة. ثم إنني أعمل في تأليف رواية تعجبني أكثر وهي أعزّ عليّ من مسرحية «الجني» التي أضطر فيها إلى التحايل والتهريج.(. . .)

ذهبت إلى المسرح في سومي وشاهدت «عودة الشباب» (تأليف نيفيجين). الممثلون ظهروا في سراويل ومثلوا في حجرات جعلت من المسرحية «ورشة خدم» بدلاً من «عودة الشباب». وفي الفصل الأخير قرعت الطبول وراء الكواليس. إذا عرضوا «تاتيانا ريبينا» و«إيفانوف» سأشاهدهما أيضاً. (. . .) ابعثوا لي «تاتيانا ريبينا» إذا كانت قد صدرت.

كتب لي أخي (ألكسندر) أنه يتعذب في إنجاز مسرحيته. أنا مسرور لذلك. فليتعذب. شاهد بكبرياء مسرحية «تاتيانا ريبينا» و«إيفانوف»، وكان يحتسي الكونياك في الاستراحة وينتقد متفضلاً. الجميع يحكمون على المسرحيات بلهجة توحي أن كتابتها من أسهل الأمور. وهم لا يعرفون أن كتابة المسرحية الجيدة أمر صعب وأن كتابة المسرحية الرديئة أصعب وأفظع مرتين. حبذا لو تقمص الجمهور كله شخصية إنسان واحد يؤلف مسرحية، ونجلس أنا وأنتم في مقصورة «معهد الآداب» لنستهجنها بصيحات الغضب.

ألكسندر يعاني من كثرة التعديلات والتحويرات. إنه يفتقر إلى الخبرة، وأخشى أن يكون لديه الكثير من المؤثرات الزائفة، وهو يكافحها ويستنزف قواه في صراع لا طائل وراءه.

اجلبوا لي من الخارج كتباً وجرائد ممنوعة. لولا الرسام لسافرت معكم.

المشيئة الإلهية تعمل بذكاء: أخذت إلى العالم الآخر دميتري تولستوي (وزير الداخلية ومدير الدرك) وسالتيكوف- شيدرين، وبذلك أصلحت ما كنا نتصوره غير قابل للإصلاح. وهاهما الآن يتفسخان كلاهما، وكلاهما لاأباليان. أسمع البعض يفرحون ويتشفون بوفاة (الوزير) تولستوي، وأتصور هذه الفرحة همجية ووحشية. أنا لا أثق بمستقبل المسيحيين الذين يكرهون الدرك ويشمتون بوفاة الغير في الوقت ذاته ويعتبرون ملاك الموت هو المخلّص. ولا يمكنكم أن تتصوروا مدى الفظاعة والإزعاج عندما تفرح النساء للموت.

متى تعودون من الخارج؟ وإلى أين ستسافرون بعد ذلك؟

هل يعقل أني سأبقى حتى الخريف جالساً على ضفة بسيول ؟ ما أفظع الأمر. فالربيع لن يطول.

لينسكي يدعوني للسفر معهم إلى تفليس في جولتهم الفنية. كان بودّي أن أسافر لولا الرسام وحالته المتدهورة.

بلّغوا آنّا إيفانوفنا بأنني أتمنى لها من صميم القلب أكثر الرحلات مرحاً.

إذا كنتم ستلعبون قمار الروليت ضعوا ٢٥ فرنكاً بدلاً عني، فقد أفوز.

وفقكم اللّه لما فيه كل خير. أتمنى لكم موفور الصحة والعافية.

المخلص أ. تشيخوف

٨٧. إلى اليكسي بليشييف

سومي، ٢٦ يونيو ١٨٨٩

مرحباً، عزيزي الغالي أليكسي نكولايفيتش! وصلتني رسالتكم في اليوم التاسع لوفاة نكولاي، أي في الوقت الذي بدأنا فيه نستعيد وضعنا الطبيعي، وها أنا أرد عليكم وأشعر بأنني استعدت وضعي بالفعل ولم يعد هناك ما يعيقني عن مراسلتكم بانتظام.

توفي الرسام المسكين! في (ضيعة) لوكا أخذ يذوب كالشمع. ولم تكن لدي لحظة أتخلص فيها من فكرة اقتراب الكارثة. ما كان بالإمكان الجزم بموعد وفاة

نكولاي، إلا أنني كنت أرى بوضوح أنه موعد وشيك. وحانت الساعة في الظروف التالية: كان سفوبودين في ضيافتي. فانتهزت فرصة وصول أخي الأكبر ليحل محلي (في السهر على نكولاي) ورأيت أن آخذ قسطاً من الراحة وأشم النسيم لبضعة أيام. فأقنعتُ سفوبودين و(الزوجين) لينتفاريف وسافرنا معاً إلى عائلة سماغين في محافظة بولتافا. وجزاءً على فعلتي ومغادرتي كانت ريح باردة تهبّ طول الطريق والسماء مدلهمة كما في التندرا. وفي منتصف الطريق هطل مطر مدرار. وصلنا إلى منزل سماغين ليلاً. وكنا مبللين نرتجف من البرد، ورقدنا على أسرّة بارِدة وغفونا وسط حفيف المطر البارد. وفي الصباح كان نفس الطقس الكريه. ولن أنسى مدى الحياة هذا الطريق الموحل والسماء الكالحة والدموع المتصببة من الأشجار. أقول لن أنسى ذلك لأن رجلاً قميئاً وصل في الصباح من (مدينة) ميرغورود يحمل برقية بليلة: «توفي نكولاي». يمكنكم أن تتصوروا حالي. عدت إلى المحطة على ظهر حصان وركبت القطار ثم انتظرت في كل محطة ٨ ساعات... وفي محطة رومني انتظرت من السابعة مساءً حتى الثانية بعد منتصف الليل. ولكي أقتل الملل مضيت أتسكع في المدينة. أتذكر أني كنت جالساً في الحديقة العامة المظلمة والبرد فظيع والضجر جهنمي، ووراء الجدار البني الذي جلست قربه ممثلون مسرحيون يتدربون على دراما.

وصلت إلى بيتنا المفجوع. عائلتنا لم تشهد قبل ذلك وفاة أحد منها، فكان التابوت في منزلها لأول مرة.

رتبنا للرسام تشييعاً جيداً. حملناه على الأكف وشيعناه بالرايات وما إلى ذلك. دفناه في مقبرة القرية وزيّنا القبر بعشبة الأستيفيا (ورق العسل). والصليب مرئي من الحقل البعيد. ويخيل إليّ أن رقاده مريح جداً.

ربما سأسافر إلى جهة ما. لا أدري إلى أين.

سوفورين يدعوني للسفر معه إلى الخارج. يحتمل جداً أن أسافر إلى الخارج مع أنني لست راغباً أبداً. أنا الآن لا أميل إلى العمل البدني. أريد أن أرتاح. فالتجوال في المتاحف وصعود برج إيفيل والتحول من قطار إلى قطار واللقاءات اليومية (...) وطعام الغداء المنقوص وشرب النبيذ والركض وراء الانطباعات المثيرة - كل ذلك عمل بدني شاق. أنا أفضّل الإقامة في مكان ما في القرم، في مكان واحد لأتمكن من العمل.

مسرحيتي («جنّي الغابات») تجمدت في مكانها. لا وقت لي كي أكملها، بل لا أرى حاجة ملحّة إلى إكمالها. أكتب الرواية قليلاً قليلاً، أصحح وأعدل فيها أكثر مما أكتب. (...).

أهنئ «بشير الشمال» بعودة بروتوبوبوف وكورولينكو. لن يشعر أحد بالدفء أو البرد من نقد بروتوبوبوف، لأن جميع السادة النقاد المعاصرين لا قيمة لهم. إنهم فئة لا جدوى منها إطلاقاً. أما عودة كورولينكو فهي مدعاة للسرور، لأن هذا الإنسان الواعد مرشح للقيام بالكثير مما هو جيد ومفيد. كورولينكو محافظ بعض الشيء، يتقيد / في التنفيذ/ بأشكال ولى زمانها، ويفكر كصحافي في الخامسة والأربعين من العمر، ليس لديه كفاية من الفتوة والطراوة. إلا أن كل هذه النواقص ليست بذات شأن، ويخيل إليّ أنها جاءته من خارجه، وبتأثير اللحظة العابرة لا يستطيع أن يتخلص منها.

أختي تشكركم على التحية وتقدم، بدورها، تحياتها إليكم. والوالدة أيضاً. أما أنا فأقبّلكم وأعانقكم وأتمنى لكم كل خير.

انعموا بموفور الصحة والسعادة.

المخلص أ. تشيخوف

٨٨. إلى أليكسي بليشييف

يالطا، ٣ أغسطس ١٨٨٩

عزيزي أليكسي نكولايفيتش الغالي! هل تتصورون؟ أنا لست في الخارج ولا في القوقاز، بل أقبع وحيداً منذ أسبوعين في غرفة فندق منخفضة الإيجار بمدينة الحلاقين التتر يالطا. كنت متوجهاً إلى الخارج ووجدت نفسي صدفة في أوديسا. أمضيت هناك عشرة أيام وأنفقت نصف ما أملك على البوظة / كان الجو حاراً جداً/ ثم سافرت إلى يالطا. سافرت إليها من دون داعٍ، وأقيم فيها بلا موجب. أسبح في البحر صباحاً، وفي النهار أكاد أموت من شدة الحر، وفي المساء أشرب النبيذ، وأنام ليلاً. البحر رائع، والكساء النباتي مخيب للآمال، والسواد الأعظم من

الجمهور يهود (من ذوي السوابق) أو مرضى (يتعالجون). كل يوم أهمُّ بالرحيل ولا أرحل. في حين يجب أن أغادر. ضميري يؤنبني. وأشعر ببعض الخجل لأنني انفردت وتركت العائلة في إشكالاتها. كان الحزن والضجر والخوف يخيم على المنزل.

لهذه الرسالة هدف مزدوج: ١) أحييكم وأذكّركم بوجود صاحبكم الكثير المعاصي. ٢) أرجوكم أن تبلغوا آنّا ميخائيلوفنا أنها ستستلم مني القصة (كان تشيخوف يعكف على كتابة «قصة مملة») في موعد أقصاه الأول من سبتمبر. هذا أكيد، لأن القصة جاهزة تقريباً. ورغم الحر وغوايات يالطا أنا أواصل الكتابة. كتبت ما قيمته ٢٠٠ روبل، أي ملزمة طباعية كاملة.

كنت قد شرعت بكتابة المسرحية («جني الغابات») في المنزل، لكنني أهملتها. مللت من الممثلين، فليذهبوا إلى...!

غمرتني اليوم فرحة. فأثناء السباحة كاد يقتلني رجل بيده رمح طويل ثقيل. تخلصت من الموت بفضل ابتعاد رأسي عن الرمح مسافة سنتمتر واحد. أعجوبة النجاة هذه أثارت في ذهني مختلف الأفكار المناسبة للموقف.

في يالطا نساء كثيرات، ولا حسناء واحدة بينهن. ثمة كثير من ممارسي الكتابة ولا كاتب موهوباً بينهم. وكثير من أنواع النبيذ ولا قطرة جيدة بينها. الشيء الجيد الوحيد هنا هو البحر زائداً الجياد الوئيدة (الرهوان). تمتطي ظهر الحصان فيسير بك وأنت تهتز كما في قارب. الحياة المعيشية رخيصة. يمكن للفرد الواحد أن يعيش هنا بمائة روبل في الشهر.

يبلغكم تحياته بتروف المقيم دوماً هنا، وصاحب مطبعة وزير نساء، دون جوان، ومحب للشعر. إنه جالس جنبي الآن وينوي أن يقدم لي طعام الغداء. إنه أصم أبكم، ويتكلم بصوت مرتفع فظيع. عموماً في هذه المدينة كثير من غريبي الأطوار.

إذا أردتم أن تفرحوني برسالة ابعثوها إلى سومي، وسأعود إلى هناك لا أبعد من ١٠ أغسطس.

القصة التي تتحدث عن الحر والمزاج السوداوي المعتكر مملة، لكنّ حبكتها جديدة. ويحتمل تماماً أن يقرأها الناس باهتمام. (...)

تحياتي لجميع العاملين معكم. أعانقكم بشدة وأظل كالعادة المحب لكم

بإخلاص **أنطون بوتومكين** /هذا هو الاسم المستعار الذي أطلقه عليّ جان شيغلوف/ .

على فكرة، ماذا يفعل جان؟ ألا يزال يمارس العنف على نفسه وعلى بوليهيمينيا (إلهة التراجيديا)؟ . بلغوه تحياتي إذا التقيتموه.

٨٩. إلى بيوتر تشايكوفسكي (ملحن)

موسكو، ١٢ أكتوبر ١٨٨٩

حضرة بيوتر إيليتش الموقر!

في هذا الشهر أنوي الشروع بطبع مجموعة قصصية جديدة. أقاصيصها مملة تثير الضجر كالخريف، وهي متماثلة اللهجة، والعناصر الفنية فيها متشابكة بكثافة مع الجوانب الطبية. إلا أن ذلك لا يمنعني من أن أتجرأ على طلب سماح منكم بأن أكرس هذه المجموعة لشخصكم الكريم (صدرت مجموعة «المتجهمون» عام ١٨٩٠ مع إهداء إلى تشايكوفسكي). وأنا أتشوق إلى استلام رد بموافقتكم على التكريس، ذلك، أولاً، لأن إهداء المجموعة لكم يبعث الارتياح العميق في نفسي، وثانياً- يتجاوب ولو قليلاً مع شعوري بالاحترام الخالص الذي أتذكركم به كل يوم. وقد خطرت فكرة الإهداء في بالي منذ تعرفت عليكم (خريف ١٨٨٨ في بطرسبورغ) وتناولت طعام الإفطار معكم عند شقيقكم موديست إيليتش وعلمت منكم آنذاك أنكم قرأتم قصصي.

وإذا تكرمتم وأرسلتم صورة فوتوغرافية مع السماح فسأحصل على أكثر مما أستحقه وأبقى راضياً مدى الدهر. معذرة على إزعاجكم، واسمحوا لي أن أتقدم إليكم بأطيب الأماني.

المخلص لكم روحياً أ. تشيخوف

(في رسالته الجوابية بعث تشايكوفسكي صورته إلى تشيخوف مذيلة بالعبارة التالية: «من قارئ شغوف بكتاباتكم. بيوتر تشايكوفسكي. ١٤ أكتوبر ٨٩»).

٩٠. إلى اليكسي سوفورين

موسكو، ١٣ أكتوبر ١٨٨٩

١٣ أكتوبر تاريخ منحوس غير مناسب للبداية.

الحمد لله على السلامة. أهنئكم بالوصول.

سوف أنتهز بكل سرور طبعاً فرصة دعوتكم للنزول عندكم. ألف شكر. سآتي في وقت لا أبعدِ من أكتوبر أو نوفمبر.

كل شيء عندي تمام. أنا في صحة جيدة تقريباً. والعائلة أيضاً. المزاج طيب، والنقود متوفرة تكفيني حتى حلول العام الجديد، ولست متماهلاً بعد. في الصيف تسكعت ولم أفعل شيئاً. وفي الشهرين الأخيرين حققت أكثر مما ينتظر من أديب كسلان مثلي. أولاً- كتبت قصة في ٤ ملازم ونصف («حكاية مملة»)، وقد أرغمت نفسي عمداً على مهمة فوق طاقتي، فعكفت عليها ليل نهار، وتصبب مني عرق غزير، حتى شارفت على الغباوة بسبب التوتر، وما حصل هو مزيج من الارتياح والانضباط تعويضاً عن عطل الصيف. سوف تنشر القصة في عدد نوفمبر من «بشير الشمال».

ثانياً- ما إنْ أنهيت القصة بعد جهد جهيد حتى تماديت وكتبت بالاستمرارية «جني الغابات» من أربعة فصول. كتبتها من جديد، وأتلفت كل ما أنجزته منها في الربيع. عملت بارتياح كبير، بل وبتلذذ، مع أن كوعي بات يؤلمني بسبب الكتابة وغامت نظرة عينيّ كما في الضباب. وجاءني سفوبودين وأخذ المسرحية لعرضها في حفلة تكريمه / ٣١ أكتوبر/ . قرأ المسرحية فسيفولوجسكي وغريغوروفيتش وشلتهما. يمكن أن تعرفوا مصيرها، إذا شئتم، من سفوبودين الذي له مصلحة فيها ومن غريغوروفيتش، كونه رئيساً للمحكمة العسكرية الميدانية التي حاكمتني وحكمت على «جني الغابات». المسرحية رفضت. ولا أعرف ما إذا كانت قد رفضت فقط لحفلة تكريم سفوبودين / فالأمراء الكبار سيحضرون الحفلة/ أم للمسرح الرسمي عموماً. ولم يكلف أحد نفسه عناء تبليغي بذلك.

ثالثاً - أنا أعد بدقة وتمحيص محتويات المجموعة الثالثة من الأقاصيص. وبالطبع سأتوجه إليكم بالكتاب هذه المرة أيضاً، ولكن ليس قبل الأول أو الثاني من نوفمبر. الآن أقوم، على سبيل الراحة، بتنقيح الأقاصيص، وكتابة بعضها من جديد.

هذا كل شيء. وليس فيه ما يسر الأنظار.

هل أحدثكم عما منعني من السفر إلى الخارج؟ اسمحوا لي إنْ لم يكن ذلك مملاً. في الأول من يوليو توجهت إلى الخارج في أسوأ مزاج، وتركت العائلة كلها في مثل هذا المزاج. كنت في حالة من اللاأبالية التامة، لا فرق أن أسافر إلى تيرول أو بيرديتشيف أو سيبيريا. وطالما أعرف أنكم ستقضون في تيرول شهراً كاملاً قررت أن أعرج في الطريق على أوديسا حيث دعاني إليها لينسكي برقياً. وهناك صادفت فرقة مسرح مالي تياتر. وعندها أخذت أتفلسف بكسل ولا أدري كيف أتخلص من الحر، فتصورت أنني لا أملك من النقود ما يكفي للطريق، ومع ذلك قررت السفر إلى تيرول. إلا أن ما فتَّ في عضدي وأربكني أنني أستلم برقياتكم وأنكم لا تستلمون برقياتي. وكنت أتلقى الجواب التالي: عنوان سوفورين غير معروف. ثم حصلت إغراءات واعتبارات مالية أربكتني نهائياً وشوشت عليّ، فغادرت أوديسا إلى يالطا وفي جيبي أقل من ٤٠٠ روبل. وهنا تلكأت. لن أصف لكم مغامراتي في القرم، فلهذا الغرض تعوزني موهبة الفكاهي الإنجليزي برنارد.

أنا آسف لأنني لم أسافر إلى الخارج، أخجل من نفسي وأخجل منكم بعد كل ما سببته لكم من إزعاج. إلا أنني مسرور بعض الشيء لعدم سفري. فلو سافرت لغرقت في الديون ولعدت الآن فقط دون أن أفعل شيئاً. وذلك كله بالنسبة لجبان مثلي أسوأ من الموت. (...)

تحياتي القلبية لآنّا إيفانوفنا، وكذلك ناستيا وبوريس.

أتمنى لكم دوام الصحة، ولا تزعلوا على

محسوبكم أ. تشيخوف

٩١. إلى بيوتر تشايكوفسكي

موسكو، ١٤ اكتوبر ١٨٨٩

مسرور، جداً، جداً، يا بيوتر إيليتش العزيز، وممتن لكم بلا حدود. (على الصورة الفوتوغرافية). أبعث إليكم صورتي والكتاب، وبودّي أن أبعث إليكم الشمس لو كانت مُلكي.

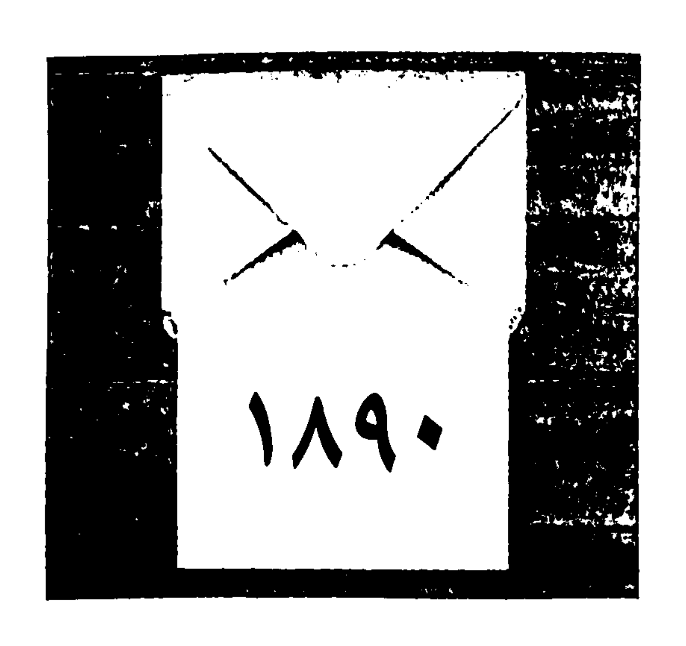
لقد نسيتم عندي محفظة السجائر. أبعثها هي أيضاً. تعوزها ثلاث سجائر لف أجهز عليها ودخنها عازف الفيلونسيل (م. سيماشكو) وعازف الناي (أ. إيفانينكو) ومعلم الموسيقى (إيفان تشيخوف).

أكرر شكري مجدداً وأبقى المخلص لكم من صميم القلب

أ. تشيخوف

(١. ذيّل تشيخوف صورته بالعبارة التالية: «إلى بيوتر إيليتش تشايكوفسكي للذكرى من معجب شاكر ومخلص من صميم القلب- تشيخوف»، كما ذيّل كتابه «في الغسق» كالآتي: «إلى بيوتر إيليتش تشايكوفسكي من المؤلف مع أعمق آيات الاحترام- تشيخوف».

٢. في رسالة إلى سوفورين بتاريخ ١٥ أكتوبر ١٨٨٩ كتب تشيخوف: «يوم أمس زارني بيوتر تشايكوفسكي، الأمر الذي زاد من قيمتي في نظري. فهو، أولاً، شخصية كبيرة. وثانياً - أنا أحب موسيقاه إلى أبعد الحدود، وخاصة أونيغين. نريد أن نؤلف ليبريتو». كان تشيخوف وتشايكوفسكي ينويان كتابة حوار أوبرا بالاعتماد على حبكة قصة ميخائيل ليرمونتوف «بيلا».)



٩٢. إلى أليكسي بليشييف

موسكو، ١٥ فبراير ١٨٩٠

عزيزي أليكسي نكولايفيتش! أرد على رسالتكم حال استلامها. احتفلتم بعيد الشفيع؟ أجل، كنت مريضاً!! فاعذوني، يا عزيزي اللطيف، وتقبلوا تهنئتي المتأخرة.

هل يعقل أن «سوناتا كروتزر» (رواية ليف تولستوي) لم تعجبكم؟ لا أقول إنها مسرحية عبقرية خالدة، فأنا لست المحكم، إلا أن من المستبعد، في اعتقادي، أن نجد بين كل ما يكتب عندنا وفي الخارج اليوم ما يضاهيها من حيث أهمية الفكرة وجمال الأداء، ناهيك عن المزايا الفنية التي تثير الدهشة في بعض المواضع. شكراً لهذه الرواية، في أقل تقدير، على أنها تستثير الفكر إلى أقصى حد. عندما نقرأها نكاد نصيح: «هذا صحيح!»، أو «هذا غير معقول!». إلا أن فيها نواقص مؤسفة جداً. فإضافة إلى ما ذكرتموه (في رسالتكم) ثمة عيب لا ينبغي مسامحة الكاتب عليه، ألا وهو الجرأة التي يتحدث بها تولستوي عما لا يعرفه وما لا يريد الاعتراف به بسبب التعنت. على سبيل المثال، محاججاته عن الزهري والإصلاحيات ونفور النساء من الجماع وما إلى ذلك من المسائل التي فيها نظر. والأكثر من ذلك أنها تكشف عن إنسان جاهل لم يكلف نفسه خلال عمره الطويل بقراءة كتاب أو كتابين للمتخصصين في هذه الأمور. ومع ذلك تتطاير هذه النواقص مثل الريش في مهب الريح. والقارئ لا يلاحظها على خلفية مزايا الرواية، وإذا لاحظها يشعر بشيء من

الأسف لأن الرواية لم تتفادَ مصير كل الشؤون البشرية البعيدة عن الكمال ولا يخلو نسيجها من البقع الملوثة.

أصدقائي وزملائي في بطرسبورغ زعلانون عليّ؟ بأية جريرة؟ ألأنني لم أثقل عليهم كثيراً بتواجدي الذي يثقل عليّ أنا نفسي من زمان؟ حاولوا أن تهدئوا روعهم وقولوا لهم إنني حضرت الكثير من ولائم الغداء والعشاء في بطرسبورغ، لكنني لم أأسر فؤاد ولا سيدة واحدة، وإنني كنت كل يوم على يقين بأنني سأغادر في المساء بالقطار السريع وكان يحتجزني الأصدقاء وكذلك «المجموعة البحرية» التي كان يلزمني أن أتصفحها كاملة اعتباراً من عام ١٨٥٢. وخلال مكوثي في بطرسبورغ أنجزت خلال شهر واحد أكثر مما يستطيع أن ينجزه أصدقائي الشباب طوال عام. على أية حال، فليزعلوا! هذا شأنهم.

أما أنني غادرت مع جيغلوف إلى موسكو على ظهور الخيل فتلك مزحة أبرقها ابن سوفورين إلى عائلتي فصدقوها. وبخصوص الـ ٣٥٠٠٠ رسول الذين جاءوني من الوزارة لتعييني في منصب محافظ جزيرة سخالين أقول إن ذلك سوء فهم لا أكثر. أخي ميشا كتب إلى عائلة لينتفاريف بأنني قدمت طلباً للسماح بالسفر إلى سخالين، ويبدو أنهم أساءوا فهمه. (...)

طول النهار أقرأ وأسجل المعلومات عن سخالين. ليس في دماغي وعلى الورق شيء ما عداها. ذلك هوس وهلوسة. سعار سخاليني (في الأصل باللاتينية).

قبل فترة تناولت طعام الغداء عند يرمولوفا. زهرة برية وجدت نفسها في باقة من القرنفل، فتشبعت بعطره وباتت فواحة أكثر. هكذا أنا عندما تغديت مع النجمة. طوال يومين بقيت أتحسس هالة لماعة حول رأسي. (...)

وداعاً عزيزي. تعالوا إلينا. تحياتي لذويكم. شقيقتي والوالدة تبلغانكم تحياتهما.

المخلص أ. تشيخوف

٩٣. إلى الكسندر تشيخوف

موسكو، ٢٥ فبراير ١٨٩٠

وحيد الخلية!

أنا بحاجة إلى الاطلاع بأكبر قدر من التفصيل على ما تكتبه الجرائد عن سخالين، ذلك لأنه يهمني ليس فقط من ناحية المعلومات الواردة فيها. المعلومات بذاتها تهمني طبعاً، ولكنْ، يا غوسيف (اسم ألكسندر المستعار)، من الضروري توفر التغطية التاريخية للوقائع التي تشكل محور هذه المعلومات. مقالات الجرائد مكتوبة إما من قبل أشخاص لم يزوروا سخالين ولا يفقهون شيئاً في شؤونها، وإما من قبل أشخاص لهم مصلحة في كتابتها ليكسبوا رأس مال من مشكلة سخالين ويدللوا على براءتهم وعفتهم في الوقت ذاته. جرأة الفريق الأول وتحايلات الفريق الثاني تشكل عنصرين للتعتيم والعرقلة، وينبغي أن يعتبرهما الباحث أثمن من أية معلومات معظمها خاطئ أو جاء من بنات الصدفة. هذان العنصران يكشفان بكل وضوح عن طبيعة موقف مجتمعنا تجاه القضية عموماً وتجاه مشكلة السجون خصوصاً. ولا تفهم الكاتب ودوافعه إلا إذا قرأت مقالته كاملة.

على أية حال خلّص المكتبة العامة من ترددك عليها. فما قمت به يكفي. والباقي ستستنسخه شقيقتي التي استأجرتها وستبدأ الذهاب إلى مكتبة روميانتسيفسكي اعتباراً من الأسبوع الثالث للصوم الكبير. وسأجد تكليفاً آخر لك، أيها الأحمق. اركع أمامي واطلب المغفرة. كل المطلوب منك أن تفعله ستجده في رسالة تستلمها في الأسبوع الرابع أو الخامس من الصوم. . . أما بخصوص القمل فيمكنني أن أقول شيئاً واحداً: القذارة تقتلني! (الخادم) زاخار في رواية «أوبلوموف» وألكسندر تشيخوف يتحدثان عن تعذر التخلص من القمل والبق. تلك مسألة علمية بحتة. إلا أنني، تصور، رأيت أكثر من مرة عوائل ليس لها علم بوجود هذه الحشرات. ثمة وسائل كثيرة للتخلص من القمل. اطلب من الصيدلية نقيع سبانيلا.

الأهل كلهم بخير. تحياتي إلى نتاليا ألكساندروفنا و(ولديك) نكولاي وأنطون.

المتفضل عليك أ. تشيخوف

(تعقيب رقم ١) كتب تشيخوف في رسالة إلى سوفورين ما بين ١٩ و٢١ فبراير

١٨٩٠ يقول: «في عملي على موضوع سخالين أنا عالم وابن كلب ستدهشكم دناءته كل الدهشة. لقد سرقت الكثير من الأفكار والمعلومات من كتب الغير وسأنتحلها مدعياً أنها أفكاري ومعلوماتي. ففي عصرنا النفعي لا يمكن التصرف على نحو آخر».

(تعقيب رقم ٢) في رسالة أخرى إلى سوفورين بتاريخ ٢٨ فبراير ١٨٩٠ كتب تشيخوف: «سأظل أطلب منكم تزويدي بالمراجع لحين موعد سفري (إلى سخالين). وأبعث إليكم الآن قائمة المجلات التي أحتاج إليها. صدقوني، يا صاحب المعالي، أنني تلقيت جزائي على إزعاجكم. فبسبب قراءة الكتب التي بعثتموها لي عششت الصراصر في دماغي. ذلك عمل جهنمي مرهق سيجعلني، على ما أعتقد، أموت من الضجر قبل أن أصل إلى سخالين».

٩٤. إلى أليكسي سوفورين

موسكو، ٩ مارس ١٨٩٠

اليوم ذكرى الشهداء الأربعين

بخصوص سخالين كلانا على خطأ، إلا أن خطأكم، على ما يبدو، أكثر مني. فأنا مسافر إلى هناك وكلي ثقة بأن رحلتي لن تقدم قسطاً ثميناً لا في الأدب ولا في العلوم. فمن أجل ذلك ليس لدي لا الوقت الكافي ولا المعارف اللازمة ولا الطموحات. ليست لدي مخططات مثل مخططات غومبولد ولا حتى كينان (ألماني وأميركي زارا روسيا ومنعت كتاباتهما عنها). أريد أن أكتب ولو ١٠٠ - ٢٠٠ صفحة لأسدد بذلك جزءاً ضئيلاً مما عليّ للطب الذي أنا خنزير في التعامل معه، كما تعلمون. ولربما لن أستطيع أن أكتب شيئاً، ومع ذلك لا تفقد الرحلة عطرها بالنسبة لي: سأعرف الكثير وأتعلم الكثير وأنا أقرأ وأستمع وأنظر إلى كل الجهات. أنا لم أسافر إلى هناك بعدُ، لكنني بفضل الكتب التي قرأتها الآن بحكم الضرورة عرفت الكثير مما ينبغي أن يعرفه الشخص خوفاً من الأربعين سوطاً وما كنت جاهلاً به في السابق. وإلى ذلك فالرحلة كما أتصورها عمل بدني وذهني متواصل لستة

أشهر، وهذا شيء ضروري بالنسبة لي، ذلك لأني أوكراني (تشيخوف من عائلة أقنان معتوقين نزحت في حينه من روسيا الكبرى إلى روسيا الصغرى، أي أوكرانيا، وتزوج جده امرأة أوكرانية. الكاتب يقول إنه أوكراني لحد الربع نسبة إلى جدته يفروسينيا شيمكو - المترجم). وقد أخذت أتكاسل. ينبغي أن أروض نفسي. ولنفترض أن رحلتي تافهة، والإصرار خير، ولكن فكروا وقولوا لي ماذا سأخسر إذا سافرت؟ هل أضيع الوقت وأنفق النقود؟ وأتعرض للحرمان؟ وقتي لا قيمة له. وليس لدي نقود في كل الأحوال. أما بخصوص الحرمان فسأرتحل على ظهور الخيل ٢٥ - ٣٠ يوماً لا أكثر، أما الوقت الباقي فسأقضيه جالساً على متن البواخر أو في الغرفة وأظل طول الوقت أطلق عليكم رشاشات الرسائل. حتى لو لم تعطني الرحلة شيئاً على الإطلاق فهل يعقل أن لا يصادف خلالها يومان أو ثلاثة أتذكرها مدى الحياة بفرحة أو بمرارة؟ وهكذا، يا سيدي، كل هذا غير مقنع، لكنكم أنتم أيضاً تكتبون ما لا يقنع. تقولون مثلاً إن سخالين غير ضرورية ولا تعني أحداً. فهل هذا صحيح؟ سخالين يمكن أن تكون غير ضرورية ولا تعني أحداً فقط بالنسبة لمجتمع لا يبعث إليها آلاف المنفيين ولا ينفق عليها الملايين. سخالين هي المكان الوحيد بعد أوستراليا في السابق وكاينا (غويانا الفرنسية في أميركا الجنوبية) الذي يمكن أن تدرس فيه مجمعات للمجرمين، وأوروبا كلها مهتمة به، وتقولون نحن لسنا بحاجة إليه؟ قبل ٢٥ - ٣٠ عاماً لا غير قام باحثونا الروس بدراسة سخالين وأنجزوا مآثر مدهشة يستحقون التمجيد عليها. كل ذلك ونحن لسنا بحاجة إليها؟ نحن لا نعرف هؤلاء الأشخاص، ونجلس وراء أربعة جدران ونتشكى من أن اللّه خلق الإنسان بعيداً عن الكمال. سخالين هي بقعة الآلام التي لا تحتمل ولا يطيقها إلا إنسان حر مرغم بالإكراه. العاملون قربها وفيها حلّوا ولا يزالون يحلون مهمات مسؤولة وفظيعة. يؤسفني أنني لست عاطفياً، ولو كنت كذلك لقلت إن الأماكن التي مثل سخالين علينا أن نحج إليها مثلما يحج الأتراك إلى مكة. وعلى البحارة ومسؤولي السجون أن ينظروا إلى سخالين كما ينظر العسكريون إلى سيواستوبول. يتضح من الكتب التي قرأتها وأقرأها أننا دفعنا إلى التفسخ في السجون ملايين الأشخاص. دفعناهم إلى التفسخ عبثاً، من دون تفكير وبكل وحشية. وإننا نقتاد الناس في الزمهرير مقيدين بالسلاسل عشرات الآلاف من الكيلومترات، وقد نشرنا عدوى الأمراض الزهرية بينهم وأفسدناهم وعملنا على تكاثر المجرمين، وألقينا تبعة ذلك كله على نظار

السجون بأنوفهم المحمرة. أوروبا المثقفة تعرف الآن بأجمعها أن النظار ليسوا مذنبين، بل نحن جميعاً المذنبون، لكننا غير عابئين بذلك وكأنه لا يعنينا. الستينات المشهودة (إلغاء القنانة) لم تفعل شيئاً على الإطلاق للمرضى والسجناء. وبذلك خالفت الوصية الرئيسية الأولى من وصايا الحضارة المسيحية. في الحال الحاضر تبذل بعض الجهود من أجل المرضى، أما السجناء فلا شيء. وحقوقيونا غير مهتمين إطلاقاً بإدارة السجون. كلا، أوكد لكم أن سخالين ضرورية ومهمة. والمؤسف أنني أنا ذاهب إلى هناك، وليس شخص آخر أكثر فهماً للقضية وأكبر قدرة على إثارة الاهتمام بها في المجتمع. فأنا ذاهب من أجل أمور طفيفة.

(...)

... وبالتالي اسمحوا لي أن أعبّر عن احترامي لكم وأنا أقفز إلى الهوة السحيقة لأهشم رأسي.

المخلص أ. تشيخوف

٩٥. إلى أليكسي سوفورين

موسكو، ١٥ مارس ١٨٩٠

بدافع من الأنانية، ومن الإلهام جزئياً، أبعث إليكم مع هذه الرسالة أقصوصة («اللصوص»)، ولكنْ زودوني، يا عزيزي، بالبروفة، ذلك لأن الأقصوصة مرسومة بفرشاة الإسكافي وتحتاج إلى تنقيح ورتوش. ينبغي أن أختصر وأصحح الكثير. كان بودّي أن أصحح الآن، إلا أن ذهني مشغول بسخالين، وفي كل ما يتعلق بالأدب الرفيع أنا أغبى الأغبياء. لا بدّ لي أن أنتظر لأراجع البروفة.

مع أقصوصتي أبعث إليكم قصة فيليبوف، وهو يرجوكم كل الرجاء أن تعيدوها إليه إذا لم تعجبكم. وربما أبعث إليكم قصة يجوف. أهنئكم وأتمنى لكم المزيد من أمثال هذه الطرود.

قرأت الكتب التي بعثتموها، ما عدا فيشر، وأعيدها إليكم بعد أيام.

أمس أو أول من أمس غادر ميشا (ميخائيل، شقيق الكاتب) إلى بطرسبورغ

ليراجع الإدارة، مع أنه لا موجب للاستعجال مطلقاً، وبخاصة أن منزلنا الريفي سيخلو من الرجال في الصيف. كان ينبغي له أن يقضي الصيف مع العائلة.

إلى اللقاء، يا عزيزي. ولكم أطيب الأمنيات. تحياتي إلى آنّا إيفانوفنا، أقبّل يديها الاثنتين.

المخلص أ. تشيخوف

٩٦. إلى موديست تشايكوفسكي
(شقيق بيوتر تشايكوفسكي)

موسكو، ١٦ مارس ١٨٩٠

عزيزي موديست إيليتش!

زارني قبل أيام (ف. كومانين) رئيس تحرير مجلة «الممثل» وطلب مني أن أوظف كل قدراتي على الكلام الفصيح لأقنعكم بالموافقة على نشر قصتكم «السمفونية» بمجلته في مستهل الموسم القادم. وسألته: «كم تدفعون؟»، فأجاب: «ليس كثيراً، فلا مال لدينا». على أية حال، إذا وافقتم على نشرها خذوا بعين الاعتبار أن «الممثل» تدفع في مقابل المسرحية الأصلية التي تعرض على خشبة المسرح الحكومي ما بين ١٥٠ و٢٥٠ روبلاً /ليس للملزمة الواحدة، بل للمسرحية كلها، نعم. يا لهم من بهائم!/. ولما كانت المسرحية قد طبعت عند راسوخين وفقدت بكارتها فلن يدفعوا لكم ٢٥٠ روبلاً. بخصوص الموافقة أو عدمها يمكنكم أن تجيبوني.. ولكن لا تعدوهم بشيء تحديداً. فإن خططكم قد تتغير في الخريف. أنا أنصح برد عمومي قابل للتملص. يكفي أن تقولوا لهم مثلاً: سأنظر في طلبكم.

أنا لا أغادر المنزل. أعكف على القراءة لأتبين كم كان سعر الطن الواحد من فحم سخالين في عام ١٨٦٣، وكم سعر فحم شنغهاي. كما أقرأ عن تذبذات وأنواع الرياح التي ستهب في وجهي عندما سأتابع مرض دوار البحر وهو يلاحقني عند سواحل سخالين. وأقرأ عن التربة وما تحتها وعن الطين شبه الرملي والكثبان الرملية شبه الطينية. على فكرة، أنا لم أفقد عقلي بعدُ، حتى إنني أرسلت أمس قصة

(«اللصوص») إلى «العصر الحديث»، وسأرسل «الجني» قريباً إلى «بشير الشمال». ولست راغباً جداً في إرساله، لأنني لا أحب أن أرى مسرحياتي منشورة.

بعد قرابة أسبوعين يصدر كتابي (مجموعة قصص «المتجهمون») المكرس لبيوتر إيليتش (تشايكوفسكي). أنا مستعد لأقف حارساً ليل نهار أمام مدخل مسكنه. لهذا الحد أنا أحترمه وأقدره. وإذا تحدثنا عن المراتب ففي الفن الروسي يشغل تشايكوفسكي حالياً المرتبة الثانية بعد ليف تولستوي الذي احتل المرتبة الأولى من زمان. /أنا أفرد المرتبة الثالثة إلى ريبين، وأخصص لنفسي المرتبة الثامنة والتسعين/ . كنت من زمان أداري أمنية جسورة لتكريس شيء من كتاباتي له. وكنت أفكر في أن هذا التكريس سيكون تعبيراً جزئياً بالحد الأدنى عن التصنيف النقدي الهائل الذي وضعته، أنا الكويتب المضحك، في ذهني عن موهبته الرائعة ولا أجيد صياغته على الورق بسبب جهالتي الموسيقية. وللأسف اضطررت أن أحقق أمنيتي تلك من خلال كتاب لا أعتبره أفضل ما كتبت. فهو يتكون من كتابات نفسانية مريضة كالحة خصيصاً ويحمل عنواناً كالحاً يجعل إهدائي لا يروق للمعجبين بعبقرية بيوتر إيليتش وله شخصياً.

هل أنتم من المعجبين بتشيخوف؟ شكراً جزيلاً. كلا. أنتم لستم من المعجبين به. كل ما في الأمر أنكم إنسان متسامح. انعموا بموفور الصحة. أتمنى لكم كل خير.

عنواني: موسكو، حارة كودرينو.

المخلص أ. تشيخوف

٩٧. إلى إيفان ليونتيف - شيغلوف

موسكو، ٢٢ مارس ١٨٩٠

مرحباً، عزيزي جان! شكراً على رسالتكم المستفيضة وعلى حسن النوايا التي تملأها من أعلاها إلى أسفلها. سأقرأ بسرور قصتكم العسكرية (القصة غير معروفة). هل ستنشر في عدد عيد الفصح (من «العصر الحديث»)؟ أنا لم أقرأ شيئاً من زمان، لا من كتاباتكم ولا من كتاباتي.

تقولون في رسالتكم إنكم تريدون أن تتشاجروا معي بقساوة «وخصوصاً في مسائل الأخلاق والفن»، وتتحدثون بغموض عن جرائم منسوبة لي تستحق ملامة ودية، حتى إنكم تهددونني «بنقد من صحيفة متنفذة». وإذا شطبنا كلمة «الفن» تغدو العبارة الواردة بين هلالين أكثر وضوحاً، لكنها تكتسب معنى يربكني كثيراً في الحقيقة. فما هذا يا جان؟ كيف ينبغي لي أن أفهمكم؟ هل يعقل أنني، في القضايا الأخلاقية، أختلف مع أناس مثلكم؟ ولدرجة تستوجب الملامة وتقتضي اهتماماً نقدياً خصوصياً بي من قبل صحيفة متنفذة؟ أنا لا أفهم كونكم تقصدون أخلاقاً متسامية معقدة، ذلك لأنه لا وجود لأخلاق عليا وأخلاق سفلى وأخرى متوسطة. فالأخلاق واحدة، وهي التي أعطانا إياها في حينه يسوع المسيح والتي تمنعنا، أنا وأنتم وبارانتسيفيتش، الآن من السرقة وإهانة الغير والكذب وما إلى ذلك. إنني طول عمري، إذا انطلقنا من هدوء ضميري، لم أطمع في زوجة قريبي ولا في عبده ولا في عجله ولا في أي دابة من دوابه، ولم أسرق ولم أنافق ولم أتزلف إلى الأقوياء ولم أبحث عندهم عن نفع ولم أستفزهم ولم أعش على عطاياهم. لم أقترف ذلك لا بالأقوال ولا بالأفعال، لا بالنوايا الخفية ولا في القصص والمسرحيات العلنية. صحيح أنني في كسل المعيشة وتوانيها كنت على ضلال واستهتار وبطر وما إلى ذلك، إلا أن هذه أمور شخصية لا تحرمني من حق الاعتقاد بأنني، من الناحية الأخلاقية، لا أتميز عن الناس العاديين لا بالفضائل ولا بالرذائل. لم أجترح المآثر ولم أقترف الكبائر. أنا، مثل السواد الأعظم من البشر، لدي خطايا كثيرة، لكنني من الناحية الأخلاقية لست مديناً، لأنني أدفع ثمن هذه الخطايا وزيادة بسبب المزعجات الناجمة عنها. وإذا كنتم تريدون أن تتشاجروا معي بقساوة لأنني لست بطلاً من الأبطال فارموا قساوتكم عبر النافذة، واستبدلوا الملامة بما تعودتم عليه من قهقهة مأساوية طيبة، فهذا أفضل.

أما مفردة «الفن» أو «الفنية» فأنا أخشاها كما تخشى زوجات التجار الفزاعة. عندما يحدثونني عن الفني واللافني، وعما هو مسرحي قابل للتمثيل وما لا يصلح لهذا الغرض، وعن الاتجاه العام، والواقعية، وما إلى ذلك أرتبك وأوافق بغير حزم وأجيب بحقائق مبتسرة معلوكة لا تسوى شروى نقير. أنا أصنف كل النتاجات على فئتين: تلك التي تعجبني والتي لا تعجبني. وليس لدي معيار آخر. ولو سألتموني لماذا يعجبني شكسبير ولا يعجبني زلاتوفراتسكي لن أتمكن من الإجابة عن السؤال.

ولعلّي سأكتسب معياراً بمر الزمن، بعد أن أغدو ذكياً. أما الآن فإن كل الكلام عن «الفن والفنية» يثقل عليّ ويبدو لي استمراراً لتلك السفسطة التي كان الناس يتعبون أنفسهم بها في العصر الوسيط.

إذا كان النقاد الذين تستعينون بمنزلتهم يعرفون ما لا نعرفه أنا وأنتم فلماذا يلزمون الصمت حتى اليوم ولا يكشفون لنا الحقيقة والقوانين التي لا جدال فيها؟ ولو كانوا يعرفون، صدقوني، لدلونا من زمان على الطريق ولعرفنا ماذا ينبغي لنا أن نفعل، ولما قبع فوفونوف في دار المجاذيب ولبقي غارشين على قيد الحياة حتى الآن، ولما انساق بارانتسيفيتش للمزاج السوداوي، ولما شعرنا بالضجر والملل كما الآن، ولما تشوقتم إلى المسرح وتشوقتُ إلى سخالين. إلا أن النقاد ماضون في صمتهم، أو يكتفون بثرثرة عاطلة ما أنزل اللّه بها من سلطان. وإذا كنتم تتصورون أن هؤلاء النقاد متنفذون فما سبب ذلك إلا كونهم حمقى غلاظاً ومتكبرين مصياحين، فالطبل خال أجوف.

على فكرة، فلنصرف النظر عن ذلك كله، ونترنم بألحان من أوبرا أخرى. أرجوكم، لا تعلقوا آمالاً أدبية على رحلتي إلى سخالين. أنا مسافر إلى هناك ليس من أجل المراقبة والمتابعة ولا من أجل الانطباعات، بل لمجرد أن أعيش ستة أشهر ليس كما عشت حتى الآن. لا تأملوا فيّ، يا عمي. إذا تسنى لي أن أفعل شيئاً فللّه الحمد. وإذا لم أفعل فلا تلوموني. سأبدأ رحلتي بعد عيد الفصح (غادر تشيخوف موسكو في طريقه إلى سخالين في ٢١ أبريل). وسأبعث إليكم في حينه بعنواني في سخالين مع تفصيلات. عائلتي بكاملها تحييكم، وأنا أتقدم بتحياتي إلى زوجتكم. فلتكونوا، أيها الكابتن المشورب العزيز، في صحة وعافية وتوفيق.

المخلص أ. تشيخوف

٩٨. إلى فيكول لافروف
(صاحب مجلة «الفكر الروسي»)

موسكو، ١٠ أبريل ١٨٩٠

فيكول ميخائيلوفيتش! (قرأت في مجلتكم أنكم تعتبرونني) من «جهابذة الكتابة اللامبدئية» وما إلى ذلك. أنا في العادة لا أرد على الانتقاد. إلا أننا الآن أمام افتراء وليس أمام انتقاد. ولعلّي ما كنت سأرد حتى على الافتراء، لولا أنني سأغادر روسيا بعد أيام (إلى سخالين) لأمد طويل وقد لا أعود أبداً، ولا أقوى على الامتناع عن الرد.

أنا لم أكن في أي وقت من الأوقات كاتباً لامبدئياً أو دنيئاً، وهو شيء واحد.

صحيح أن مجمل نشاطي الأدبي يتألف من مسلسل متواصل من الأخطاء، الشنيعة أحياناً، إلا أن ذلك يعزى إلى سعة نطاق موهبتي، وليس إلى كوني إنساناً صالحاً أو طالحاً. أنا لم أستفز أحداً، ولم أكتب مدائح ولا إخباريات، ولم أتزلف ولم أكذب، ولم أهن الآخرين. باختصار، لدي الكثير من القصص والمقالات الافتتاحية التي بودّي أن أرميها في سلة المهملات لعدم صلاحيتها، ولكنْ ليس لدي ولا سطر واحد أشعر الآن بالخجل بسببه. وإذا افترضنا أنكم تقصدون باللامبدئية الواقع المؤسف الذي يفيد بأنني، ذلك المتعلم الذي نشر كثيراً من الكتابات، لم أفعل شيئاً لمن أحبهم وأعزهم، وأن نشاطي لم يترك أثراً ينفع، على سبيل المثال، هيئات الإدارة المحلية، الزيمستفوات، أو المحاكم الجديدة أو حرية الصحافة أو الحرية عموماً، وما إلى ذلك، فمن هذه الناحية يتعين على «الفكر الروسي» أن تعتبرني عن حق وحقيق رفيقاً رديفاً لها، لا أن تتهمني، ذلك لأنها لم تفعل حتى الآن في الاتجاه المذكور أكثر مما فعلتُ. وليس الذنب في ذلك ذنبي وذنبكم.

إذا حكمنا عليّ ككاتب من حيث الظاهر، فهنا أيضاً قد لا أستحق اتهاماً باللامبدئية على رؤوس الأشهاد. أنا حتى الآن أعيش حياة انطوائية بين أربعة جدران، ولا ألتقي معكم سوى مرة أو مرتين في العام. وأما السيد ماتشتيت، على سبيل المثال، فلم أره في حياتي. ويمكنكم بناءً على ذلك أن تتصوروا هل أغادر المنزل كثيراً. أنا أعتذر دوماً عن حضور الأمسيات الأدبية وحفلات السمر والجلسات وما إلى ذلك. ولا أزور من دون دعوة أية جريدة أو مجلة وأحاول دوماً

أن يرى معارفي في شخصي طبيباً أكثر من كوني كاتباً. باختصار كنت كاتباً متواضعاً، وهذه الرسالة التي أحررها الآن أول دليل على عدم التواضع طوال عشر سنوات من نشاطي. علاقاتي مع رفاقي على أروع ما تكون. وأنا لم آخذ على عاتقي أبداً دور الحاكم عليهم وعلى المجلات والجرائد التي يعملون فيها، معتبراً نفسي غير صالح لهذا الغرض ومقتنعاً بأن أية كلمة ضد مجلة أو كاتب في حالة التبعية الراهنة التي تعاني منها الصحافة إنما هي قاسية وغير لائقة، بل وحتى إجرامية. وإلى الآن كنت أرفض فقط طلبات المجلات والجرائد التي لا تحتاج رداءتها الغنية عن البيان إلى برهان. وعندما أضطر إلى اختيار مطبوعة من بينها أفضل الأكثر احتياجاً إلى خدماتي لأسباب مالية أو لملابسات أخرى، ولذا أنا لا أعمل عندكم ولا في «بشير أوروبا»، بل في «بشير الشمال»، ولذا أستلم نصف ما بوسعي أن أستلمه فيما لو غيرت نظرتي إلى واجبي.

اتهامكم لي افتراء. لا أستطيع أن أطالبكم بسحبه، لأنه بات ساري المفعول، ولن يفيد أي دواء في علاجه. كما لا أستطيع أن أعزوه إلى قلة الحذر أو التهور أو شيء ما من هذا القبيل، لأن الذين يعملون في هيئة التحرير عندكم، على حد علمي، أناس أسوياء ومؤدبون من دون ريب. وهم يكتبون ويقرأون المقالات ليس عبثاً، بل بشعور من المسؤولية، كما آمل، تجاه كل كلمة صادرة عنهم. ولا يبقى لي سوى تنبيهكم إلى خطأكم والرجاء إليكم أن تثقوا بصدق الشعور المرهق الذي دفعني إلى كتابة هذه الرسالية لكم. وغني عن البيان أن العلاقات العملية فيما بيننا، بل وحتى التحية العادية برفع القبعة، باتت مستحيلة بعد اتهامكم ذاك.

أ. تشيخوف

(تنويه: في هذه الفترة من عام ١٨٩٠ كتب تشيخوف عدة رسائل مطولة إلى العائلة عن تفاصيل رحلته إلى سخالين. ترجمها ياسر شعبان وصدرت في سلسلة كتاب الدوحة ٢٠١٤. وللأسف الكتاب يعاني من كل عيوب الترجمة عن لغة وسيطة. ففيه أخطاء كثيرة ربما الأستاذ شعبان غير مسؤول عن بعضها. - خ. ض.)

٩٩. إلى أليكسي سوفورين

تومسك، ٢٠ مايو ١٨٩٠

مرحباً! هذا أنا، أخيراً. تحية لكم، يا عزيزي أليكسي أليكسييفيتش، من شخص سيبيري يشده الحنين إليكم والرغبة في مراسلتكم (من الطريق إلى سخالين).

وهكذا أبدأ من البداية. قيل لي في تيومين إن أول باخرة تنطلق إلى تومسك ليس قبل ١٨ مايو. فاضطررت إلى ركوب الخيل. في الأيام الثلاثة الأولى آلمتني كل المفاصل والعروق، ثم اعتدت ولم أشعر بأي ألم. إلا أنني نفثت دماً مع القشع بسبب السهر ونقل العفش والقفز والجوع، ما أفسد مزاجي المعتكر أصلاً. في الأيام الأولى كان الأمر محتملاً، ثم هبّت رياح باردة وهطل المطر مدراراً وأغرقت الأنهار المروج والدروب. ومن حين لآخر اضطررنا إلى استبدال العربة بقارب. بخصوص حربي مع الفيضان والأوحال اقرأوا في الأوراق المرفقة (مقالات «من سيبيريا»). ولم أذكر فيها أنني اكتشفت أن جزمتي الكبيرة ضيقة، فخضت الأوحال والمياه بجزمة اللباد حتى تحولت إلى عصيدة. الطريق مقيت لدرجة أنني لم أقطع خلال اليومين الأخيرين من رحلتي سوى ٧٠ فرسخاً.

عندما غادرت وعدتكم بأن أبعث ملاحظات الطريق ابتداءً من تومسك، ذلك لأن الطريق من تيومين إليها مدروس من زمان ومطروق ألف مرة. إلا أنكم أعربتم في برقيتكم عن الرغبة في الحصول على انطباعاتي السيبيرية بأسرع ما يمكن، بل إنكم، يا سيدي، قسوتم عليّ بلومي على ضعف الذاكرة، بمعنى أنني نسيتكم. لم تكن الكتابة ممكنة إطلاقاً أثناء الطريق. كتبت يوميات موجزة بالقلم الرصاص ويمكنني أن أقدم إليكم الآن هذه اليوميات فقط. وكيلا أكتب بإسهاب وإطناب ولا أشوش على نفسي قسمت كل انطباعاتي المسجلة إلى فصول. أبعث إليكم ستة فصول. كتبتها لكم خصيصاً. كتبت لكم فقط ولذا لم أكن أخشى الكلام عن تصوراتي الذاتية ولا أخشى أن تتضمن هذه المقالات مشاعر وأفكاراً تشيخوفية أكثر من سيبيريا. إذا رأيتم أن ثمة سطوراً مهمة تستحق النشر انشروها شيئاً فشيئاً في فصول مستقلة أيضاً ووقعوها باسمي تحت عنوان مشترك «من سيبيريا» وعنوان فرعي «من البايكال»، «من آمور» وهلمجرا.

الوجبة الجديدة ستستلمونها من إركوتسك. غداً أنا مسافر إليها، والطريق ما لا

يقل عن ١٠ أيام. وهو سيّئ. سأوافيكم بعدة فصول وأواصل الإرسال بصرف النظر عما إذا كنتم ستنشرونها أم لا. اقرأوا، وعندما تملّون أبرقوا لي: «كفاية».

طول الطريق أنا جائع كالكلب. أحشو بطني بالرغيف كيلا أحلم بالهليون أو بطبق من سمك موسى (المفلطح). كنت أحلم حتى بعصيدة الحنطة السوداء. أحلم بها ساعات طويلة.

في تيومين اشتريت زاد الطريق. كمية من السجق. ولكن أية سجق هي؟ عندما أضع شريحة منها في فمي أشعر برائحة وكأنني دخلت الإسطبل والحوذية يخلعون جواربهم، وعندما أبدأ بمضغها أشعر وكأنني قد غرزت أسناني في ذيل كلب ملوث بالقار. تفو! أكلت مرتين ورميتها.

استلمت منكم برقية واحدة ورسالة تقولون فيها إنكم تريدون إصدار معجم إنسكلوبيدي. لا أدري لماذا أفرحني جداً خبر المعجم. على بركة اللّه، يا عزيزي، أصدِروه. وإذا كنت أصلح للعمل في إعداده أكرس لكم نوفمبر وديسمبر حيث سأقيم في بطرسبورغ، وأواظب على العمل من الصباح حتى المساء.

كتبت بعض مذكرات الطريق في تيومين، في فندق لا أسوأ منه. لكنني بذلت جهدي وبدافع من الرغبة في إرضائكم. فكرت أنكم تشعرون بالملل من فيودوسيا والحر، فلتقرأوا إذن عن البرد. هذه المذكرات تأتيكم بدلاً من الرسالة التي كانت تختمر في ذهني طول الطريق. ومقابل ذلك ابعثوا لي عندما أصل إلى سخالين جميع مقالاتكم النقدية، ما عدا المقالتين الأوليين اللتين قرأتهما. وأمروا أيضاً بأن يرسلوا لي إصدارات «دراسات شعبية» (للجغرافي الألماني بيشيل، صدرت ترجمتها الروسية عن مطبعة سوفورين) ما عدا الإصدارين الأول والثاني. فهما موجودان لدي.

البريد إلى سخالين يأتي عن طريق البحر وعبر سيبيريا. ما يعني أنني سأستلم المراسلات إذا كتبت. لا تضيعوا عنواني: جزيرة سخالين، مخفر ألكسندروفسكي.

وما أكثر النفقات! فظاعة! فبسبب الفيضان صرت أدفع أجور الحوذية مضاعفة تقريباً. وأحياناً ثلاثة أضعاف. لأن عملهم بات جحيماً، أشبه بالأشغال الشاقة. واتضح أن حقيبتي، وهي صندوق جميل، غير مريحة في الطريق: تشغل فسحة واسعة وتميل بالعربة إلى جانب، وتبعث صريراً، والأهم تكاد تتهشم. كان معارفي الطيبون نصحوني بألا آخذ معي صناديق في السفر الطويل، ولكنني لم أتذكر هذه النصيحة إلا في منتصف الطريق. فما العمل؟ تركت حقيبتي في تومسك واشتريت

أخرى جلدية مريحة، كونها تستقر في قاع العربة من دون إزعاج. ودفعت ١٦ روبلاً ثمناً لهذا الإجراء الاضطراري. أواصل... الطريق إلى آمور مع تغيير الخيول نوع من أنواع التعذيب. أحطم بدني وعفشي. نصحوني بشراء حنطور، فاشتريته اليوم بـ ١٣٠ روبلاً. وإذا لم أوفق ببيعه في سريتينسك حيث ينتهي طريق الخيول سأبقى خالي الوفاض وسأعوي غاضباً. تناولت طعام الغداء اليوم مع رئيس تحرير «بشير سيبيريا» كارتاميشيف. إنه سخي مثل نوزدروف (أحد أبطال غوغول).... أنفق على الشراب وحده ٦ روبلات.

مهلاً! أبلغوني أن معاون مدير الشرطة يريد أن يراني. ماذا حصل؟!

كان قلقي في غير محله. اتضح أن المعاون (أرشاولوف) من هواة الأدب، بل إنه كاتب. جاءني لتقديم احتراماته. مضى إلى البيت ليجلب مسرحيته («فاطمة»)، وأظنه يريد أن يطعمني إياها. سيأتي من جديد ويعيقني عن الكتابة لكم...

اكتبوا لي عن فيودوسيا وعن تولستوي وعن البحر وعن الأسماك وعن معارفنا المشتركين.

مرحباً، آنّا إيفانوفنا! فليباركم الرب. أنا أفكر فيكم كثيراً.

تحياتي إلى العزيزة ناستيا وإلى بوريس. يسرني من صميم القلب أن أدس رأسي في فم النمر من أجلهما، ثم أستغيث بهما لينقذاني. وللأسف لم أصل إلى النمور بعد. لم أر من الوحوش الملتحفة بالفراء في سيبيريا حتى الآن سوى فأر واحد والكثير جداً من الأرانب.

مهلاً! عاد الشرطي. جلب المسرحية ولم يقرأها عليّ. أطعمني أقصوصة. لا بأس بها، إلا أنها ذات صبغة محلية تماماً. أراني سبيكة ذهبية. طلب شيئاً من الفودكا. وأنا لا أتذكر ولا مثقفاً واحداً من سيبيريا جاء إليّ ولم يطلب فودكا. وقال إن «حباً صغيراً» جمعه مع امرأة متزوجة. وعرض عليّ التماساً قدّمه إلى المرجعية الأعلى بشأن الطلاق. ثم اقترح عليّ أن نذهب لنشاهد دور البغاء في تومسك.

عدنا من دور البغاء في الثانية بعد منتصف الليل. شيء مقرف.

(...) سأواصل الكتابة لكم من كل مدينة ومن كل موقع لا يعطوني فيه الخيول رأساً فأضطر إلى المبيت هناك. وما أشد فرحتي عندما أبقى للمبيت بالضرورة في مكان ما. حالما أضطجع على السرير أغط في نوم عميق. النوم عندما تسافر وتسهر الليل أغلى من كل شيء. لا ألذ من النوم على الأرض عندما يستولي عليك

النعاس. في موسكو، وفي روسيا عموماً، كما أفهم الآن، لم أكن أرغب في النوم أبداً. كنت أنام بحكم الضرورة لا غير. أما الآن فحدّث عن النوم ولا حرج. وثمة ملاحظة أخرى. في الطريق لا أرغب في المسكرات أبداً. ليس بوسعي أن أشرب. أدخن كثيراً. التفكير يتعثر. والأفكار لا تترابط. الوقت يمضي بسرعة ولا ألاحظه من العاشرة صباحاً وحتى السابعة مساءً. بعد الصباح سرعان ما يحل المساء. تماماً مثلما يحصل أثناء المرض المزمن. وبسبب الرياح والأمطار تحشف وجهي كما لو كان في صدف الأسماك. وعندما أنظر في المرآة لا أرى فيه الملامح النبيلة السابقة.

لن أصف لكم تومسك. فكل المدن في روسيا متشابهة. تومسك مدينة مملة، سكرانة، تفتقر إلى الحسناوات، والمظالم فيها آسيوية. هذه المدينة مشهورة بكون حكامها يموتون الواحد تلو الآخر.

أعانقكم بحرارة. وأقبّل كلتا يدي آنّا إيفانوفنا وأنحني لها محيياً حتى ألامس الأرض. المطر يهطل عندنا. إلى اللقاء، فانعموا بالصحة والسعادة. إذا كانت رسائلي مقتضبة وغير مشذبة أو جافة فلا مؤاخذة. في الطريق لا يستطيع المسافر أن يراجع نفسه دوماً ولا أن يكتب كما يريد. الحبر رديء، وتلتصق بالريشة دوماً شعيرات وقاذورات.

اكتبوا لي وصفاً لمنزلكم في فيودوسيا. هل يعجبكم؟

المخلص أ. تشيخوف

١٠٠. إلى نكولاي ليكين

إركوتسك، ٥ يونيو ١٨٩٠

مرحباً، يا نكولاي ألكساندروفيتش الطيب!

أبعث إليكم تحية قلبية من إركوتسك، من مجاهل سيبيريا. وصلت إليها أمس ليلاً، وسررت جداً لوصولي لأنني تعذبت في الطريق، وقد أوحشني الأقارب والمعارف الذين لم أكتب لهم من زمان. إذن، عم أكتب لكم مما يثير الاهتمام؟ أبدأ من كون الطريق طويلاً جداً. قطعت على الخيل مسافة تتجاوز ثلاثة آلاف فرسخ من تيومين إلى إركوتسك. وكنت من تيومين حتى تومسك أصارع البرد وفيضان

الأنهار. البرد فظيع، وفي عيد الصعود اشتد الصقيع وتساقط الثلج، ولذا لم أخلع معطف الفرو القصير وجزمة اللباد إلا في فندق تومسك. وفيما يخص الفيضان فهو الجحيم بعينه. الأنهار تجاوزت الشواطئ وأغرقت المروج على عشرات البرازخ. ومعها الطرق، ما اقتضى استبدال العربة بالقارب بين الحين والآخر. والقوارب ليست مجانية طبعاً. القارب الجيد يكلف أوقية من الدم والأعصاب، حيث كان من الضروري انتظاره أياماً وليالي على الشاطئ تحت المطر والرياح الباردة... من تومسك حتى كراسنويارسك حرب مستميتة مع الأوحال المستعصية. يا إلهي، إنني أشعر بالفزع عندما أتذكر ذلك. وكم مرة اضطررنا إلى تصليح الحنطور والمشي على الأقدام والشتائم عندما أنزل من الحنطور وعندما أركبه من جديد. وفي بعض الأحيان كنت أنتقل من محطة إلى أخرى ٦ - ١٠ ساعات، ويحتاج تصليح الحنطور إلى ١٠ - ١٥ ساعة كل مرة. من كراسنويارسك حتى إركوتسك حر لا يطاق وغبار لا يحتمل. إضافة إلى الجوع واقتحام الغبار للأنف والتصاق الجفون بسبب الأرق والعرق، والخوف المتواصل من أن شيئاً ما سيتحطم في حنطوري، والضجر... ورغم ذلك أنا راض وأحمد اللّه لأنه منحني فرصة القيام بهذه الرحلة... لقد رأيت الكثير وعانيت الكثير، وكل ذلك ممتع للغاية وجديد عليّ كإنسان وليس كأديب. (نهر) الينيسي و(غابات) التايغا والمحطات والحوذية والطبيعة البرية والطيور والآلام البدنية من وعثاء السفر والارتياح بعد الاستجمام القصير- كل ذلك بمجمله أمر جيد لحد لا أستطيع وصفه. حتى مجرد بقائي في الهواء الطلق ليل نهار أكثر من شهر يثير الدهشة والارتياح. طوال شهر أرى كل يوم شروق الشمس من الفجر وإلى الأخير.

من هنا سأتوجه إلى البايكال، ثم إلى تشيتا وسريتينسك حيث نستبدل الخيول بالباخرة، وسأبحر في نهر آمور حتى هدفي الأخير. أنا لست مستعجلاً، لأني أريد أن أصل إلى سخالين ليس قبل الأول من يوليو. (...)

الطريق عبر سيبيريا آمن تماماً. فلا نهب ولا سلب.

تحية إلى براسكوفيا نكيفوروفنا وفيديا. إلى اللقاء.

المخلص محسوبكم

إنسان سخالين

أ. تشيخوف

١٠١. إلى أليكسي سوفورين

بلاغوفيشينسك، ٢٧ يونيو ١٨٩٠

مرحباً، يا عزيزي الغالي! آمور نهر طيب للغاية. حصلت منه على أكثر مما كنت أتوقع، وأردت من زمان أن أطلعكم على مدى إعجابي به. إلا أن باخرة القناة ظلت تهتز طوال الأيام السبعة وحرمتني من الكتابة. ثم إنني لا أجيد وصف جمال ضفاف آمور. أنا أتهيب منها بإمكانياتي الفقيرة. فكيف يمكنني أن أصفها؟ تصوروا سفوح سورام التي أرغموها أن تشكل شاطئاً للنهر وعندها تتصورون آمور. صخور ونتوءات جبلية وغابات وآلاف من الوز والبط ومالك الحزين وغيرها من العاهرات الطويلة المناقير، في برارٍ مترامية. إلى الشمال الشاطئ الروسي وإلى اليمين الشاطئ الصيني. أنظر إلى روسيا إذا أردت، وأنظر إلى الصين. الصين برية مترامية الأطراف مثل روسيا. القرى ومخافر الحراسة متباعدة ونادرة. اختلطت عليّ الأمور وتحولت في ذهني إلى مساحيق. ولا غرابة في ذلك يا سيدي. فقد مخرت آمور على مسافة تتجاوز ألف فرسخ ورأيت ملايين المناظر والمشاهد. وقبل آمور كنت في البايكال وما وراءه... حقاً، ما أكثر ما رأيت من ثروات وما أكبر ما تلقيته من ارتياح، حتى إنني لم أعد أخشى الموت بعد ذلك. الناس على ضفاف آمور مميزون، حياتهم ممتعة لا تشبه حياتنا. كل أحاديثهم تدور عن الذهب. الذهب، ولا شيء غير الذهب. مزاجي مزاج الأحمق أو الأبله. لا أرغب في الكتابة. وإذا كتبت فباختصار، بدناءة الخنازير. أرسلت إليكم اليوم أربع أوراق عن الينيسي والتايغا، وفيما بعد أرسل لكم ما سأكتبه عن البايكال وآمور. لا ترموا هذه الأوراق في سلة المهملات، فسأجمعها، وبالاعتماد عليها سأتحدث، كما في دفتر النوتات، عن كل ما أعجز عن تسطيره على الورق. الآن انتقلت إلى باخرة «مورافيوف». يقال إنها لا تهتز. وقد أتمكن من الكتابة.

أنا متيم بآمور. أحببته. ولن آسف أن أعيش في ربوعه سنتين، حيث الجمال وسعة المجال والطلاقة والدفء. سويسرا وفرنسا لم يعرفا يوماً مثل هذه الطلاقة والحرية. أسوأ المنفيين يتنفس في ربوع آمور بأسهل من أفضل جنرال في روسيا. ولو عشتم هنا لكتبتم الكثير من النتاجات الجيدة واجتذبتم الجمهور، بينما أنا لا أجيد القيام بذلك.

حضور الصينيين يبدأ من إركوتسك، وهم هنا أكثر من الذباب. إنهم أريحيون طيبون./ . . ./

من بلاغوفيشينسك يبدأ حضور اليابانيين، أو على الأصح اليابانيات. إنهن نساء صغيرات بشعور فاحمة وتقليعات كبيرة معقدة وقوام رشيق، وفخذين قصيرين، كما خيل إليّ. ثيابهن جميلة. وفي كلامهن يكثر الصفير «تس» / . . ./

دعوت أحد الصينيين إلى البوفيه لأسقيه الفودكا، فمد كأسه، قبل أن يشرب، نحوي ونحو النادلة والخدم وقال: نخبكم. ذلك تقليد صيني. لم يتجرع الكأس دفعة واحدة، كما نفعل نحن، بل احتساه جرعة جرعة وتناول المزة بعد كل جرعة، ثم أعطاني عدة قطع نقدية صينية تعبيراً عن شكره لي. شعب مهذب إلى أبعد الحدود. ثيابهم رخيصة، لكنها جميلة. يأكلون أطعمة لذيذة وفق عادات معينة.

الصينيون سيأخذون آمور منا. هذا أكيد. لن يأخذوه بأنفسهم، بل سيعطيهم الآخرون إياه. مثلاً الإنجليز الذين يحكمون المدن في الصين ويشيدون قلعة هناك. على امتداد آمور يعيش شعب متهكم ساخر، الجميع يسخرون من روسيا لاهتمامها ببلغاريا التي لا تساوي شروى نقير، بينما نسيت منطقة آمور بالمرة. موقف غير مدروس وغير ذكي. ولكنْ فلنترك السياسة إلى حين نلتقي.

تنصحونني في برقيتكم أن أعود عبر أميركا. أنا نفسي فكرت في هذا الأمر. ولكن أخشى بأن الكلفة باهظة. تحويل النقود يمكن أن يتم ليس فقط في نيويورك، بل وفي فلاديفوستوك أيضاً من خلال إركوتسك حيث استقبلني البنك السيبيري بكل حفاوة. نقودي لم تنفد بعد مع أنني أنفق بلا حساب. خسارتي من الحنطور تجاوزت ١٦٠ روبلاً، ثم إن المرافقين المعاونين أخذوا مني أكثر من مائة روبل. ومع ذلك لا أظن بأني سأحتاج إلى حوالة. وإذا احتجت سأطلب منكم عندذاك. أنا في صحة تامة. احكموا بأنفسكم، أنا أكثر من شهرين في الهواء الطلق ليل نهار. ثم ما أكثر الحركات البدنية!

أسرع في الكتابة لأن الباخرة «يرماك» تنطلق عائدة بعد ساعة ومعها البريد. ستصلكم هذه الرسالة في أغسطس. أقبّل يد آنّا إيفانوفنا وأبتهل إلى رب السموات أن يهبها الصحة والسلامة. (. . .)

في الطريق أمارس التطبيب. في منطقة رينوفا على آمور، حيث يقيم الباحثون عن الذهب وحدهم، دعاني أحد الرجال لفحص زوجته الحامل. وعندما انصرفت

دس في يدي حزمة أوراق نقدية. فشعرت بالخجل. ورفضت استلامها زاعماً بأنني غني جداً. فأخذ الزوج يبرهن لي أنه هو أيضاً غني جداً. وانتهى الجدل بأن أعدت له الحزمة واكتفيت بـ ١٥ روبلاً.

يوم أمس عالجت صبياً ورفضت ٦ روبلات قدمتها والدته. وأشعر الآن بالأسف لأني رفضت.

أتمنى لكم موفور الصحة والعافية والسعادة. معذرة على أسلوبي في الكتابة غير المشذبة والخالية من التفاصيل. هل كتبتم لي على عنواني في سخالين؟

أسبح في آمور. السباحة فيه والحديث مع مهربي الذهب وتناول الطعام معهم أليس في ذلك متعة كبيرة؟ أسرع الآن إلى «يرماك». إلى اللقاء، شكراً على المعلومات عن العائلة.

المخلص أ. تشيخوف

١٠٢. إلى اليكسي سوفورين

الباخرة «بايكال»، المضيق التتري، ١١ سبتمبر ١٨٩٠

مرحباً! أنا على متن الباخرة أجوب المضيق التتري من شمال سخالين إلى جنوبها. أحرر رسالة لا أعرف متى ستصلكم. أنا في صحة جيدة، مع أن الكوليرا تنظر إليّ بعينيها الخضراوين من جميع الجهات وقد نصبت لي مصيدة. في فلاديفوستوك واليابان وشنغهاي وتشيفونغ والسويس، وحتى على القمر، كما أظن، الكوليرا متفشية والحجر الصحي والرعب في كل مكان. سخالين تترقب الكوليرا وتحتجز البواخر في الحجر الصحي. باختصار، الوضع لا أسوأ منه. الأوروبيون يموتون في فلاديفوستوك، وقد توفيت، بالمناسبة، زوجة جنرال.

أمضيت في شمال سخالين شهرين. واستقبلتني الإدارة المحلية بمنتهى الترحاب. في حين أن (مسؤول إدارة السجون في بطرسبورغ) غالكين الذي طلبت منه، ويا لغبائي، أن يساعدني لم يقدم لي أي مساعدة. فاضطررت أن أجازف بنفسي.

الجنرال كونونوفيتش، مدير إدارة سخالين، إنسان مثقف كريم. سرعان ما تصادقت معه. وسارت كل الأمور على ما يرام. سأجلب معي بعض الأوراق التي يتضح لكم منها أن الظروف التي عشتها منذ البداية على أفضل ما يكون. شاهدت كل شيء، ويبقى السؤال ليس عما شاهدته، بل كيف شاهدته.

لا ادري ماذا ستكون الحصيلة، إلا أن ما قمت به ليس قليلاً. يكفي لثلاث أطروحات دكتوراه. أنهض في الخامسة صباحاً كل يوم. وفي الليل أمضي إلى الفراش متأخراً. طوال كل الأيام كنت مضطرباً متوتراً لتصوري أنني لم أحقق الكثير. والآن، حيث انتهت الأشغال الشاقة، أشعر وكأنني رأيت كل شيء، لكنني لم ألاحظ الفيل ذاته.

وأقول للمناسبة لقد تحملت مشقة إجراء إحصاء للنفوس في سخالين كلها. زرت كل المواقع السكنية، ودخلت كل المنازل وتكلمت مع الجميع. واستخدمت طريقة البطاقات في الإحصاء. سجلت قرابة عشرة آلاف نسمة من المحكومين بالأشغال الشاقة والمهجرين. بعبارة أخرى لا يوجد في سخالين محكوم بالأشغال الشاقة أو مهجر إلا وتحدثت معه. وأفلحت خصوصاً بإحصاء الأطفال الذي أعلق عليه آمالاً كبيرة.

تناولت طعام الغداء عند لاندسبيرغ، وجلست في المطبخ عند الكونتيسة السابقة غيمبروك... التقيت جميع المشاهير. وحضرت عقوبة الجلد بالسياط، وبعد ذلك رأيت في المنام طوال ثلاث أو أربع ليال متوالية جلاداً وفرساً بشعة. وتحدثت مع المقيدين إلى العربات. وعندما شربت الشاي ذات مرة في المقلع أخرج بورودافكين، التاجر السابق من بطرسبورغ المنفي إلى هنا بسبب حريق، ملعقة شاي من جيبه قدمها لي، الأمر الذي حطم أعصابي، وقطعت على نفسي عهداً بأن لا أجيء إلى سخالين مرة أخرى.

كان بودّي أن أكتب إليكم أكثر. إلا أن في ردهة الباخرة مسافرة ثرثارة تقهقه طول الوقت. لا أقوى على الكتابة. إنها تقهقه وتثرثر من مساء أمس.

هذه الرسالة تأتيكم عبر أميركا، أما أنا فلن أعود عبر أميركا، كما هو واضح. الجميع يقولون إن الطريق الأميركي أغلى وأشد مللاً.

غداً سأرى اليابان، جزيرة ماتيماي، من بعيد. الآن الثانية عشرة ليلاً، والظلام يخيم على البحر، والريح تهب. ولا أفهم كيف تسير الباخرة وتهتدي إلى طريقها

حيث الظلام الدامس، إضافة إلى المياه المجهولة الموحشة في المضيق التتري.

عندما أتذكر أن ١٠ آلاف فرسخ تفصلني عن العالم تستولي عليّ اللاأبالية. ويخيل إليّ أني سأصل إلى داري بعد مائة عام.

قاتل الله الملل.

تحياتي القلبية الخالصة إلى آنّا إيفانوفنا والجميع. فليمنحكم الرب السعادة وكل الطيبات.

المخلص أ. تشيخوف

(تعقيب) في رسالة إلى سوفورين بتاريخ ١٧ يناير ١٨٩٧ كتب تشيخوف: «فيما يخص الطاعون وهل سيصلنا أم لا ليس ثمة جواب محدد. وإذا جاءنا فمن المستبعد أن يرعب الجميع كثيراً، ذلك لأن السكان والأطباء تعودوا من زمان على الوفيات المتسارعة بسبب الدفتري والتيفوئيد وغيرهما. ومن دون الطاعون أصلاً يبقى على قيد الحياة عندنا لحد الخامسة من العمر أقل من ٤٠٠ من كل ألف من المواليد. ولن تجد في القرى وفي معامل المدن وشوارعها الجانبية ولا امرأة سليمة واحدة. فظاعة الطاعون تكمن في كونه يأتي بعد شهرين أو ثلاثة من إحصاء النفوس. وسيفسر العامة الإحصاء على طريقتهم الخاصة. سينهالون بالشتائم على الأطباء الذين كأنما يسممون النافلين من الناس ليستولي السادة على المزيد من الأراضي. والحجر الصحي إجراء غير جدي. يمكن الأمل جزئياً على التطعيم بمصل خافكين. ولكن للأسف خافكين مكروه في روسيا: النصارى ينبغي أن يتحاشوه لأنه يهودي».

١٠٣. إلى يفغينيا تشيخوفا (والدة الكاتب)

مخفر كورساكوفسكي، جنوب سخالين، ٦ أكتوبر ١٨٩٠

مرحباً، عزيزتي ماما! أكتب إليكم هذه الرسالة قبل أن أغادر إلى روسيا. (رسائل تشيخوف إلى والدته قليلة، فهي كانت تقيم معه). وأنا أنتظر من يوم لآخر وصول باخرة من أسطول المتطوعين، وآمل أن تصل لا أبعد من العاشر من أكتوبر. (غادر تشيخوف المخفر في ١٣ أكتوبر). أبعث هذه الرسالة إلى اليابان، ومن هناك

تصلكم عن طريق شنغهاي أو أميركا. أقيم في منطقة مخفر كورساكوفسكي، وليس هناك برق وبريد، والسفن لا تعرج على المخفر إلا مرة كل أسبوعين. بالأمس وصلت باخرة، حملت لي الكثير من الرسائل والبرقيات التي تجمعت في الشمال. وعلمت من الرسائل أن ماشا أعجبت بالقرم، وأعتقد أن القوقاز سيعجبها أكثر، كما علمت أن إيفان لا يجيد طهي عصيدة المعلمين ويجوب المطبخ متحيراً مرتبكاً. فأين هو الآن؟ (بمدينة) فلاديمير؟ علمت أن ميخايلو (ميخائيل شقيق الكاتب) لم يكن لديه مأوى صيفي، ولذا أقام في البيت، والحمد لله، وأنكم كنتم في سفياتيه غوري (التلال المقدسة) وأن الضجر يخيم على لوكا والمطر يتساقط هناك. أمر غريب. عندكم مطر وبرد، بينما الجو صحو دافئ في سخالين منذ وصولي وحتى اليوم، ما عدا البرد الخفيف والندى المتجمد في الصباح والثلوج التي تبدو ناصعة على أحد الجبال. إلا أن التربة لا تزال معشوشبة والأوراق لم تتساقط بعد وكل شيء في الطبيعة على ما يرام وكأننا في منزلنا الريفي في شهر مايو. تلك هي سخالين. كما علمت من الرسائل أن الصيف في بابكينو كان رائعاً، وأن سوفورين مرتاح جداً لمنزله (الجديد)، وأن نيميروفيتش- دانتشينكو متضايق من الملل، وأن زوجة المسكين يجوف توفيت، وأن (ألكسندر إيغناتوفيتش) إيفانينكو (عازف الناي وصديق عائلة تشيخوف. كان ثقيل الظل) يتراسل مع جاميه (اسم أطلقه تشيخوف على صديقته ليديا ميزينوفا)، وأن (أولغا) كونداسوفا (من المعجبات بتشيخوف) اختفت في جهة مجهولة. إيفانينكو سيُقتل على يدي، وكونداسوفا، على الأرجح، تتجول في الشوارع من جديد وهي تلوح بيديها وتسلط الشتائم على الجميع، ولذا أنا لا أتسرع في نعيها.

في منتصف ليلة أمس سمعت هدير الباخرة. وقفز الجميع من أسرّتهم: عظيم! وصلت. ارتدينا ملابسنا ومضينا بالفوانيس إلى الرصيف، وتطلعنا إلى عرض البحر. كانت هناك أنوار باخرة بالفعل. ورأت الأغلبية أنها الباخرة «بطرسبورغ» التي سأستقلها إلى روسيا. ففرحت. ركبنا القارب وتوجهنا إلى الباخرة... مر وقت طويل قبل أن نرى في الضباب أخيراً هيكل الباخرة القاتم. وصاح أحدنا بصوت أجش: «أي سفينة هذه؟» وجاء الجواب: «بايكال». يا للعنة! ما أشد خيبة الأمل! أنا أشعر بالحنين، وقد مللت من سخالين. فمنذ ثلاثة أشهر أنا لا أرى أحداً ما عدا المحكومين بالأشغال الشاقة أو الذين يجيدون الكلام فقط عن الأشغال الشاقة

والسياط والسجناء. إنها حياة كئيبة. أرغب في الوصول إلى اليابان بأسرع ما يمكن، ومنها إلى الهند.

أنا في صحة جيدة، ما عدا ارتجاف العين الذي ازداد الآن وأخذ يسبب لي صداعاً شديداً كل مرة. الارتجاف حصل لي أمس واليوم، ولذا أحرر هذه الرسالة وأنا أشعر بالصداع وبثقل في بدني كله. ثم إن البواسير ترفع رؤوسها أيضاً.

في منطقة المخفر يقيم القنصل الياباني كوزي- سان مع اثنين من السكرتيريين تعرفت عليهما. وهم يعيشون على الطريقة الأوروبية. وقد توجهت إليهم الإدارة المحلية اليوم بكامل الفخفخة لتقلدهم أوسمة استحقوها. وأنا أيضاً مضيت إليهم يرافقني الصداع وكان عليّ أن أشرب الشمبانيا بهذه المناسبة.

خلال مكوثي في جنوب سخالين قمت بثلاث زيارات من مخفر كورساكوفسكي إلى ناي - بوتشي، حيث تتلاطم أمواج المحيط العالية. انظروا في الخريطة، إلى الساحل الشرقي من الجزء الجنوبي وستجدون هذا الموضع البائس الكئيب. الأمواج حملت إليه زورقاً بستة من صيادي الحيتان الأميركيين الذين تعرضت سفينتهم لحادث عند سواحل سخالين. وهم يقيمون الآن في منطقة المخفر ويتمشون حزينين في الشوارع، بانتظار «بطرسبورغ». وسيبحرون على متنها مثلي.

في مطلع سبتمبر بعثت إليكم رسالة عبر سان فرنسيسكو. فهل استلمتموها؟

تحية للوالد والإخوة وماشا والعمة مع أليوشا، وكذلك ماريوشكا وإيفانيتكو وجميع معارفي. لن أجلب فراءً، ففي سخالين لا توجد فراء. أتمنى لكم الصحة والعافية، وليحفظكم الله جميعاً.

سأجلب هدايا للجميع. الكوليرا في فلاديفوستوك واليابان توقفت.

المخلص أ. تشيخوف

١٠٤. إلى ألِيكسي سوفورين

موسكو، ٩ ديسمبر ١٨٩٠

شارع مالايا دميتروفكا، بناية فيرغانغ

مرحباً، عزيزي الغالي! عظيم! ها أنا من جديد أجلس إلى طاولتي. أبتهل إشفاقاً على مسكني الذي بهت لونه وأكتب إليكم. يداعبني الآن إحساس طيب وكأنني لم أغادر المنزل بتاتاً. صحتي جيدة، وأنا بخير حتى النخاع. إليكم أقصر تقرير ممكن. أمضيت في سخالين ثلاثة أشهر وثلاثة أيام، وليس كما نشر عندكم / شهرين/ . كان عملي مرهقاً متوتراً. أجريت إحصاء تفصيلياً كاملاً للنفوس في سخالين كلها ورأيت كل شيء ما عدا إجراءات الإعدام. عندما نلتقي سأعرض عليكم صندوقاً مليئاً بمستلزمات الأشغال الشاقة، وهي كمادة أولية ذات قيمة تفوق التقدير. أنا الآن أعرف الكثير جداً، إلا أن الشعور الذي عدت به ليس طيباً. خلال مكوثي في سخالين كنت في داخلي أشعر فقط بشيء من المرارة وكأنني تجرعت زيتاً محروقاً. أما الآن، ومن خلال الذكرى، فأنا أتصور سخالين الجحيم بعينه. طوال شهرين عملت بتوتر دون أن أرأف بحالي، وفي الشهر الثالث بدأت أتعب من المرارة الآنفة الذكر ومن الضجر ومن تفكيري في الكوليرا القادمة إلى سخالين من فلاديفوستوك وبالتالي سأضطر إلى قضاء الشتاء في الأشغال الشاقة. إلا أن الكوليرا توقفت والحمد لله. فحملتني الباخرة من سخالين في ١٣ أكتوبر. رأيت فلاديفوستوك. ويمكنني أن أقول عن إقليم بريموريه هذا، وعموماً عن سواحلنا الشرقية وأساطيلها ومهماتها وأحلام مسؤوليها بخصوص المحيط الهادئ، كلمة واحدة لا غير: البؤس الصارخ. بؤس وجهالة وسفالة يمكن أن تبعث اليأس والقنوط. شخص نزيه واحد في مقابل ٩٩ سارقاً يلوثون اسم روسيا. . . لم نعرّج على اليابان، ففيها كوليرا. ولذا لم أشتر لكم أية حاجة يابانية، وقد أنفقت على نفسي الـ ٥٠٠ روبل التي خصصتموها لشراء تلك الحاجيات، ويحق لكم قانوناً أن تنفوني بسبب ذلك إلى سيبريا للإقامة الجبرية. أول ميناء أجنبي في طريقنا هو هونغ كونغ. خليج رائع، والحركة في البحر لم أر مثلها حتى في الصور: طرق رائعة، سكة حديد صاعدة إلى الجبل، متحف، حدائق نباتية. أينما تتوجه أمامك عناية الإنجليز الفائقة بمستخدميهم، حتى إن لديهم نادياً للبحارة. وقد ركبتُ محمل جينيريخشه / مقعد على

ظهر حمال/ . واشتريت مختلف التفاهات من الصينيين، واستأتُ من سماع رفاق الطريق الروس وهم يلومون الإنجليز على استغلال الشعوب الأخرى. وفكرت: نعم، الإنجليز يستغلون الصينيين والسباهية والهندوس، لكنهم يقدمون لهم الطرق وإسالة المياه والمتاحف والديانة المسيحية، وأنتم تستغلون أيضاً، فماذا تقدمون؟

عندما غادرنا هونغ كونغ بدأت الباخرة بالاهتزاز والتأرجح. فهي خالية وتقوم باستدارات على ٣٨ درجة، وخشينا أن تنقلب بنا. أنا لا أعاني من غثيان البحر. وقد أفرحني هذا الاكتشاف. في الطريق إلى سنغافورة رمينا إلى البحر جثتين. عندما ترى كيف يسقط الميت من الباخرة، مكفناً بقماش خشن، ويتلوى في طريقه إلى الماء وتتذكر أن الأعماق تبلغ عدة فراسخ تشعر بالهلع ويخيل إليك، لسبب ما، أنك ستموت وترمى جثتك في البحر. انتشر مرض بين الأبقار، فنحرت ورميت في البحر بأمر من الدكتور شرباك وخادمكم.

لا أتذكر سنغافورة جيداً، لأنني عندما تجولت فيها كنت حزيناً لسبب ما، حتى كدت أبكي. ثم تأتي سيلان، الموقع الذي فيه الجنة. هنا، في الجنة، قطعت أكثر من ١٠٠ فرسخ بالسكة الحديد وشبعت من مناظر غابات الجوز والنساء السمراوات كالبرنز. من سيلان أبحرنا من دون توقف ١٣ يوماً بلياليها وتبلدنا من الضجر. أنا أتحمل الحر جيداً. البحر الأحمر كئيب. وأعجبت بمناظر سيناء.

دنيا اللّه طيبة. نحن فقط سيئون. ما أقل العدالة والسكينة فينا. وما أسوأ فهمنا للوطنية. الزوج السكير المبهدل يحب زوجته وأولاده، فما فائدة هذا الحب؟ تقول الصحف إننا نحب وطننا العظيم ففيم يتجلى هذا الحب؟ بدلاً من المعرفة لدينا من الوقاحة والغرور ما يكفي ويزيد. بدلاً من العمل لدينا الكسل والتواني كالخنازير، ولا أثر للعدالة. ومفهوم الشرف لا يتعدى «شرف البزة الرسمية»، تلك البزة التي تزين في العادة أقفاص المتهمين. لا بدّ من العمل، وكل ما عداه فليذهب إلى الشيطان. أهم ما في الأمر أن نكون عادلين، والباقي يلتئم من تلقاء نفسه.

أرغب كثيراً في الحديث إليكم. روحي في غليان. لا أريد أن أخاطب أحداً سواكم، لأن الكلام لا يستقيم إلا معكم. فليذهب بليشييف إلى الشيطان. وكذلك الممثلون. (. . .)

ولتحفظكم السموات.

المخلص أ. تشيخوف

١٠٥. إلى إيفان ليونتيف – شيغلوف

موسكو، ١٠ ديسمبر ١٨٩٠

مرحباً عزيزي جان. بمشيئة الأقدار النجم الذي انزلق من كوكبتكم عاد إليها من جديد. ها أنا في موسكو أكتب إليكم وأحييكم مرة أخرى.

لن أصف رحلتي إلى سخالين وتواجدي هناك، لأن أي توصيف مهما كان مختصراً يتطلب رسالة تبدأ ولا تنتهي. أكتفي بالقول إنني راضٍ عن الرحلة كل الرضا، ومتشبع بها ومعجب لحد لا أريد أكثر منه، ولن أزعل لو أصابني شلل أو حملتني الهيضة إلى العالم الآخر. يمكنني أن أقول: عشتُ، وما عايشته يكفي. كنت في جحيم سخالين، وفي نعيم جزيرة سيلان. ما أكثر الفَراش والحشرات هناك، وما أكثر الناموس والصراصر!

الرحلة، وخصوصاً عبر سيبيريا، أشبه بمرض مزمن عضال. السفر المتواصل بلا انقطاع شديد الوطأة، وبالمقابل ما أخف الذكريات التي خلفها.

أمضيت في سخالين ثلاثة أشهر وثلاثة أيام. وسأبلغكم بنتائج شؤوني السخالينية عندما نلتقي. أما الآن فلنتكلم عن الأحداث الجارية. هل صحيح أن بليشييف استلم تركة بمليونين؟ كيف هي أحوالكم الصحية وماذا تكتبون وما مخططاتكم الأدبية؟ إذن، طلقتم الجدة ومحلة بتربورغسكايا ستورونا... أهنئكم بالعهد الجديد. وفقكم الله في مكان السكنى الآخر.

كنتُ طول الوقت في صحة جيدة. لكنني استبردت في الأرخبيل حيث عصفت بنا الزوابع ورياح نورد - أوست الباردة. والآن يداهمني السعال والرشح المتواصل، وفي الليل ترتفع حرارتي، ولا بد من العلاج.

وجوه أهلي أشرقت من الفرح.

آه يا ملاكي! لو كنتَ تعلم أي وحوش لطيفة جلبتها من الهند! إنها حيوانات النمس (المنكوز) بحجم قطط في منتصف العمر. مرحة جداً وشاطرة. من مزاياها البسالة والفضول والتعلق بالإنسان. تقاتل الأفاعي ذات الأجراس وتخرج من المعركة منتصرة دوماً. إنها لا تخشى شيئاً على الإطلاق. أما الفضول فلم تبق في الحجرة صرة أو شليلة إلا ونبشتها. وعندما تصادف أحداً تسرع إلى فحص جيوبه،

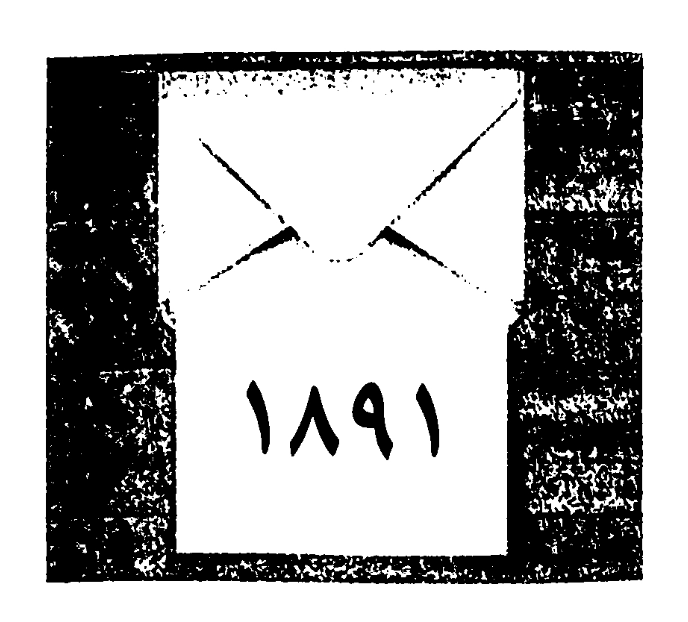
وعندما تبقى وحدها في الغرفة تشرع بالبكاء. والله إنها تستحق المجيء من بطرسبورغ لرؤيتها.

أنا ذاهب لزيارة خالتي (ف. دولجينكو). أتمنى لكم موفور الصحة والعافية.

سأكون في بطرسبورغ، على الأرجح، ليس قبل رأس السنة. تحياتي الصادقة لزوجتكم.

المخلص أ. تشيخوف

تحيات من عائلتي.



١٠٦. إلى ماريا تشيخوفا

بطرسبورغ، ١٤ يناير ١٨٩١

أنا منهك كراقصة باليه بعد الفصل الخامس والمشهد الثامن. فما أكثر ولائم الغداء والرسائل التي أتكاسل في الرد على مرسليها والأحاديث ومختلف التفاهات. الآن عليّ أن أمضي إلى وليمة غداء في (حارة) جزيرة فاسيليفسكي، بينما أشعر بالضجر وينبغي لي أن أعمل. سأمكث ثلاثة أيام أخرى وأرى ما إذا استمر هذا الباليه. وعندها أرحل عائداً إلى البيت أو أمضي إلى (أخي) إيفان في سودوغدا.

يحيط بي جو كثيف من المشاعر الخبيثة الغامضة وغير المفهومة بالنسبة لي. يطعمونني ويكيلون لي المديح التافه، وهم مستعدون في الوقت ذاته لالتهامي. لأية جريرة؟ الشيطان وحده يعلم. ولو انتحرتُ بطلقة مسدس لبعثت الارتياح العميق في نفوس تسع عشرات من أصدقائي والمعجبين بي. ثم ما أتفه الأسلوب الذي يعبّرون به عن مشاعرهم التافهة! بورينين يلومني في مقالة ساخرة مع أن التقاليد لا تجيز لوم زميل العمل في الصحافة... شيغلوف يكرر كل الشائعات المنتشرة حولي. وهكذا دواليك. كل ذلك في منتهى الغباوة والملل. إنهم ليسوا بشراً، وإنما نوع من العفن. (...)

كتابي «الأولاد» صدر في طبعة ثانية (عن مطبعة سوفورين).

استلمت ١٠٠ روبل بهذه المناسبة.

صحتي جيدة. أنام متأخراً...

تحدثت مع سوفورين بشأنك. لن تعملي عنده. هكذا قررتُ. إنه معجب بك جداً، إلا أنه متيم بحب كونداسوفا.

تحياتي إلى ليديا يغوروفنا ميزيوكوفا. أنتظر منها المناهج (لمدارس سخالين). خبريها أن لا تأكل الخبز والفطائر، وأن تبتعد عن ليفيتان. فلن تجد خطيباً أفضل مني لا في المجالس العامة ولا في المجتمع الراقي.

جاءني شيغلوف، ويوم أمس جاءني غريغوروفيتش. قبّلني طويلاً، وكذب ما شاء، وألحّ عليّ أن أحدثه عن اليابانيات. (...)

تحياتي للجميع.

المخلص أ. تشيخوف

١٠٧. إلى أناتولي كوني (حقوقي)

بطرسبورغ، ٢٦ يناير ١٨٩١

الفاضل السيد أناتولي فيودوروفيتش!

لم أسارع في الرد على رسالتكم لأنني لن أغادر بطرسبوغ قبل يوم السبت. (...)

أنا أتصور الفترة التي أمضيتها في سخالين طويلة هائلة لدرجة يصعب عليّ الكلام عنها، لأنني لا أعرف من أين أبدأ. وفي كل مرة يخيل إليّ أنني أقول ما لا داعي لأن أقوله.

سأحاول (في الفصل ١٧ من مدونة «جزيرة سخالين») أن أكتب عن أوضاع الأطفال هناك بالتفصيل. فهي خارقة للعادة. رأيت أطفالاً جياعاً، ورأيت عاهرات في الثالثة عشرة من العمر. وحوامل في الخامسة عشرة. البنات يبدأن بممارسة الدعارة في سن الثانية عشرة. وأحياناً قبل حلول العادة الشهرية. الكنيسة والمدرسة حبر على ورق. أما تربية الأطفال فتؤديها البيئة الاجتماعية والأشغال الشاقة. على فكرة، لديّ تسجيل لحديث مع صبي في العاشرة من العمر. كنت أقوم بإحصاء النفوس في بلدة أرمودان العليا، وكل نزلائها معدمون اشتهروا بولعهم المستميت

بالقمار. دخلت كوخاً ولم أجد فيه سوى صبي أشقر الشعر جالس محني الظهر على مصطبة. كان حافياً مشغول البال. بادرته بالحديث:

أنا - ما اسم جدك، والد أبيك؟

هو - لا أدري؟

أنا- كيف؟ تعيش مع أبيك ولا تعرف اسم والده؟ عيب عليك.

هو - إنه ليس أبي الحقيقي.

أنا - كيف؟

هو- إنه عشيق أمي

أنا - أمك متزوجة أم أرملة؟

هو- أرملة. جاءت لتقبض روحه.

أنا- روح من؟

هو- زوجها. قتلته.

أنا- وأنت، هل تتذكر أباك؟

هو- كلا. أنا ابن غير شرعي. ولدتني ماما في مغارة.

في الباخرة بنهر آمور توجه معنا إلى سخالين سجين مكبل القدمين بالقيود، كان قد قتل زوجته. وكانت معه ابنته اليتيمة في حوالى السادسة من العمر. لاحظتُ أن الحراس والبنت يسيرون خلف أبيها عندما يهبط من المتن العلوي إلى المرحاض في الأسفل. ويقف جندي مسلح مع البنت أمام باب المرحاض ما دام السجين فيه. وعندما يصعد السجين السلم عائداً تتبعه البنت متعلقة بسلسلة قيوده. وفي الليل تنام البنت في كومة واحدة مع السجناء والجنود. وأتذكر اني حضرت جنازة في سخالين. مأتم دفن زوجة نزيل غادر إلى مدينة نكولايفسك. قرب القبر المحفور وقف أربعة من المحكومين بالأشغال الشاقة بعد أن حملوا التابوت بحكم الواجب. ووقفت أنا ومدير الخزينة بمثابة هاملت وهوراتسيو عندما كانا يتسكعان في المقبرة، وكذلك شركسي، عشيق المتوفاة، حضر لعدم انشغاله بعمل، وامرأة محكومة بالأشغال الشاقة، جاءت بسبب الإشفاق والمرحمة، ومعها ولدا المتوفاة، أحدهما رضيع، والآخر أليوشكا صبي في حوالي الرابعة يرتدي بلوزة نسائية وبنطالاً أزرق مرتقاً بخرقتين ملونتين على الركبتين. الجو بارد رطب، وفي القبر ماء. والسجناء الأربعة يضحكون. البحر يلوح أمام الأنظار. وأليوشكا يتطلع بفضول في داخل

القبر. يريد أن يمسح أنفه البارد، لكن ردنَي البلوزة الطويلين يعيقانه. عندما أهالوا التراب على القبر سألته:

- أين ماما يا أليوشكا؟

لوّح بيده كإقطاعي خاسر وقال ضاحكاً:

- دفنوها!

السجناء يضحكون، ويخاطبنا الشركسي متسائلاً: ماذا يفعل بالطفلين؟ فهو غير ملزم بإطعامهما.

لم أصادف أمراضاً معدية في سخالين. الزهري الفطري قليل جداً. إلا أنني رأيت أطفالاً عمياناً، وسخين تغطي البثور أبدانهم، أي الأمراض التي تدل على أنهم منبوذون.

أنا بالطبع لن أحل مسألة الأطفال. فأنا لا أعرف ما الذي ينبغي القيام به. ولكني أعتقد أن الأعمال الخيرية وبقايا مخصصات السجون وغيرها من المبالغ لن تحل المسألة أيضاً. وفي رأيي أن جعل المشكلة وقفاً على الأعمال الخيرية التي هي في روسيا من بنات الصدفة وعلى بقايا المخصصات غير الموجودة إنما هو أمر ضار. أنا أؤيد الصرف من خزينة الدولة.

اسمحوا لي أن أقدم شكري لكم على الأريحية وعلى وعدكم بزيارتي، وسأظل المخلص لكم بكل احترام.

أ. تشيخوف

(تعقيب) فيما يخص أساليب تعذيب السجناء بجزيرة سخالين كتب تشيخوف في رسالة إلى فلاديمير ياكوفينكو بتاريخ ٣٠ يناير ١٨٩٧: «أقول بالمناسبة إن الحقوقيين والسجانين يقصدون بالعقوبات الجسدية / بمعناها البدني الضيق/ ليس فقط السياط والعصي واللكمات، بل وكذلك القيود والسلاسل والتعذيب «البارد» والعقوبة المدرسية «بلا غداء» والاقتصار على «الخبز والماء» والركوع الطويل على الركبتين وضرب الجبهة بالسجود والتوثيق بالحبال».

١٠٨. إلى ماريا تشيخوفا

بطرسبورغ، ١٦ مارس ١٨٩١

شقيقتي الكريمة!

موعد السفر إلى الخارج يوم الأحد. نتوجه إلى فيينا، ومنها إلى البندقية وما وراءها في كل ربوع إيطاليا. ولن نصل إلى إسبانيا على الأرجح. لذا أرجو تأجيل مسألة مناديل الرأس الإسبانية.

أبعث إليكم كمبيالة على حساب فولكوف بمبلغ ثلاثمئة روبل، آمل أن لا يسرقوها من هذه الرسالة.

أرجوك كل الرجاء أن تحتفظي بكل أعداد الجرائد حتى عودتي.

حضرت المعرض المتنقل (التاسع عشر). ليفيتان في أوج النجاح. لوحاته (الثلاث) تحظى بإعجاب كاسح. رافقني غريغوروفيتش أثناء التجول في المعرض شارحاً لي بالتفصيل مزايا وعيوب كل لوحة. وهو معجب كل الإعجاب بمناظر ليفيتان الطبيعية. فيما يرى بولونسكي أن القنطرة (في لوحة «المعبد الهادئ») طويلة أكثر من اللزوم. كما يرى بليشييف مفارقة بين عنوان اللوحة ومضمونها، متسائلاً كيف يجوز استخدام مفردة الهادئ وكل شيء هنا يعج بفرحة الحياة؟ على أية حال نجاح ليفيتان هذه المرة يفوق نجاحاته المعتادة.

كونداسوفا كانت عند سوفورين. يقال إنها تقهقه بصوت رنان أفزع أميلي وآديل. كانت تقهقه وتطرق الأرضية بقدميها.

بالمناسبة، اطلبي من ليفيتان وكونداسوفا أن يجمعا ولو تبرعات زهيدة لمدارس سخالين.

ألكسندر وأولاده في صحة جيدة.

أتمنى لكم موفور الصحة، وليحفظكم الرب! لا تنسوني.

إن لم تجدي الكمبيالة في الرسالة أبرقي إلى ألكسندر.

المخلص أ. تشيخوف

(...)

١٠٩. إلى إيفان تشيخوف (شقيق الكاتب، معلم)

البندقية، ٢٤ مارس ١٨٩١

أنا الآن في البندقية. وصلت إليها قبل ثلاثة أيام من فيينا. الشيء الأكيد الذي أقوله إنني لم أر في حياتي مدينة أروع من البندقية. الروعة مجسدة فيها والألق وفرحة الحياة. بدلاً من الشوارع والأزقة ثمة قنوات، وبدلاً من الحوذية جندول. المعمار مدهش، وليس هناك موضع إلا وأثار في النفس اهتماماً تاريخياً أو فنياً. تركب الجندول وترى قصور الزعماء والمنزل الذي عاشت فيه دزديمونة ومنازل مشاهير الرسامين والمعابد... وفي تلك المعابد منحوتات ورسوم لم نر مثلها حتى في الأحلام. باختصار: روعة مجسمة.

أجلس في الجندول طوال النهار، من الصباح حتى المساء، وأجوب الشوارع طافياً أو أتجول في ساحة القديس مرقص الشهيرة. الساحة نظيفة صقيلة مثل أرضية البلوط. وتقوم هنا كاتدرائية القديس مرقص التي يتعذر وصفها وقصر الزعيم (دوج) وبنايات تجعلني أشعر بما يشبه الإنشاد حسب النوتات، أشعر بجمال مذهل وأتمتع به متلذذاً.

وماذا عن المساء؟ يا إلهي! في المساء يمكن للمرء أن يموت لعدم تعوده عليه. يركب الجندول... الجو دافئ هادئ والنجوم تلألئ... لا وجود للخيول في البندقية. ولذا يشبه الهدوء هنا هدوء الحقول. الجندولات تمرق حواليك. هذا جندول علقت الفوانيس عليه. وفيه عازفو الكونترباص والكمنجة والقيثارة والمندولين وناي بستون. وثمة امرأتان أو ثلاث وعدة رجال، وتسمع من هناك الغناء والموسيقى. ينشدون مقاطع من الأوبرات. وما أروع تلك الأصوات! بعد خطوات في جندولك تلتقي قارباً آخر فيه مغنون. ومن جديد، وحتى منتصف الليل، يتشبع الهواء بخليط من أصوات حناجر التينور وألحان الكمان وغيرها من الأصوات التي تسر النفس وتسلب الألباب.

إلتقيت (الكاتب) ميريجكوفسكي هنا وقد سُلب عقله من شدة الإعجاب. ليس من الصعب، في عالم الجمال والثروة والحرية هذا، أن يُجن الروسي المسكين المهان. بودّي أن أبقى هنا إلى الأبد. وعندما أقف في الكنيسة وأستمع إلى الأرغن أشعر بأني أريد أن أعتنق الكاثوليكية.

لا أروع من ضريح (النحات أنطونيو) كانوفا وضريح تيتسيان. الرسامون العظام يدفنون هنا كالملوك، في الكنائس. ولا أحد يستهين بالفنون في هذه الأرجاء كما عندنا: الكنائس تستضيف التماثيل واللوحات الفنية حتى وإن كانت عارية.

في قصر الدوج جدارية تمثل قرابة ١٠ آلاف نموذج بشري.

اليوم هو الأحد. وستعزف الموسيقى في ساحة القديس مرقص.

على أية حال، أتمنى لك الصحة وكل خير. إذا تسنى لك أن تزور البندقية يوماً فسيكون ذلك أفضل يوم في حياتك. ستدهشك صناعة الزجاج هنا. زجاجاتك، بالمقارنة مع ما هو موجود في هذه المدينة، بشاعة تبعث الغثيان. (إيفان معلم في مدرسة تابعة لمعمل الزجاج في سودوغدا)

سأكتب لك مجدداً. أما الآن فإلى اللقاء.

أخوك أ. تشيخوف

١١٠. إلى ماريا كيسيليوفا

روما، ١ أبريل ١٨٩١

كلفني بابا روما أن أهنئكم بعيد الملاك الشفيع وأتمنى لكم نقوداً بقدر ما عنده من غرف. لديه ١١ ألف غرفة! عندما تجولت في الفاتيكان مرضت من الإرهاق. وحينما عدت إلى الفندق خيل إليّ أن قدميّ مصنوعتان من القطن. أنا أتناول الغداء على مائدة عمومية. تصوروا: أمامي تجلس هولنديتان، إحداهما تشبه تاتيانا في ملحمة بوشكين (يفغيني أونيغين) والأخرى تشبه أختها أولغا. كنت أتطلع إليهما طوال فترة الغداء وأتصور منزلاً أبيض نظيفاً يعلوه برج صغير، والزبدة الهولندية اللذيذة والجبن الهولندي الرائع وسمك الرنكة ووجه القسيس المنور والمعلم الرصين... وأشعر برغبة في الزواج من هولندية، كما أرغب في أن يرسم رسام صورتي معها على صينية شاي جنب ذلك المنزل النظيف.

رأيت كل شيء، ومضيت إلى كل مكان يأمرونني بالذهاب إليه. عرضوا عليّ ما يستحق أن أشمه، فشممته. لكنني أشعر الآن بالإرهاق والرغبة في تناول حساء

الخضر وعصيدة الجودار. البندقية سحرتني، جننتني. وعندما غادرتها جاء دور الأدلة السياحية وساءت الأحوال الجوية.

إلى اللقاء، يا ماريا فلاديميروفنا. ربنا يحفظك. تحية خالصة مني ومن بابا روما إلى صاحب المعالي (ألكسندر كيسيليوف) وابنتيه فاسيليسا ويليزافيتا.

ربطات العنق رخيصة هنا لحد مدهش. إنها رخيصة لدرجة ربما تجعلني أقتات عليها. سعر الربطتين فرنك واحد. غداً أتوجه إلى نابولي. تمنوا لي أن ألتقي هناك روسية حسناء، أرملة إن أمكن، أو مطلقة.

الأدلة السياحية تقول إن المغامرة الغرامية شرط لا بدّ منه أثناء التجول في ربوع إيطاليا. ما العمل؟ أنا موافق على كل شيء. إذا كانت مغامرة فلتكن.

لا تنسوا الخاطئ الكبير، المخلص لكم بصدق واحترام

أ. تشيخوف

١١١. إلى أليكسي سوفورين

أليكسين (محافظة تولا)، ١٠ مايو ١٨٩١

استلمت رسالتكم. شكراً. (. . .). أنتم على حق: روحي بحاجة إلى بلسم. بودّي أن أقرأ بارتياح، بل وبفرح، شيئاً ما جدياً ليس عن شخصي فقط، بل على العموم. أنا أحن إلى القراءة الجادة، فيما النقد الروسي كله في الآونة الأخيرة ينرفزني ولا يستهويني. بودّي أن أقرأ، وبكل إعجاب، كتابات جديدة عن بوشكين أو تولستوي. ذلك هو البلسم الذي يحتاج إليه دماغي العاطل. . .

أنا أيضاً أحن إلى البندقية وفلورنسا، ومستعد أن أصعد إلى فيزوف مرة أخرى. بولونيا انمحت من ذاكرتي وبهتت. وعندما أتذكر نيس وباريس «أقرأ حياتي مشمئزاً» (قصيدة بوشكين «الذكريات»).

في العدد الأخير من «بشير الأدب الأجنبي» قصة («المطر في يونيو» للروائية الإنجليزية) وايدا (اسمها الحقيقي ماريا لويزا رامي)، ترجمها أخي ميخائيل، مفتش الأناوى. يا ليتني أجيد اللغات الأجنبية! يخيل إليّ أنني كان يمكن أن أترجم الأدب

بشكل رائع. فعندما أقرأ تراجم الغير أغير فيها المفردات ومواقع التعابير ذهنياً، فأحصل على صيغ خفيفة شفافة كالتخاريم.

في الأيام الثلاثة الأولى من الأسبوع أعكف على تأليف مدونة سخالين، وفي الأيام الأخرى، ما عدا الأحد، أكتب رواية (مصيرها غير معروف). وفي الآحاد أكتب أقاصيص. أعمل برغبة. ولكنني متضايق للأسف: عائلتي كبيرة، وأنا، الكاتب، أشبه بأبي جنيب قابع في قفص ضيق مع أمثاله من السراطين النهرية.

الطقس طوال هذه الأيام رائع. المنطقة التي فيها المنزل الصيفي جافة وصحية، تحيطها الغابات... وفي أوكا تكثر الأسماك والسراطين. (ومن موقعي) أرى القطارات والبواخر. عموماً كان يمكنني أن أشعر بالرضا والارتياح لولا ضيق المكان. (...) أوكا سيعجبكم عندما نركب في الخامسة صباحاً باخرة صغيرة متهالكة تنقلنا من سيربوخوف إلى كالوغا.

أنا لا أنوي الزواج. بودّي الآن أن أغدو عجوزاً قميئاً أصلع وأجلس إلى طاولة كبيرة في مكتب جيد.

أتمنى لكم موفور الصحة وهدوء البال. تحياتي الصادقة إلى عائلتكم بجميع أفرادها. اكتبوا لي رجاءً.

المخلص أ. تشيخوف

١١٢. إلى ليديا ميزينوفا (مطربة وناقدة أدبية)

بوغيموفو (ضواحي كالوغا)، ١٢ يونيو ١٨٩١

ليكا الرائعة الجذابة!

تولعتِ بمحبة ليفيتان الشركسي ونسيت بالمطلق أنك وعدت أخي إيفان بأن تأتي إلينا في ١ يونيو، ولا تردّين على رسائل أختي (ماشا). أنا أيضا كتبت إليك في موسكو داعياً إياك لزيارتنا. إلا أن رسالتي هي الأخرى ظلت صرخة في واد. ومع أن المجتمع الراقي احتضنك /عند مالكييل الكبيرة الجمجمة/ إلا أن تربيتك رغم ذلك سيئة، وأنا لست آسفاً لأنني عاقبتك ذات مرة بالسوط. لعلك تفهمين أن انتظار

وصولك يومياً يتعبنا بل وهو مكلف لنا مادياً: ففي العادة نحن نتناول على الغداء حساء يوم أمس لا غير. ولكننا عندما ننتظر ضيوفاً نعد علاوة على ذلك طبقاً مقلياً من لحم البقر المطبوخ سلفاً، لأننا نشتريه من طباخات الجيران.

لدينا بستان جميل بممرات ظليلة ومواضع منعزلة للنزهة وجدول وطاحونة هواء وقارب وأمسيات منيرة بضوء القمر وبلابل ودجاج رومي... في الجدول والبركة ضفادع ذكية جداً. نحن غالباً ما نتمشى هناك. علماً بأنني أغمض عيني في العادة وألوي يدي اليمنى متصوراً أنني أسير معك ساعداً بساعد. (...)

تحياتي إلى ليفيتان. اطلبي منه أن لا يكتب لي عنك في كل رسالة. أولاً، تلك ليست شهامة من جانبه. وثانياً- سعادته لا تهمني إطلاقاً.

أتمنى لك الصحة مخلوطة بالسعادة. لا تنسينا. حارسة المنزل تبلغك تحياتها.

المنغوز (الهارب) عثرنا عليه. ماشا بصحة جيدة.

هذا هو توقيعي. (قلب فيه سهم كوبيد)

(وأخيراً) استلمت رسالة منك الآن. إنها مشحونة من فوق إلى تحت بتعابير رقيقة من قبيل «اذهب إلى الشيطان»، «يا للعنة»، «حقير»، وهلمجرا. أكيد أنت متأثرة جداً بالحوذية الحمقى من أمثال تروفيم.

يمكنك أن تسبحي وتتنزهي في المساء. ولا خطر في ذلك. أنا كل أحشائي تعج بالحشرجة البليلة والجافة، ومع ذلك أسبح وأتمشى، ولا أزال على قيد الحياة.

بوسعك أن تشربي المياه المعدنية. أنا أستحسن ذلك. تعالي إذن. وإلا ستسوء الحال. الجميع يحيونك، وأنا أيضاً. خطك لا زال رائعاً كما كان.

١١٣. إلى أليكسي سوفورين

بوغيموفو، ١٨ أغسطس ١٨٩١

وأخيراً أنهيت قصتي المطولة المتعبة («المبارزة»، ترجمة د. أبوبكر يوسف)، وأرسلها إليكم في فيودوسيا بطرد مسجل. اقرأوها رجاءً. وهي طويلة بالنسبة للجريدة، ومن حيث الضمون لا يمكن تقسيمها إلى أجزاء. على أية حال القول الفصل لكم.

إذا أرجأتم نشرها حتى الخريف فسأقرأ البروفة في موسكو. القصة لن تفقد شيئاً بسبب ذلك، فيما يربح صندوق «العصر الحديث»، ذلك لأن تصحيحاتي تقلص عدد السطور دوماً.

وطالما أن هذه القصة تشكل حالياً موردي الجاري الوحيد فبلغوني بالاستلام برقياً كيلا أبقى قلقاً بهذا الخصوص.

القصة بأكثر من أربع ملازم. شيء فظيع. انتابني الإعياء، فسرت نحو الخاتمة وكأني أحمل عفشاً في ليلة خريفية موحلة. كنت أسير خطوات وأتوقف لحظات، ما أدى إلى تأخري. نصف الأجرة، إذا لم ترفضوا القصة، يخصص لتسديد ديوني للجريدة، والنصف الآخر يمضي إلى بطني. إذا أرجأتم نشر القصة حتى الخريف أبرقوا إلى الإدارة الموقرة أن تبعث لي عاجلاً ٣٠٠ من حساب القصة، ذلك لأن الريح تصفر في جيوبي وليس لدي تكاليف السفر. تحويل المبلغ لا يتم طبعاً إلا بشرط قبول القصة وما إلى ذلك.

وللأسف لن آتي إليكم. أقول ذلك بصوت كأنما منبعث من القبور. ليس لدي تكاليف السفر، ولا أريد أن أغرق في ديون جديدة.

الطقس حار، وفي الغابات كثير من الفطر.

اكتبوا لي إلى متى ستبقون في فيودوسيا. فلعلّي أجد فرصة ما للمجيء إليكم.

تحياتي إلى آنّا إيفانوفنا وناستيا وبوريس.

أتمنى لكم موفور الصحة.

المخلص أ. تشيخوف

١١٤. إلى اليكسي سوفورين

موسكو، ٨ سبتمبر ١٨٩١

انتقلت إلى موسكو وألازم المنزل. العائلة تسعى إلى تبديل الشقة، وأنا ألوذ بالصمت، لأن الكسل قد استولى عليّ. العائلة تريد الانتقال إلى ديفيتشيه بوليه، فالإيجار هناك أرخص.

العنوان الذي تقترحونه: «كذب» لقصتي المطولة («المبارزة») لا يصلح لها. فهو صالح فقط للمواضع التي يدور الكلام فيها عن الكذب المتعمد. أما الكذبة غير المتعمدة فهي ليست كذبا، بل هفوة أو خطأ. تولستوي يسمي تداولنا للنقود وتناول اللحوم كذباً. تلك مبالغة.

علمت أمس أن كوريبين مريض وفي حالة ميئوس منها. سرطان في الرقبة. وقبل أن يموت يلتهم السرطان نصف دماغه، ويعذبه التهاب الأعصاب. قيل لي إن زوجته كتبت لكم.

الموت يختطف البشر شيئاً فشيئاً. إنه يعرف كيف يعمل. اكتبوا مسرحية عن عالم كيميائي عجوز اخترع إكسير الخلود. خمس عشرة قطرة وتعيش حياتك إلى الأبد. إلا أن الكيميائي هشم قنينة الإكسير خشية أن يعيش سفلة مثله ومثل زوجته. تولستوي لا يعترف بخلود البشرية. ولكن، يا إلهي، ما أكثر ما في هذا الكلام من أمور شخصية. قبل ثلاثة أيام قرأت «كلمة أخيرة» (في قصة ليف تولستوي «السوناتا التاسعة»). واللّه العظيم إنها أغبى وأضيق من «رسائل إلى زوجة الحاكم» (لنكولاي غوغول) التي أحتقرها. فلتذهب إلى الشيطان فلسفة عظماء العالم. كل الحكماء العظام مستبدون مثل الجنرالات، وهم غير مهذبين وغير مؤدبين مثل الجنرالات، لأنهم واثقون بأن العقاب لن يطالهم. ديوجين كان يبصق على اللحى عارفاً بأنه لن يتلقى عقاباً على ذلك. تولستوي يشتم الأطباء واصفاً إياهم بالأنذال ولا يفقه شيئاً في المسائل الكبرى لأنه مثل ديوجين لا يمكن اقتياده إلى مركز الشرطة ولا يمكن لومه في الجرائد. إذن، فلتذهب إلى الشيطان فلسفة عظماء العالم. كلها، مع كل الكلمات الأخيرة البلهاء وكل الرسائل إلى زوجة الحاكم، لا تساوي فرساً واحدة من خيول قصة «خولستومير» (ليف تولستوي).

(...)

أتمنى لكم الصحة والعافية، ولا تنسوا محسوبكم الخاطئ. فأنا متضايق جداً.

المخلص أ. تشيخوف

١١٥. إلى ميخائيل آلبوف (محرر «بشير الشمال»)

موسكو، ٣٠ سبتمبر ١٨٩١

ميخائيل نيلوفيتش المحترم! القصة جاهزة تقريباً. مكتوبة، لكنها مسودة غير منقحة. أحتاج لإنجازها إلى أسبوع أو أسبوعين لا أكثر. عنوانها «رواية رجل مجهول» (ترجمة د. أبوبكر يوسف). إلا أن شكوكاً جدية تلاحقني بخصوصها: هل تسمح بها الرقابة؟ «بشير الشمال» خاضعة للرقابة، وقصتي ربما لا تعجب الرقيب من حيث قوام شخوصها، مع أنها لا تروج لتعاليم ضارة. السرد بصيغة المتكلم، وهو اشتراكي سابق. والبطل رقم واحد في القصة هو ابن الرفيق وزير الداخلية. الاشتراكي وابن الوزير شابان وديعان لا يمارسان السياسة في القصة. ومع ذلك أخشى، أو على الأقل أعتقد أن من السابق لأوانه الإعلان عن هذه القصة على الملأ. سأرسل لكم القصة، فاقرأوها وقرروا. إذا كانت الرقابة، في اعتقادكم، تسمح بها فأرسِلوها إلى المطبعة وأعلِنوا عنها. وإذا رأيتم، بعد قراءتها، أن لشكوكي ما يبررها فتفضلوا بإعادتها إليّ من دون إرسالها إلى المطبعة أو الرقابة. فإذا لم يسمح الرقيب بنشرها بصعب عليّ أن أرسلها إلى مطبوعة غير خاضعة للرقابة. لأن الناشر سيخشى طبعها إذا علم أن الرقابة منعتها. (...)

أتمنى لكم موفور الصحة.

المخلص لكم باحترام

أ. تشيخوف

١١٦. إلى أليكسي سوفورين

موسكو، ١٩ أكتوبر ١٨٩١

ما أروع مقالتكم الجديدة من مسلسل «الرسائل القصيرة» (حول اتهام الفلاحين بالكسل هذه المرة). الأسلوب ساخن جميل، والأفكار كلها صحيحة. فمن الغريب وغير اللائق الكلام الآن عن الكسل والتهاون والإدمان على الكحول وما إلى ذلك، مثلما نلقن الشخص مبادئ العقل والحكمة وهو يتقيأ، أو يعاني من التيفوئيد. الشبع، شأن أي طاقة أخرى، يتضمن دوماً قدراً من الوقاحة، وتتجلى هذه الوقاحة بالدرجة الأولى في كون الشبعان يعلم الجوعان. وإذا كانت المؤاساة في المصيبة الكبيرة ممقوتة فكيف يتعين على الأخلاق أن تفعل فعلها، وما أغبى المظهر المهين الذي تبدو فيه. في رأيهم أن المقصر في تسديد مستحقات بمبلغ ١٥ روبلاً هو المخالف الذي لا يحق له أن يسكر. فهل حسبوا مقدار تقصير الدول ورؤساء الحكومات، وكم هي المستحقات المترتبة على النبلاء ورجال الدين إجمالاً؟

(. . .)

على أية حال، خريطة عملي كالآتي: قبل كل شيء أتخلص من قصة («الزوجة») المخصصة «لمجموعة» (معونة الجياع). القصة طويلة، بملزمتين تقريباً، وهي من القصص المملة الصعبة التنفيذ، بلا بداية ولا نهاية. سأتخلص منها، والله معها. ثم أذهب إلى الجنرال بارانوف في محافظة (نيجني نوفغورود لتنظيم حملة معونة الجياع). وسأضطر إلى ركوب السفينة في الفولغا ثم الخيل. وبعد ذلك آتي إليكم. ولا أريد الذهاب إلى زارايسكي. فأنا لا أجيد التطلع إلى الضياع في الشتاء. أنا لا أفهم أصلاً ما تغطيه الثلوج وما تحيط به الأشجار العارية.

أمرتم بتحويل ٤٠٠ روبل إليّ، أليس كذلك؟ !Vivat dominus Suvorin (باللاتينية: فليعش السيد سوفورين!). ذلك يعني أني استلمت من شركتكم على حساب «المبارزة» ٤٠٠ + ١٠٠ + ٤٠٠ مجموع مكافأة «المبارزة» في اعتقادي ١٤٠٠، منها ٥٠٠ لتغطية ديوني. والحمد لله على ذلك. في الربيع عليّ أن أسدد الدين كاملاً، وإلا سأذبل وأذوي وأمرض. ذلك لأني في الربيع أريد من جديد أن آخذ المستحقات مقدماً في جميع هيئات التحرير وأهرب بها إلى جاوه.

(. . .)

آه يا صويحباتي! ما أشد الملل! إذا كنتُ طبيباً فأنا بحاجة إلى مرضى ومستشفيات، وإذا كنت أديباً فأنا بحاجة إلى العيش بين الناس، وليس في حجرتي مع النمس في شارع مالايا دميتروفكا. أنا بحاجة ولو إلى قطعة صغيرة من الحياة العامة والحياة السياسية، أما هذه المعيشة بين أربعة جدران، مندون الطبيعة، من دون الناس، من دون الوطن، من دون الصحة والشهية فهي ليست حياة، إنها /.../ (لا مؤاخذة) ليس إلا.

من أجل كل الأسماك التي تصطادونها في ضيعتكم في زارايسكي انشروا كتابات الفكاهي الإنجليزي برنارد (لعل المقصود ف. برناند). قدموها إلى المطبعة.

أجمل تحياتي لعائلتكم. وليهبكم الله الصحة ألف عام.

المخلص أ. تشيخوف

١١٧. إلى ميخائيل آلبوف

موسكو، ٢٢ أكتوبر ١٨٩١

ميخائيل نيلوفيتش المحترم!

يبدو أن الأمور اختلطت عليّ بعض الشيء. القصة التي أبلغتكم عنها في رسالتي الأخيرة («رواية رجل مجهول») أرجأت العمل عليها إلى حين. لم يعد لدي أي شك في أن الرقابة ستمنعها. وإرسالها إليكم يعني مضيعة للوقت ويقود إلى حرمان عدد يناير من القصة التي تريدونها مني. قبل فترة كان سوفورين في موسكو. وعندما قرأت عليه الأسطر العشرين الأولى من القصة قال لي: «لو كنت بدلاً منك لما تجرأت على نشر هذا الكلام». لقد فقدت رشدي قليلاً وقررت أن أترك هذه القصة لحين من الوقت وأكتب لكم قصة أخرى.

ها أنا مواظب على الكتابة، ولكن، بصراحة، في تقدم صعب وبطيء. في مطلع نوفمبر سأكون في بطرسبورغ وألتقيكم. سأحاول أن أكمل القصة («الزوجة») حتى ذلك الحين، وإذا لم تكتمل فسأنجزها في بطرسبورغ. فلا مؤاخذة، بالله عليكم.

المخلص أ. تشيخوف

١١٨. إلى أليكسي سوفورين

موسكو، ٢٥ أكتوبر ١٨٩١

(. . .)

انشروا (فصول) «المبارزة» مرة في الأسبوع وليس مرتين. النشر مرتين يخل بالنظام المتبع في الجريدة من زمان، ويوحي بأنني أستأثر بيوم إضافي في الأسبوع أستقطعه من الآخرين، في حين أن النشر مرة أو مرتين في الأسبوع لا يعني شيئاً بالنسبة لي ولقصتي.

تنتشر بين الإخوة الأدباء في بطرسبورغ أقاويل عن عدم نزاهة دوافع نشاطي. وقد تلقيت الآن خبراً ساراً يفيد بأنني سأتزوج من سيبيرياكوفا الثرية. عموماً أنا أستلم الكثير من الأخبار الجيدة.

أنا أستيقظ في الليل، كل ليلة، وأقرأ «الحرب والسلام». أقرأ بفضول وبدهشة ساذجة، وكأنني لم أقرأ ذلك من قبل. كل شيء رائع ممتاز. إلا أنني لا أحب المواضع التي يظهر فيها نابليون. صورة نابليون وكل الرتوش والفذلكات الأخرى تهدف إلى التدليل على أنه كان أغبى مما هو عليه في الواقع. وكل ما يفعله ويقوله بيير والأمير أندريه أو حتى نكولاي روستوف التافه جداً - كل ذلك جيد وذكي وطبيعي ومؤثر، أما ما يفكر فيه نابليون ويفعله فهو غير طبيعي وليس ذكياً، بل مفتعلاً وقليل الأهمية. عندما سأقيم في الضاحية /الأمر الذي أحلم به الآن ليل نهار/ سأمارس التطبيب وكتابة الروايات.

ولن آتي إلى بطرسبورغ.

لو كنت جنب الأمير أندريه لعالجته وشفيته. ومن الغريب أن نقرأ أن جرح الأمير الثري الذي أمضى الليل والنهار مع الطبيب واعتنت به نتاشا وسونيا تفوح منه رائحة الجثث. فما أسوأ الطب آنذاك. يبدو أن تولستوي عندما عكف على كتابة هذه الرواية الضخمة قد تشبّع لاشعورياً بكراهية الطب.

أتمنى لكم الصحة. خالتي توفيت.

المخلص أ. تشيخوف

١١٩. إلى ألكسندر سماغين (إقطاعي ثري)

موسكو، ١١ ديسمبر ١٨٩١

مرحباً مرة أخرى، يا صاحب المعالي! شكراً على البرقية (. . .). من ناحيتي أبلغكم، يا سيدي، بأنني متواجد في موسكو لا أغادرها، إلا أن أعمالي في محافظة نيجني نوفغورود تسير على قدم وساق. فقد أسست، أنا والصديق الرائع رئيس الإدارة المحلية في المحافظة، لعمل نعتقد أنه سيدرّ على كل منا قرابة مئة ألف، وذلك في أبعد بقعة خالية هناك، حيث لا وجود للإقطاعيين والأطباء ولا للفتيات المهذبات اللواتي تعج بهن اليوم حتى الجحيم. في إطار إجراءات مكافحة المجاعة نحن نسعى بالأساس إلى إنقاذ محصول الموسم القادم. الفلاحون يبيعون خيولهم بأبخس الأثمان، وهذا يشكل خطراً كبيراً بترك الحقول من دون حراثة ربيعية، فتتكرر المجاعة من جديد. ولذا نحن نشتري الخيول بالجملة ونطعمها لنعيدها إلى أصحابها في الربيع. أعمالنا باتت مترسخة تماماً، وسأسافر إلى هناك في يناير لأرى ثمارها. أكتب إليكم عن ذلك للغرض التالي: إذا إستطعتم أنتم أو غيركم، أثناء الولائم الصاخبة، أن تجمعوا ولو خمسين روبلاً لمعونة الجياع، أو إذا كانت هناك (عجوز بخيلة) من أمثال كوروبتشكا (الصندقجة، من أبطال «النفوس الميتة» لغوغول) توصي بروبل واحد لهذا الغرض، أو إذا ربحتم أنتم ١٠٠ روبل في القمار، فتذكّرونا، نحن الخاطئين، في صلواتكم وابتهالاتكم، وخصصوا لنا قليلاً من عطاياكم! ليس هذا مطلوب الآن، بل في أي وقت يناسبكم، لا أبعد من الربيع. ففي الربيع لن تعود الخيول خيولنا. وسيتلقى كل متبرع، في مقابل الكوبيك الذي يضحي به، تقريراً مفصلاً بأية صيغة يرغب فيها، بما في ذلك أبيات من الشعر ينظمها غيليياروفسكي بناءً على طلبي. وسننشرها في يناير. أرسِلوا التبرعات على عنواني أو إلى ساحة المعركة مباشرة: محطة بوغويافلنويه - رئيس الإدارة المحلية. . .

يا ليتني أقيم في سوروتشينتسي أو قربها (ليس بعيداً عنكم) لأمارس صيد السمك في الصيف والخريف وأغادر في الشتاء إلى بطرسبورغ وموسكو. . .

اكتبوا لي.

المخلص لكم روحياً

أ. تشيخوف



١٢٠. إلى أليكسي سوفورين

ميليخوفو (ضواحي موسكو)، ١١ مارس ١٨٩٢

أجرة الأيدي العاملة انخفضت إلى الصفر تقريباً. ولذا أنا مرتاح جداً (لترميم الضيعة). وقد أخذت أتفهم روعة الرأسمالية. تفكيك فرن التدفئة في غرفة الاستقبال وبناء فرن طباخ بدلاً منه مع كل ما يتطلبه ذلك من مستلزمات، ثم تفكيك مطبخ المنزل ونصب مدفأة هولندية قرميدية بدلاً منه - كل ذلك يكلف ٢٠ روبلاً. ثمن اثنتين من المساحي ٢٥ كوبيكاً. تجهيز قوالب الثلج ٣٠ كوبيكاً في اليوم للعامل الوقتي. أما العامل الدائمي الشاب المتعلم الذي لا يتعاطى المسكرات ولا يدخن، بل يتعهد بالحراثة وتنظيف الأحذية ورعاية المشاتل الدفيئة فيتقاضى ٥ روبلات في الشهر. الأرضية والحواجز بين الغرف ولصق ورق الجدران أرخص من الفطر في الغابة. ولذا ليس هناك ما يشغل بالي. ولكنني لو دفعت في مقابل العمل ولو ربع ما أتقاضاه فسأعلن إفلاسي بعد شهر، ذلك لأن عدد عمال بناء الأفران والنجارين وغيرهم سيل لا ينقطع. الحياة الفسيحة غير المقيدة بأربعة جدران تتطلب جيوباً وسيعة. لقد أثقلت عليكم، لكنني أذكر نقطة أخرى: بذور البرسيم تكلف ١٠٠ روبل وبذور الهرطمان أكثر من مئة. تلك هي المشكلة. البعض يتوقعون لدي محصولاً وفيراً وثراءً، ولكنْ ما حاجتي إلى ذلك كله؟ عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة. ولذا أنا مضطر أن أعكف على الكتابة. ينبغي لي أن أكسب قرابة خمسمئة روبل على الأقل لتغطية كل التكاليف. وقد كسبت نصف هذا المبلغ، الثلج يذوب،

والجو دافئ، والأطيار تغرد، والسماء صافية، سماء الربيع.

أقرأ ما شاء اللّه. قرأت «الطباع الأسطورية» لـ (نكولاي) ليسكوف في عدد يناير من «الاستعراض الروسي». رائعة إلى حدّ ملائكي. تجمع بين الفضيلة والشرف والفجور. لكنها ممتعة جدّاً. اقرأوها إذا لم تكونوا قد قرأتموها بعد. مرة أخرى قرأت نقد (دميتري) بيساريف لـ (ملحمة) بوشكين. نقد فظيع، لكنه ساذج. إنه يفكك صورة أونيغين وتاتيانا، فيما يبقى بوشكين سليماً على العموم. بيساريف هو جد وأبو جميع النقاد المعاصرين، بمن فيهم بورينين. نفس التركيز على صغائر الأمور في نقد الشخوص، ونفس التهكم البارد والاعتزاز بالنفس، ونفس الخشونة وعدم اللياقة في معاملة الآخرين. الانفعال يشتد ليس من أفكار بيساريف غير الموجودة أصلاً، بل من لهجته الفظة الغليظة. يبدو لي أن موقفه مقرف تجاه تاتيانا، وخصوصاً رسالتها الرقيقة التي أحبها بإعجاب. ذلك نقد تفوح منه رائحة الهجوم المتحيز العنيد. على أية حال، فليذهب بيساريف في سبيله.

متى تأتون إليّ؟ قبل الأعياد على الزحافة، أم بعدها في العربة؟ انتهينا تقريباً من ترتيب الضيعة. لم يبق سوى الرفوف لمكتبتي. عندما ننصب أطر النوافذ نطلي المنزل من جديد، فيكتسب شكلاً مقبولاً تماماً. وفي الصيف نبني مرحاضاً حديثاً.

بستان المنزل يحتوي على مماشٍ من أشجار الحور. وفيه تفاح وكرز وبرقوق وتين أرضي. (...) تحياتي للجميع.

المخلص أ. تشيخوف

١٢١. إلى ألكسندر تشيخوف

ميليخوفو، ٢١ مارس ١٨٩٢

الإطفائي ساشا! (ألكسندر يعمل محرراً في مجلة «الإطفائي»)

(...)

نقيم في الضيعة التي هي ملك لنا. وأنا، مثل سينسيناتوس (رجل الدولة الروماني) أقضي الوقت في العمل وآكل الخبز بعرق الجبين. الوالدة صائمة اليوم

وقد ذهبت إلى الكنيسة بفضل حصانها الشخصي. الوالد سقط من الزحافة بسبب سرعة عدو الحصان الفائقة!

الوالد لا يزال يتفلسف كالسابق ويطرح أسئلة من قبيل: لماذا يتراكم الثلج هنا؟ أو: لماذا تنمو الأشجار هناك ولا تنمو هنا؟ وهو يقرأ الصحف طوال الوقت، ثم يحدّث الوالدة عن جمعية تأسست في بطرسبورغ لمكافحة الألبان المغشوشة. وهو مثل جميع أبناء تاغانروغ غير مؤهل لأي عمل، ما عدا إشعال فتائل الفوانيس. كما أنه متشدد في معاملة الفلاحين. (. . .)

أما أموري المالية فهي في أسوأ حال، لأن المصروفات على الضيعة عشرة أمثال العائدات. أتذكر (الطبيب الفرنسي الشهير جوزيف) تورنيفور القائل: الولادة لازمة ولا شمعة عندنا. هكذا أنا: البذار لازم ولا بذور. العلف لازم للخيول والبط ولا إمكانية في البيت لذلك. نعم، يا ساشا، ليست موسكو وحدها تحب النقود.

البركة في البستان على مسافة ٢٠ خطوة عن المنزل. وهي عميقة، ٦ أمتار. فما الفائدة من طمرها بالثلوج وانتظار الوقت الذي تتخبط فيه الأسماك داخلها؟ وماذا عن السواقي؟ هل إن حفرها أقل مسرة من تحرير «الإطفائي»؟ ثم ماذا عن النهوض من النوم في الخامسة مع العلم بأنك لن تذهب إلى أي مكان ولن يأتيك أي إنسان؟ وماذا عن الإنصات إلى زقزقة العصافير والقبرات وتغريد البلابل؟ وماذا عن استلام أكداس الجرائد والمجلات من عالم آخر؟

ولكن، يا ساشا، عندما تباع ضيعتي بالمزاد العلني أشتري منزلاً في نيجني نوفغورد مع حديقة وأعيش هناك حتى الشيخوخة. وسأقول عندما يشغل الغريب ضيعتي: ما ضاع كل شيء بعدُ!

ستكون من أخس الناس وتتصرف بدناءة ما بعدها دناءة إذا لم تأت إلينا في الصيف لتعيش حياة سينسيناتوس ولو يوماً واحداً. قبل أيام بيعت ضيعة جيدة مجاورة لضيعتي بثلاثة آلاف. فيها منزل وملحقات وبستان وبركة. ٥٠ هكتاراً. . . يا ليتك تشتري مثلها. ما أكثر التين الشوكي والفراولة!

اليوم كنستُ الثلج مع ميشكا ورميناه في البركة وتذكرناك وأنت تغني في الطفولة. فما أذكاك، يا ساشا، آنذاك. (. . .).

أتمنى لك موفور الصحة، تحياتي إلى نتاليا ألكساندروفنا وأولادك. كيف حال

(ابنك) ميخائيل؟ ألا تزال البثور في رأسه؟ إذا كان الأمر كذلك بلّغ نتاليا ألكساندروفنا أن تكتب لي تفصيلاً، وسأبعث توصية / مجانية/ .

المخلص سينسيناتوس

(. . .)

١٢٢. إلى ليديا ميزينوفا

ميليخوفو، ٢٩ مارس ١٨٩٢

العزيزة ليكا

(. . .) نحن جميعاً ننتظر وصولك بفارغ الصبر. الغرف باتت مرتبة وأكثر اتساعاً. وبالأمس عملنا طوال النهار في تنظيف المستودع (المشتمل) الذي سينزل فيه ضيوفنا الأعزاء.

للأسف الشديد، في الليل شب حريق في ضيعة الإقطاعية كوفشينيكوفا المجاورة لنا. ذلك نذير شؤم. منزلنا والبستان غرقا في أنوار اللهيب الساطع، ودقت نواقيس الكنيسة، والناس تتصايح، بينما نحن لا نرى ولا نسمع شيئاً. كنا في نوم عميق. جداً. نحن نأوي إلى الفراش في الثامنة ونستيقظ في السابعة. كما أننا نأكل كثيراً. عموماً يمكن القول بالتأكيد إننا سنكون بعد عام أو يزيد بهائم ذائعة الصيت. أنا أمارس العمل البدني. عضلاتي تتقوّى وتشتد، ومن ساعة لأخرى أغدو أكثر متانة، ولذا فعندما تباع ضيعتي بالمزاد أذهب للعمل في رفع الأثقال في سيركس سولومينسكي.

أية أساليب للتعذيب يتعين علينا أن نبتكرها لكِ إذا لم تشرّفينا بحضورك؟ سأصب الماء الساخن عليك وأنتزع من ظهرك شريحة لحم بملقط حديدي متقد.

عندنا كثير من البق والصراصر. نعمل منها سندويشاً ونأكلها. لذيذة.

اكتبي لي، ليكا، ولو سطرين. لا تنسينا قبل الأوان. تظاهري على الأقل بأنك لا تزالين تتذكريننا. اخدعينا. الخداع أفضل من اللامبالاة.

الوضع مريح لك عندنا. وإذا لم تتوفر بعض أسباب الراحة في ضيعتنا فسنحاول أن نجعلك لا تحتاجين إليها.

لدينا ممر رائع من أشجار الحور. يمكن التمشي فيه الآن لأننا نظفناالحديقة من الثلج ورميناه في البركة. البركة هنا تسمية نطلقها على حفرة صغيرة في قاعها قليل من الجليد القهوائي اللون.

لا نقود عندي، يا ليكا. والجو في المنزل خانق بعض الشيء. فلا كوة في النوافذ. والوالد يحرق بخور اللبان (أمام الأيقونة). ومني تفوح رائحة التربنتين. ومن المطبخ تتسرب روائح أخرى. والصداع يلاحقني. ولا أستطيع أن أختلي. والأهم أن ليكا غائبة، ولا أمل في أن أراها اليوم أو غداً.

أتمنى لك موفور الصحة. اخدعينا يا ليكا.

تحياتي إلى ليفيتان. (. . .)

المخلص لك من قمة الرأس حتى أخمص القدمين، بالروح بالفؤاد، حتى القبر، حتى الغيبوبة والنسيان، حتى الجنون وسعار الكلاب:

أنطون تيبكوف (كما ينطق اسمي الأمير أوروسوف)

١٢٣. إلى أليكسي سوفورين

ميليخوفو، ٣١ مارس ١٨٩٢

كان الجو بارداً، فانزعج الجميع، وهاجرت الطيور من جديد إلى الجنوب، وأنا لم أكتب لكم كيلا أصيبكم بعدوى المزاج المعتكر الذي أنا فيه. الآن عادت الطيور، وها أنا أكتب. كل الأمور كما هي في السابق. بلا ملل ولا مرح. أمارس بالأساس حياة نباتية تسممها على الدوام فكرة لزوم الكتابة، الكتابة أبد الدهر. أعمل في تأليف قصة مطولة («عنبر رقم ٦»، ترجمة د. أبو بكر يوسف)، وأريد أن أرسلها لكم قبل النشر لغرض الرقابة. فأنا أعتبر رأيكم هو الذهب بعينه. ولكن ينبغي أن أستعجل لأنني خالي الوفاض. في القصة كثير من التأملات والمحاجات، إلا أن عنصر الحب غائب عنها. الحبكة موجودة، وكذلك البداية والنهاية. والتوجه ليبرالي. وحجمها ملزمتان. ولكن كان ينبغي أن أتشاور معكم، فأنا أخشى أن أكدس فيها تفاهات مملة. ذوقكم رفيع، وأنا أثق بالانطباع الأول

الذي تخلفه القصة عندكم ثقتي بوجود الشمس في السماء. إذا لم يستعجلوا في نشر قصتي ويعطوني شهراً أو شهرين للتنقيح فاسمحوا لي أن أرسل لكم النسخة المصححة. هذا التحوط أمر ضروري في أوقاتنا الراهنة. ولو كان جان شيغلوف أعطاكم أو أعطاني قصته الوحشية القاسية «قريباً من الحقيقة» لقراءتها قبل النشر لما تركت مثل هذا الانطباع السيئ عند الكتّاب الشباب. فعندما يعيش المرء متقوقعاً في شرنقته الأنانية المحبوبة ولا يشارك في الحركة الفكرية إلا بصورة غير مباشرة إنما يحاول لاإرادياً قبض الريح. اسمحوا لي أن أرسل لكم النسخة المصححة.

أنتم تحاولون كل مرة نشر كتاباتكم النثرية قبل السفر إلى فيودوسيا. فأرسِلوا لي نسخة مجلدة عن طريق أخي إيفان أو اجلبوها بأنفسكم. تعالوا إليّ عندما يزدهر البستان، وهذا يتوافق مع حفلات الضفادع والبلابل. تعالوا ولا تشغلوا بالكم بمكان الإقامة.

المعيشة في القرية أرخص مما في المدينة، إلا أنني انتقلت إلى هنا في وقت غير ملائم إطلاقاً. سعر الهرطمان ٨٠ كوبيكاً، بدلاً من ١٥. والقش غير متوفر، العلف في طيات المستقبل، وعندي ٦ بهائم، بالإضافة إلى الدواجن. إنها تنهشني.

ما أشد رغبتي في تربية النحل. عندي مواضع ممتازة يمكن أن أعد فيها ٢٠٠ قفير. وهذا عمل محبب جداً.

في عروقي يجري دم أوكراني على أية حال. أمرت برفع المضخة التي تزعق عندما تغترف من ماء البئر وأريد أن أنصب بدلاً منها شادوفاً يبعث صريراً ويحير فلاحي هذه الأنحاء. كما أمرت بطلاء غرفة الاستقبال بالأبيض. «أمرت» مفردة من معجم النبلاء. والأصح أني طلبت، ذلك لأن كل أعمال الطلاء وتصليح مختلف الحاجيات وما إلى ذلك يتولاها أفراد العائلة بإشراف (أخي) ميشا. زرعنا المشاتل بأنفسنا، من دون أجراء. في الربيع (الذي يبدأ بمنطقة موسكو في مايو) سنغرس الأشجار بأنفسنا، وكذلك الخضار. فهذا على أية حال أكثر اقتصاداً في النفقات. في بادء الأمر كان بدني متألماً كله بسبب العمل اليدوي، أما الآن فلا بأس، تعودت. ليست لي أي قيمة كعامل أو إقطاعي. أجيد فقط رمي الثلج في البركة وحفر السواقي. ولكنني كلما أدق مسماراً يأتي مائلاً.

طالما أنا أكتب كثيراً الآن فقد كنت آمل أن أرسل إليكم قصة لعدد عيد الفصح. إلا أنني تأخرت، وسأبعثها فيما بعد.

هذه الرسالة ربما تستلمونها قبيل العيد. المسيح قام. وليمنحكم الله كل هباته. تحية قلبية وآلاف التمنيات إلى آنّا إيفانوفنا والصغيرين. عندما سأشرع بكتابة مسرحية (لعلها «الجيران») سأحتاج إلى كتابات (الألماني لودفيغ) بيورنيه. أين أجدها؟ إنه من أذكى الأذكياء الذين يحبهم اليهود وضيّقو الأفق. قصة دوديه الجديدة «بعد الطلاق» تتضمن ثلاثة وجوه نسائية رائعة، إلا أنها تتسم بالرياء، في خاتمتها على الأقل.

فلو ثار على الطلاق أحد المنشقين عن الكنيسة أو أحد العرب المتدينين لفهمت الأمر، أما أن يتولى دوديه دور المعلم الأخلاقي الذي يطالب الزوجين اللذين يبغضان أحدهما الآخر أن لا يفترقا، فهذا شيء مضحك تماماً. لقد مل الفرنسيون من الفتيات العاريات، فأراد كاتب أن يتلاعب بالأخلاق متذمراً من مناظر البطون السمينة.

المخلص أ. تشيخوف

١٢٤. إلى نكولاي ليكين

ميليخوفو، ١٣ يوليو ١٨٩٢

معذرة، يا نكولاي ألكساندروفيتش الطيب، لأني لم أرد على رسالتكم طويلاً. فبسبب الكوليرا التي لم تصلنا بعد تم استدعائي من الإدارة المحلية للعمل مع فريق الأطباء الصحيين، وخصصوا لي قطاعاً أجوب قراه ومعامله وأجمع المعلومات لأجل المؤتمر الصحي. ولا وقت للتفكير في عمل أدبي. في عام ١٨٤٨ كانت الكوليرا في قطاع عملي الحالي رهيبة، وهذه المرة نتوقع أن لا تكون أخف. إلا أن الأمر بالطبع يتوقف على المشيئة الإلهية. القطاعات كبيرة، حتى أن الأطباء يصرفون معظم أوقاتهم على التنقلات المتعبة. لا وجود لعنابر المرضى. وستحصل الفواجع في الأكواخ أو في الخلاء. كما لا وجود للمعاونين. وثمة وعود بتوفير وسائل التعقيم والأدوية بكميات غير محدودة. الطرق سيئة وخيولي أسوأ منها. وفيما يتعلق بصحتي فإنني أشعر في منتصف النهار بالإرهاق وأرغب في النوم. هذا من دون الكوليرا. ولا أدري كيف ستكون حالي عندما تداهمنا الكوليرا.

بالإضافة إلى وباء الهيضة أتوقع وباءً آخر سيحل في ضيعتي حتماً. وأعني الإفلاس. فبسبب توقف العمل الأدبي توقفت الإيرادات. وما عدا الثلاثة روبلات التي استلمتها اليوم مقابل علاج السيلان إيراداتي تمثل صفراً إلى اليسار. (...)

الآن الساعة الثامنة مساءً. وعليَّ أن أمضي إلى رئيس الإدارة المحلية الذي دعا إلى اجتماع عمومي أتحدث فيه أنا. رئيس الإدارة، الأمير شاخوفسكوي، جاري في الضيعة، شاب ضخم الجثة في السابعة والعشرين من العمر، يتحلى بصوت جهوري رنان. كلانا نتمرن على الخطابة في تلك الاجتماعات لنقنع المتشككين في المزايا العلاجية لكحول الفلفل والخيار المملح وما إلى ذلك. السواد الأعظم من الشباب يعانون من الإسهال الذي يصاحبه نزيف في الغالب.

أتمنى لكم الصحة والعافية (...) تحياتي إلى عائلتكم. الدكتور سيروتينين يعيش في منزل ريفي قرب ضيعتي.

المخلص أ. تشيخوف

١٢٥. إلى ليديا ميزينوفا

ميليخوفو، ١٦ يوليو ١٨٩٢

أنتِ، يا ليكا، مشاكسة. ترين في كل حرف أكتبه إليك تهكماً أو مكراً. طباعك رائعة. يا لها من طباع! عبثاً تظنين أنك ستبقين عجوزاً عانساً. أراهن بأنك مع مرور الزمن ستتحولين إلى امرأة حاقدة مصياح تمارس الربا وتشد آذان صبية الجيران. والمستشار الحكومي التعيس بردائه الأصفر والذي سيتشرف بتسميتك عقيلته سيسرق منك بين الحين والآخر قنينة الخمرة المنزلية ليخفف بجرعات منها مرارة الحياة الزوجية. وأنا كثيراً ما أتصور عجوزين، هما أنت وصافو (أطلق تشيخوف اسم الشاعرة الإغريقية على صوفيا كوفشينيكوفا)، جالستين إلى مائدة تشربان الخمرة وتتذكران الماضي، فيما يجلس قرب المدفئة في الغرفة المجاورة مستشارك العتيد خجولاً يشعر بالذنب ويلعب النرد مع اليهودي الأصلع القميء الذي لا أريد أن أذكر اسمه.

ماشا سافرت إلى سومي من زمان (. . .) وقد أبلغني أحد الأطباء القادمين من خاركوف أنه شاهد بنفسه في ضواحيها حالتين من الإصابة بالكوليرا. وإذا وصلت الإشاعات بهذا الخصوص إلى سومي فإن ماشا ستفر من هناك. أنا أنتظرها في العشرين من يوليو. وليس بوسعي أن أسافر إلى أي مكان، فقد تم تعييني طبيباً في مكافحة الكوليرا من قبل الإدارة المحلية في القضاء /على سبيل التطوع/. عملي يفوق التصور. أتنقل بين القرى والمعامل وأدعو الناس للوقاية من الكوليرا. غداً يعقد المؤتمر الصحي في سيربوخوف. أنا أستهين بالكوليرا، ولكني ملزم بأن أخشاها مثل الآخرين. بالطبع لا مجال للتفكير في الأدب. أنا منهك ومنفعل لدرجة لا تطاق. لا نقود لديّ، ولا وقت لي لكسبها ولا المزاج يساعد على الكسب. الكلاب تنبح مسعورة. ما يعني أني سأموت بالكوليرا أو أستلم مبلغ التأمين. الاحتمال الأول وارد أكثر، لأن الصراصر لم تفر بعدُ. كلفت بخدمة ٢٥ قرية دون أن يعطوني معاوناً واحداً. جهودي وحدها غير كافية. وأنا أتظاهر بأنني كبير الحمقى. تعالي إلينا لتضربيني مع الفلاحين.

أنتِ، يا فتاتي العزيزة، تخسرين كثيراً لأنك تعيشين في تورجوك وليس عندنا. بسبب الكوليرا التي لم تصل إلينا بعد تعرفت على كل الجيران. وبينهم شباب جذابون، مثل جاري الأمير شاخوفسكوي البالغ من العمر ٢٧ عاماً. وهو يلازمني في البيت أحياناً طوال الوقت.

عندما تخفت المخاوف من الكوليرا أسافر إلى القرم، فيما تبقى البطيخة العاطرة في تورجوك حتى يأتيها العفن مع أقاربها. وبعد أن يبدو عليها العفن تأتي إلى موسكو وتنساق وراء اللهو البريء، فتتردد على صافو وتدخن وتتشاجر مع أقاربها وتشاهد تمثيليات مسرح فيدوتوف. . . أليس ذلك رائعاً؟!

هل المسرحية جاهزة؟ كلا؟

الجو عندنا قائظ ومطير. الجودار يانع، ولا أحد يحصده. وكذلك حال الكرز، لا أحد يقطفه. إلا أن كل هذه الثروات لا تستهويني. تفرحني فكرة واحدة، هي عدم لزوم السفر إلى موسكو. تعالي إلينا، يا ليكا، لقضاء فصل الشتاء! والله سنعيش أحسن حياة. وسأتولى تربيتك وأخلصك من العادات الرذيلة. والأهم أنني سأقف حاجزاً بينك وبين صافو.

أتمنى لك الصحة والعافية. لا أكتب لك هذه المرة أية كلمات رقيقة، لأنك لا ترين فيها سوى التهكم. وبالطبع لن أوقّع باسمي. عناداً لن أوقع.

ملحوظة: إحدى معارفي، امرأة غير جميلة، لكنها مليحة، تركت التدخين، ثم عادت إليه كما تقول الشائعات. يا لها من عفريتة عنود! اكتبي لي. هل تسمعين؟ أرجوك، أركع أمامك.

١٢٦. إلى أليكسي سوفورين

ميليخوفو، ١ أغسطس ١٨٩٢

رسائلي تلاحقكم ولا تلحق بكم. كتبت لكم كثيراً، وحتى على عنوان St. Moritz. ويتضح مما كتبتموه أنكم لم تستلموا مني شيئاً. في موسكو وضواحيها كوليرا، وستصل إلينا في هذه الأيام. هذا أولاً، وثانياً - عينتُ طبيباً لمكافحة الكوليرا، وقطاع عملي يشمل ٢٥ قرية و٤ معامل وديراً واحداً. أقوم بالأعمال التنظيمية وبناء العنابر وما إلى ذلك. أشعر بالوحدة، لأن كل ما له صلة بالكوليرا غريب عليّ، وهذا العمل الذي يتطلب تنقلات متواصلة ومكالمات ومشاغل صغيرة مرهق بالنسبة لي. ولا وقت للكتابة. الأدب مهمل من زمان، وأنا بائس فقير، لأني رأيت من المناسب لي ولاستقلاليتي أن أتخلى عن المخصصات التي يتقاضاها الطبيب الميداني. أنا أشعر بالملل، إلا أن في الكوليرا، مهما بدا الأمر غريباً، أموراً ممتعة كثيرة. وللأسف أنكم غير موجودين في روسيا، وإلا فالمواد كثيرة لمسلسلكم «الرسائل القصيرة» ولا أحد يستفيد منها. الجوانب الجيدة أكثر من الجوانب السيئة، وبذلك تختلف الكوليرا لدرجة كبيرة عن المجاعة التي حلت بنا في الشتاء. أما الآن فالجميع يعملون، يبذلون كل الجهود. في سوق نيجني نوفغورود يحققون معجزات يمكن أن ترغم حتى تولستوي على أن يحترم الطب عموماً وتدخل المثقفين في الحياة العامة. يبدو أنهم ألقوا الأنشوطة على عنق الكوليرا. فقد تقلص عدد الإصابات ونسبة الوفيات. في موسكو المترامية الأطراف لا يتجاوز عدد الإصابات ٥٠ حالة في الأسبوع، في حين يبلغ عددها في منطقة الدون ألف إصابة

في اليوم الواحد. الفارق كبير طبعاً. وقد تهيأنا نحن أطباء الأقضية والنواحي. برنامج عملنا واضح. وثمة ما يبرر الاعتقاد بأننا نحن أيضاً سنخفض نسبة الوفيات بالكوليرا في مناطقنا. ليس لدينا معاونون، فنتولى مهمات الطبيب والممرضين في نفس الوقت. الفلاحون خشنون في التعامل، ولا يتقيدون بالنظافة ولا يثقون بنا. إلا أن تفكيرنا في أن عملنا لن يذهب سدى يجعلنا لا نلتفت تقريباً إلى هذه الأمور. من بين كل أطباء إقليم سيربوخوف أنا البائس الأول. خيولي هزيلة وعربتي متداعية، ولست مطلعاً على الطرق والدروب، وفي الليل لا أرى شيئاً، وليس لدي نقود، وأشعر بالتعب بسرعة، والأهم أني لا أستطيع أن أنسى الكتابة وأريد أن أبصق على الكوليرا وأجلس لأكتب. كما أريد أن أتحدث إليكم. فالوحدة خانقة.

جهودنا الزراعية تكللت بالنجاح التام. المحصول وفير. وعندما نبيع القمح تعطينا ميليخوفو أكثر من ألف روبل. بستان الخضار رائع. الخيار الطازج أكوام. والقرنبيط يثير الدهشة. ولولا الكوليرا اللعينة لكان بوسعي أن أقول إنني لم أقضِ صيفاً جيداً مثل هذا الصيف. (...)

لم نعد نسمع شيئاً عن التمردات بسبب الكوليرا. يتحدث البعض عن اعتقالات ومنشورات وما إلى ذلك. ويقال إن الأديب آستيريف حكم عليه بالأشغال الشاقة ١٥ عاماً. وإذا كان اشتراكيونا سيستخدمون الكوليرا بالفعل لأغراضهم فإني سأحتقرهم. استخدام الوسائل الدنيئة لأهداف نبيلة يجعل تلك الأهداف دنيئة. فليركبوا ظهور الأطباء والممرضين، ولكنْ لماذا يكذبون على الشعب؟ لماذا يوهمونه بأنه على حق في جهالته، وبأن وساوسه الفجة هي الحقيقة المقدسة؟ هل يعقل أن المستقبل الوضاء يبرر هذا الكذب الدنيء؟ لو كنت رجل سياسة لما تجرأت أبداً أن أجلب العار على حاضري من أجل مستقبلي، ولو وعدوني بمئة أوقية من الرخاء في مقابل غرام واحد من الكذب الدنيء.

هل سنلتقي في الخريف؟ هل سنعيش معاً في فيودوسيا؟ أنتم بعد السفرة إلى الخارج، وأنا بعد الكوليرا، وسيكون الحديث ذا شجون. فلنقضِ أكتوبر في القرم. واللّه لن يكون ذلك مملاً. سنكتب ونؤلف ونتحدث ونأكل... لم تعد الكوليرا منتشرة في فيودوسيا.

اكتبوا لي أكثر، نظراً لوضعي الاستثنائي. مزاجي الآن لن يكون طيباً، فيما تصرفني رسائلكم عن مشاكل الكوليرا وتحملني لأمد قصير إلى عالم آخر.

أتمنى لكم الصحة والعافية، وتحياتي إلى زميلي في الثانوية أليكسي بتروفيتش.

المخلص أ. تشيخوف

سأعالج الكوليرا بمنهجية كانتاني: حقنة تانين (حامض العفص) مسخن في ٤٠ درجة مئوية في الشرج، وحَقن محلول ملح الطعام تحت البشرة. مفعول الأولى رائع، فهي تدفئ وتقلل الإسهال. أما حقن الملح فيخلق المعجزات أحياناً، ويسبب شلل القلب أحياناً أخرى.

١٢٧. إلى أليكسي سوفورين

ميليخوفو، ١٦ أغسطس ١٨٩٢

لن أكتب لكم أكثر حتى لو ذبحتموني. كتبت لكم وأنتم في أباتسيا وسانت موريس عشر مرات في أقل تقدير. وإلى حدّ الآن لم تزودوني ولا بعنوان واحد صحيح، ولذا لم تصلكم ولا رسالة واحدة مني. وذهبت سدى كتاباتي الطويلة ومحاضراتي عن الكوليرا. شيء مؤسف. والمؤسف المزعج أكثر أنكم بعد سلسلة كاملة من رسائلي عن مشاكل الكوليرا عندنا تكتبون لي من بياريتس اللازوردية المرحة أنكم تحسدونني على راحتي! سامحكم اللّه!

على أية حال أنا على قيد الحياة وفي صحة جيدة. الصيف كان رائعاً، دافئاً وجافاً، بوفرة من ثمار الأرض. إلا أن نبأ الكوليرا شطب روعته اعتباراً من يوليو. وقد دعوتموني في رسائلكم تارة إلى فيينا وتارة إلى أباتسيا، بينما غدوت أنا طبيباً ميدانياً عند الإدارة المحلية أطارد الكوليرا لأمسك بها من ذيلها، وأقوم بكل ما يتطلبه تنظيم القاطع الذي عهد به إلي. وفيه ٢٥ قرية و٤ معامل ودير واحد. في الصباح أستقبل المرضى، وبعد ذلك أتنقل على القاطع، ألقي المحاضرات على الجهلة وأعالج المحتاجين إلى العلاج وأغضب على نفسي. وطالما الإدارة المحلية لم تخصص لي فلساً واحداً لتنظيم المراكز والنقاط في القاطع أخذت أستجدي من الأثرياء، تارة من هذا وتارة من ذاك. واتضح أنني شحاذ في منتهى الدهاء. فبفضل فصاحتي في الشحاذة تم تجهيز عنبرين جيدين في القاطع وخمسة عنابر سيئة.

وخلّصتُ الإدارة المحلية حتى من مصروفات التعقيم، حيث طلبت من أصحاب المعامل في قراي الـ ٢٥ أن يزودوني بأكسيد الكالسيوم والزاج وغيرهما من عناصر التعقيم الكريهة.(. . .) أنا متعب، أعاني من الضجر. فلا خير، يا سيدي، في الانشغال والتفكير في الإسهال وحده، والانتفاض في الليل من نباح الكلاب أو الطرق على الباب وركوب الخيول الهزيلة في دروب مجهولة وقراءة ما هو مكتوب عن الكوليرا فقط وانتظار قدوم الوباء والتحلي في الوقت ذاته باللامبالاة تجاه هذا المرض وتجاه الناس الذين أخدمهم. الكوليرا وصلت إلى موسكو وأقضيتها. ونحن نتوقع وصولها إلينا ساعة بعد ساعة. وبناءً على مسارها في موسكو يمكن الافتراض أنها باتت ضعيفة وأخذت تفقد مفعولها. كما يمكن الافتراض أنها تتراجع كثيراً أمام التدابير التي اتخذت في المدينة وعندنا. المثقفون يعملون بلا هوادة دون أن يبخلوا بالجهد والمال، وأنا أراهم يومياً ويزداد إعجابي بهم. عندما أتذكر أن جيتيل وبورينين يسلطان انتقادهما اللاذع عليهم أشعر بضيق في التنفس. الأطباء والمتعلمون عموماً في نيجني نوفغورود حققوا المعجزات. واشتد إعجابي بهم إلى حدّ يفوق الوصف وأنا أقرأ عن الكوليرا هناك. في سالف الأزمنة الطيبة عندما اختطف الموت الناس بالآلاف لم يكن بالإمكان حتى الحلم بالنجاحات المثيرة التي تتحقق الآن على مرأى منا. وللأسف أنكم لستم طبيباً ولا تستطيعون مشاركتي في هذه الفرحة، أي لا تستطيعون أن تتلمسوا وتدركوا وتقدروا كل ما يجري حق قدره. على أية حال، هذه أمور لا يمكن الكلام عنها باقتضاب.

أول ما يتطلبه أسلوب علاج الكوليرا من الطبيب هو عدم الاستعجال. فعليه أن يخصص لكل مريض ٥- ١٠ ساعات، وأحياناً أكثر. ولما كنت أنوي استخدام منهجية كانتاني، حِقنة حامض العفص وحَقن محلول ملح الطعام تحت الجلد، فسأكون في موقف محرج للغاية، حيث يمرض ويموت عشرة أشخاص في الوقت الذي أنشغل فيه بعلاج مريض واحد. فأنا وحدي، إذا لم نأخذ الممرض بالحسبان، أخدم ٢٥ قرية. والممرض يخاطبني بصاحب المعالي ويستحي من التدخين بحضوري ولا يستطيع القيام بأية خطوة من دوني. الإصابات الفردية المحدودة أنا قادر على علاجها. إما إذا انتشر الوباء ولو بخمس إصابات في اليوم يشتد انفعالي ويزداد تعبي وأشعر بالذنب.

بالطبع لا مجال للتفكير في الأدب. أنا لا أكتب أي شيء. وقد تخليت عن

المخصصات المالية لكي أحتفظ ولو بقليل من حرية التصرف. ولذا أنا خالي الوفاض. أنتظر حتى يتم جرش الجودار وبيعه. وحتى ذلك الحين سأظل أقتات على «الدب» (ريع المسرحية) وعلى الفطر المنتشر بوفرة في غاباتنا. على فكرة، إنني لم أعش يوماً بمثل هذا الرخص في النفقات. كل الأطعمة ننتجها بأنفسنا، حتى الرغيف. وأعتقد أن كل مصروفات البيت بعد عامين لن تتجاوز ألف روبل سنوياً.

عندما تقرأون في الصحف أن الكوليرا انتهت فذلك يعني أني باشرت بالكتابة من جديد. وما دمت في خدمة الإدارة المحلية لا تعتبروني أديباً. فمن المستحيل مطاردة أرنبين في وقت واحد.

تقولون في رسالتكم إنني أهملت سخالين. كلا، لا يمكنني أن أهمل وليدي. عندما يثقل عليّ ضجر السرد القصصي يسرني أحياناً أن أتناول شيئاً غير الأدب. أما مسألة متى أنجز مدونة سخالين وأين ستطبع فأنا لا أتصورها مهمة. وما دام غالكين- فراسكي يتربع على عرش السجون لا أرغب كثيراً في إصدار الكتاب. أما إذا دفعتني الحاجة فتلك مسألة أخرى.

في جميع رسائلي إليكم طرحت بلجاجة سؤالاً واحداً يمكنكم، بالمناسبة، أن لا تجيبوا عنه: أين ستقيمون في الخريف ؟ ألا تريدون أن تقضوا معي جزءاً من سبتمبر وأكتوبر في فيودوسيا والقرم؟ أنا في أشد الرغبة إلى الطعام والشراب والنوم والتحدث عن الأدب، أي عدم القيام بأي عمل، والإحساس في الوقت ذاته بأنني إنسان سوي. وإذا كنتم، على فكرة، تمقتون عطالتي فيمكنني أن أعدكم بكتابة مسرحية أو قصة معكم أو بقربكم... ماذا؟ ألا تريدون؟ اللّه معكم.(...)

ألا ترون كم أطلت عليكم في الكتابة مع أني لست متأكداً من أن هذه الرسالة ستصلكم؟ تصوروا مدى ضجري على خلفية الكوليرا وشدة عزلتي بسببها، واضطراري إلى ترك النشاط الأدبي. فاكتبوا لي أكثر وبتفصيل أكبر. أنا أشاطركم موقفكم المتقزز من الفرنسيين. الألمان أرقى منهم بما لا يقاس، مع أن البعض ينعتونهم، لسبب ما، بالأغبياء. أما التعاطف الفرنسي- الروسي فأنا معجب به قدر إعجاب (المؤرخ فاسيلي) تاتيشيف. ففي هذا التعاطف شيء من التهكم والسخرية (...)

جمعنا محصول البطاطس والكرنب. وكلاهما لذيذان جدّاً. كيف حالكم من دون حساء الخضر (الروسي)؟ أنا لا أحسدكم على البحر ولا على الحرية ولا على

المزاج الطيب الذي أنتم به في الخارج. الصيف الروسي هو الأفضل. على فكرة، أنا لا أرغب جداً في السفر إلى الخارج. فبعد سنغافورة وسيلان، وربما بعد نهرنا آمور أيضاً، لا تبدو إيطاليا وحتى فوهة بركان فيزوف مغريتين. عندما زرت الهند والصين لم أر فارقاً كبيراً بين روسيا والخارج. (. . .)

اكتبوا لي، وإلا سأنفجر.

المخلص أ. تشيخوف

١٢٨. إلى إيفان ليونتيف - شيغلوف

ميليخوفو، ٢٤ أكتوبر ١٨٩٢

(. . .) لم أكتب لكم من زمان، يا عزيزي جان، ولم أر خط يدكم المأساوي من زمان أيضاً. تعرفون أنني تركت موسكو وأقيم في الضيعة التي اشتريتها، وغرقت في الديون /٩ آلاف !!/. الطقس رهيب. والسفر متعذر سواء بالعجلات أم بالزحافات. إلا أنني لا أتشوق للذهاب إلى موسكو، ولا أرغب في مغادرة الضيعة إلى أي مكان. فالبيت دافئ، وباحته فسيحة، وجنب البوابة مصطبة يمكن الاستراحة عليها والتطلع إلى الحقل الداكن والتأمل في كيت وكيت. . . كل شيء هادئ. الكلاب لا تعوي، والقطط لا تموء، ولا تسمع سوى صوت صبية تتراكض في البستان وتحاول دفع الأغنام والعجول إلى حظائرها. . . أنا أسدد الفوائد المئوية والمستحقات المترتبة، إلا أن ذلك أقل بمرتين من إيجار الشقة الشهري في موسكو. وبصفتي طبيباً في حملة مكافحة الكوليرا يراجعني المرضى ويثقلون عليّ في الغالب، إلا أن ذلك أهون بثلاث مرات من الكلام عن الأدب مع الزوار القادمين من موسكو. في المنزل الجو دافئ والباحة واسعة والجيران ظرفاء ممتعون وتكاليف المعيشة أرخص مما في موسكو. ولكن، يا عزيزي، لعن اللّه الشيخوخة! لا أدري هل هي الشيخوخة أم كسل العيش، لكنني لا أرغب كثيراً في الحياة. لا أرغب في الموت، إلا أنني كأنما مللت من الحياة. باختصار، الروح تتذوق طعم النوم البارد. (. . .)

وأنتم، ماذا تفعلون؟ ماذا تكتبون؟ سيكون من دواعي سروري أن أقرأ لكم قصة جديدة أو مسرحية. أبناء جيلي (شيغلوف منهم) يهمونني أكثر من جميع الأدباء الجدد. ومهما كانت الانتقادات التي تعرضت لها قصتكم «قريباً من الحقيقة» في الخارج يخيل إليّ أنها أرفع عشر مرات من أفضل كتابات بوتابينكو. لا حيلة بيدنا أمام الشيخوخة، بينما تتذمر هي مستاءة في عناد. على فكرة، ما كتب في الخارج عن قصتكم سخف ما بعده سخف بالطبع. فذلك ليس نقداً، وإنما هو ملاحقة للكاتب (. . .) والمؤسف أن قصتكم نشرت في «البشير الروسي» التي لا يقرأها حتى النقاد، ناهيك عن الجمهور. عدد المشتركين في هذه المجلة بضع مئات.

فيما يخصني فقد ألّفت خلال الصيف قصتين عسيرتين («الجيران» و«رواية رجل مجهول») أحسّن بهما وضعي المالي بعض الشيء دون أن أزيد في أمجادي للأسف. كانت الكتابة صعبة، والطب أعاقني عنها طوال الصيف. ولربما أنني فقدت تعودي على التأليف. فمن زمان لم أكتب بشعور من الارتياح. وهذا نذير شؤم. قدمت إلى «الأسبوع» قصة «الجيران»، لكن ما نشرته الجريدة لا يستحق النشر. فالقصة جاءت بلا بداية ولا نهاية. مجرد سرد مبتور من وسطها. حبذا لو تحدثنا وجهاً لوجه، يا جان. في مطعم تيستوف مثلاً. آ ؟ ما رأيكم؟ إذا كان في علاقتكم بي برود لسبب ما تذكروا أنني بقيت على مودتي لكم، وأن عددنا في نقصان. مطّطوا أعصابكم لمصلحتي.

أتمنى لكم، يا عزيزي، موفور الصحة والتوفيق.

تحياتي لزوجتكم. بلغوها بأن لديّ بطاً ودجاجاً ووزاً ونعاجاً وعجولاً . . . وأن الوالدة مبتهجة لذلك.

المخلص أ. تشيخوف

١٢٩. إلى أليكسي سوفورين

ميليخوفو، ٢٥ نوفمبر ١٨٩٢

موقفكم ليس صعباً فهمه. وعبثاً تلومون نفسكم على عدم الوضوح في تعابيركم. أنتم متعودون على الكحول، بينما سقيتكم عصير الليمون بالسكر. وقد اعترفتم بقيمة الليمون ولاحظتم بحق أنه لا يحتوي على الكحول. نتاجاتنا تحديداً تخلو من الكحول الذي يسكّر ويشوش الذهن. هذا ما تلمحون إليه جيداً. كيف لا؟ نترك «العنبر رقم ٦» جانباً ونترك شخصي أيضاً، ونتحدث في العموميات، لأن الحديث عنها أكثر متعة. سنتحدث عن الأسباب العامة، طالما أنتم لا تعانون من الملل، ولنتناول عصراً كاملاً. قولوا لي بصراحة مَن مِن الذين في سني، أي في الـ ٣٠- ٤٠، قدم للعالم ولو قطرة واحدة من الكحول؟ أليس ما يقدمه كورولينكو ونادسون وكل الكتّاب المسرحيين المعاصرين إنْ هو إلا عصير الليمون المحلّى؟ هل أسكرتكم لوحات ريبين أو شيشكين؟ إنها جميلة وعبقرية. وأنتم تبدون إعجابكم بها، لكنكم لا تستطيعون أن تنسوا أنكم في حاجة إلى التدخين. العلم والتكنيك دشّنا الآن عهداً عظيماً. إلا أنه بالنسبة لإخوتنا (الأدباء) عهد هش متجهم وممل، ونحن أنفسنا متجهمون مملون، نجيد فقط إنجاب صبيان لا جدوى منهم (إشارة إلى قصة دميتري غريغوروفيتش «الصبي المرن»). ستاسوف هو الوحيد الذي لا يرى ذلك. فالطبيعة منحته قدرة نادرة هي السكر حتى من مياه الغسيل. والسبب لا يكمن في غبائنا، أو افتقارنا إلى الموهبة، ولا في وقاحتنا، كما يظن بورينين، بل في مرض هو بالنسبة للفنان أخطر من الزهري والبرود الجنسي. ليس لدينا «ما يستحق الذكر». هذا صحيح. وهو يعني أن تحت فستان إلهة الإلهام عندنا لاشيء. تذكروا أن الكتاب الذين ننعتهم بالخالدين أو الجيدين الذين يسكروننا إنما يتصفون بخاصة واحدة مشتركة وهامة جدّاً، وهي أنهم ماضون إلى جهة ما ويدعونكم للحاق بهم إلى تلك الجهة، فتشعرون، ليس بالعقل، بل بالبدن كله أن لديهم هدفاً ما، مثل شبح والد هاملت الذي يطل ويثير الدهشة. لدى البعض، حسب حجمهم وموقعهم، أهداف المستقبل القريب - إلغاء القنانة وتحرير الوطن وممارسة السياسة والتمتع بالجمال أو الفودكا كما عند دينيس دافيدوف (بطل حرب ١٨١٢)، ولدى البعض الآخر أهداف بعيدة المدى: الخالق والحياة بعد الموت وسعادة البشرية وهلمجرا. أفضلهم واقعيون

يصورون الحياة كما هي، ولكن طالما أن كل سطر يكتبونه مشبع بإدراك الهدف كما في النسغ أو العصير فإنكم تشعرون، إلى جانب الحياة كما هي، بالحياة الأخرى التي ينبغي أن تكون، وهذا يأسركم. فأين نحن من ذلك كله؟ نحن نصور الحياة كما هي، وماذا بعد؟ لا شيء... حتى لو ضربتمونا بالسياط. ليست لدينا أهداف قريبة ولا بعيدة. وفي صدورنا خواء. ليست لدينا سياسة، ولا نؤمن بالثورة، ولا نجد سبيلاً إلى الله، ولا نخشى الأشباح. أنا شخصياً لا أخشى حتى الموت وفقدان البصر. من لا يريد أي شيء، ولا يأمل في شيء، ولا يخشى شيئاً لا يمكن أن يعتبر فناناً. هل هذا مرض أم لا؟ المشكلة ليست في المسميات. ولكن ينبغي أن نعترف بأن وضعنا على أسوأ ما يكون. ولا أدري ماذا سيحصل لنا بعد ١٠ - ٢٠ عاماً، ربما تتغير الملابسات آنذاك، ولكن من الخطأ الآن أن يتوقع منا الآخرون شيئاً ذا شأن بالفعل، بصرف النظر عما إذا كنا موهوبين أم لا. نحن نؤلف بالاستمرارية متقيدين بالنظام المعهود من زمان والذي يخدم فيه البعض ويتاجر البعض الآخر ويكتب البعض الثالث... في رأيكم، ورأي غريغوروفيتش، أنني ذكي. نعم، أنا ذكي على الأقل بالقدر الذي لا أخفي فيه مرضي ولا أكذب على نفسي ولا أتستر على فراغي بخِرق من ثياب الغير مثل أفكار الستينات وما إلى ذلك. أنا لن ألقي بنفسي من أعلى السلم كما فعل غارشين، ولكنني لن أعلل نفسي بالأمل في مستقبل أفضل. لست أنا المذنب في هذا الداء وليس لي أن أعالج نفسي، ذلك لأن لهذا الداء، أغلب الظن، أهدافاً طيبة لا تراها عيوننا، وليس عبثاً أنه نزل فينا... ليس عبثاً أن يلازمنا داء كهذا!

والآن فلنتحدث عن الذكاء. غريغوروفيتش يعتقد أن الذكاء يمكن أن يكون أقوى من الموهبة. بايرون كان أذكى من مئة شيطان، إلا أن موهبته ظلت سليمة. ولو قيل لي إن فلان الفلاني تفوه بسخافات لأن ذكاءه أقوى من موهبته أو بالعكس أقول: ذلك يعني أن السيد الفلاني يفتقر إلى الذكاء والموهبة معاً. (...)

سآتي إلى بطرسبورغ، وإذا لم تطردوني فسأبقى فيها قرابة شهر. وربما أسافر إلى فنلندة. لا أدري متى سآتي. الأمر يتوقف على الفراغ من تأليف قصة بخمس ملازم تقريباً، كيلا أقترض في الربيع.

فلتحفظكم السموات.

ما رأيكم بخصوص (السفر إلى) السويد والدانمارك؟

المخلص أ. تشيخوف



١٣٠. إلى إيليا ريبين (رسام)

بطرسبورغ، ٢٣ يناير ١٨٩٣

حضرة إيليا يفيموفيتش الموقر! أبعث إليكم قصتي الطبية التي حدثتكم عنها («عنبر رقم ٦»).

بخصوص سؤالكم عما إذا كان القمر قد أطل على بستان جثسيماني (جبل الزيتون، القدس،عندما صلى فيه المسيح) اتصلت، بالنيابة عنكم، بقسيس لاهوتي شاب يدرس المخطوطات العبرية القديمة وما إلى ذلك. تحدثت إليه قبل ثلاثة أيام، فأحالني إلى سفر الخروج، الإصحاح ١٢، بوصفه أحد أهم المراجع الأدبية (في هذا الموضوع)، واستلمت منه اليوم رسالة أرفقها طياً. في الرسالة نقطتان أو ثلاث يمكن الاستفادة منها. مؤلفات (الكاهن هنري) ديدون الذي تتحدث عنه الرسالة يمكنكم الحصول عليها من سوفورين.

كاتب الرسالة عالم متبحر، وإذا كانت المسألة غير واضحة بالنسبة له فذلك يعني أنها غير واضحة لجميع اللاهوتيين. أما الفلكيون فمن المستبعد أن يفيدوكم بشيء محدد.

على أية حال، الأرجح أن تلك الليلة كانت مقمرة. أليس القمر حاضراً في لوحة (نكولاي) غي؟ يبدو أن دراسته المعمقة للموضوع /إن كان قام بدراسته/ جعلته يميل إلى طلوع القمر.

أنا أرى لوحتكم («المسيح يصلي في بستان جثسيماني») بكل وضوح وبجميع التفاصيل، ما يعني أنها تركت في نفسي انطباعاً عميقاً. فعبثاً تقولون إنها مملة.

زارني ليف لفوفيتش تولستوي (ابن الكاتب الشهير) واتفقنا أن نسافر معاً إلى أميركا (لحضور معرض دولي. السفرة لم تتم).

أتمنى لكم كل خير، وأشكركم مجدداً.

المخلص من صميم القلب

أ. تشيخوف

١٣١. إلى أليكسي سوفورين

ميليخوفو، ٥ فبراير ١٨٩٣

والدي مريض. يعاني من ألم شديد في الظهر وخدر في الأصابع، ليس طوال الوقت، وكذلك نوبات الذبحة الصدرية. وهو يتفلسف ويأكل قدر ما يأكله عشرة أشخاص. ولا نستطيع إقناعه بأن الصوم أفضل علاج له. عموماً لاحظت في ممارساتي وفي الحياة العائلية أن كبار السن عندما تنصحهم بتقليل الطعام يعتبرون ذلك إهانة شخصية. التهجمات على النباتيين، ومنها حملات بورينين على ليسكوف (لعدم تناوله اللحوم) تبدو في اعتقادي أمراً مثيراً للشبهات من هذه الناحية. ولو دعوتم لتناول الرز لكنتم مثاراً للسخرية. أعتقد أن الأكولين هم الذين سيسخرون.

ثم، يا عزيزي، لدي مصيبة أخرى. أختي مصابة بما يشبه التيفوئيد. أصيبت المسكينة في موسكو. وعندما جئت بها إلى المنزل ساءت حالها، وبلغت حرارتها ٤٠ درجة، وانتابتها آلام في بدنها كله، إضافة إلى الضجر الشديد... سهرت عليها ليلتين. كانت تئن: «أموت». وصعقت هذه الكلمة العائلة كلها، وخصوصاً الوالدة. كانت هناك لحظات بدت فيها ماشا على شفا الموت. والآن تعاني من الصداع الحاد لليوم الرابع، ولا تستطيع أن تتحرك، إلا ويداهمها الألم. ما أصعب معالجة الأهل. أقوم بكل ما يلزم، ويخيل إليّ في كل لحظة أنني لا أفعل المطلوب... (...)

عندما كنت معكم تحسنت صحتي واستعدت قواي. أما الآن فقد تفككتُ هنا من جديد. منفعل جداً. أنا لم أولد لتنفيذ الالتزامات وأداء الواجب المقدس. لا مؤاخذة على هذه الوقاحة. (. . .) أنا مستمر على تدخين السيجار.

فلتحفظكم السماء والشمس والقمر والكواكب. اكتبوا. ليس عندي جديد. أتمنى لكم كل خير.

المخلص أ. تشيخوف

١٣٢. إلى يوسف أوستروفسكي
(طبيب، زميل الكاتب في الثانوية)

ميليخوفو، ١١ فبراير ١٨٩٣

يوسف عيسايفيتش المحترم

عدت من بطرسبورغ قبل أيام، فاستلمت رسالتك، وصلتني من موسكو حيث بعثتَها، وأنا لم أعد أقيم هناك من ربيع العام الفائت. ولذا تأخر تنفيذ طلبك بإسعاف المريضة راكوفسكايا. وهي الآن بصحة جيدة، بعد أن كلفت رفيقاً لي بعلاجها، لأنني لم أتمكن من مغادرة الضيعة في ضواحي سيربوخوف، ولدي مرضى في عائلتي ما كان بوسعي أن أتركهم.

تسألني عن أخي نكولاي. للأسف توفي في عام ١٨٨٩ بالسل. كان رساماً موهوباً واعداً وقد حقق آنذاك شهرة. كانت وفاته فاجعة جسيمة هدّت حيلي. وتسألني عن زملائنا في ثانوية تاغانروغ، معلوماتي عنهم قليلة جداً (وقد حقق بعضهم نجاحات كبيرة) (. . .).

سيرة حياتي الموجزة (في الأصل باللاتينية) أنت تعرفها بالخطوط العريضة إن صح التعبير. الطبابة زوجتي الشرعية والكتابة زوجتي غير الشرعية. وكلتاهما بالطبع تشوشان بعضهما على بعض، ولكن ليس إلى حدّ التصادم القطعي. تخرجتُ من جامعة موسكو عام ١٨٨٤. وفي عام ١٨٨٨ منحتُ جائزة بوشكين. وفي عام ١٨٩٠ سافرت إلى سخالين التي أنوي نشر كتاب كامل عنها. تلك هي صحيفة أعمالي. كلا، ثمة نقطة أخرى. في عام ١٨٩١ تجولت في أوروبا. أعزب. لست ثرياً.

أعيش على الكسب بعرق الجبين. وكلما طال بي العمر قل عملي وازداد كسلي. بدأتُ أتحسس بوادر الشيخوخة. صحتي ليست على ما يرام. فيما يخص مذهب ألوهية الكون الذي كتبت لي عدة كلمات طيبة ارتباطاً به أقول: العينان لن تتسلقا الجبين، والكاتب يكتب على قدر ما يستطيع. وأنا يسرني أن أقفز إلى الجنة، لكن قواي غير كافية لقفزة كهذه. لو كانت جودة العمل الأدبي تتوقف كلياً على حسن نوايا الكاتب لكان لدينا، صدقني، عشرات ومئات الكتّاب الجيدين. القضية ليست في ألوهية الكون، بل في سعة الموهبة.

أنا أتذكر جيداً (الطبيب) رحمن زخار /في الثانوية كنا نسمّيه سلمان، أليس كذلك؟/ بلّغه تحياتي وتمنياتي بالتوفيق.

وأشكرك على دعوتي لزيارتكم (في تفليس). سألبي الدعوة عندما أكون في القوقاز. أما ألان فأعبّر عن شكري لتذكرك إياي وعلى مشاعرك الطيبة تجاهي، وأتمنى لك كل خير. إذا كلفتني بشيء جديد فأنا في خدمتك.

المخلص أ. تشيخوف

١٣٣. إلى أليكسي سوفورين

ميليخوفو، ٢٤ فبراير ١٨٩٣

لم أر «الفكر الروسي» بعد، ولكنني أتوقع ما فيها. (. . .)

بلّغوا (ابنكم) أليكسي أليكسييفيتش بأن المخطوطة التي بعثها إليّ لا تزال عندي ولا أدري حالياً ماذا أفعل بها، يخيل إليّ أنني سأفعل شيئاً. فأرجو أن لا يزعل علي. ولتحفظه السموات. انصحوه بأن لا يتعلم التدخين. عندي التهاب القصبات من تدخين السيجار.

في عدد مارس (من «الفكر الروسي») ستكون خاتمة قصتي («رواية رجل مجهول»)، وقد أخطأت عندما كتبت في عدد فبراير «يتبع». الخاتمة لن تعجبكم لأنني اختزلتها، وكان ينبغي أن أطيلها، إلا أن الكتابة المطولة خطرة أيضاً، لأن أبطال القصة قليلون، وعندما يتكرر ظهور نفس الشخصين على امتداد ٢- ٣ ملازم

يبدأ الملل، وتغدو صورتاهما باهتتين. على فكرة، لماذا نتحدث عنا نحن الشيوخ؟ أنتم متى ترسلون إليّ روايتكم؟ أتعطش إلى كتابة نقد مطول لكم.

يا إلهي! ما أروع «الآباء والبنون»! (رواية إيفان تورغينيف، ترجمة خيري الضامن). إنها تدفع المرء إلى الصياح من الدهشة والإعجاب. توصيف مرض بازاروف مؤثر إلى درجة جعلتني أشعر بالضعف، وخيل إليّ أنني أصبت بالعدوى منه. ثم ما أشد تأثير نهاية بازاروف. وما أروع العجوزين (والده ووالدته)، وكوكشينا. الله وحده يعلم مدى روعة هذه الصنعة. تلك هي العبقرية. «في العشية» لا تعجبني، ماعدا والد هيلينا وخاتمة الرواية. الخاتمة مفعمة بالمأساة. «الكلب» (قصيدة نثرية) جيدة جداً، ولغتها مدهشة. اقرأوها رجاءً إن كنتم نسيتموها. «آسيا» جميلة. «الهدوء» (من قصص تورغينيف المبكرة) مختزلة ولا ترضي القارئ. أما «الدخان» فلا تعجبني إطلاقاً. «عش النبلاء» أضعف من «الآباء والبنون». إلا أن خاتمتها هي أيضاً أقرب إلى المعجزة. وما عدا العجوز والدة يفغيني بازاروف، كل الأمهات، وخصوصاً نساء المجتمع الراقي، المتشابهات بالمناسبة، (والدة ليزا، والدة هيلينا)، ووالدة القن السابق لافريتسكي، وكذلك الفلاحات، صور كل النساء والفتيات عند تورغينيف مفتعلة إلى درجة لا تطاق. ولعلي أقول مزيفة، لا مؤاخذة. ليزا وهيلينا ليستا من الفتيات الروسيات، إنهما، مثل (الكاهنة الإغريقية من جبل البرناس) بيثيا، تدعيان بما ليس فيهما. إيرينا في «الدخان» وأودينتسوفا في «الآباء والبنون» وعموماً اللبوات الساخنات النهمات التواقات إلى شيء يبحثن عنه دوماً دون أن يشعرن بالشبع - كلهن نماذج لا قيمة لها. وعندما نتذكر آنّا كارينينا تولستوي لا يبقى من سيدات تورغينيف بأردافهن المثيرة شيء يستحق الذكر. النماذج النسوية السلبية التي يقدمها تورغينيف بشيء من الكاريكاتير (كوكشينا) أو يسخر منها (وصف الحفلات الراقصة) مرسومة بروعة، وقد جاءت موفقة من دون شك. وصف الطبيعة جيد، ولكن. . . أشعر بأننا قد سئمنا من وصفها بهذه الصورة، ونتوق إلى شيء ما آخر.

صحة شقيقتي في تحسن. وكذلك صحة أبي. نتوقع وصول الكوليرا، ولا نخشاها، ذلك لأننا مستعدون، كلا، ليس للموت، بل لصرف أموال الإدارة المحلية. إذا جاءتنا الكوليراً فستأخذ من وقتي كثيراً.

فلتبقوا على قيد الحياة، وفي صحة وعافية وهدوء بال. تحية خصوصية إلى آنّا إيفانوفنا.

المخلص لكم بالتمام والكمال

أ. تشيخوف

(...)

١٣٤. إلى ألكسندر أرتيل (كاتب)

ميليخوفو، ١١ مارس ١٨٩٣

الوحل في كل مكان. حركة السير مشلولة، وحتى المشي متعذر. ولا أدري متى يمكن توصيل هذه الرسالة إلى المحطة. إلا أنني راغب في الكتابة إليكم، يا ألكسندر إيفانوفيتش، ولن أرجئ هذه الكتابة السارة. قبل كل شيء أشكركم جزيل الشكر على رسالتكم الجميلة. فأنا أجيد تقدير ميل أناس من أمثالكم إليّ وأعتز به. وأنا أعرفكم من زمان وأحترمكم من زمان. (...)

أنا في بيتي منذ أسبوع، لكنني لم أكتب ولا سطراً واحداً، ولم أعاين سوى ثلاثة مرضى. وقد ثبّطت عزيمتي إلى حدّ الاكتئاب الرسائل المزعجة (بشأن القطيعة بين تشيخوف والناشر سوفورين).

أنتم من مواليد فورونيج، أليس كذلك؟ عائلتي أيضاً تعود بأصولها إلى ريف فورونيج، قضاء أوستروغوجسكي. جدي ووالدي كانا من أقنان (الإقطاعي) تشيرتكوف، والد الناشر (فلاديمير) تشيرتكوف.

أتمنى لكم كل خير. قيل لي إن هذه الرسالة قد ترسل غداً، ذلك لأن الرسول فيودور سيمضي غداً إلى المحطة سيراً على الأقدام.

المخلص أ. تشيخوف

(تعقيب) في رسالة إلى سوفورين بتاريخ ٨ فبراير ١٨٩٧ كتب تشيخوف:
«أجرى البوليس تحريات في منزل فلاديمير تشيرتكوف في بطرسبورغ، وصادر كل ما جمعه أنصار تولستوي، وهو منهم، من معلومات تخص الطوائف المناوئة للنظام

القيصري. وبذلك إختفت كأنما بعصا سحرية كل الأدلة التي تدين بوبيدونوستسيف وجلاوزته. وجاء غوريمكين إلى والدة تشيركوف وقال: «أمام ابنك فرصة للاختيار بين إحدى محافظات البلطيق التي يقيم فيها منفياً الأمير خلكوف أو الخارج». فاختار الرجل لندن. وسيغادر في ١٣ فبراير. ليف تولستوي توجه إلى بطرسبورغ ليودعه. ويوم أمس جلبوا لتولستوي معطفاً دافئاً. الكثيرون يودعون تشيرتكوف حتى (الناشر) سيتين. وأنا آسف لأني لا أستطيع توديعه مثلهم. أنا لا أتعاطف مع تشيرتكوف، لكنّ ما فعلوه به يثير استيائي وغضبي الشديد.»

١٣٥. إلى أليكسي سوفورين

ميليخوفو، ٢٦ أبريل ١٨٩٣

مرحباً، الحمد للّه على السلامة. لم أكتب لكم عندما كنتم في برلين، لأنني بسبب فيوض الربيع عندنا لم أرسل أحداً إلى المحطة، فيما استلمت رسالتكم من فينسيا، بحساباتي، عندما غادرتموها إلى برلين.

إذن، سأكتب في المقام الأول عن شخصي الكريم. وأبدأ القول بأنني مريض. المرض حقير غدار. البواسير... أسوأ من الزهري. ألم وحكة وحساسية وتوتر، لا أستطيع الجلوس ولا المشي، وفي البدن كله انفعال يدفع إلى الانتحار. ويخيل إليّ أن لا أحد يريد أن يفهمني. الجميع أغبياء وظالمون. فأشتاط غضباً وأتفوه بسخافات، وأظن أن أهلي سيتنفسون الصعداء إذا غادرت. تلك هي القصة يا سيدي. لا أستطيع أن أعزو مرضي إلى حياة الجلوس، لأنني كسول أصلاً، ولا إلى سلوكي المتهتك ولا الوراثة. في فترة ما أصابني التهاب في الأمعاء. وأظن أن الممر فيها بات ضيقاً بنتيجة ذلك الالتهاب، مما سبب ضغطاً على الأوعية الدموية. الخلاصة ينبغي إجراء عملية جراحية.

وفيما عدا ذلك كل شيء تمام. الربيع البارد انتهى، على ما يبدو. أتمشى من دون جزمة المطاط في الحقل وأتدفأ بأشعة الشمس. أقرأ بيسيمسكي. موهبة كبيرة، كبيرة جداً. أفضل مؤلفاته «تعاونية النجارين». رواياته مثقلة بالتفاصيل. كل ما يتسم

عنده بطابع وقتي، وكل الدبابيس التي يغرزها في نقاد وليبراليي ذاك الزمان، وكل الملاحظات الانتقادية المتميزة بالحداثة وبدقة الملاحظة، وكل ما يسمى بالأفكار العميقة المتناثرة هنا وهناك إنما هو بمقاييس زماننا من الحجم الصغير وفيه سذاجة! وتلك هي المسألة الجوهرية: الفنان الروائي يجب أن يمر مرور الكرام على كل ما له طابع وقتي. شخوص بيسيمسكي أناس حيويون نشطون أقوياء. سكابيتشيفسكي في كتابه «تاريخ الأدب الحديث» يتهمه بالتخاذل والخيانة. ولكنْ، يا إلهي، أنا لا أعرف من بين جميع الكتّاب المعاصرين كاتباً أكثر من بيسيمسكي ليبرالية وحماسة. كل القساوسة والموظفين والجنرالات عنده حقراء وسفلة. ولا أحد مثله انتقد المحاكم القديمة وتعسف الضباط بحق الجنود. على فكرة، قرأت كتاب بول فيرجيه «كوسموبوليس»، وفيه روما والبابا وكوريجيو ومايكل أنجلو وتيتسيان والدوقات والحسناء في سنها الخمسين والروس والبولنديون- كلهم شخوص باهتة ممططة ومعسولة ومفتعلة بالمقارنة مع كاتبنا بيسيمسكي رغم بساطته وخشونته.

والآن أكتب لكم ما يشبه صفحة من رواية. وأرجو أن يبقى الأمر سراً بيننا. أخي ميشا وقع في غرام الكونتيسة الصغيرة (ك. مامونا) وتبادل معها ملاطفات الخطوبة، وقبيل الفصح تم الإعلان أنه خطيبها. حب شديد وآمال عريضة. وفي العيد كتبت الكونتيسة أنها مسافرة إلى خالتها في كوستراما. ولم تصل منها رسائل حتى الأيام الأخيرة. علم ميشا المتيم أنها في موسكو، فسافر إلى هناك. ويا للمفاجأة. رأى الناس يتزاحمون أمام البوابة والنوافذ. فماذا حصل؟ اتضح أن في المنزل حفل زفاف الكونتيسة من أحد العاملين في صناعة الذهب. تلك هي المسألة. عاد ميشا في يأس وقنوط. ودس في يدي رسائل الكونتسية الرقيقة المفعمة بالحب والمودة، وطلب مني أن أحل هذه المسألة النفسانية، فهو عاجز عن حلها. المرأة تكذب خمس مرات قبل أن يتهرأ نعلها. أظن هذا القول يعود إلى شكسبير.

وثمة خبر آخر، ليس من عالم الروايات، بل من الطب النفساني. (الكاتب الشاب) يجوف أصيب بالجنون، على ما أعتقد. أنا لم أره لكنني أحكم من خلال رسائله. إنه منفعل يسب ويشتم في الرسائل من دون مبرر كأي حوذي. ولم يكن ذلك من صفاته أبداً، لأنه خجول متهيب ونظيف مثل المدنيين الطيبين. وها هو يكتب بوقاحة فظة ما بعدها وقاحة. (. . .) ينبغي أن أسافر إلى موسكو لمعالجته

وعرضه على الأطباء، إلا أنني أعاني من البواسير، ولا أستطيع الجلوس في المركبة.

يبدو أنني لن أسافر إلى أميركا. ليس عندي نقود. فلم أكسب شيئاً خلال الربيع، كنت مريضاً وغاضباً على الطبيعة. ما أجمل أنني غادرت إلى الريف! بلّغوا (. . .) كل الذين يعتاشون على الأدب أن الحياة في الريف أرخص بما لا يقاس من المدينة. أنا أتلمس ذلك يومياً. نفقات العائلة لم تعد تكلفني شيئاً، ذلك لأن السكن والرغيف والخضر واللبن والزيت والخيول - كل ذلك متوفر عندنا ولا نشتريه. إلا أن العمل كثير لا يتسع له الوقت. من بين آل تشيخوف أنا الوحيد الذي يرقد أو يجلس إلى المكتب. كل الباقين يعملون من الصباح حتى المساء. ادفعوا الشعراء والكتّاب إلى القرية. فلماذا يعيشون في بؤس وجوع؟ حياة المدينة لا تستطيع أن تقدم للفقير مادة غنية بمعنى الشعر والفنون. إنهم يعيشون بين أربعة جدران. ولا يرون الآخرين إلا في هيئات التحرير وصالات المسارح.

يتردد عليّ مرضى كثيرون. والغريب أن العديد منهم مصابون بالتدرن الرئوي.

في كل الأحوال أتمنى لكم، يا عزيزي، موفور الصحة والعافية.

بدأ الجفاف عندنا.

المخلص أ. تشيخوف

١٣٦. إلى موديست تشايكوفسكي

موسكو، ٢٧ أكتوبر ١٨٩٣ (برقية)

صعقت للخبر، ببالغ الحزن والأسى. . . كنت قد أحببت بيوتر إيليتش واحترمته أعمق الاحترام. فضله عليّ كثير. أشاطركم الفجيعة من صميم القلب.

تشيخوف

١٣٧. إلى فكتور غولتسيف (رئيس تحرير «الفكر الروسي»)

ميليخوفو، ٢٨ ديسمبر ١٨٩٣

وصل إلينا الآن بوتابينكو مع ليكا (ميزينوفا). بوتابينكو بدأ يغني. لكنّ المحزن أنك لا تستطيع أن تأتي! الطقس رائع، والنبيذ متوفر، والأهم أن بالإمكان الاستجمام بعد انطباعات موسكو التي أثقلت عليك بقسوة، كما يبدو. ثم إننا بحاجة إلى الحديث عن كيت وكيت. مثلاً، عن البروفة (قصة «مملكة النساء») التي كانت تنتظرك، ثم أوت إلى النوم بعد أن يئست من مجيئك. سأرسلها إليك قبيل رأس السنة.

للأسف حلقوا قصتي («فولوديا الكبير وفولوديا الصغير») في «الوقائع الروسية» وتمادوا في الحلاقة فقطعوا الرأس مع الشعر. براءة طفولية خالصة، ولكن في جبن مدهش. كان يمكن السكوت عليهم لو أنهم شطبوا عدة أسطر. غير أنهم حذفوا الجزء الأوسط ونهشوا الخاتمة، فشوهوا قصتي إلى درجة تثير الغثيان.

فلنفترض أن في القصة وقاحة، عندئذ لا ينبغي نشرها بالمرة، أو كان من العدل إبلاغ المؤلف ولو بكلمة أو مراسلته، خاصة وأن القصة لم تدرج ضمن عدد أعياد الميلاد، بل أرجئت إلى أجل غير مسمى. على أية حال ليس في ذلك كله متعة. معذرة على الإزعاج. (...)

أما النقود فلا أثر لها، ولن تأتي قريباً، لعنها الله. كنت آمل في راتب يناير من «الوقائع الروسية»، ولكن بعد حادث حلاقة القصة فقدت الرغبة في استلامه. لا تخبر سابلين (الموظف في «الوقائع الروسية»). وسيكون من الأنسب والأهدأ أن أدّعي أن ضيق الوقت هو السبب الأول لوقف التعاون معهم.

اصطحب ابنتك. كلبتنا ولدت، ويمكننا، إذا أردت، أن نهدي إلى البنت جرواً. ثم إنها ستتزحلق على الزحافة.

في منتصف ليلة الحادي والثلاثين من الشهر اذكرني في ابتهالاتك كما سأذكرك. أتمنى لك الصحة يا عزيزي.

ليكا بدأت تغني هي الأخرى.

المخلص أنطوني



١٣٨. إلى أليكسي سوفورين

ميليخوفو، ٢ يناير ١٨٩٤

أنتم تسخرون من تبحري العلمي وجفاف أسلوبي ومن الأحفاد الذين سيقيمون وزناً لكتابي («جزيرة سخالين»). بينما أرد أنا بالمدح على القدح: أقرأ بكل إعجاب الحلقة الأخيرة من مسلسلكم «رسائل قصيرة» عن الانشقاق، وأكيل لكم المديح بعد المديح. رسالة رائعة، ونجاحها مفهوم تماماً. ذلك لأنها حماسية وليبرالية ولأنها، في المقام الثالث، ذكية جدّاً. أنتم موفقون دوماً فيما يخص الليبرالية. وعندما تحاولون إيراد بعض الأفكار المحافظة، بل وتستخدمون تعابير محافظة، من قبيل «عند أقدام العرش»، تغدون أشبه بناقوس وزنه آلاف الأرطال وفيه شرخ يبعث صوتاً نشازاً.

كتابي «سخالين» مؤلَّف أكاديمي، وسأحصل على جائزة المطران مكاريوس تقديراً له. لم يعد بوسع الطب أن يتهمني بخيانته: فقد أعطيت البحث العلمي حقه واعترفت بما يسميه الكتّاب القدامى بالحذلقة أو التدقيق المفرط. وأنا مسرور لأن هذا الثوب الخشن كثياب السجناء سيعلق في مشجبي الأدبي. فليبق معلقاً. لا ينبغي نشر «سخالين» في مجلة طبعاً. فهو مجلد لا يصلح للمجلات الدورية. وأظن أنه يصلح لشيء أكبر. على أية حال ليس لديكم ما يبرر السخرية والضحك. فالفوز لآخر الضاحكين. ولا تنسوا أنني سأشاهد قريباً مسرحيتكم الجديدة («المتقاعد»)!

سرغيينكو يؤلف مأساة من حياة سقراط. هؤلاء الكتبة الصغار المتعنتون

يتشبثون دوماً بالمواضيع الكبرى، لأنهم لا يجيدون إبداع المنمنمات، ولديهم طموحات هائلة على غير المعتاد، ذلك لأنهم لا يمتلكون ذوقاً أدبياً. الكتابة عن سقراط أسهل من الكتابة عن سيدة أو طباخة. وبناءً على ذلك انا لا أعتبر تأليف المسرحيات ذات الفصل الواحد تهوراً أو خفة عقل. ثم إنكم أنتم أيضاً لا تعتبرونها كذلك، رغم تظاهركم بأنها تفاهات وخفة عقل. (. . .)

الضيوف يثقلون عليّ. إلا أن بينهم ضيفاً، بوتابينكو، أسرني، فهو يغني طوال الوقت. واليوم أنتظر قدوم الكاتب المسرحي نيميروفيتش - دانتشينكو (. . .)

الرسول متوجه إلى المحطة. أتمنى لكم كل خيرات السماء والأرض. (. . .)

المخلص أ. تشيخوف

١٣٩. إلى أليكسي سوفورين

ميليخوفو، ١٠ يناير ١٨٩٤

بخصوص بوتابينكو أنتم مخطئون تماماً. فليس فيه ذرة من الرياء. (. . .)

وبخصوص جائزة المطران ماكاريوس الأكاديمية فقد كتبت لكم عنها مازحاً، ولم أكن أتوقع أنكم ستردون عليّ بهذه الجدية. كل حساباتي المالية التي تتحدثون عنها نفدت. فقد أنفقت على الرحلة (إلى سخالين) وعلى العمل في تأليف كتابي عنها من المال والوقت ما لن أعوضه في ١٠ سنين، وما استلمته أنفقته من زمان. أمضيت كل الأعياد بلا نقود، فما من جهة يمكن أن أستلم منها. ثم إنني عندما كنت في موسكو في ديسمبر أنفقت الكثير على المطاعم الراقية (. . .)

في مارس سأكتب مسرحية. وفي الصيف سأحاول أن أعالج السعال الذي يشتد أكثر. وفي الخريف سأعكف على تأليف رواية بخمسة آلاف روبل.(. . .) وفي الشتاء آتي إلى بطرسبورغ. في الشتاء الحالي لن أسافر إلى بطرسبورغ لأن الجميع هناك، كما يخيل إليّ، معتكرو المزاج، بينما أتشوق أنا إلى الملذات. وفي أواخر مارس سأسافر إلى الجنوب لثلاثة أسابيع إذا توفرت لي النقود، وسأطلب منكم السماح بالإقامة في منزلكم في فيودوسيا.

أنا لم أعد أدخن أكثر من سيجار واحد، وأستطيع كالسابق أن أشرب الكثير دون أن يترتب على ذلك أي ضرر مرئي بصحتي. في الثاني عشر من يناير (تأسيس جامعة موسكو) سأشرب أغلب الظن نخب العلوم إذا وجدت شلة مناسبة.

ابقوا في رعاية السموات.

المخلص أ. تشيخوف

١٤٠. إلى أليكسي سوفورين

ميليخوفو، ٢٥ يناير ١٨٩٤

اقرأوا في العددين الأول والثاني من «الطبيب» المقالة المخصصة للعلاقات الجنسية. وهي بقلم شخص أريحي لم يوقّعها باسمه «بسبب الطلب المشروع والعادل من طرف زوجته». وهذا يستجيب لذوقكم، بمعنى أنكم ستجدون في المقالة عدة أفكار مرموقة. والحديث يدور عن الأثر الذي يتركه الجماع على الفتوة والجينات البشرية. ويجب عليكم، بوصفكم صاحب صورة الفتاة التي بهتت وخفتت بعد الجماع، أن تبعثوا قبلة عبر الهواء إلى هذا الكاتب الأريحي.

أنا، على ما أعتقد، سليم من الناحية النفسانية. صحيح أنني لا أرغب كثيراً في الحياة، إلا أن ذلك ليس مرضاً بالمعنى الحرفي للكلمة، بل هو، على الأرجح، ظاهرة انتقالية وطبيعية من الناحية المعيشية. على أية حال، إذا أراد الكاتب أن يصور شخصاً مصاباً بمرض عقلي، فذلك لا يعني أن الكاتب نفسه مريض. أنا ألّفت «الراهب الأسود» من دون أية أفكار كئيبة، ولكنْ بتفكير بارد. كل ما في الأمر أني رغبت في تصوير مركب حب العظمة. أما الكاهن المسرع عبر الحقل فقد رأيته في المنام، وعندما استيقظت في الصباح حدثت عنه (أخي) ميشا. ولذا بلّغوا آنّا إيفانوفنا أن أنطون بافلوفيتش المسكين لم يُجن بعدُ، والحمد لله، لكنه يأكل كثيراً في العشاء ولذا يرى كهنة في المنام. (. . .)

أنا ذاهب الآن إلى سيربوخوف لحضور جلسة المجلس الصحي، حيث سأشعر بملل جهنمي، لأن المناقشات ستدور حول الأمور الجارية فقط.

إذا سمعتم نصيحتي وقرأتم «الطبيب» فستجدون في العددين ذاتهما خطاب أريسمان عن النباتيين. ولا أدري ما ذنبهم، هل يشوشون على أحد؟
فلتحفظكم كل ملائكة السماء!

المخلص أ. تشيخوف

١٤١. إلى أليكسي سوفورين

يالطا، ٢٧ مارس ١٨٩٤

مرحباً! منذ قرابة شهر أقيم في يالطا، يالطا المملة جداً. أسكن الغرفة ٣٩ في فندق «روسيا»، وفي الغرفة ٣٨ تقيم ممثلتكم المفضلة أبارينوفا. الجو ربيع، دافئ ومنير، والبحر على حاله، إلا أن الناس ثقلاء الظل مكتئبون معتكرو المزاج جداً. تصرفتُ بحماقة عندما ضيعت مارس كله في القرم. كان ينبغي أن أسافر إلى كييف لأمتع النظر في الكنائس والربيع الأوكراني.

السعال لم يزايلني، ومع ذلك سأتحرك في ٥ أبريل نحو الشمال إلى الديار. لا أستطيع أن أبقى هنا أكثر. ثم إن نقودي نفدت. فقد كنت أخذت معي ٣٥٠ روبلاً فقط. وإذا أسقطنا منها تكاليف السفر ذهاباً وإياباً يبقى ٢٥٠ روبلاً لا تكفي للطعام. ولو كان معي ألف أو ألف وخمسمئة لسافرت إلى باريس ولكان ذلك جيداً من عدة وجوه.

أنا في صحة مقبولة على العموم، مريض في بعض الجزئيات، كالسعال وارتباك نبض القلب والبواسير. ارتباك النبض استمر ٦ أيام متوالية، وكنت في حالة مقرفة طوال ذلك الوقت. بعد أن تركت التدخين نهائياً لم يعد مزاجي كئيباً ومقلقاً. ولأنني لا أدخن ربما لم تعد الأخلاق التولستوية تؤثر فيّ كالسابق. ففي دخيلة نفسي أقف منها الآن موقفاً غير ودي. وهذا ظلم بالطبع. في عروقي يجري دم الفلاحين، ولا تدهشني فضائلهم. لقد كنت منذ الطفولة أؤمن بالتقدم وما كان بوسعي أن لا أؤمن به، ذلك لأن الفارق بين الوقت الذي كانوا يضربونني فيه والوقت الذي كفّوا فيه عن معاقبتي فارق فظيع. كنت أحب الأذكياء، وأحب الانفعال ودماثة الخلق والظرافة.

وكنت لا أبالي بالذين يحكّون الدمامل والثآليل ولا أعبأ بالروائح الخانقة المنبعثة من جواربهم.(. . .) إلا أن الفلسفة التولستوية كانت تؤثر فيّ كثيراً، وقد استولت عليّ طوال ٦ - ٧ سنوات. وفعلت فعلها في نفسي ليس من خلال الأحكام الأساسية التي كنت أعرفها في السابق أيضاً، بل من خلال أسلوب تولستوي في التعبير وعقلانيته في المحاججة وربما من خلال نوع من التنويم المغناطيسي. أما الآن ففي نفسي احتجاج واعتراض. الحسابات والعدالة تقول لي إن في الكهرباء والبخار حباً للإنسان أكثر مما في العفة والامتناع عن تناول اللحوم. الحرب شر والمحاكمة شر، لكن ذلك لا يعني أنني يجب أن أنتعل خفاً (من لحاء الشجر) وأنام على دكة فرن التدفئة مع العامل وزوجته وما إلى ذلك. إلا أن القضية ليست في ذلك، ليست في الرفض أو التأييد، بل في كون تولستوي بالنسبة لي قد ابتعد بنحو أو بآخر ولم يعد موجوداً بين جوانحي. لقد خرج من داخلي قائلاً: أترك داركم هذه خالية. وها أنا حر طليق. لا نزلاء في داري (. . .)

أتمنى لكم الصحة وهدوء البال. كيف حالكم مع الصداع؟ هل اشتد أم خفت؟ الصداع عندي خفت لأنني لا أدخن.

تحياتي الخالصة لآنّا إيفانوفنا والأولاد.

المخلص أ. تشيخوف

١٤٢. إلى ليديا ميزينوفا

فيينا، ١٨ سبتمبر ١٨٩٤

أنت، يا عزيزتي ليكا، مصرة على عدم الرد على رسائلي، ومع ذلك انا أثقل عليك بلجاجتي وأفرض نفسي بهذه الرسائل. أنا في فيينا. ومنها سأتوجه إلى أباتسيا، ثم إلى البحيرة. قال لي بوتابينكو ذات مرة إنك ستكونين مع (المغنية) فرفارة أيبيرلي في سويسرا. إذا كان الأمر كذلك اكتبي لي في أي مكان من سويسرا يمكنني أن أبحث عنكما. أنا بالطبع متشوق لرؤيتك. اكتبي لي على عنوان: أباتسيا، لحين الطلب. وإذا كنت قد صممت على عدم الكتابة لي فلتكتب فارفارة أبولونوفنا.

أرجوك لا تخبري أحداً في روسيا أنني في الخارج. سافرت خفية كاللص. ميشا يظن أنني في فيودوسيا. وإذا عرف بأنني في الخارج فسيحزن، لأن سفراتي المتكررة باتت تزعج الجميع من زمان.

أنا لست في صحة جيدة. السعال المتواصل تقريباً يلاحقني. يبدو أنني فقدت صحتي كما فقدتك.

تحياتي إلى فارفارة أبولونوفنا. أتمنى لكما الصحة والعافية.

المخلص أ. تشيخوف

١٤٣. إلى ماريا تشيخوفا

ميلانو، ٢٢ سبتمبر ١٨٩٤

عزيزتي ماشا! أنا في إيطاليا، في ميلانو. قبلها كنت في ليمبيرغ /لفوف/ حيث شاهدت المعرض البولوني ووجدته تافهاً جداً، ليس كما كتب عنه سينكيفيتش وفوكول لافروف. وكنت في فيينا حيث أكلت خبزاً لذيذاً جدّاً واشتريت محبرة جديدة وكذلك قبعة خيالة ذات أذنين. كما كنت في أباتسيا على ساحل البحر الأدرياتيكي وراقبت هناك المطر الممل المدار. وكذلك في فيومي وترييستي التي تبحر منها سفن ضخمة إلى كافة أرجاء العالم. ثم توجهت إلى البندقية دون أن أتشكى أو أتذمر. وهناك انتابني طفح حكاك لم يفارقني حتى اليوم. في البندقية اشتريت قدحاً مطلياً بألوان سماوية وكذلك ثلاث ربطات عنق حريرية ودبوساً. والآن أنا في ميلانو. تفقدت الكاتدرائية وجاليري فكتور عمانوئيل، ولم يبق أمامي سوى الذهاب إلى جنوه حيث توجد سفن كثيرة ومقبرة مذهلة. /على فكرة، شاهدت في ميلانو المحرقة أي المقبرة التي يحرقون فيها الموتى، وأسفت لأنهم هنا لا يحرقون الأحياء، مثل الزنادقة الذين يأكلون الأطعمة المحرمة في أيام الأربعاء/ . (لحوم اللبائن والطير).

من جنوه سأسافر إلى نيس على الأرجح. ومنها أعود إلى الديار رأساً. لربما أكون في البيت ما بين ١٢ و١٥ أكتوبر. في كل الأحوال سأبرق لكم بشأن تاريخ وصولي. أنا أتصور مدى الأوحال عندنا الآن!

إذا التقيتِ غولتسيف بلّغيه بأنني أؤلف رواية من حياة موسكو لأجل «الفكر الروسي». (المقصود رواية «ثلاث سنوات»). أمجاد بوبوريكين حجبت النوم عن عينيّ. ولذا أكتب محاكاة (لروايته) «المعبر الجبلي». ولكن على غولتسيف ولافروف أن لا ينتظرا استلام روايتي قبل ديسمبر، فهي مطولة في ٦ - ٨ ملازم. أتوقع أنك ليس لديك نقود، أو أن لديك القليل منها. اصبري إسبوعاً، ففي نيس سأستلم بياناً مفصلاً من متجر كتب «العصر الحديث» وسأطلب منهم أن يحولوا لكم مبلغاً. كما ينبغي تسديد ١٨٠ روبلاً إلى المصرف.

ماذا يفعل بوتابينكو؟ أين هو؟ تحياتي له.

الجعة في الخارج مدهشة. ويخيل إليّ أنني سأغدو سكيراً لو كان في روسيا جعة مثلها. ثم إن الممثلين المسرحيين مدهشون أيضاً. نحن الروس لا نحلم بتمثيل كهذا. كنت في مسرح الأوبريت. شاهدت «الجريمة والعقاب» لدوستويفسكي بالترجمة الإيطالية. وتذكرت ممثلينا، ممثلينا المثقفين الكبار، ورأيي أن تمثيلهم يفتقر حتى إلى شراب الليمون (ناهيك عن الكحول المؤثر). من حيث إنسانية الممثلين والممثلات على خشبة المسرح هنا يعتبر ممثلونا خنازير بالمقارنة معهم.

أمس كنت في السيركس. وشاهدت معرضاً.

تحية للوالد والوالدة. تحيات للجميع. سأكون عندكم في أكتوبر.

أنا أسعل، وأحك جلدي أحياناً بسبب الطفح. لكنني على العموم في صحة جيدة.

أسمع أصوات فتيات يتعلمن الغناء. هنا في ميلانو أجنبيات كثيرات، من أمثال ليكا وفارفارة، يتعلمن الغناء على أمل كسب الثروة والأمجاد. المسكينات ينشد من الصباح حتى المساء.

اليوم سأجرجر خطاي إلى جنوه.

أتمنى لك الصحة والعافية.

إذا تجمعت شلة كبيرة للسفر إلى الخارج فالكلفة تكون رخيصة جداً.

أخوكِ أ. تشيخوف

١٤٤. إلى تاتيانا شيبكينا - كوبيرنك (شاعرة وروائية)

ميليخوفو، ٢٨ نوفمبر ١٨٩٤

سأكون في منتهى السعادة لو زرتموني. ولكنني أخشى أن تلتوي عظامكم وغضاريفكم اللذيذة أثناء الطريق. فهو فظيع. العربة تتقافز على المطبات من ألم رهيب، وتفقد عجلة من عجلاتها مع كل خطوة تجتازها. عندما ركبت العربة آخر مرة قادماً من محطة القطار تقطعت نياط قلبي من اهتزازها، ولم أعد قادراً الآن على حب أحد.

قيل لي إن قصتكم («السعادة») ستنشر في «الأسبوع». أنا مسرور لنجاحاتكم وأهنئكم من صميم القلب. «الأسبوع» مجلة رصينة وجميلة.

إلى اللقاء أيتها الصديقة العزيزة!

المخلص أ. تشيخوف

١٤٥. إلى يلينا شافروفا (كاتبة)

ميليخوفو، ٤ ديسمبر ١٨٩٤

نزولاً عند رغبتكم أبعث صورتي الفوتوغرافية من إعداد أسيكريتوف، وليس لدي أفضل منها.

وسأظل أنتظر صورتكم. إذا بعثتموها برسالة مسجلة فعنونوها على هيئة تحرير «الفكر الروسي».

أنا في تمام الصحة والعافية. في عدد يناير من «الفكر الروسي» ستنشر قصتي «ثلاث سنوات». فكرة القصة كانت على غير ما ظهرت فيه بعد التنفيذ. جاءت القصة في حلة باهتة نسبياً، ليس من الدمقس الذي أردته بل من القماش القطني. أنتم من الانطباعيين، ولن تعجبكم.

لقد مللت من المواضيع المتماثلة المعلوكة. أرغب في الكتابة عن الأبالسة والشياطين، عن النساء الرهيبات كالبراكين، عن السحرة، ولكن هيهات. المطلوب

روايات وقصص حميدة من حياة إيفان غافريليتش وأمثاله وزوجاتهم.
أتمنى لكم كل خير.

المخلص أ. تشيخوف

١٤٦. إلى إيفان غوربونوف - بوسادوف
(مدير دار نشر «الوسيط»)

ميليخوفو، ٣١ ديسمبر ١٨٩٤

حضرة إيفان إيفانوفيتش الموقر!

أضع «رواية البستاني الأقدم» تحت تصرفكم بالكامل. وأعتقد أنها لا تصلح لطبعة شعبية، ولن يجعلها استبدال الكلمات بغيرها مفهومة. إلا أن الأمر متروك لكم. أرسلو لي البروفة مع مخطط التعديلات، وسألبّي ما تريدون. (نشرت القصة في «الوقائع الروسية»، لكنها لم تصدر عن «دار الوسيط»).

وأشير بالمناسبة إلى أن «الوقائع الروسية»، وبسبب الخوف اليهودي، حذفت من كلام البستاني العبارة التالية: «الإيمان بالله ليس صعباً. فقد آمن به جلاوزة محاكم التفتيش وبيرون وآراكتشييف. كلا، حاولوا أن تؤمنوا بالإنسان!»

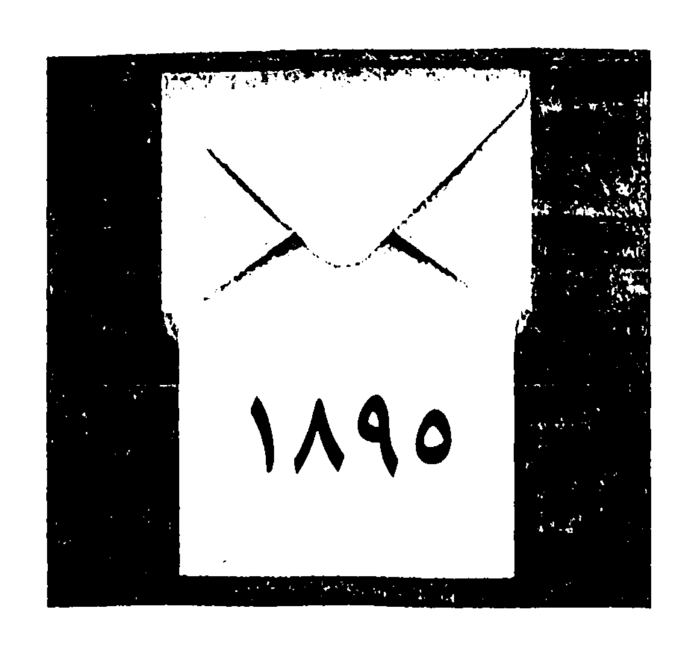
سأكون في البيت في الأيام الثلاثة الأولى من يناير. وفي ٤ منه أسافر إلى موسكو وأقضي هناك أسبوعاً.

في ٢٣ ديسمبر كنت أنوي الذهاب إلى ليف نكولايفيتش (تولستوي صديق غوربونوف)، إلا «الوقائع الروسية» أعاقتني بطلبها إنجاز القصة الآنفة الذكر. وآمل أن أزوره قبل العاشر من يناير.

يتضح لي من الرسالة المكتوبة ليس بخط يدكم أنكم تشعرون بألم في العينين. فلماذا لا تتعالجون؟ علاج العيون الآن ممتاز. والطب قطع من هذه الناحية شوطاً بعيداً. في كل الأحوال لن يكون الوضع أسوأ بسبب العلاج.

أتمنى لكم كل خيرات السموات والأرض.

المخلص أ. تشيخوف



١٤٧. إلى فكتور بيليبين

موسكو، ١٨ يناير ١٨٩٥

عزيزي فكتور فكتوروفيتش! معذرة، الرسالة تلوثت ببقعة حبر.

رسالتكم الأخيرة وصلت إلى موسكو، ولم أعد أقيم فيها. فأحيلت، كما ينبغي، إلى مكان الإقامة بمدينة سيربوخوف، ومن هناك جلبها رسول إلى إدارة الناحية بعد أسبوع، فأرسلتها الإدارة إلى منزلي عندما غادرت الناحية. وفي آخر المطاف جلبتها شقيقتي إلى موسكو.

أنتم تهنئونني بالعام الجديد. رائع. وأنا أفعل الشيء ذاته. ألف من التمنيات القلبية لكم وإلى آنّا أركاديفنا وإلى ورثتكم المبجلين. أتمنى لكم السعادة، والأهم الصحة التي كنتم، على ما أتذكر، تتشكون منها طول الوقت.

أنا لا أؤلف مسرحيات، بل ولا أرغب في تأليفها. لقد شخت، ولم تعد لدي الهمة اللازمة. بودّي أن أكتب رواية طولها مئة فرسخ. عندما تكون مسرحيتكم جاهزة اكتبوا لي هل أنتم بحاجة إلى تزكية في مسرح كورش؟ أنا أقيم في الريف، ونادراً ما أتردد على موسكو حيث أتناول طبق المحار. أنا ماضٍ في الشيخوخة. ولا نقود لدي ولا أوسمة ولا مناصب. لدي ديون، نعم.

أقرأ كتاباتكم وأتذكر الماضي. عندما أصادف كاتباً فكاهياً شاباً أقرأ عليه «بورودينو» (قصيدة ليرمونتوف) وأركز على بيت منها: «لستم عمالقة»! (مثل أبطال حرب ١٨١٢ ضد نابليون). أنا وأنت كنا في حينه ليبراليين جداً، لكن البعض

اعتبروني لسبب ما محافظاً. قبل فترة ألقيت نظرة على أعداد قديمة من «الشظايا» منسية تقريباً ودهشت للجرأة التي كانت مستولية عليكم وعليّ آنذاك والتي لا وجود لها الآن ولو عند واحد من العباقرة الجدد.

لماذا لا نتراسل ولو مرة في الشهر؟ أنا لا أزال أميل إليكم كالسابق. ولكن منذ قمتم بحل المسألة العائلية بحكمة ونبل أضيف إلى احترامي لكم حسد طفيف، وهو بالطبع ليس سوداوياً حقوداً، كحسد ممثلي المسرح، بل غبطة عاطفية أشعر بها تجاهكم. (...)

أتمنى لكم موفور الصحة.

المخلص لكم كلياً

أ. تشيخوف

١٤٨. إلى الكسندر تشيخوف

موسكو، ١٩ يناير ١٨٩٥

يا صاحب الفخامة!

لدي كل المبررات لعدم تدخين سجائرك ورميها في المرحاض، ذلك لأنني حتى الآن لم أنفّذ ولا واحداً من طلباتك.

١) بخصوص «الوقائع الروسية» رئيس التحرير سوبوليفسكي الذي أعرفه جيداً سافر إلى الخارج. وظل في الجريدة ١١ محرراً، لا رئيس بينهم، ومن الصعب أن تفهم منهم شيئاً. إذا أرسلت لهم رسالة تضيع ولن يعثروا عليها، ولا تعرف أنت من تراجع بشأنها. بالإضافة إلى الكاتب بوكفا يراسل «الوقائع الروسية» (موسكو) عدة أشخاص من بطرسبورغ. وأكرر: الشيء الوحيد الذي يمكن الآن القيام به من أجلك في «الوقائع الروسية» هو تقديم نتاجات أدبية (وليس ريبورتاجات) مدفوعة الأجر. والمكافأة، على فكرة، ليست قليلة. عندما يعود سوبوليفسكي أكلمه.

٢) قصتك جيدة جداً، ما عدا العنوان («الممسوسون المفصولون») الذي لا يصلح بالمطلق. القصة أثرت في نفسي، وهي ذكية تماماً ومحبوكة. إلا أنني أسفت

لأنك حبست أبطالك في دار المجاذيب. فما يفعلونه ويقولونه يمكنهم أن يفعلوه ويقولوه وهم خارج الجدران، ولو كانوا خارجها لكان ذلك أفضل من الناحية الفنية، لأن المرض، أي مرض، يهم القارئ طبياً أكثر مما يهمه فنياً. والقارئ لا يثق بالمريض النفساني. عموماً أنت تتقدم. وأنا أتذكرك عندما كنت تلميذاً في الصف الخامس، وكان يمكنك أن تغدو أفضل، والآن أنت تغدو أفضل بالفعل. فسأقدم قصتك إلى «الفكر الروسي» أو «الممثل»، وإذا كنت لا ترفض التجزئة سأقدمها إلى (جريدة) «الوقائع الروسية». فكر في عنوان جديد، أقصر وأبسط من العنوان الحالي وأقل سوداوية. وفكر في تعابير أخرى للقسيس المتذمر في خاتمة القصة، فأنت تكرر أقوال والد بازاروف (في رواية تورغينيف «الآباء والبنون»). ستبقى القصة في حقيبتي حتى الـ ٢٧ من الشهر ثم أقدمها للنشر. أعداد يناير وفبراير ومارس مكتملة، ولن تتسع لك على أية حال.

أنا مسافر إلى الريف، وسأمكث هناك حتى ٢٧ يناير (. . .)

اكتب لي وكن في صحة كالثور.

أخوك الذي يلومك

أ. دوستوينوف - بلاغورودنوف

(أنطون النبيل الكريم المحتد)

١٤٩. إلى أليكسي سوفورين

موسكو، ١٩ يناير ١٨٩٥

كتبتُ إلى فاسيليفا (لعلها مترجمة). القصص القصيرة قصيرة العمر. تترجم ويطويها النسيان ثم تترجم من جديد. ولذا نجد كتاباتي المترجمة في فرنسا أكثر بكثير من مؤلفات تولستوي.

سأسافر إلى القرية. طال انتظاري لكم. وفي ٢٧ من الشهر سأعود إلى موسكو من جديد. فلو كنتم قد جئتم لسافرت معكم إلى بطرسبورغ أغلب الظن. لكنكم لم تصلوا. (. . .)

الربيع يقترب، والنهار يغدو أطول. ولي رغبة في الكتابة. يخيل إليّ أنني سأكتب كثيراً هذا العام.(. . .) ثم إنني بأمسّ الحاجة إلى المال. أنا بحاجة إلى دخل سنوي مقداره ٢٠ ألفاً. وإلى ذلك فعندما تتوفر لدي نقود أشعر وكأنني أحلّق بين الغيوم في حالة سكر طفيف، ولا يسعني إلا أن أنفقها على كل التفاهات. قبل ثلاثة أيام كان عيد شفيعي، وكنت أتوقع هدايا، لكنني بقيت وقبض الريح. (. . .)

عدد يناير من «الفكر الروسي» منع ثم أفرج عنه. وشطبت الرقابة من قصتي («ثلاث سنوات») السطور المتعلقة بالدين. المجلة ترسل مقالاتها إلى الرقابة التمهيدية. وهذا يقضي على كل رغبة في الكتابة بحرية. فأنا أكتب وأشعر بشوكة في بلعومي.

زرت ليفيتان في مرسمه. إنه أفضل رسام روسي للمناظر الطبيعية، ولكن لم تعد في لوحاته فتوة مع الأسف. يرسم بصخب خالٍ من نكهة الشباب. وأعتقد أن النساء استهلكنه. فهاته الكائنات الجميلة تمنح الحب وتمتص من الرجل بالمقابل نسغ الشباب لا أقل ولا أكثر. لا يمكن رسم المنظر الطبيعي من دون إعجاب متحمس. والإعجاب يمتنع على الشخص المتخم. لو كنت رساماً متخصصا بالمناظر لتقيدت باعتكاف النساك تقريباً، ولجامعت مرة في السنة ولأكلت مرة في اليوم (. . .)

أتمنى لكم الصحة والرفاه. تحياتي الصادقة إلى آنّا إيفانوفنا. أتوق إلى رؤيتها.

المخلص أ. تشيخوف

١٥٠. إلى ليونيد سريدين (طبيب)

بطرسبورغ، ١٤ فبراير ١٨٩٥

شكراً جزيلاً، عزيزي ليونيد فالنتينوفيتش، على الرسالة وعلى صورة (باخرة الأحمال) «بيريزان». الصورة أنعشت في نفسي ذكريات كثيرة. فقد أمضيت على ظهر هذه الباخرة ٥٠ يوماً! (أثناء العودة من سخالين) وعندما أغمض عينيّ الآن أتذكر كل التفاصيل مهما كانت صغيرة. حتى تعابير عيني القبطان، الشرطي المتقاعد. في الطريق من هونغ كونغ حتى سنغافورة كنا في هلع شديد: لم تكن هناك شحنات، فتصورنا أن الباخرة الخالية ستنقلب بنا.

أنا على قيد الحياة، ويبدو لي أنني في صحة جيدة. أسعل، وفي بعض الأحيان يؤذيني تقطع نبضات القلب، إلا أنني تعودت على ذلك كما يتعود المرء على الثآليل. أعمل وأشيخ ويزداد غبائي شيئاً فشيئاً. كتابي («جزيرة سخالين») لم يصدر بعد. فهو يقبع في مستودع المطبعة، وإلا لكنتم قد استلمتم نسخة منه من زمان.

الأرجح أنني لن أسافر قريباً إلى القرم، فهي لا تجتذبني (هذه المرة). أعتقد أنني سآتي إليكم (في يالطا) ليس قبل خمس سنوات.

ميروف ترك المسرح وسيتعين موظفاً.

أتمنى لكم كل خير، والأهم موفور الصحة وحسن المزاج. تحياتي الخالصة لعائلتكم ولمعارفنا المشتركين.

بعد أسبوع سأسافر إلى منزلنا في الريف لأستقبل الربيع هناك. مارس على الأبواب.

المخلص أ. تشيخوف

١٥١. إلى أليكسي سوفورين

ميليخوفو، ٢٥ فبراير ١٨٩٥

(. . .) حالما كتبت الكلمة الأخيرة هرعت إليّ الوالدة قائلة: «أمام نافذتي أرنب بري». مضيت لأنظر، فرأيت بالفعل أرنباً كبيراً جاثماً على مسافة مترين من النافذة يفكر في شيء ما. وبعد فترة قفز بهدوء في الحديقة.

الصداع أخذ يداهمني كثيراً. يصاحبه ارتجاف في العينين، أو الرمد الارتجافي (. . .). ها أنا أستلقي تارة وأمشي لا على التعيين تارة أخرى، ولا أدري ماذا أفعل لنفسي. فليس لدي وسيلة للعلاج. الطنين يلاحقني كالسابق. وكالسابق لا أحد يقدم لي هدية كالوسادة أو سلسلة ساعة أو ربطة عنق. ولعلي لم أتزوج حتى الآن لسبب واحد هو أن الزوجات تعوّدن أن يهدين أزواجهن شبشباً. لكنني لا أمانع في الزواج حتى من أرملة مجدورة. فالملل قتّال.

لديّ إحساس غريب لأننا لن نرى ليسكوف بعد الآن. (توفي الكاتب نكولاي

ليسكوف في ٢١ فبراير ١٨٩٥). عندما التقيته آخر مرة كان مرحاً يضحك طوال الوقت ويقول: «بورينين يدعي أنني ألتهم شرائح اللحم المقلي». وعن حالته الصحية قال ليسكوف ما يلي: «هذه ليست حياة، إنها مجرد وجود». ولم يكن محقاً عندما كتب في وصيته أن الأطباء لا يعرفون ما يجري لقلبه. الأطباء كانوا يعرفون جيداً، لكنهم أخفوا عنه ما يعرفونه. (. . .)

بودّي أن التقي الفيلسوف نيتشه في عربة قطار أو على متن سفينة لأتحدث معه ليلة كاملة. إلا أنني أرى فلسفته ليست بذات عمر طويل. إنها ليست مقنعة بقدر ما هي متحمسة.

رأسي يؤلمني بما لا يبشر بخير.

أتمنى لكم كل خيرات الدنيا من نقود وطيبات المأكولات.

الجو دافئ عندنا، إلا أن أكوام الثلوج لا تزال بلا حساب.

المخلص أ. تشيخوف

(تعقيب) أكد تشيخوف في إحدى رسائله: «إن كتّاباً مثل (سرغي) مكسيموف وليسكوف لا يمكن أن يحظوا بإعجاب النقاد عندنا، ذلك لأن معظم نقادنا يهود لا يعرفون الحياة الروسية الأصيلة الغريبة عليهم، ولا يفقهون شيئاً لا في روحانيتها وتنوعها وأشكالها ولا في طبيعتها الساخرة المستعصية على فهمهم. إنهم لا يرون في الإنسان الروسي سوى شخص غريب ممل لا أكثر ولا أقل. جمهور بطرسبورغ الذي يتحكم هؤلاء النقاد في أغلبيته لم يُعجب يوماً ما (بمسرحيات) أوستروفسكي. وحتى غوغول لم يعد قادراً على انتزاع ابتسامة منه».

١٥٢. إلى ألكسندر جيركيفيتش (أديب وحقوقي عسكري)

ميليخوفو، ١٠ مارس ١٨٩٥

ألكسندر فلاديميروفيتش المحترم!

رغم موقفكم الطيب واهتمامكم الذي أعتز به يؤسفني جداً أنني مضطر إلى عدم تلبية طلباتكم جملة وتفصيلاً.

أولاً- ليس لدي الآن صورة فوتوغرافية. في فبراير كنت في بطرسبورغ وتصورت عند شابيرو، إلا أنني غادرت قبل أن تكون الصور جاهزة. فإذا أرسلها شابيرو إليّ فسأرسل لكم صورة / طبعاً بشرط أن تزودوني بصورتكم في المقابل/. فلا مؤاخذة.

ثانياً - أنا لا أستطيع أن أكتب رأيي بصراحة عن ملحمتكم («مشاهد الطفولة») بالشكل الذي تريدون. أعني أنني أستطيع أن أقول لكم الكثير، لكن ذلك سيكون كتابة ليست في صلب الموضوع وستصرفون النظر عنها يائسين. الشعر ليس من اختصاصي. لم أنظمه أبداً. دماغي يرفض الاحتفاظ بالأشعار في الذاكرة. ولذا فأنا أتحسسها فقط، شأنها شأن الموسيقى، ولا أعرف على وجه التحديد لماذا تعجبني هذه القصيدة ولا تعجبني تلك. فيما مضى من الأزمان حاولت أن أتراسل مع شعراء أبدي لهم رأيي، لكنني لم أنجح، وسرعان ما ملوا مني كإنسان ربما يتذوق الشعر جيداً، لكنه يعبّر عن آرائه بشكل غير محدد وغير ممتع. حالياً أنا أكتفي بمفردة «يعجبني»، «لا يعجبني». ملحمتكم أعجبتني.

فيما يخص القصة التي تعكفون على كتابتها الأمر مختلف. أنا مستعد لنقدها ولو في عشرين ملزمة. وإذا كنتم سترسلونها لي فيما بعد وترغبون في معرفة رأيي فيها فسأقرأها بكل ارتياح وأبلغكم وأكتب لكم بتحديد قل أو كثر، وسأشعر عندئذ بأنني حر طليق (...)

اسمحوا لي أن أشكركم مرة أخرى وأشد على يدكم بحرارة.

المخلص لكم بصدق

أ. تشيخوف

١٥٣. إلى أليكسي سوفورين

ميليخوفو، ١٦ مارس ١٨٩٥

كتبتم أنكم ستكونون في موسكو، فبقيت أنتظر منكم برقية أو رسالة مؤملاً في رؤيتكم، إلا أنكم غيرتم رأيكم بخصوص المجيء. وبدلاً منكم بعثتْ لي السماء

ليكين. جاءني برفقة يجوف وغروزينسكي الشابين المغفلين اللذين لم ينبسا ببنت شفة، لكنهما جلبا على الضيعة كلها غمامة ملل شديد. ليكين ترهل وتهدل بدنياً وتساقط شعره، لكنه غدا أكثر طيبة وأريحية: لعله سيموت قريباً! عندما طلبت والدتي لحماً من القصاب قالت له أن يزودنا بنوعية أفضل لأننا نستضيف السيد ليكين من بطرسبورغ. فاستغرب القصاب: «أي ليكين هذا؟ أهو الذي يؤلف الكتب؟». وبعث لحماً من أجود الأنواع. يبدو أن القصاب لا يدري بأنني أنا أيضاً أؤلف الكتب، ذلك لأنه يرسل لنا دوماً أسوأ أنواع اللحوم.

زارني من موسكو طبيب من المعجبين بنيتشه. إنه إنسان ذكي جداً وفي منتهى الطيبة أمضيت معه يومين بكل سرور (. . .) تلك هي أهم الأخبار.

إذن، نحن وإياكم نصدر «سخالين» دون أن ننتظر الترخيص. الكتاب ضخم مزود بالكثير من الهوامش والنكات والأرقام. ولعله يمر. أما إذا تعثر فلا بأس. لا مهرب من الموت. (. . .)

حلقة مسلسلكم «الرسائل القصيرة» عن التربية البدنية والألعاب للطلبة ستعود بالفائدة إذا واصلتم متابعة الموضوع بإصرار. الألعاب ضرورية من دون ريب. فهي ظاهرة صحية وجميلة وليبرالية. نعم ليبرالية بمعنى أن ألعاب الشارع والمباريات العامة افضل وسيلة لاندماج الفئات الاجتماعية وتداخلها. الألعاب من شأنها أن توفر فرص التعارف لشبابنا الذين يعيشون في عزلة. فالشباب والحال هذه سيتحابّون أكثر. ولكن الألعاب ينبغي أن تنظم ليس قبل أن يتوفر للطالب الروسي الخبز الكفاف. ومن دون الفطور لا يستطيع الكروكيت ولا التزحلق أن يجعل الطالب نشيطاً.

فلتحفظكم السموات المرئية من الكرة الأرضية ومن الشعرى اليمانية. اذكروني في صلواتكم وابتهالاتكم واكتبوا لي ولو سطرين أو ثلاثة.

المخلص أ. تشيخوف

١٥٤. إلى أليكسي سوفورين

ميليخوفو، ٢٣ مارس ١٨٩٥

(. . .)

معذرةً. سأتزوج طالما تريدونني أن أتزوج. ولكنْ هذه شروطي: أن يبقى كل شيء كما كان عليه سابقاً، بمعنى أن الزوجة يجب أن تقيم في موسكو وأنا أقيم في الريف وأتردد عليها. فأنا لن أتحمل السعادة التي تستمر يوماً بعد يوم، من الصباح حتى الصباح. عندما يقولون لي الشيء ذاته كل يوم وبنفس اللهجة أغدو قاسياً. أنا مثلاً أغدو قاسياً بحضور سرغيينكو، لأنه يشبه كثيراً امرأة «ذكية وأريحية»، ولذا يخطر في بالي بحضوره أن زوجتي يمكن أن تشبهه. أنا أتعهد بأن أكون زوجاً مثالياً، ولكن أعطوني زوجة، كالقمر، لا تظهر في سمائي يومياً. إن ما أكتبه لن يكون أفضل فيما لو تزوجت.

أنتم مسافرون إلى إيطاليا؟ (. . .) تحياتي واحتراماتي لإيطاليا. أنا أحبها حباً جماً، مع أنكم قلتم لغريغوروفيتش إنني كأنما انبطحت في ساحة القديس مرقص وقلت: «ما أطيب الانبطاح الآن على العشب عندنا في ضواحي موسكو». لومبارديا أثارت دهشتي إلى درجة جعلتني، على ما أظن، أتذكر كل شجرة فيها. أما البندقية فأنا أراها مغمض العينين.

مامين - سيبيرياك فتى لطيف جداً وكاتب رائع. يكال المديح لروايته الأخيرة «القمح» / مجلة «الفكر الروسي» ١٨٩٥/ . وكان ليسكوف بخاصة معجباً بها أشد الإعجاب. لديه مؤلفات رائعة بلا شك. وهو يصور أبناء الشعب في أفضل قصصه لا أسوأ مما في «السيد وخادمه» (قصة ليف تولستوي). وأنا مسرور لأنكم تعرفتم عليه ولو قليلاً.

بدأ العام الرابع من إقامتي في ميليخوفو. حولياتي كبرن وصرن أبقاراً. والأشجار ارتفعت أكثر من مترين. ورثتي سيتاجرون بالأخشاب في أروع صورة، وسينعتونني بالحمار، لأن الورثة لا يشعرون بالقناعة والرضا أبداً.

لا تسافروا إلى الخارج باكراً. الجو بارد هناك. انتظروا حتى مايو. وأنا أيضاً ربما سأسافر، فنلتقي في مكان ما. . .

اكتبوا لي المزيد. هل من جديد؟ (. . .) هل نحارب الألمان؟ يا ويلي!

ساضطر أن ألتحق بالجبهة، وأقوم بجراحة بتر الأطراف، ثم أكتب مقالات «للبشير التاريخي». /هل يمكنني أن أستلم من شوبينسكي سلفة من أجر هذه المقالات؟!/
ودمتم

للمخلص أ. تشيخوف

١٥٥. إلى يلينا شافروفا

ميليخوفو، ٢٥ مارس ١٨٩٥

(. . .) قرأت القصة (مخطوطة قصة «أبو الهول») من زمان، وأعجبتي جداً. لكنني تباطأت في الجواب، تباطأت مع الثلوج التي لم تعجل بالذوبان وأثقلت عليّ بالاكتئاب.

قصتكم الأخيرة مزدحمة جداً بالشخوص والأبطال. وتلك ميزة وعيب في الوقت ذاته. النماذج والوجوه ممتعة. لكنها تتكدس وتمزق انتباه القارئ إلى ١٠٠٠ شظية، وتنساب على ساحة مخطوطة غير كبيرة، فلا تترك أثراً عميقاً في ذاكرة من يقرأها. ينبغي اختيار أحد اثنين: فإما أن تقللوا عدد الشخوص أو تكتبوا رواية. الاختيار لكم. في اعتقادي ينبغي اختيار الرواية. يبدو أن القدر نفسه يدفع نحو الرواية إذا كنتم راغبين جداً في كتابة أقصوصة والنماذج البشرية الكثيرة فيها تلاحقكم ولا تستطيعون أن تمنعوا أنفسكم من لذة حشرها جميعاً وتكويمها في كومة واحدة.

أتشوق إلى ذكر اسمي في صلواتكم وابتهالاتكم.
المخلص المستعد لخدمتكم حتى الرمق الأخير

أ. تشيخوف

١٥٦. إلى فلاديمير نيميروفيتش - دانتشينكو
(مخرج ومؤلف مسرحي)

ميليخوفو، ٦ أكتوبر ١٨٩٥

في بداية ليلة أمس قرأت قصتكم «المحافظ يفتش». إنها، من حيث الرهافة ونقاوة النص ومن كل الوجوه، أفضل مؤلفاتكم التي أعرفها. وهي تترك انطباعاً قوياً. إلا أن الخاتمة، بدءاً من الحديث مع موظف القلم، تجري في شيء من السكر أو النشوة، وبودّي لو جاءت بشيء من التحفظ وضبط النفس، لأنها حزينة. معرفتكم بالحياة هائلة، وأكرر القول، وقد قلت ذلك من قبل، إنكم تتقدمون من حسن إلى أحسن، ومن عام لعام ترتفع موهبتكم طبقة على طبقة.

أين أنتم الآن؟ أنا لا أعرف شقتكم الجديدة. وأنتم لا تكتبون إليّ. تحياتي إلى يكاترينا نكولايفنا. سأبقى في المنزل حتى ٢٠ أكتوبر. فاكتبوا لي.

أشد على يدكم بحرارة.

المخلص أ. تشيخوف

١٥٧. إلى أليكسي سوفورين

ميليخوفو، ٢١ أكتوبر ١٨٩٥

شكراً على الرسالة والكلمات الدافئة وعلى الدعوة. سآتي، ولكن على الأرجح ليس قبل أواخر نوفمبر، لأن أشغالي أكثر من أن تحصى. أولاً- سأقوم في الربيع ببناء مدرسة جديدة في القرية التي أرعاها (على مقربة من ضيعة ميليخوفو)، ومن اللازم أن أضع مسبقاً مخطط المدرسة والحسابات التقديرية وأتنقل هنا وهناك وما إلى ذلك. ثانياً - تصوروا أني أعكف على كتابة مسرحية («النورس» ترجمة د. أبو بكر يوسف) سأنهيها على الأرجح ليس قبل أواخر نوفمبر. أكتبها ليس من دون ارتياح، مع أنني أخالف شروط المسرح كثيراً. إنها ملهاة بثلاثة أدوار نسائية وستة أدوار رجالية. تتكون من أربعة فصول. والمشهد منظر على بحيرة. وفيها كثير من

الكلام عن الأدب وقليل من الفعل ومئة كيلوغرام من الحب.

قرأت عن إخفاق (الممثلة) أوزيروفا، وأسفت لها، ذلك لأن الفشل أفدح شيء. أتصور كيف انتحبت هذه المرأة وارتعشت وهي تقرأ «صحيفة بطرسبورغ» التي وصفت تمثيلها بالتفاهة المطبقة. كما قرأت عن نجاح «سلطة الظلام» (مسرحية ليف تولستوي) في مسرح بطرسبورغ. بالطبع أداء دوماشيفا لدور (بطلة المسرحية) أنيوتكا أفضل مما لو أدت هذا الدور أوزيروفا التي أنتم معجبون بها، ويمكنها أن تمثل دور ماترونا. عندما كنت في ضيافة تولستوي في أغسطس قال لي وهو ينشف يديه بعد الاغتسال إنه لن يعيد صياغة مسرحيته. وقد تذكرت الآن قوله هذا وفكرت أنه كان يعلم آنذاك أن (الرقابة) ستسمح عموماً بعرض مسرحيته. أمضيت عنده يومين بليلة. والانطباع الذي خلفه في نفسي رائع. كنت أشعر بالارتياح وكأنني في منزلي. وكانت الأحاديث مع ليف نكولايفيتش خفيفة. عندما ألتقيكم سأعرض عليكم التفاصيل.

ستنشر «الفكر الروسي» قصتي «جريمة قتل» في نوفمبر، وقصة «أريانا» في ديسمبر.

لكنني الآن في فزع شديد، ذلك لأن «مدونة الجراحة» الرائعة الصادرة في موسكو والذائعة الصيت حتى في الخارج ويحررها الجراحان الشهيران سكليفوسوفسكي ودياكونوف تمنى بخسائر في نهاية العام رغم تزايد عدد المشتركين فيها. سكليفوسوفسكي يغطي تلك الخسائر طول الوقت /حتى يناير القادم/. إلا أن الرجل نقل إلى بطرسبورغ، ولم يعد لديه مراجعون ولا مال. ولذا لا يعلم إلا اللّه من سيسدد ديون المجلة في العام ١٨٩٦ إذا استمرت في الصدور. وبناءً على أوضاع العام الماضي ينتظر أن تبلغ الخسارة ١٠٠٠ - ١٥٠٠ روبل. عندما عرفتُ أن المجلة على وشك الانهيار تحمست للموضوع. فإن حماقة هلاك المجلة التي لا يمكن الاستغناء عنها وستحقق أرباحاً بعد ٣ - ٤ سنوات، إن هلاكها بسبب هذا المبلغ التافه صعقني فتسرعت في التعهد بالعثور على ناشر لها وكنت واثقاً بأنني سأجد هذا الناشر. فبحثت بهمة ونشاط وأهنت نفسي في الطلب والرجاء وجبت كل الأماكن والتقيت بمن لا يعرفهم إلا الشيطان، ولم أجد الناشر المطلوب. لم يبق سوى سواداتنيكوف، لكنه في الخارج، ولن يعود قبل ديسمبر، فيما ينبغي أن تحل المسألة في مطلع نوفمبر. ما أشد أسفي لأن مطبعتكم ليست في موسكو. لو كانت

هنا لما أديت أنا هذا الدور المضحك بوصفي سمساراً فاشلاً. (...) ولولا بناء المدرسة الذي سيكلفني قرابة ألف وخمسمئة روبل لتولّيت بنفسي إصدار المجلة على حسابي. لتلك الدرجة يؤلمني ويصعب عليّ أن أسكت على هذه الحماقة الصارخة. في ٢٢ أكتوبر سأسافر إلى موسكو وأقترح على رؤساء التحرير، كوسيلة أخيرة، أن يسلفوني ألفاً وخمسمئة أو ألفي روبل (...) أنا مستعد لأن أمضي إلى أيٍّ كان وأقف في عتبة باب أيٍّ كان، وإذا نجحتُ فسأتنفس الصعداء وأشعر بالارتياح، لأن إنقاذ المجلة الجراحية الجيدة مفيد بمثل فائدة إجراء ٢٠٠٠٠ عملية جراحية. على أية حال أنتظر منكم نصيحة بكيفية العمل في هذا الاتجاه. (...) تلك هي أهم الأخبار. وفيما عدا ذلك الأمور على ما يرام. في موسكو سأتردد على الأوبريت. في النهار أعكف على كتابة مسرحية، وفي المساء أذهب إلى الأوبريت.

تحياتي الخالصة لكم. أستعطفكم، اكتبوا لي.

المخلص أ. تشيخوف

١٥٨. إلى أليكسي سوفورين

موسكو، ٢٦ أكتوبر ١٨٩٥
فندق موسكو الكبير، غرفة ٨

(...)

كلا، لا تغووني بلا موجب. لا أستطيع أن أحضر قبل نوفمبر. لن أسافر ما لم أنجز مسرحيتي («النورس»). ولن أنزل عندكم إذا وصلت. سأنزل في فندق «فرنسا» على الشارع البحري الكبير. لأن عملي كثير جداً. وإذا نزلت عندكم فسأقضي الوقت في البحث عمن يمكنني أن أتحدث معه، ثم أطرد نفسي من بطرسبورغ بعد أسبوع خوفاً من العطالة. أنا أنوي المكوث في بطرسبورغ ما لا يقل عن شهر. وإذا كنتم تصرون على أن أنزل عندكم فسآتي إلى بطرسبورغ سراً وأقيم في «فرنسا» ثلاثة أسابيع، ثم أنتقل إليكم متظاهراً بأنني وصلت للتو، وأبقى عندكم أسبوعاً لا أكثر.

بنات تولستوي (ماريا وتاتيانا وألكساندرا) لطيفات جداً. إنهن يعبدن والدهن

ويثقن به إلى أبعد الحدود، ما يعني أن ليف تولستوي قوة أخلاقية عظيمة فعلاً. فلو لم يكن صادقاً ومعصوماً لكانت بناته أول من يرتاب فيه، ذلك لأنهن محنكات ولن ينطلي عليهن الخداع... من السهل تضليل الخطيبة أو العشيقة، وحتى الحمار يبدو فيلسوفاً في نظر المرأة المتيمة، لكن بنات الرجل أمر آخر.

(...) بخصوص «المدونة الجراحية» فالمجلة نفسها وجميع أدوات الجراحة والضمادات وقناني الكربوليك تحني رؤوسها حتى الأرض تعبيراً عن الامتنان لكم. الفرحة عظيمة طبعاً. وقد قررنا التصرف على النحو التالي: إذا كانت فكرة المعونة الحكومية قابلة للتطبيق فسأسافر أنا وأتابع الإجراءات اللازمة، وحالما نستلم المعونة نسدد لكم الألف وخمسمئة. في نوفمبر سألتقي سكليفوسوفسكي وبعد ذلك أسافر، إنْ أمكن، إلى (الوزير) فيته لإنقاذ هؤلاء السذج. ومهما يكن من أمر فسوف نسدد لكم الألف وخمسمئة عاجلاً أم آجلاً. وتقديراً لجهودي سيقوم الأطباء مجاناً بعملية البواسير الحتمية بالنسبة لي والتي أخذت تقلقني. أما أنتم فستحظون بالثناء والتمجيد، وعندما تأتون إلى موسكو ستنظم لكم زيارة تفقدية للمستوصفات الجديدة قرب دير نوفوديفيتشيه. المستوصفات تستحق الزيارة مثل مقبرة الدير وكنائسه.

اكتبوا لي. وأرسِلوا الألف وخمسمئة روبل إليّ عن طريق متجر الكتب وليس بالبريد إنْ أمكن. كيف كان استقبال الجمهور لمسرحية بوتابينكو «الغرباء»؟ كيف حال آنّا إيفانوفنا وناستيا وبوريس؟ أتصور كيف ترعرع بوريس. تحية للجميع، وكذلك للمودموازيل إميلي.

المخلص أ. تشيخوف



١٥٩. إلى فلاديمير كورولينكو

ميليخوفو، ١٩ فبراير ١٨٩٦

عزيزي فلاديمير غالاكتيونوفيتش! أنا في البيت. وعندما كتبتم رسالتكم الأخيرة كنتُ بعيداً عن بطرسبورغ. من المستبعد أن أحضر الأمسية الخيرية لمعونة عائلة غليب أوسبينسكي لصعوبة مغادرة المنزل الآن، بل، وعلى العموم، أنا لم أعد أتلو نتاجاتي في الأمسيات الأدبية. بعد ٣ أو ٥ دقائق من التلاوة تجف حنجرتي ويتحشرج صوتي وينتابني سعال متواصل.

لم أحضر احتفال لافروف (بسنوية مجلة «الفكر الروسي»، لتأخر تشيخوف في بطرسبورغ). في الطريق إلى موسكو عرجت على ليف تولستوي (١٥ في ضاحية ياسنايا بوليانا فبراير ١٨٩٦) وأمضيت عنده قرابة ساعتين بكل ارتياح.

أستلمُ «الثروة الروسية» شكراً جزيلاً لكم.

(صاروا يبعثونها لي بانتظام، بفضلكم طبعاً، مما وفر لي فرصة قراءة قصتكم الرائعة «المسالمون». - من رسالة أخرى بتاريخ ٥ مارس ١٨٩٩).

أشد على يدكم بحرارة.

المخلص لكم روحياً

أ. تشيخوف

متى أردتم السفر إلى موسكو بلّغوني.

١٦٠. إلى دافيد مانوتشاروف (عامل سمك)

ميليخوفو، ٢١ مارس ١٨٩٦

السيد الكريم دافيد لفوفيتش!

أرد على أسئلتكم:

١) حاكم إقليم آمور الجنرال السابق البارون كورف سمح لي بزيارة السجون والمنافي بشرط أن لا أتحدث مطلقاً مع السجناء السياسيين. وكان عليّ أن أعطي تعهداً بذلك. فكانت أحاديثي مع السجناء السياسيين نادرة جداً، وبحضور شهود من الموظفين /بعضهم تولى مهمة التجسس علي./ ومعرفتي بحياتهم قليلة جداً. السجناء السياسيون في سخالين يرتدون الثياب المدنية، ولا يعيشون في السجون، ويؤدون وظائف الكتبة والمراقبين /في المطاعم وغيرها/ ونظار محطات الأنواء الجوية. وفي عهدي كان أحدهم سادناً للكنيسة، والآخر معاوناً لناظر السجن /خفية/ والثالث أميناً لمكتبة مديرية الشرطة وهلمجرا. ولم يتعرض للعقوبة الجسدية بحضوري ولا سجين واحد. تقول الشائعات إن أمزجتهم معتكرة. وحصلت حالات انتحار، لكن ذلك بحسب الإشاعات أيضاً.

٢) (. . . أظن أن السلطات ستسمح لكم بالإقامة في سخالين لأن أخاكم منفي هناك. ثم إنهم بحاجة إلى العمال والفنيين).

(. . .)

أتمنى لكم كل خير.

مستعد لخدمتكم أ. **تشيخوف**

١٦١. إلى ماريا تشيخوفا

بطرسبورغ، ١٢ أكتوبر ١٨٩٦

عزيزتي ماشا، أين أنت؟ في موسكو أم في ميليخوفو؟ أكتب إليك على اعتبار أنك في موسكو.

نزلت عند سوفورين، شارع أرتيليف ٦ (وصل تشيخوف إلى بطرسبورغ لمناسبة عرض «النورس» في مسرح ألكسندرينسكي)، وعرجت على (شقيقي) ألكسندر. إنه يعيش في بحبوحة. بدت عليه أمارات الشيخوخة. نتاليا ألكساندروفنا اشترت كلبة أطلقوا عليها اسم سيليترا، وهي تلاطفها كما تلاطف ابنتها. الأولاد بخير.

زرت بوتابينكو في شقته الجديدة البالغ إيجارها ١٩٠٠ روبل في السنة. على طاولته صورة ماريا أندريفينا. هذه المرأة لا تفارقه لحظة، وهي سعيدة إلى حدّ الوقاحة، بينما دخل هو مرحلة الشيخوخة، فلا يغني ولا يشرب ويصارع الملل. سيشاهد «النورس» بكامل عائلته، وقد تكون مقصورته جنب مقصورتنا، وعندها تتعرض ليكا للملامة.

عرض «النورس» إلى حد الآن ليس على المستوى المطلوب. الضجر يخيم على بطرسبورغ، والموسم يبدأ في نوفمبر وليس قبله. الجميع منفعلون مزيفون، مهتمون بصغائر الأمور. وفي الشارع تارة شمس الربيع وتارة ضبابه. سيمر العرض متجهماً من دون صخب. عموماً المزاج معتكر. سأحوّل لك تكاليف السفر اليوم أو غداً، لكنني لا أنصح بالمجيء.

أظن أن الأصلح إرجاء الرحلة إلى بطرسبورغ حتى الشتاء عندما يكون الموقف هنا أقل كآبة. وأتصور أن البتّ في هذه المسألة من صلاحياتك. فإذا قررت السفر أبرقي لي كالآتي: «بطرسبورغ أرتيليف ٦ تشيخوف قادمون». وإذا تأتين وحدك، من دون ليكا، اكتبي «قادمة». وعندها أهيّئ المكان، وأستقبلك في المحطة.

أتمنى لك موفور الصحة، وتحياتي للجميع.

المخلص أ. تشيخوف

١٦٢. إلى ماريا تشيخوفا

بطرسبورغ، ١٨ أكتوبر ١٨٩٦

أنا مسافر إلى ميليخوفو. سأكون هناك غداً، في الثانية بعد الظهر. حادث الأمس (فشل «النورس» في عرضها الأول بمسرح ألكسندرينسكي) لم يصعقني ولم

يؤذني كثيراً، لأنني كنت متهيئاً له أثناء البروفات. وأشعر بأنني لست في أسوأ حال.
عندما تأتين إلى ميليخوفا تعالي مع ليكا.

المخلص أ. تشيخوف

١٦٣. إلى ميخائيل تشيخوف

بطرسبورغ، ١٨ أكتوبر ١٨٩٦

المسرحية تناثرت شذر مذر وسقطت وسط صرير الفشل. خيّم على قاعة المسرح توتر وارتباك وحيرة. يا للعار. الممثلون أدوا أدوارهم بغباء شنيع.
يستنتج من ذلك أنْ لا موجب لتأليف المسرحيات.
ورغم كل شيء أنا على قيد الحياة، وبصحة وطيبة خاطر.

والدكم أ. تشيخوف

١٦٤. إلى أليكسي سوفورين

ميليخوفو، ٢٢ أكتوبر ١٨٩٦

في رسالتكم الأخيرة /١٨ أكتوبر/ وصفتموني ثلاث مرات بالأنثى وقلتم إنني جبنت. فما الموجب لهذا التشهير؟ بعد عرض المسرحية («النورس») تناولت طعام العشاء في (مطعم) رومانوف. وأقول الحقيقة إنني أويت إلى الفراش بعد ذلك ونمت نوماً عميقاً. وفي اليوم التالي سافرت دون أن أبدي أي تذمر أو شكوى. فلو كنت جباناً لمضيت مرتبكاً إلى هيئات التحرير وإلى الممثلين لأطلب منهم الصفح، ولأجريت منفعلاً تعديلات على المسرحية ولبقيت في بطرسبورغ أسبوعين أو ثلاثة أسابيع أتردد على «نورسي» مهموماً متشكياً والعرق البارد يتصبب من بدني. . .
حينما كنتم عندي في الليل بعد التمثيلية قلتم لي إن الأفضل لي أن أسافر، وفي اليوم التالي تلقيت منكم رسالة تودعونني فيها. فأين الجبن، يا ترى؟ لقد تصرفتُ بحكمة

وببرود أعصاب كإنسان تقدم بطلب يد فتاة ورفض طلبه، فلم يبق أمامه سوى الرحيل. نعم، تعرضت كرامتي لصفعة، لكنها لم تكن مباغتة كصاعقة من السماء. كنت أتوقع الفشل وكنت مهيأً له، وقد حذرتكم منه سلفاً.

عندما وصلت إلى البيت شربت الخروع واغتسلت بالماء البارد، وصرت مستعداً حتى لكتابة مسرحية جديدة إذا اقتضى الأمر. فلا أشعر بالإجهاد ولا الانفعال، ولا أخشى أن يأتي إليّ دافيدوف وجان ويتكلما عن المسرحية. أنا أتقبل نصيحتكم بإجراء التعديلات، فألف شكر. ولكنْ، رجاءً، لا تأسفوا على عدم حضوركم البروفة. في الواقع لم تكن هناك سوى بروفة واحدة لا يُفهم منها شيء. ولم تكن المسرحية ذاتها مرئية من خلال التمثيل البشع.

استلمت برقية من بوتابينكو: نجاح باهر (في العرض الثاني «للنورس»). كما استلمت رسالة من امرأة لا أعرفها /فيسيليتسكايا ميكوليتش/ تعبّر فيها عن مؤاساتها بلهجة وكأن أحد أفراد عائلتي قد توفي. وهذا أمر لا مبرر له. على أية حال كل ذلك تفاهات.

شقيقتي أعربت عن إعجابها الشديد بكم و(بزوجتكم) آنّا إيفانوفنا. وأنا مسرور لذلك جداً، لأنني أحب عائلتكم كما أحب عائلتي. لقد أسرعتُ في العودة من بطرسبورغ إلى البيت متصورة، أغلب الظن، أنني سأنتحر.(...)

أتمنى لكم كل خيرات الأرض والسموات. وأشكركم من صميم القلب.

المخلص أ. تشيخوف

١٦٥. إلى تاتيانا تولستايا (كريمة ليف تولستوي)

ميليخوفو، ٩ نوفمبر ١٨٩٦

حضرة تاتيانا لفوفنا الموقرة! ها أنتم ترون من أي وقت أردت أن أرد على رسالتكم. وقد استلمتها بعد عودتي من القرم في النصف الثاني من سبتمبر. كان الطقس رائعاً، والمزاج أيضاً. ولم أستعجل في الجواب على رسالتكم لأنني كنت واثقاً بأنني سأذهب إلى (ضيعة) ياسنايا بوليانا (مرة أخرى) غداً إن لم يكن اليوم.

إلا أنني تلقيت رسائل وبرقيات تدعوني بإلحاح إلى بطرسبورغ حيث كانت الاستعدادات جارية لعرض مسرحيتي («النورس»). فسافرت إلى هناك. وكان واضحاً أن المسرحية لم تحقق نجاحاً. وها أنا ذا أعود إلى المنزل من جديد. وقد تساقط الثلج، وفات أوان السفر إلى ضيعتكم.

أنتم تتساءلون في رسالتكم هل لدي شيء مكتمل لأجلبه كي تقرأونه. في نهاية الصيف أنجزت قصة بخمس ملازم. عنونتها «حياتي» /لأني لم أستطع أن أجد عنواناً آخر/، وكنت أفكر أن أجلبها معي إلى ياسنايا بوليانا في نسخة التصحيح. وهي الآن تنشر متسلسلة في ملحق مجلة «نيفا»، لكنني أشعر بالاشمئزاز منها، لأن الرقابة داستها وتطاولت عليها وغيرت بعض مواضعها بشكل فظيع.

في بطرسبورغ التقيت دميتري غريغوروفيتش واستغربت لمظهره الفاني. وجهه أخضر على اصفرار كوجوه المرضى بالسرطان. (. . .)

كل الشكر والامتنان لكم على رسالتكم الطيبة والتي أقدرها، صدقوني، بأكثر مما أستطيع التعبير عنه بالكلمات. تحياتي إلى ليف نيكولايفيتش وعائلتكم جمعاء وأتمنى لكم كل خير.

المخلص الصادق في احترامه لكم

أ. تشيخوف

(تعقيب رقم ١) في رسالة إلى سوفورين بتاريخ ٧ أغسطس ١٨٩٣ كتب تشيخوف: «تولستوي يحبكم جداً. وشكسبير كان سيحبكم لو أنه على قيد الحياة. أنا أردت أن أزور تولستوي، وكانوا ينتظرونني هناك. إلا أن سرغيينكو استحثني لنذهب معاً. ما يعني أنني أذهب إلى تولستوي تحت الحراسة أو مع مرافق- خادم مطيع. سرغيينكو قال لعائلة تولستوي: «سأحضر لكم تشيخوف»، فطلبوا منه أن يفعل. لكنني لا أريد أن يتفضل عليّ سرغيينكو بتنظيم تعارفي مع تولستوي». يتضح من رسالتين بعثهما سرغيينكو إلى تشيخوف في عام ١٨٩٣ أن ليف تولستوي أعرب عن رغبته في لقاء تشيخوف وكان ينتظره. إلا أن اللقاء الأول بين عملاقي الأدب الروسي لم يتم إلا في أغسطس ١٨٩٥.

(تعقيب رقم ٢) في رسالة أخرى إلى سوفورين، ٤ مارس ١٨٩٣، كتب تشيخوف: «بالأمس تعرفت على الأديب ألكسندر آرتيل، وهو إنسان طيب وذكي،

طلب مني أن نذهب معاً إلى تولستوي الذي أخذ يعطف عليّ بخاصة، لكنني رفضت هذا الطلب لانشغالي، والأهم لأنني أريد أن أذهب إلى تولستوي وحدي».

(تعقيب رقم ٣) في رسالة ثالثة إلى سوفورين، ١٣ فبراير ١٨٩٣، كتب تشيخوف: «في عائلتي يقرأون كتاب بيسيمسكي الذي أخذناه منكم ويرون أن قراءته صعبة، فقد شاخ. وأنا أقرأ تورغينيف. روعة. لكنه ضحل بالمقارنة مع تولستوي. تولستوي، باعتقادي، لن يشيخ أبداً. لغته قد تشيخ، أما هو فيبقى شاباً».

١٦٦. إلى أناتولي كوني (حقوقي ورجل دولة)

ميليخوفو، ١١ نوفمبر ١٨٩٦

حضرة أناتولي فيودوروفيتش الموقر! قد لا تتصورون مدى فرحتي برسالتكم. في صالة المسرح شاهدت الفصلين الأولين فقط من مسرحيتي، ثم جلست وراء الكواليس يخامرني طوال الوقت إحساس بأن «النورس» تمنى بالفشل. بعد العرض، في الليل وفي اليوم التالي، حاول البعض إقناعي بأنني قدمت نماذج من الحمقى فقط، وأن مسرحيتي متعثرة من حيث العرض على الخشبة، وأنها ليست ذكية وغير مفهومة، بل ولا معنى لها، وهلمجرا. فتصوروا موقفي. ذلك هو الإخفاق بعينه، إخفاق لم أكن أرى مثله حتى في كوابيس المنام. شعرت بتأنيب الضمير والاكتئاب، وغادرت بطرسبورغ تحيق بي الشكوك. وفكرت طالما أنا كتبت وأخرجت مسرحية تعاني، على ما يبدو، من نواقص فظيعة فقد فقدتُ أي إحساس بالرهافة وقد تعطلت ماكنتي في الأخير. وعندما عدت إلى المنزل تلقيت رسائل من بطرسبورغ تفيد بأن العرضين الثاني والثالث حققا نجاحاً. تلقيت عدة رسائل موقعة وأخرى خالية من اسم المرسل، وهي تمتدح المسرحية وتلوم منتقديها. قرأت تلك الرسائل بارتياح، ومع ذلك بقيت أشعر بتأنيب الضمير والاكتئاب، وراودتني عفو الخاطر الفكرة التالية: إذا كان الطيبون يجدون ضرورة لمؤاساتي فذلك يعني أن أموري متردية. إلا أن رسالتكم أثرت في نفسي بشكل حازم قاطع. معرفتي بكم قديمة وأنا أكنّ لكم كل الاحترام وأثق بكم أكثر مما بجميع النقاد قاطبة. وقد تلمستم ذلك عندما حررتم

رسالتكم، فجاءت رائعة ومقنعة. وأنا الآن في هدوء بال، وأتذكر المسرحية وعرضها الأول من دون تقزز.

كوميسارجيفسكايا ممثلة رائعة. خلال إحدى البروفات بكى الكثيرون وهم يشاهدونها وقالوا إنها أفضل ممثلة في روسيا حالياً. أما في عرض «النورس» فقد انساقت هي أيضاً لتأثير المزاج العام الرافض لمسرحيتي وكأنما كانت خجولة وصوتها خافت. صحافتنا واجهتها ببرود لا تستحقه، وأنا آسف لها.

تقبّلوا شكري النابع من صميم القلب على الرسالة. ثقوا بأنني أقدر المشاعر التي دفعتكم لكتابتها بأغلى مما أستطيع التعبير عنه بالكلمات. أما المشاطرة التي تقولون في آخر رسالتكم إنها «غير ضرورية» فلن أنساها أبداً، مدى العمر مهما حصل.

مع احترامات المخلص الوفي لكم

أ. تشيخوف

١٦٧. إلى فلاديمير نيميروفيتش - دانتشينكو

ميليخوفو، ٢٠ نوفمبر ١٨٩٦

العزيز فلاديمير إيفانوفيتش! ألا ترى أنني أنا أيضاً لا أرد على الرسائل رأساً؟ ماشا (أختي) تقيم في نفس المكان الذي كانت فيه العام الفائت: شارع سوخاريفسكاسا- سادوفايا، عمارة كيرخغوف.

نعم، مسرحيتي «النورس» سجلت في عرضها الأول في بطرسبورغ فشلاً ذريعاً. الحقد ساد المسرح والهواء تسمم بالكراهية، وأنا، بحسب قوانين الفيزياء، اندفعت هارباً من بطرسبورغ كالقذيفة. والمذنب في ذلك كله أنت وسومباتوف لأنكما شجعتماني على كتابة المسرحية.

أنا أفهم نفورك المتزايد من بطرسبورغ، ومع ذلك فيها الكثير من الأمور الطيبة، مثل شارع نيفسكي في النهار المشمس أو كوميسارجيفسكايا التي أعتبرها ممثلة رائعة.

صحتي لا بأس بها، ومزاجي كذلك. ولكنني أخشى أن يتعكر من جديد في القريب العاجل. أصر لافروف وغولتسيف على نشر «النورس» في «الفكر الروسي»، وسينهال النقد الأدبي عليّ بسياطه. هذا يثير الامتعاض وكأنني أخوض الوحل في الخريف.

(. . .) اكتب لي.

تحياتي إلى يكاترينا نكولايفنا، وأتمنى لك الصحة والعافية.

المخلص أ. تشيخوف

١٦٨. إلى فلاديمير نيميروفيتش - دانتشينكو

ميليخوفو، ٢٦ نوفمبر ١٨٩٦

صديقي العزيز. أرد على جوهر رسالتك وتساؤلك لماذا نادراً ما نتحدث عن الأمور الجدية. عندما يلوذ الناس بالصمت ذلك يعني أنه ليس لديهم ما يستحق الكلام أو أنهم يشعرون بالخجل. فعمَّ ينبغي الكلام؟ ليست لدينا سياسة، ولا حياة عامة أو حلقات فكرية، بل ولا حياة شوارع. وجودنا في المدينة بائس رتيب ثقيل وغير مهم. والكلام عن ذلك ممل مثل تبادل الرسائل مع لوغوف. لعلك تقول إننا أدباء وإن ذلك بحد ذاته يجعل حياتنا غنية. فهل الأمر كذلك حقاً؟ لقد غصنا وغرقنا في حرفتنا، فعزلتنا هذه الحرفة خفية عن العالم الخارجي، وبالنتيجة لم يبق لدينا وقت، وليس لدينا الكثير من المال ولا الكثير من الكتب. نحن قليلاً ما نقرأ، ومن دون رغبة، وقليلاً ما ننصت، ونادراً ما نسافر. . . هل نتكلم عن الأدب؟ سبق أن تكلمنا عنه. . . كل عام نقول الشيء ذاته، من دون تجديد، وكل ما نقوله عن الأدب يدور عادة حول عمن كتب أجود ومن كتب أسوأ. أما الحديث عن مواضيع عامة أوسع من ذلك فلا يلتئم ولا يستوي أبداً، لأن (براري) التندرا والإسكيمو (الخواء والجهالة) حوالينا، فتذوب الأفكار العامة بسرعة وكأنها لا تصلح للحاضر وتفلت من بين أصابعنا بوصفها أفكاراً عن الرفاه الأبدي المنشود. هل نتكلم عن حياتنا الشخصية؟ نعم، في هذا الكلام متعة أحياناً. ولعلنا كنا سنتكلم في هذا الشأن. إلا

أننا نستحي. فنحن انطوائيون غير صادقين، تقيدنا غريزة البقاء. وإلى ذلك نحن نخاف. نخاف أن يسمع كلامَنا أحدُ الإسكيمو من غير المثقفين، وهو لا يحبنا، ونحن أيضاً لا نحبه. أنا شخصياً أخشى... أخلاقياتنا، أخشى نساءنا... باختصار لا تلقِ ذنب صمتنا وعدم جديتنا وقلة المتعة في أحاديثنا عليّ وعلى نفسك، بل ذنّب النقاد ومجلة «العصر»، ذنّب الطقس والمكان، ذنّب ما شئت وإترك الملابسات لمجراها المحتم الذي لا يرحم، وعلّق الآمال على المستقبل الوضاء. (...)

أشكرك على الرسالة من صميم القلب وأشد على يدك.(...) تحياتي إلى يكاترينا نكولايفنا. أتمنى لك الصحة والعافية. اكتب لي إذا أردتَ. وسأرد بكل ارتياح.

المخلص أ. تشيخوف

١٦٩. إلى ميخائيل تشيخوف

ميليخوفو، ٢٧ نوفمبر ١٨٩٦

في الساعة السادسة من مساء أمس شب في منزلنا حريق. اشتعلت النار في الرواق قرب مدفأة الوالدة الجدارية. رائحة الدخان استمرت من الغداء حتى المساء وكاد الأهل يختنقون. في المساء رأينا ألسنة اللهب في الشق بين المدفأة والجدار. في البداية كان من الصعب فهم مصدر النيران. هل هو في الجدار ام في المدفأة؟ وكان في ضيافتنا الأمير (شاخافسكوي)، فأخذ يهدم الجدار بالفأس. والجدار عصي على جهوده. والماء لا يتسرب عبر الشق. فيما كانت ألسنة اللهيب تتجه إلى أعلى، ما يعني وجود نفخ هوائي. لم يكن الاشتعال في السخام، بل على الأرجح في الخشب. الناقوس يدق، والدخان يتصاعد، والكلاب تنبح. والناس متجمهرة. الفلاحون يسحبون عربة الإطفاء إلى داخل الباحة. والصخب يعلو في الرواق وفي علية السقف. خرطوم المياه يوشوش، وفأس الأمير تطقطق. وإحدى الفلاحات تحمل الأيقونة. فورونتسوف يعلق على الحادث. بالنتيجة تهدمت المدفأة، وتهدم الخائط المقابل لدورة المياه، وتمزق ورق الجدران في غرفة الوالدة حول المدفأة،

وخلع الباب، وتلوثت الأرضية، وانتشرت روائح السخام، ولم يعد للوالدة موضع للنوم. إلى ذلك توفرت للشخص الذي تعرفه (يقصد الوالد بافل تشيخوف) ذريعة للهذر والصياح.

أعلن أن الأضرار بلغت ٢٠٠ روبل.

ليكا عندنا. تحياتي.

أبوك العتيد أ. تشيخوف

اتضح أن مدفأة الجدار مبنية بمنتهى الغباء.

١٧٠. إلى يلينا شافروفا

ميليخوفو، ٢ ديسمبر ١٨٩٦

الزميلة المحترمة! تقولون (في رسالتكم) إنكم تريدون الشهرة أكثر مما تريدون الحب، وأنا بالعكس أريد الحب أكثر من الشهرة. على أية حال تلك مسألة تتعلق بذوق الإنسان. فهناك من يحب القسيس وهناك من يحب خادمته.

أعيد إليكم قصة الميلاد. يخيل إليّ أنه كان ينبغي جعلها اكثر حيوية نظراً لقدسية المناسبة. الطبيب وكاتيا يحومان كئيبين طول الوقت حول شجرة الميلاد. أنتم تنوون كتابة رواية ضخمة «فيها الحب وحده بكل أنواعه ومن كل جوانبه». أليس بالإمكان تخصيص نوع منه للطبيب وكاتيا؟ فحبهما ليس له نوع ولا جوانب.

متى تشرعون بتأليف الرواية؟ أنا في الانتظار.

أخذت ساعتي إلى (الساعاتي) بوريه ليصلحها. ألقى الرجل عليها نظرة وتلمّسها بيديه وابتسم وقال بصوته المعسول: - مسيو، نسيتم أن تكوّكوا الساعة... كوّكتها، فاشتغلت مجدداً. نحن أحياناً نبحث عن علة مصائبنا في صغائر الأمور ناسين ما هو أساسي.

أتمنى لكم كل خير.

المعلم العزيز (بالفرنسية) **المخلص**
أ. تشيخوف

١٧١. إلى أليكسي سوفورين

ميليخوفو، ١٤ ديسمبر ١٨٩٦

استلمت رسالتين منكم بخصوص «الخال فانيا»، الأولى وصلتني وأنا في موسكو، والثانية استلمتها هنا في ميليخوفو. وقبل فترة وجيزة استلمت رسالة من كوني الذي حضر العرض الأول «للنورس». كلاكما وفرتما لي، من خلال الرسائل، لحظات طيبة، ومع ذلك روحي كأنما تحجرت، فلا أشعر تجاه مسرحياتي إلا بالاشمئزاز، وأرغم نفسي على تصحيح البروفة. ستقولون بالطبع، هذه المرة أيضاً، إن هذا كلام لا يدل على الذكاء، وهو حماقة وغرور وهلمجرا. أنا أعرف ذلك. فما العمل؟ سأكون مسروراً لو تخلصت من هذا الشعور الأحمق، لكنني لا أستطيع، لا أستطيع. والذنب لا يقع على مسرحيتي الفاشلة. فقد فشلت معظم مسرحياتي سابقاً. وكل مرة لم أتأثر إلى هذا الحد. أما في السابع عشر من الشهر فقد حل الإخفاق ليس بالمسرحية، بل بشخصي أنا. وقد دهشت منذ عرض الفصل الأول لأن الأشخاص الذين تصارحت معهم بود قبل ذلك التاريخ وتناولت الطعام وإياهم وصارعت في الدفاع عنهم قد انطبع على وجوههم تعبير غريب، فظيع في غرابته... باختصار لقد حصل ما جعل ليكين يعبّر لي في رسالته عن مؤاساته بسبب قلة أصدقائي، فيما تساءلت «الأسبوع»: «ماذا فعل لهم تشيخوف؟» (حتى يسيئوا له بهذه الصورة)... أنا الآن هادئ البال، ومزاجي عادي، ومع ذلك لا أستطيع أن أنسى ما حصل، كما لا أستطيع أن أنسى، مثلاً، لو أن أحداً صفعني. (...).

أنتم تقسمون المسرحيات إلى فئتين: مسرحيات تمثيل ومسرحيات قراءة. فإلى أية فئة تنسبون مسرحية «المفلسون» (للكاتب النرويجي بيرنسون، جائزة نوبل ١٩٠٣) وخصوصاً المشهد الذي يتحدث فيه البطلان طوال الفصل كله عن المحاسبة وحدها وقد حققا نجاحاً باهراً؟ أعتقد أن مسرحية القراءة إذا مثّلها فنانون ماهرون تغدو هي أيضاً مسرحية تمثيل.(...)

أتمنى لكم كل خيرات الأرض والسماء، ونوماً هادئاً وشهية طيبة.

المخلص أ. تشيخوف

١٧٢. إلى فرانس شيختيل (أكاديمي، معماري)

ميليخوفو، ١٨ ديسمبر ١٨٩٦

العزيز فرانس أوسيبوفيتش. يبدو أن لديكم ابنة في سن الزواج تريدون أن تزفوها لأحد ما بأسرع ما يمكن. ولكنْ معذرة، أنا لا أستطيع أن أتزوج حالياً. ذلك لأن في أحشائي عصيات كوخ، وهي من النزلاء المريبين جداً. هذا أولاً، وثانياً- أنا خالي الوفاض، لا فلس في جيبي. وثالثاً- يخيل إليّ أنني لا أزال في مقتبل العمر. فاسمحوا لي أن أتمتع عامين أو ثلاثة أخرى. وعند ذاك نرى. ربما أتزوج فعلاً. ولكن لماذا تريدون للزوجة أن «تبهذلني»؟ حياتي كلها مشقة وبهذلة قاسية.

متى سنلتقي؟ أنتم ستعودون (من الخارج) في ٧ نوفمبر. وإحصاء النفوس يبدأ عندنا في العاشر منه. أنا أشارك فيه، وسيستمر على الأرجح حتى فبراير. سأقضي فبراير كله في الجولات على المدارس /بصفة ناشط من الإدارة المحلية/ . عندما تعودون أكتبوا لي سطراً أو سطرين، فأنتهز فرصة يوم واحد لأجيء إلى موسكو على عجل. أنا بحاجة ماسّة إلى لقائكم.

تقولون إن مبعوثتي حصلت على عنوانكم الجديد. معذرة، أية مبعوثة؟ أنا لم أرسل أحداً إليكم /أقسم بالله!/ . وأنا في حيرة الآن. إذا جاءتكم مجدداً سلموها إلى مركز الشرطة.

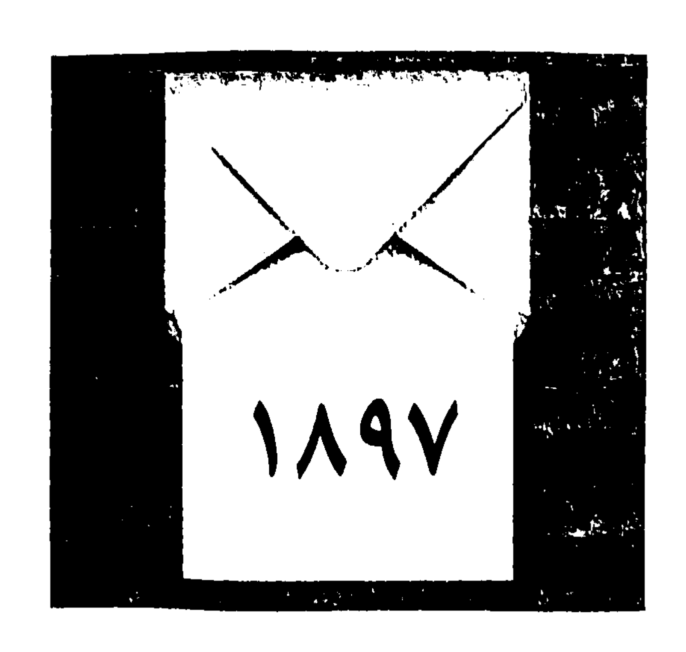
رافقتكم السلامة!! لا أحسدكم. لأن البرد شديد الآن في الخارج، لا سيما في الفنادق. (. . .)

بخصوص صحتي. العصيات في داخلي وأنا أسعل طوال الوقت. ولكن حالتي عموماً لا بأس بها. أنا في حركة دائمة.

ثمة شائعات بأن صحة ليفيتان متدهورة بشكل خطير.

أشد على يدكم بحرارة، وألف شكر على الرسالة.

المخلص أ. تشيخوف



١٧٣. إلى أليكسي سوفورين

ميليخوفو، ١ مارس ١٨٩٧

أمضيت في موسكو قرابة عشرين يوماً وأنفقت مبلغ السلفة كله. والآن أنا بمنزلي في الريف أعيش حياة العفة والطهارة بعيداً عن المسكرات. إذا جئتم إلى موسكو في الأسبوع الثالث للصوم فسآتي إليها أنا أيضاً. إنني مشغول الآن ببناء المدرسة (ليس مدرستي، بل مدرسة الإدارة المحلية) ولكني أستطيع أن أسافر على أن تبعثوا لي برقية قبل يومين. وربما سترون في مؤتمر الممثلين المسرحيين مشروع المسرح الشعبي الكبير الذي نسعى نحن إلى تأسيسه. وأعني بنحن مثقفي موسكو /المثقفون يرغبون في التعاون مع الرأسمال، والرأسمال لا يمانع في المعاملة بالمثل/. تحت سقف واحد، في مبنى أحمر وثير، سيتواجد مسرح وصالة ومكتبة وقاعة مطالعة ومقهى وما إلى ذلك. المخطط جاهز، والنظام الداخلي قيد الصياغة، ولم يبق إلا أمر بسيط هو جمع نصف مليون. ستتشكل جمعية للمساهمين، ولكنها ليست جمعية خيرية. وثمة أمل بأن تسمح الحكومة بإصدار سندات بمئة روبل. وقد أعجبني المشروع إلى درجة أني صرت أؤمن بالقضية وأستغرب لماذا لا تبنون أنتم مسرحاً. أولاً- المسرح ضروري، وثانياً- أنه يجلب الفرحة ويشغل سنتين من الحياة. المسرح، كمنشأة، إذا بني بذكاء ولا يشبه مسرح بانايفسكي، لن يعود بخسارة في أي حال من الأحوال.

قبل فترة أقمتُ عرضاً مسرحياً في سيربوخوف لمصلحة المدرسة. مثَّل فيه هواة

من موسكو. مثّلوا بشكل مرموق، في صبر وتحمل، أفضل من الممثلين المحترفين. الثياب من باريس، والمجوهرات حقيقة، لكن ريع التمثيلية كان ١٠١ روبل لا غير.

لا أخبار عندنا، أو إنها موجودة ولكن حزينة أو لا أهمية لها. الكثيرون يتحدثون عن الطاعون وعن الحرب. وعن احتمال توحيد المجمع المقدس ووزارة التربية. الرسام ليفيتان سيقضي نحبه قريباً، على ما يبدو. فهو يعاني من توسع مفرط في الأبهر.

أما أنا فلم يحالفني الحظ. ألّفت قصة من حياة القرى («الفلاحون»)، وقيل لي إن الرقابة لن تمررها، ولا بدّ من اختصارها إلى النصف. ما يعني خسائر جديدة.

في موسكو، إذا كان الطقس الربيعي جيداً، سنزور فوروبيوفيه غوري (تلال العصافير) والدير. ومن موسكو نسافر معاً إلى بطرسبورغ، فلدي هناك قضية سأبذل جهداً من أجلها. (...)

هل ترك دافيدوف مسرح ألكسندرينسكي؟ يا له من جاموس متقلب الأطوار.

إذن، إلى اللقاء العاجل. فاكتبوا لي سطرين حتى ذلك الحين. أجمل التحيات إلى آنّا إيفانوفنا وناستيا وبوريس.

رافقتكم السعادة!

المخلص أ. تشيخوف

١٧٤. إلى فرانس شيختيل

ميليخوفو، ٧ مارس ١٨٩٧

العزيز فرانس أوسيبوفيتش! كنت في موسكو يوم الإثنين. وزرت ليفيتان، فأبلغني أن ب. م. تريتياكوف (صاحب المعرض المعروف باسمه) اتفق مع الرسام (أوسب- يوسف) براز بشأن رسم صورة نصفية لي، والأمر يتوقف الآن عليّ. ينبغي أن أكتب إلى براز وأبلغه متى أجيء إلى بطرسبورغ / في الأسبوع الخامس للصوم أم في النصف الثاني من مايو/ ، لكنني لا أعرف عنوانه ولا أدري ممن أطلبه. هل تعرفون أو هل تستطيعون أن تعرفوا أين يقيم وما اسمه واسم أبيه؟ ولو أجبتموني على سؤالي هذا لسارعت في الكتابة إليه في بطرسبورغ.

فحصتُ ليفيتان. حالته متردية. القلب لا ينبض تقريباً، وكأنما يلفظ هواءً. وبدلاً من صوت النبضات المتناسق نسمع وشوشة مضطربة. (...)

سأصل في الأسبوع الثالث لألتقي بعض الأشخاص في مؤتمر (المسرحيين) وأعرج عليكم. وحتى ذلك الحين أشد على يدكم بحرارة، وأتمنى لكم جميع خيرات الأرض والسماء.

المخلص أ. تشيخوف

١٧٥. إلى أليكسي سوفورين

موسكو، ١ أبريل ١٨٩٧

استقر رأي الأطباء على أنني مصاب بالتهاب علوي في الرئتين، وأوصوني بتغيير طراز حياتي. الأمر الأول مفهوم، أما الثاني فلا أفهمه، لأنه متعذر تقريباً. يوصون بالبقاء في القرية من كل بد. إلا أن الإقامة الدائمية في الريف تتطلب تعاملاً دائمياً مع الفلاحين والماشية ومختلف أنواع الكوارث الطبيعية. الابتعاد عن المشاغل والهموم في القرية أمر صعب صعوبة التخلص من الحروق في الجحيم. ومع ذلك سأحاول تغيير حياتي على قدر الإمكان. وقد أعلنت عن طريق (أختي) ماشا أنني أكف عن ممارسة التطبيب في الريف. وسيخفف عليّ ذلك، كما سيكلفني الكثير. سأترك جميع المناصب في الناحية وأشتري روب دي شامبر وأتشمس وآكل كثيراً. أمروني بأن أتناول الطعام ست مرات في اليوم، ويستاءون عندما يكتشفون أنني آكل قليلاً جداً. كما منع عليّ الكلام الكثير وكذلك السباحة وما إلى ذلك.

ما عدا الرئتين كل أعضاء بدني سليمة... كان يخيل إليّ، إلى حد الساعة، أنني شربت ما لا يلحق الضرر بصحتي، أما الآن فيتضح أنني شربت أقل مما يحق لي أن أشربه. فما أشد أسفي.

وتم نقل مؤلف «عنبر رقم ٦» من عنبر رقم ١٦ إلى رقم ١٤ حيث المكان أوسع، وثمة نافذتان وإنارة جيدة وثلاث طاولات. النزيف خفيف. بعد ذلك المساء الذي زارني فيه تولستوي (٢٨ مارس) وتحدثنا طويلاً، اشتد النزيف من جديد في الرابعة فجراً.

ميليخوفو موضع صحي يقع على مرتفع بين منطقتين، ولذا لا تحصل هناك حمى أو دفتري. وجاء قرار العائلة بأن لا أغادر ميليخوفو. كل ما يلزم هو تنظيم المبنى ليكون مريحاً أكثر. وإذا شعرت بالملل من ميليخوفو أذهب إلى الضيعة المجاورة التي استأجرتها من أجل إخوتي فيما لو جاءوا إليّ.

يتردد عليَّ الناس بين الحين والآخر حاملين الزهور والسكاكر والمأكولات. باختصار: أعيش في بحبوحة.

قرأت في «جريدة بطرسبورغ» عن التمثيلية التي عرضت في صالة بافلوفا (ومثلت فيها ابنتكم ناستيا)، فبلّغوها بأنني لو كنت حاضراً في الصالة لقدمت لها سلة من الأزهار. تحياتي إلى آنّا بافلوفنا.

أنا لم أعد أكتب راقداً، بل جالساً. وحالما أفرغ من الكتابة أرقد في تابوتي.

اكتبوا لي رجاءً.

المخلص أ. تشيخوف

١٧٦. إلى يوسف براز (رسام)

موسكو، ٤ أبريل ١٨٩٧

حضرة يوسف عمانوئيلوفيتش الموقر،

أنا، حسب تشخيص الأطباء، مصاب بالتهاب في أعلى الرئتين. النزيف توقف. أتمشى بطلاقة. وفي ٩ أبريل سأغادر إلى منزلي في ميليخوفو. إلا أن مستقبلي غير واضح. ربما في النصف الثاني من مايو سيرسلونني للعلاج بلبن الخيل. وفي الخريف سأسافر إلى مكان مناسب بالجنوب. في كل الأحوال سأبذل جهدي ليسمحوا لي بالسفر إلى بطرسبورغ للفترة ٥- ١٠ مايو. وإذا لم يتحقق ذلك، وإذا كنت في الصيف بصحة جيدة / نسبياً/ فسأسافر إلى مسقط رأسي تاغانروغ. ومن هناك المسافة قصيرة إلى محافظة خيرسون التي ستكونون فيها. إذا كانت لديكم رغبة في العمل في الصيف بلّغوني عنوانكم في خيرسون وسآتي إليكم.

الرسام ليفيتان يعاني من مرض خطير، هو توسع الأبهر. التوسع في بداية

الشريان عند مخرجه من القلب، ولذا حصل قصور في البطين. الرجل متعطش إلى الحياة بأشد ما يكون. ومتعطش إلى العمل، لكن حالته البدنية أسوأ من حالة المعوقين.

أشكركم من صميم القلب على رسالتكم وعلى مشاطرتكم لي. أتمنى لكم كل خير وأشد على يدكم بحرارة.

مع كل احترامات

المخلص أ. تشيخوف

١٧٧. إلى أليكسي سوفورين

موسكو، ٤ إبريل ١٨٩٧

أنا لا أنصحكم قطعاً بشراء مسرح سولودوفينكوفسكي. ذلك، أولاً، لأنه من أقل المسارح شعبية في موسكو. وثانياً- جعلُ أهالي موسكو المحافظين يترددون على المسرح الجديد يتطلب جهوداً تستغرق عشر سنوات. مالي تياتر يحظى بإقبال متواصل لأنه لطيف. أما كورش فيكاد يموت جوعاً لأن مسرحه (الذي يحمل اسمه) يتحمله الناس ولا يحبونه. عدد المسارح للمثقفين والجمهور المتوسط في موسكو لا يزال كافياً. والنقص الوحيد بهذا الخصوص هو غياب المسرح الشعبي. بوسعكم أن تؤسسوا مسرحاً شعبياً جيداً يرضيكم تماماً في اعتقادي. إلا أن سولودوفينكوفسكي لا يصلح لأن يكون مسرحاً شعبياً. ولكي يتم تنفيذ الفكرة لا بدّ لكم أن تقيموا في موسكو دون أن تغادروها. هذا هو رأيي.

بعد العاشر من أبريل سأعود إلى ميليخوفو. وسأحاول تناول الكثير من الطعام، وأزن نفسي كل يوم. ذلك إجراء في منتهى الإزعاج. وإذا لم يزدد وزني فسأضطر للسفر إلى أماكن العلاج بلبن الخيل.

قبل ثلاثة أيام بعثت لكم رسالة تضمنت توصيفاً تقريبياً لمرضي. حالياً النزيف توقف.

حبذا لو تكلمنا عن المسرح بتفصيل أكثر. هل ستأتون إلى موسكو في نهاية

أبريل أو بداية مايو؟ يخيل إليّ أن ستانسلافسكي سينصحكم هو الآخر بعدم شراء مسرح سولودوفينكوفسكي. ومن المؤشرات التي لها دلالتها أن ستانسلافسكي نفسه لن يستأجر هذا المسرح. أعتقد أنه ينبغي أن تأخذوا بعين الاعتبار أن مصير المسرح المذكور، حالياً، بيد السمسارة التي تحدثتْ معكم في «سلافيانسكي بازار». إذا كانت الضيعة معروضة للبيع أو الإيجار ليس من قبل مالكها، بل من قبل وكيل أو سمسار فذلك يعني أنها ليست خالية من العيوب.

أتمنى لكم كل خير وأحييكم من صميم القلب.

المخلص أ. تشيخوف

١٧٨. إلى ألكسندر أرتيل

ميليخوفو، ١٧ أبريل ١٨٩٧

الصديق العزيز ألكسندر إيفانوفيتش. أنا الآن في المنزل. قبل العيد رقدت أسبوعين في مستشفى أوستراوموف، وكنت أبصق دماً. الدكتور شخّص مرضي، وهو التهاب أعالي الرئتين. صحتي جيدة حالياً ولا يؤلمني أو يقلقني شيء من الداخل. لكن الأطباء منعوا عليّ النبيذ والحركة والكلام، وأمروني بتناول الكثير من الطعام، كما منعوني من ممارسة التطبيب. ولذا أشعر بشيء من الضجر.

لم نسمع شيئاً عن المسرح الشعبي. مؤتمر (المسرحيين) تناول الموضوع عرضا من دون اهتمام. أما الحلقة التي تعهدت بصياغة النظام الداخلي والمباشرة بالعمل فقد ضعف اهتمامها على ما يبدو. ربما الربيع هو السبب. التقيت من بين أعضاء الحلقة شخصاً واحداً هو غولتسيف، ولم يتسع الوقت للحديث معه عن المسرح.

ليس في الأدب من جديد. هدوء ولا شيء آخر. في هيئات التحرير يحتسون الشاي والنبيذ الرخيص. من دون تلذذ. يفعلون ذلك، على ما يبدو، لأنه ليس لديهم ما يفعلونه. تولستوي يكتب عن الفن. وقد زارني في المستشفى، وقال، فيما قال، إنه أهمل روايته «البعث» لأنها لا تعجبه (واصل تولستوي كتابة الرواية وتعديلها في يوليو ١٨٩٨ ونشرت في العام التالي)، وإنه يكتب عن الفن فقط، وقد

قرأ ٦٠ كتاباً في هذا الموضوع. فكرته ليست جديدة. فقد كررها بمختلف الصياغات كل الشيوخ الأذكياء في كل العصور. الشيوخ يميلون دوماً إلى رؤية نهاية العالم ويقولون إن الأخلاق تدهورت إلى أدنى حد، وإن الفن انكمش وتضاءل وتهرأ، وإن الناس خاروا وضعفوا، وهلمجرا. ليف نكولايفيتش يريد أن يقنعنا في كراسه بأن الفن دخل حالياً في طوره النهائي وولج زقاقاً مسدوداً لا مخرج منه /إلى الأمام/.

أنا لا أفعل شيئاً، أطعم العصافير بذور الكتان وأشذب شتلة ورد واحدة في اليوم. بعد التشذيب تتفتح الورود بأبهى حلة. أنا لا أشغل نفسي بأمور مزرعتنا الإنتاجية.

أتمنى لك الصحة والعافية يا عزيزي ألكسندر إيفانوفيتش. شكراً على الرسالة والمشاطرة الأخوية. اكتب لي، بسبب مرضي، ولا تعتبر عدم تقيدي بأصول المراسلة ذنباً عظيماً. سأحاول أن أرد على رسائلك حالما أستلمها.

أشدّ على يدك بحرارة.

المخلص أ. تشيخوف

في تعقيب على رسالته إلى الناقد الأدبي ميخائيل مينشيكوف بتاريخ ١٦ أبريل ١٨٩٧ كتب تشيخوف يقول: «رب ضارة نافعة. في المستشفى زارني ليف نكولايفيتش وجرى بيننا حديث ممتع ومهم جدّاً. مهم بالنسبة لي، لأنني كنت أستمع أكثر مما أتكلم. تحدثنا عن الخلود. تولستوي يعترف بالخلود في مفهومه عند كانت، ويتصور أننا جميعاً /البشر والحيوان/ سنعيش في صيرورة أو كينونة /العقل والمحبة/ جوهرها وغايتها سر خفي علينا. أما بالنسبة لي فهذه الكينونة أو القوة تبدو بصورة هيولى هلامية لا شكل لها، وتندمج الأنا، شخصيتي الفردية ووعيي، مع هذه الهيولى. أنا لست بحاجة إلى خلود من هذا النوع، فأنا لا أفهمه. وقد دهش ليف نكولايفيتش لأنني لا أفهمه».

١٧٩. إلى فيرا كوميسارجيفسكايا (ممثلة)

ميليخوفو، ٢٠ مايو ١٨٩٧

شكراً جزيلاً، فيرا فيودوروفنا، على تذكركم لي وإرسال الرسالة. قبل فترة جاءتني صديقتنا المشتركة غليبوفا /لقبها قبل الزواج موسينا- بوشكينا/ وقالت إنكم تعانون من مرض شديد وتنوون السفر إلى الخارج للعلاج بالمياه المعدنية. وقد اتضح الآن أنكم على الباخرة في الطريق إلى آستراخان (وليس إلى الخارج). أنتم إذن في صحة جيدة، أو على الأقل لستم في مرض خطير، حتى أنكم تعملون، وأنا أصفق لكم من منزلي المتداعي. يفرحني أن أموركم تجري بسلام. لكنني لا أحسدكم على السفرة في نهر الفولغا (إلى آستراخان). الريح على الفولغا مستمرة، ورائحة النفط أيضاً. والمناظر متماثلة، وركاب البواخر مملون في طاقياتهم الدائمية والسلسلة الرخيصة (لساعة الجيب) على الصديرية. ولا أحد يستحق أن نتكلم معه. وما من لقاءات ممتعة. السفر على السفن البحرية أكثر متعة بكثير من هذه السفرة.

لقد توجهت إلى بطرسبورغ على أمل أن أنجز الكثير من الأمور وألتقيكم. لكنني مرضت في الطريق عبر موسكو ورقدت في المستوصف خمسة عشر يوماً. الرئتان تمردتا. أما الآن فأنا في صحة لا بأس بها. عصيات كوخ تقبع في داخلي هادئة. ولكنْ في الخريف ربما أضطر إلى الفرار. الأطباء منعوني من العمل. وأنا الآن أتظاهر بأنني في مقام موظف في المسرح: لا أفعل شيئاً، ولا حاجة لأحد بي، لكنني أحاول الحفاظ على مظهر شخص نشيط. (...).

أرسِلوا لي ملصق الإعلان عن «النورس» في آستراخان. أنا بالطبع أتمنى لكم نجاحات باهرة، متواصلة وراسخة رسوخ إيماني بموهبتكم الجميلة الرائعة. ولكنّ لا تمرضوا، رجاءً. اسمحوا لي أن أشد على يدكم وأتمنى لكم كل خير.

أشكركم مجدداً

المخلص لكم أ. تشيخوف

هذا الصيف هل تمثلون في مكان ما في الجنوب؟ بمنطقة الدون مثلاً، أو مدن بحر آزوف والبحر الأسود؟ أو في القوقاز؟ أنا سأكون هناك في مطلع أغسطس.

١٨٠. إلى ألكساندرا خوتياينتسيفا (رسامة)

نيس، ٣١ أكتوبر ١٨٩٧

وهكذا وصلتِ، يا رسامة البلاد الروسية العظيمة! باريس مدينة جيدة جداً. والمؤسف حقاً أنك بسبب الضباب والبرد أخذت، في المرحلة الأولى، فكرة عنها وكأنها كتلة رمادية ضخمة وشديدة البأس بعض الشيء. والمؤسف أيضاً أنك نزلت في شارع غير ممتع هو rue Jacob. على أية حال تلك أمور ليست بذات شأن. فبعد أسبوع أو يزيد تتعودين وستعجبك باريس.

أنا أقيم في نفس المكان. والجو هنا رائع مذهل. دفء وشمس وهدوء. هذا النهار فقط استثناء من القاعدة: تهبّ ريح مزعجة. صحتي لا بأس بها. أتقافز شيئاً فشيئاً، ولا أشكو من ألم بفضل صلواتك. قشع الدم توقف من ثلاثة أيام، بعد أن استمر ثلاثة أسابيع. وليس ذلك بالشيء الهين طبعاً. النزيف كان على كميات قليلة، ولكن لأمد طويل، فيما كانت حالتي الصحية رائعة، ولذا لم ألتفت إلى النزيف وكتبت إلى الأهل صادقاً أنني بصحة جيدة /بالمناسبة لا تكتبي إلى هناك شيئاً بخصوص صحتي/. أنا أتمشى وأقرأ وأكتب قليلاً وأتحدث كثيراً مع (فاسيلي شقيق فلاديمير) نيميروفيتش- دانتشينكو والرسام ياكوفي (يعقوب) الذي هو الآن هنا وقد سُمي شارع جاكوب العتيد بهذا الاسم تكريماً له!! (مزحة...)

ماشا كتبت لي أن غرفتي الصغيرة التي نسميها بمدفأتي الروحية استعادت رونقها (بعد الترميم)، فشدني الحنين بعد رسالتها إلى البيت وإلى المدفأة الروحية. فلم أكن هناك من زمان!

عندما يتسرب الملل إليك في باريس تعالي إلى نيس طلباً للدفء. أقول ذلك جاداً. عندما تصلين إلى نيس اتركي العفش في المحطة /هناك موضع لحفظ الحاجيات/ وامضي ماشية إلى شارع Gounod. مقابل المحطة مباشرة مهبط انزلي على مدرجه وسيري في الشارع إلى الأمام ثم استديري إلى اليمين ثم إلى اليسار وسترين زقاقاً ضيقاً لا يتسع لشخصين وهو ما يسمّى rue Gounod. ابحثي عن الرقم ٩، وفيه البنسيون الروسي، وسأرتب أمر نزولك بأفضل صورة، بستة فرنكات في اليوم للسكن مع فطور وغداء. شكراً على الرسالة!! أتمنى لك الصحة، لا تضجري.

المخلص أ. تشيخوف

١٨١. إلى ماريا تشيخوفا

نيس، ١٤ ديسمبر ١٨٩٧

أحد الأشخاص غادر إلى روسيا وبعثت معه إرسالية إلى «العصر الحديث» ليسلموها إليك. الحاجيات المعلمة بالأحرف الأولى من عبارة «ضعيها على المكتب» /ض.ع.م./ افتحيها وضعيها على مكتبي. وضعي عليه أيضاً كراس إميل زولا بغلافه الأصفر («قضية دريفوس. رسالة إلى الشباب»). على فكرة، خلال فترة الأعياد ستصلك صورة نصفية محفورة صغيرة لألفونس دوديه. إنها صوة جيدة تستحق التأطير والتعليق في مكتبي. أرجوك، عندما تذهبين إلى موسكو احجزي إطاراً قاتماً مع زجاج وعلّقي الصورة عندي إذا أعجبتك مثلما تعجبني.

بلّغيني بكل ما ستستلمونه. فقد مللت، أكرر، من إرسال حاجيات لا أعلم بمصيرها. سأرسل القفاز حالما تسنح الفرصة. عموماً سأتصرف بشكل تقولون عنه جميعاً ذات يوم: «ما أجمل أن يكون لنا قريب يقيم في الخارج».

أنا أعيش على نحو لا بأس به. الطقس باق على حاله، بمعنى الدفء والهدوء. ولكن لا ورد بلا شوك. النساء المقيمات في «البنسيون الروسي»، الروسيات، حمقاوات، أفاعٍ قل مثيلها. بثور على أبواز بشعة. أحقاد، نميمة. فليذهبن إلى الشيطان! أروع ما في نيس هو الزهور التي تغص بها كل الأسواق. بحر من الزهور. وأثمان بخسة جدّاً. الأزهار نفسها ذات ديمومة مدهشة، لا تذوي ولا تذبل. ومهما ذبلت الزهرة يصار إلى اقتطاع جزء من أسفل ساقها ويوضع لأمد قصير في ماء دافئ فتنتعش الزهرة مجدداً.

حبكات كثيرة تقبع في دماغي جامدة متخثرة. بودّي أن أكتب، لكن الكتابة خارج الوطن هي الأشغال الشاقة بعينها، وكأنك تخيطين ثوباً على ماكنة خياطة ليست لك. (...) اليوم يغادرنا الرسام ياكوبي الذي تعودت على تواجده معنا، وسأبقى في نيس وحدي تقريباً. (...) تحياتي للجميع. أتمنى لك الصحة والتوفيق. سأكتب لك مرة أخرى بعد أيام.

أخوك أ. تشيخوف

(تعقيب) في رسالة إلى الناقد ومؤرخ الأدب الأوروبي فيودور باتوشكوف

بتاريخ ١٥ ديسمبر ١٨٩٧ كتب تشيخوف من مدينة نيس: «طلبتم مني في إحدى رسائلكم أن أكتب قصة أممية في موضوع من الحياة بهذه الأماكن. أنا لا أستطيع أن أكتب قصة كهذه إلا في روسيا استناداً إلى مخزون الذاكرة. فأنا لا أجيد الكتابة إلا من خلال الذكريات، ولم أكتب يوماً في أعقاب الأحداث على الطبيعة. أنا بحاجة إلى غربلة تؤديها ذاكرتي ولا يبقى عالقاً فيها من الحبكة أو الموضوع سوى المهم والنموذجي، كما بعد الغربال».

١٨٢. إلى ليديا ميزينوفا

نيس، ٢٧ ديسمبر ١٨٩٧

عزيزتي ليكا. لا يسعني إلا أن أرحب بفكرتك حول فتح ورشة (. . .) فالفكرة جيدة عموماً. ليس من شأني أن ألقي عليك مواعظ. وأكتفي بالقول إن العمل مهما بدا متواضعاً في ورشة أو حانوت إنما يوفر لك الاستقلالية وراحة البال والثقة بيوم غد. كان بودّي أنا أيضاً أن أفتح مؤسسة ما لأكافح من أجل كسب القوت يوماً بعد يوم، مثل الآخرين. فالمكانة المميزة للإنسان العاطل تتعبه في آخر المطاف فيمل منها أشد الملل.

أنا لا أزال في نيس. في نهاية يناير أو بداية فبراير أسافر إلى الجزائر وتونس. أما الآن فأتجول وأتنشق الهواء العليل وأنش البعوض الذي يلسع هنا من دون رحمة. بدأ موسم الأمطار. هنا كثير من الروس، ولكنْ، لا مؤاخذة، أشعر بالملل معهم.

كل شيء على ما يرام. البرتقال بدأ ينضج، ولا وجود هنا لعنب الثعلب الهندي (آملا).

موسكو تستقبل الآن العام الجديد، فإلى المزيد من السعادة. أهنئك وأتمنى لك كل خير، أتمنى موفور الصحة والمال وعريساً مشوروباً وأفضل مزاج. الأمنية الأخيرة ضرورية ضرورة الهواء في ظل طباعك المقيتة، وإلا لن يبقى من ورشتك سوى الريش المتطاير.

أين (المغنية) فاريا (أبيرلي)؟ كيف هو سلوكها بغياب زوجها؟ فهمت من

رسالتك أنها لم تعد تعمل في (مسرح) سافا إيفانوفيتش(مامونتوف) الموقر. فلماذا؟ اكتبي لي بتفصيل أكثر.(...)

أهنئ ابن عمك الذي (تقولين إنه) تزوج دون أن يطلّق زوجته الأولى. هل تزوجك أنت يا ترى؟ على أية حال هجرُ الزوجة الكهلة مبعث للسرور مثل الخروج من بئر عميقة.

اكتبي لي، يا عزيزتي ليكا، ولا تتهيبي. لا تعبئي بعدم تبادل الزيارات. أرجوك. أنا كل يوم أساءل نفسي لم لا تصلني منك رسائل؟ اكتبي بمزيد من التفصيل. أتمنى لك الصحة والعافية، فاطردي الاكتئاب. لا تكوني حامضة كعنب الأحراج، بل عسلية كسكاكر «راحة الحلقوم».

المخلص أ. تشيخوف



١٨٣. إلى أليكسي سوفورين

نيس، ٤ يناير ١٨٩٨

هذا هو برنامجي: في أواخر يناير /بالتقويم القديم/ أو على الأرجح في بداية فبراير أسافر إلى الجزائر وتونس وهلمجرا. ثم أعود إلى نيس وأنتظركم هناك /كتبتم لي أنكم ستأتون إلى نيس/ ونقضي بعض الوقت فيها ثم نسافر معاً إلى باريس إذا رغبتم في ذلك، ومن هناك نستقل القطار السريع إلى روسيا. لنحتفل بعيد الفصح. رسالتكم الأخيرة وصلتني هنا مفتوحة.

أنا نادراً ما أتردد على مونت كارلو. مرة في كل ٣ أو ٤ أسابيع. في البداية، عندما كان هنا سوبوليفسكي ونيميروفيتش (دانتشينكو) لعبتُ القمار بكل اعتدال في الحظوظ البسيطة /الأحمر والأسود/ ، وعدت إلى الفندق حاملاً ٥٠ فرنكاً ذات مرة، و١٠٠ فرنك مرة أخرى. لكنني اضطررت أن أترك اللعب فيما بعد لأنه يتعبني بدنياً.

قضية دريفوس بدأت تغلي، لكنها لم توضع على السكة بعد. (إميل) زولا رجل طيب القلب، وأنا (المتهم بالانتساب إلى السينديكات الصهيوني) وباستلام ١٠٠ فرنك من اليهود معجب جداً بتحمسه (للدفاع عن دريفوس). فرنسا بلد رائع، وأدباؤها رائعون. (. . .)

يتضح من المقتطف المنشور في «العصر الحديث» أن مقالة ليف نكولايفيتش (تولستوي) عن الفن ليست ممتعة. فكل ما فيها قديم. القول بأن الفن قد شاخ

ودخل زقاقاً مسدوداً وأنه ليس كما ينبغي أن يكون وما إلى ذلك إنما هو كالقول بأن الرغبة في الأكل والشرب باتت عتيقة وقد انتهى زمانها ولم تعد كما ينبغي أن تكون. طبيعي أن الجوع شيء قديم وأن الرغبة في الأكل دخلت نفقاً مسدوداً، ولكن الأكل ضروري مع ذلك، وسنظل نأكل مهما تشدق الفلاسفة والشيوخ المتذمرون.

أتمنى لكم موفور الصحة.

المخلص أ. تشيخوف

١٨٤. إلى مكسيم كوفاليفسكي (عالم اجتماع)

نيس، ٨ يناير ١٨٩٨

رسالتكم، عزيزي مكسيم مكسيموفيتش، خيبت آمالي. ذلك، أولاً- لأنني أحلم بالجزائر ليل نهار، وقد رأيت في المنام أنني آكل التمر. (بسبب مرضه اعتذر كوفاليفسكي عن مرافقة تشيخوف إلى الجزائر). ثانياً - من المؤسف أنكم مرضتم وتعيشون في باريس ليس بسرور، على ما يبدو. ما طبيعة مرضكم؟ هل هو الروماتيزم أم النقرس؟ أم كلاهما؟ أعتقد أن الأفضل لكم أن تسافروا في الحال إلى بياوليو وتتدفأوا في أشعة الشمس التي أخذت تشتد هناك كما في الربيع.

أما أنا فأشعر بالملل بعض الشيء وأعمل بفتور مثل أوكراني كسول. ولا أتردد على مونت كارلو / تقريباً/ ، تركت القمار من زمان. فهو يتعبني بدنياً، لأن المقامر مضطر إلى الوقوف طول الوقت والعرق يتصبب منه.

«البنسيون الروسي» مليء بالوافدين. تلك هي كل أخبارنا.

يسرني بالطبع أن ترغب (صحيفة فرنسية) بترجمة قصة «حياتي». إلا أنني في الحال الحاضر، أي في مساء ٢٠ يناير (حسب التقويم القديم)، لا أمتلك ولا نسخة واحدة من كتابي هذا. غداً أزور موردوخاي روزانوف المضياف وآخذ منه الكتاب إذا كان متوفراً لديه. وسأرسله إليكم في الحال. أرسلت إلى "Cosmopolis" أقصوصة («عند معارفي») واستلمت من رئيس التحرير برقية شكر، مع أن الأقصوصة ليست على مستوى رفيع، كما يخيل إليّ.

وقد يطيب لكم، نظراً لاهتمامكم بالوضع الاقتصادي في روسيا، أن تعلموا بالإجراء الهام الجديد في مجال الزراعة، ألا وهو استحداث شارة صدرية لمراسلي شعبة الإحصاء الريفي في ديسمبر الفائت. هذا كل ما في الأخبار.

الأمسيات باردة، إلا أن الطقس في النهار رائع. اكتبوا لي عندما تأتون.

أشد على يدكم بحرارة. والصحة هي أكثر ما أتمناه لكم.

المخلص أ. تشيخوف

(...)

١٨٥. إلى ألكساندرا خوتيايتتسيفا

نيس، ٢ فبراير ١٨٩٨

في الغرفة المجاورة نزلت سيدة في السادسة والأربعين من العمر، وهي لا تحضر مائدة الفطور، لأنها تتزين حتى الساعة الثالثة. يبدو أنها رسامة.

أنا أتردد على دمية أخرى كل مساء وأحتسي عندها الشاي مع فطيرة سكرية.

(...)

تسألينني: ألا أزال أعتقد أن زولا على حق؟ وأنا أسألك: هل يعقل أنك تظنين بي السوء إلى درجة ترتابين فيها ولو للحظة بأنني ألتزم جانب زولا؟ كل الذين يحاكمونه الآن في أسيزي (إيطاليا)، كل هؤلاء الجنرالات والشهود النبلاء لا يساوون ظفراً من أظافر زولا. أنا أقرأ المحضر ولا أرى فيه أن زولا لم يكن على حق، كما لا أرى حاجة إلى أية أدلة ثبوتية أخرى.

استلمت "Le rire". شكراً.

عندنا كرنفال مرح. سأتناول طعام الغداء عند كوفاليفسكي في بيوليو.

كيف حالك؟ ما الجديد؟

ثمة حمار ينهق، والوقت غير مناسب.

الطقس رائع.

أتمنى لك السعادة.

المخلص أ. تشيخوف

١٨٦. إلى أليكسي سوفورين

نيس، ٦ فبراير ١٨٩٨

(. . .) كتبتم تقولون إنكم آسفون على زولا، فيما يتصور الجميع هنا (في نيس- فرنسا) أن زولا ولد من جديد وبصيغة أفضل. ففي محاكمته هذه كأنما تطهر بزيت التربنتين (الصنوبر) متخلصاً من البقع القذرة، وتألق من جديد أمام الفرنسيين في رونقه الحقيقي. تلك قمة أخلاقية صافية لا مثيل لها. فتابعوا الفضيحة منذ البداية وسترون أن معاقبة دريفوس، سواء كانت بالحق أو بالباطل، قد تركت في نفوس الجميع /بمن فيهم أنتم، على ما أتذكر/ انطباعاً كئيباً ثقيلاً. ولوحظ أن دريفوس أثناء الحكم عليه تصرف كضابط شريف ملتزم، حتى أن الصحافيين الذين حضروا المحاكمة صرخوا في وجهه: «صه يا يهوذا!» متصرفين على نحو سيئ ومشين. وعاد الجميع من المحاكمة القاسية مستائين بضمائر مستنكرة. كان الأكثر استياءً هو محامي الدفاع عن دريفوس. المحامي ديمانجيه إنسان نزيه أحس منذ بداية التحقيق في القضية أن وراء الأكمة ما وراءها. ثم إن الخبراء كانوا يتحدثون عن دريفوس وحده، ليقنعوا أنفسهم بأنهم لم يخطئوا. وكانوا يقولون إنه مذنب، ويهيمون على وجوههم في شوارع باريس. . . واتضح أن أحد الخبراء مجنون وضع مخططاً فظيعاً غير معقول، وأن اثنين آخرين هما من البُله. تطرق الكلام عفوياً إلى مكتب الاستعلامات في وزارة الحربية، تلك الهيئة العسكرية التي تتصيد الجواسيس وتمارس فتح رسائل الآخرين. تطرق الكلام إليها لأن مدير المكتب ساندهير كان مصاباً بشلل يتفاقم يوماً بعد يوم.(. . .) وانكشفت، كأنما عمداً، جملة أخطاء قضائية مرافعاتية شنيعة. حاولوا أن يقتنعوا شيئاً فشيئاً بأن دريفوس حكم بناءً على وثيقة سرية لم تعرض على المتهم ولا على محاميه. واعتبر محبو النظام أن ذلك انتهاك جذري للقانون.(. . .) وأخذوا يحزرون مضمون الوثيقة بكل السبل، وانتشرت الشائعات. دريفوس ضابط، فالتزم العسكريون الحذر. دريفوس يهودي، فأخذ اليهود يتربصون. . . وبدأ الحديث عن العسكرتارية، وعن بني إسرائيل. (. . .) الرأسمال فزاعة، بعبع. الماسونيون والسينديكات والجزويتيون أشباح، لكنهم يخففون علينا قلقنا. وهم بالطبع فأل سيئ. طالما تكلم الفرنسيون عن بني إسرائيل فذلك يعني أنهم ليسوا مرتاحين وأن الديدان فقست بينهم وأنهم بحاجة إلى

تلك الأشباح ليهدئوا أنفسهم المتململة ويريحوا ضمائرهم. (. . .) وتسخنت الغازات، وساد توتر شديد، واحتقنت الأجواء. المشاجرة في المحكمة ظاهرة عصبية هستيرية ناجمة عن ذلك التوتر تحديداً. ورسالة زولا ومحاكمته ظاهرتان من نفس النوع. فماذا تريدون؟ أول من دق ناقوس الخطر هم أفضل الناس من طليعة الأمة، وهذا ما حصل بالفعل. أول من رفع صوته هو(العالم الكيميائي أوغست) شيرير- كيستنير الذي يقول عنه الفرنسيون من معارفه الأقربين إنه طاهر صقيل «كشفرة خنجر». وكان زولا الشخص الثاني. وها هم يحاكمونه.

صحيح أن زولا ليس فولتير (الذي دافع عن البروتستانتي جان كولاس بعد أن أعدم بتهمة مزورة، وأعاد إليه الاعتبار). ولا أحد بيننا بلغ منزلة فولتير، ولكن يصادف في الحياة أن تلتقي ملابسات لا يصح فيها لومنا لأننا لسنا من طبقة فولتير. تذكروا كورولينكو الذي دافع عن وثنيي قرية مولتان وأنقذهم من الأشغال الشاقة. كما أن الدكتور (فيودور) غآز (طبيب السجون في روسيا) ليس فولتير. ومع ذلك جرت حياته الرائعة وانتهت بسلام تماماً.

لقد اطلعت على القضية من المحضر المختزل، وهو يختلف تماماً عما تنشره الصحف. زولا بالنسبة لي واضح، والأهم صادق، أي أنه يبني أحكامه على ما يراه فقط، وليس على الأشباح كما يفعل الآخرون. ولا جدال في أن الصادقين يمكن أن يخطئوا. إلا أن مثل هذه الأخطاء تعود بضرر أقل من المحاججة غير الصادقة والتحيز والاعتبارات السياسية. فلنقل إن دريفوس مذنب، لكن زولا رغم ذلك محق، لأنه ليس من شأن الكاتب أن يوجه الاتهامات أو يلاحق أحداً، بل من شأنه أن يدافع حتى عن المذنبين طالما صدر الحكم بحقهم ويتحملون العقوبة. ويطرح السؤال: ماذا بخصوص السياسة ومصالح الدولة؟ الكتّاب والفنانون الكبار ينبغي أن يمارسوا السياسة فقط بالقدر الضروري للدفاع عن النفس من شرورها. موجهو الاتهام والمدّعون العامّون والدرك كثيرون حتى من دونهم. وفي كل الأحوال دور بولص يناسبهم أكثر من دور شاءول. ومهما كان حكم المحكمة سيشعر زولا بفرحة حية بعد المرافعة وستكون شيخوخته شيخوخة طيبة ويموت بهدوء بال أو من دون تأنيب ضمير على الأقل. لقد تفاقم غيظ الفرنسيين. وهم يتشبثون بأية عبارة للمؤاساة وبأية ملامة صحيحة قادمة من الخارج. وهذا هو سبب نجاح رسالة بيرنستين ومقالة زاكريفسكي الروسي التي تليت هنا في نشرات الأخبار، وهو أيضاً

سبب استهجان مذمة زولا، أي ما تقدمه لهم كل يوم الصحافة التافهة التي يحتقرونها. ومهما كان انفعال زولا شديداً فإنه يمثل في المحكمة المغزى الفرنسي السليم، ولذلك يحبه الفرنسيون ويفتخرون به، مع أنهم يصفقون للجنرالات السذج الذين يخيفونهم تارة بكرامات الجيش وتارة بالحرب.

أرأيتم ما أطول رسالتي هذه؟ عندنا ربيع. والمزاج طيب كما في روسيا الصغرى (أوكرانيا) في عيد الفصح: الجو دافئ والشمس مشرقة. والنواقيس تدق. فأتذكر الماضي. تعالوا إلينا. على فكرة: هنا ستمثل (الفنانة الإيطالية إليانورا) دوزيه.

تقولون إن رسائلي لا تصلكم. ما العمل؟ سأبعثها مسجلة إذن.

أتمنى لكم الصحة وكل خير. وتحياتي الخالصة إلى آنّا إيفانوفنا وناستيا وبوريس (...)

المخلص أ. تشيخوف

١٨٧. إلى يوسف براز

نيس، ٨ فبراير ١٨٩٨

يوسف عمانوئيلوفيتش المحترم. أنا أتردد على بطرسبورغ كل صيف، وليس صعباً عليَّ أن أسافر إلى هناك. إلا أنني بسبب ظروف خارجة عن إرادتي لا أستطيع أن أعدكم بالمجيء. فعندما آتي إلى بطرسبورغ ربما يحل الطقس الرطب البارد، ويحصل عندي نزيف. فتتوقفون عن العمل (في رسم صورة تشيخوف)، لأن الأطباء سيرغمونني عندئذٍ على مغادرة المدينة.

الأطباء يقولون إن الجو في باريس أيضاً يصادف أن يكون بارداً ورطباً في بداية أبريل حسب التقويم الروسي. وبالتالي يمكن أن أخيب آمالكم في باريس كذلك. ولا أدري ما العمل. أخشى أن أبدو في نظركم أنانياً جداً. ولا يبقى أمامي في الحقيقة إلا أن أصور نفسي بمثابة أفعى وأعتبركم بمثابة حواء، فأغويكم بمزايا جنوب فرنسا. والله، كل شيء رائع هنا! الجو دافئ، دافئ جداً، والشمس مشعة

على الدوام، والبحر والمناظر الخلابة ومونت كارلو قريبة. هذا أولاً، وثانياً- يمكن العثور هنا على مكان مناسب للعمل. الرسامون المحليون يقدمون كل المساعدات بهذا الخصوص. ثالثاً- يمكنكم أن ترسموا صورة شخص ما بالإضافة إلى صورتي. فهنا كثير من الوجوه النسائية الجميلة، بل الجميلة جداً. وهنا يقيم مكسيم كوفاليفسكي الشهير، ومحياه الوسيم يستحق أن يجسد في لوحة. رابعاً- تقيم في مينتون المجاورة مدموازيل مارتينوفا التي رسمتم صورتها... فبمَ أغويكم أكثر؟ المعيشة هنا رخيصة ومريحة... باختصار، تعالوا إلى هنا، إلى نيس، في بداية مارس (حسب التقويم القديم) إذا سمحت الظروف. وبعد رسم الصورة نسافر معاً إلى كورسيكا، ثم نعود إلى نيس، ومنها إلى باريس ثم إلى روسيا. انتم في ريعان الشباب، تنضحون حيوية ونشاطاً، وينبغي انتهاز هذه الفرصة بأسرع ما يمكن. فبعد ١٠ - ١٥ عاماً ستغدون شيخاً هرماً، وستكونون مستوصفاً على قدمين، مثل خادمكم المطيع، الأمر الذي لا أتمناه لكم صادقاً بأية حال.

كلانا، أنتم وأنا، شخصان متسامحان، طبعنا مسالم، وأعتقد أننا سنجد سبيلاً إلى التفاهم في آخر المطاف، ما يعني أننا سنلتقي قريباً. وسأكون سعيداً جداً برؤيتكم.

اكتبوا لي بما تقررونه. وسنفعل وفق قراركم. أكرر: أنتم تعملون، وأنا عاطل متبطر.

أتمنى لكم كل خير. وأشد على يدكم.

المخلص أ. تشيخوف

(تعقيب) الصورة النصفية التي رسمها براز لتشيخوف في ضيعته ميليخوفو صيف ١٨٩٧ لم تعجبه، فاتفق مع تريتياكوف صاحب المعرض الشهير باسمه في موسكو على أن يسافر إلى نيس، كما اقترح عليه تشيخوف. وكانت الحصيلة هي اللوحة المعلقة حالياً في المعرض المذكور.

١٨٨. إلى ميخائيل تشيخوف وزوجته أولغا

نيس، ٢٢ فبراير ١٨٩٨

العزيزة التي في مقام ابنتي أولغا غيراسيموفنا. أهنئك بميلاد الصغيرة وأتمنى أن تكون ابنتك جميلة وفطينة ونشيطة وأن تتزوج في آخر المطاف رجلاً طيباً، وديعاً وصبوراً على قدر الإمكان ولن يقفز من النافذة هرباً من والدة زوجته. خبر فرحتكم العائلية بلغ مسامعي من زمان، وشاطرتكم هذه الفرحة من صميم القلب. إلا أنني لم أهنئكم حتى الآن لأنني كنت عاجزاً عن القيام بذلك. فقد تكاثرت في أحشائي أجنة سببها ألم لا يطاق. طبيب الأسنان هشم سني ثم اقتلعه على ثلاث مراحل، ويبدو أنه نقل إليّ العدوى. فقد حصل لي التهاب اللثة المعدي في الفك العلوي. والتوى وجهي وتطاير الشرر من عينيّ لشدة الألم. وأصبت بحمى التيفوس. أجريت لي عملية جراحية قبل ثلاثة أيام. فهان الأمر. باقي الرسالة في أدناه يخص زوجك. (...)

تسألني رأيي في زولا ومحاكمته. أنا أنطلق قبل كل شيء من أمر واضح للعيان: كل مثقفي أوروبا يلتزمون جانب زولا، وكل من هو سافل ومشبوه ضده. (...) نفسية الحكومة الفرنسية واضحة. فهي كالمرأة الفاضلة التي تخون زوجها مرة، وتقترف بعد ذلك عدة أخطاء شنيعة وتغدو ضحية للاستفزاز الوقح وتنتحر في آخر المطاف لكي تتستر على خطيئتها الأولى. على هذا النحو تندفع الحكومة الفرنسية مغمضة العينين وتحطم كل ما يصادفها في الطريق وترمي به ذات اليمين وذات الشمال كيلا تعترف بخطئها.

«العصر الحديث» (جريدة سوفورين) تشن حملة خرقاء ضد زولا، بينما معظم الجرائد الروسية، إن لم تكن مؤيدة له، فإنها تستنكر ملاحقة الكاتب. محكمة الاستئناف لن تخرج بنتيجة حتى لو وصلت إلى نهاية مناسبة. وسوف تحل المسألة من تلقاء ذاتها، من قبيل الصدفة، بانفجار الأبخرة المتراكمة في الأدمغة الفرنسية. وتنتهي الأمور بسلام.

لا جديد عندي. كل شيء تمام، ما عدا التهاب اللثة ووجهي المعوج حتى الآن. أتمنى لكم الصحة والعافية. إذا كانت الوالدة لا تزال عندكم تحياتي لها.

أرسلت إلى العائلة الكثير من الصابون العاطر. لو كنتم في ميليخوفو لكانت من حصتكم قطعة صابون.

المخلص أبوكما العتيد أ. تشيخوف

(تعقيب) محكمة الاستئناف التي عقدت في يوليو ١٨٩٨ أبقت قرار محكمة البداية على حاله في اتهام إميل زولا بالافتراء على الجيش والحكومة الفرنسية والحكم على الكاتب بالسجن ١٢ شهراً وغرامة ٣ آلاف فرنك.

١٨٩. إلى ألكساندرا خوتياينتسيفا

نيس، ٢٣ مارس ١٨٩٨

أنا لا أرد على الرسائل بانتظام. والمذنبون في ذلك هم المعارف والأصدقاء الذين يطوقونني. لقد حدتُ عن السراط المستقيم، سراط الحقيقة، وصرت أتردد بولع شديد على مونت كارلو، ولم أعد قادراً على التفكير إلا بصيغة الأرقام والحسابات. (يوسف) براز يرسم صورتي. صورة وجهية من الأمام. في الورشة. أنا جالس على مقعد بظهر مخملي أخضر. في ربطة عنق بيضاء. يقول البعض إنني والربطة متشابهان تماماً. إلا أن تعابير وجهي، كما في المرة السابقة (الفاشلة)، أشبه بمن تنشّق الفلفل. يخيل إليّ أن براز لن يكون راضياً عن الصورة في الأخير هذه المرة أيضاً، مع أنه يتباهى. بالإضافة إلى صورتي يعكف على رسم زوجة محافظ المدينة /بناءً على اقتراح مني/ وكذلك صورة كوفاليفسكي. زوجة المحافظ تجلس في مهابة، بنظارات، وكأنها في قمرة زوجها في المسرح. وعلى كتفيها فرو السنور. وهذا، في ظني، شيء لا موجب له. ففيه أناقة زائدة. براز شاخ قليلاً، وبدا وسيماً. مظهره كمن عاد من رحلة بعيدة أكل خلالها الكثير ونام طويلاً.

سأعود إلى البيت عبر باريس. أرجوك اسألي العارفين أين (النحات) أنتوكولسكي الآن. وإذا هو غير موجود في باريس فمتى يعود. أرجوك كل الرجاء، لأنني بحاجة ماسة إلى الرجل (لينحت تمثال بطرس الأكبر لأجل مدينة تاغانروغ) (...)

أتمنى لك الصحة والسعادة. متى تعودين إلى موسكو؟ أعطيني عنوان أنتوكولسكي.

المخلص أ. تشيخوف

١٩٠. إلى ألكسندر سومباتوف - يوجين (مخرج)

ميليخوفو، ٦ يوليو ١٨٩٨

اعتراف تشيخوف

عزيزي ألكسندر إيفانوفيتش! شكراً جزيلاً على الرسالة وعلى دعوتك (إلى ضيعة سومباتوف في ضاحية تريبوني). قرأت الرسالة بكل سرور، لكنّ الدعوة أثارت الحزن في نفسي لأنني لا أستطيع تلبيتها بأية حال. وها أنا أقدم اعترافي لك (في الأصل بالفرنسية) قسَماً بأغلظ الأيمان: أنا مواظب على الكتابة، وفي عجلة، لكي أعوض عما بقي في ذمتي من الشتاء، وسأظل على هذه الحال حتى منتصف أغسطس، ثم أسافر إلى الجنوب، إلى القوقاز على الأرجح. فمتى أستطيع المجيء إلى «تريبوني»؟ وإذا سافرت متبطراً، دون أن أكتب قصتين أو ثلاثاً، فإن ضميري سيؤنبني. أنت اشتغلت، ويحق لك أن تستريح، أما أنا فقد تكاسلت وقتاً لا يعرف طوله إلا الشيطان. حتى أن أذنيّ امتلأتا بالوشوشة بسبب الراحة الطويلة. كتبت قصة لمجلة «نيفا» («إيونيتش») وأخرى («الرجل المعلب») «للفكر الروسي»، وأعكف حالياً على كتابة القصة الثالثة (لعلها «عنب الثعلب الهندي»)...

تراسلت مع نيميروفيتش. سيكون في موسكو قريباً أغلب الظن. ومن هناك يأتي إليّ. فقد وعدني على أية حال. بخصوص موسكو، على فكرة، في الأدب هدوء، كل الكتابات الفكرية مملة، مجرد اجترار على الطريقة القديمة. ولكنْ في «أرميتاج» كافيار لذيذ جداً، وفي «أومون» بضاعة لا بأس بها. التقيتُ مع شيختيل، وتحدثنا عن النادي المنتظر (النادي الأدبي، تشيخوف من مؤسسيه). كان الحديث طويلاً بحضور سوفورين والموظف في جريدته (يجوف). وكنت مصراً على أن يفتح باب النادي على مصراعيه إذا قدر له أن يظهر إلى الوجود. فإذا بدأت الأمور في جو ضيق خانق سرعان ما تتدهور في بدايتها.

في ضيافتي (الكاتبة) شيبكينا- كوبرنيك ومراسل «العصر الحديث» في باريس إيفان بافلوفسكي الذي هو ابن بلدتي. (. . .)

أتمنى لك الصحة والتوفيق. ولا تخشى ذات السحايا، فأنت لست مصاباً بهذا المرض ولن تصاب به.

ستموت بعد ٦٧ عاماً، ليس بذات السحايا، بل بصاعقة في مونت كارلو.

إذا لم يداهمك الملل اكتب لي مرة أخرى، حتى الخامس عشر من أغسطس.

تحياتي واحتراماتي إلى ماريا نكولايفنا.

المخلص أ تشيخوف

١٩١. إلى أليكسي سوفورين

ميليخوفو، ٢٤ أغسطس ١٨٩٨

عرض عليَّ (الناشر) سيتين أن يشتري أقاصيصي الفكاهية بخمسة آلاف روبل، وليس ثلاثة. تلك غواية كبيرة، لكنني مع ذلك لم أحزم أمري. فؤادي لا يميل إلى الكتاب بعنوان جديد. فإن إصدار الكتب سنوياً بعناوين جديدة كل مرة يثير الملل، وليس لائقاً بحال. ومهما قال (البعض)، سنضطر آجلاً أم عاجلاً إلى إصدار القصص بمجلدات، وتحت عناوين: المجلد الأول، الثاني، وهكذا دواليك. وبعبارة أخرى إصدار مجموعة المؤلفات، الأمر الذي يخلصني من الإشكال. وقد نصحني بذلك تولستوي. القصص الفكاهية التي جمعتها الآن تكفي للمجلد الأول. وإذا لم يكن لديكم مانع فسوف أعكف في منتصف الخريف وفي الشتاء، حيث أتفرغ من العمل، على مراجعة مجلداتي المرتقبة. ومما يعزز نيتي الفكرة القائلة بأن الأفضل أن أراجع مؤلفاتي وأصدرها بنفسي ولا أترك هذه المهمة للورثة. المجلدات الجديدة لن تعيق المجلدات القديمة غير المباعة، ذلك لأن الأخيرة ستباع عنوة في السكك الحديدية، حيث الإدارة مصرة، لسبب ما، على عدم بيع كتبي هناك. عندما سافرت آخر مرة بسكة نكولايفسكايا لم أشاهد كتبي على الرفوف.

أنا أبني مدرسة جديدة هي الثالثة حتى الآن. مدارسي تعتبر نموذجية. أقول ذلك كيلا تظنوا أني أنفقت روبلاتكم الـ ٢٠٠ على شيء تافه.

في ٢٨ أغسطس لن أكون عند تولستوي (لمناسبة عيد ميلاده). أولاً- بسبب صعوبة السفر في البرد والبلل، وثانياً - ما الداعي للذهاب إلى هناك؟ حياة تولستوي كلها يوبيل متواصل، وليس من الحكمة تخصيص يوم معين فيها. ثالثاً- زارني مينشيكوف قادماً مباشرةً من ياسنايا بوليانا (ضيعة تولستوي) وقال إن وجه ليف نكولايفيتش يكفهر وهو يتأوه حالما يتذكر أن الناس سيأتون إليه للتهنئة في ٢٨ أغسطس. رابعاً- لن أذهب إلى ياسنايا بوليانا لأن سيرغيينكو سيكون هناك. أنا درست معه في الثانوية. كان شاباً مرحاً ومنكتاً حاضر البديهة. ولكنْ حالما تصور نفسه كاتباً عظيماً وصديقاً لتولستوي (الذي قال عنه بالمناسبة إنه ثقيل الظل) حتى غدا مملاً وفي مقدمة المملين في العالم. أنا أخشاه، فهو عربة دفن قائمة عمودياً.

وقال مينشيكوف إن تولستوي وعائلته أكدا دعوتي إلى ياسنايا بوليانا، وسيزعلون لو لم أتوجه إليهم. /وأضاف مينشكوف: ولكنْ، رجاءً، ليس في ٢٨ أغسطس/. وأكرر أن الرطوبة اشتدت والبرد أيضاً، وأنا أخذت أسعل من جديد. يقولون لي إن صحتي تحسنت، ويطردونني مرة أخرى من المنزل في الوقت ذاته (كي أمضي إلى العلاج الطبيعي). سأضطر للسفر إلى الجنوب. وأنا مستعجل. أعد شيئاً ما، أريد أن أكمله قبل السفر. أنا في شغل شاغل عن ياسنايا بوليانا، مع أن من الواجب الذهاب إليها ليومين، وأنا راغب في الذهاب إلى هناك...

رحلتي (إلى الجنوب) كالآتي: في البداية القرم وسوتشي ثم إلى الخارج عندما يبرد الجو في روسيا. أرغب في السفر إلى باريس فقط. ولا أمل مطلقاً في السفر إلى الأقطار الدافئة. فأنا أخشى السفر إليها كما لو كانت منفى.

استلمت من فلاديمير نيميروفيتش - دانتشينكو رسالة. وهو مشغول جداً (التحضير لافتتاح المسرح الفني). أجروا قرابة مئة بروفة، وتلقى محاضرات على الممثلين.

إذا قررنا إصدار القصص بمجلدات فلا بد من لقاء قبل سفري لنتحدث، وكذلك بالمناسبة، لأنهش من الإدارة نقوداً. (...)

أتمنى لكم الخير وموفور الصحة والرفاه.

أبرقوا لي عما يستجد من أخبار. أنا أحب استلام البرقيات.

المخلص أ. تشيخوف

١٩٢. إلى ليديا ميزينوفا

يالطا، ٢١ سبتمبر ١٨٩٨

عزيزتي ليكا. ذكراك حاضرة دوماً. شالابين و(المغني سيكر) روجانسكي يقيمان هنا حفلاتهما. تناولت أمس طعام العشاء معهما وجئنا على ذكرك. لو تعرفين، ما أشد فرحتي برسالتك. أنت قاسية القلب. أنت بدينة ولن تفهمي فرحتي هذه. نعم، أنا في يالطا، وسأقيم هنا حتى موعد تساقط الثلج. لم أكن راغباً في مغادرة موسكو، ولكن الضرورة اقتضت أن أغادر، لأنني لا أزال في معاشرة غير شرعية مع عصيات كوخ. والقول بأن بدني اكتنز وبأنني غدوت بديناً خرافة، هذر في هذر. وبأنني مقدم على الزواج خرافة أيضاً، إشاعة أنتِ أطلقْتِها بين الناس. أنت تعرفين أنني لن أتزوج من دون موافقتك. أنت واثقة من ذلك، لكنك تطلقين مختلف الشائعات ربما حسب منطق الصياد العجوز الذي لا يطلق النار من بندقيته ولا يسمح لغيره باستعمالها، مكتفياً بالتشكي والتأوه وهو مستلق على دكة الفرن. كلا، يا عزيزتي ليكا، لن أتزوج من دون سماح منك، وقبل أن أتزوج سأريك نجوم الظهر. لا مؤاخذة على هذه العبارة. تعالي، إذن، إلى يالطا.

سأظل أنتظر رسالة منك بفارغ الصبر، وكذلك الصورة الفوتوغرافية التي تظهرين فيها، كما تقولين، شبيهة بجنية عجوز. أرسليها، يا عزيزتي ليكا، ووفّري لي فرصة رؤيتك ولو في الصورة. للأسف أنني لا أنتمي إلى «حلقة أصدقائك»، وكل طلباتي الموجهة إليك تبقى دوماً بلا جواب. أنا لا أستطيع أن أبعث لك صورتي، ليس لدي صورة، ولن تكون لدي قريباً. أنا لا أتصور.

رغم المنع (الطبي) الصارم ربما أسافر إلى موسكو في يناير لمدة ٣ أيام، وإلا سأنتحر من الاكتئاب. فهل سنلتقي؟ اجلبي لي، عندئذٍ، ربطتي عنق أو ثلاث ربطات، وسأدفع لك ثمنها.

من موسكو سأسافر إلى فرنسا أو إيطاليا.

لدى نيميروفيتش وستانسلافسكي مسرح ممتع جداً. وممثلات رائعات. لو بقيت هناك فترة قليلة أكثر لفقدت رشدي (قبل السفر إلى يالطا حضر تشيخوف بروفة «النورس» في المسرح الفني). كلما تقدم بي العمر يشتد في دخيلتي نبض الحياة

ويكتمل. تذكري هذه الحقيقة ولا ترتعبي منها. فأنا لن أسيء إلى «أصدقائي» ولن أتجرأ على ما تجرأوا هم عليه وأفلحوا فيه.

أكرر مرة أخرى: رسالتك أفرحتني جداً، جداً. وأخشى أنك لن تصدقي ذلك، ولن تردي على رسالتي في القريب العاجل. أقسم لك، يا ليكا، أنني ضجِر ومتضائق من دونك.

فلترفلي بالسعادة وموفور الصحة وحققي النجاحات في واقع الحال. أثناء عشاء الأمس امتدحوك كمغنية، وكنت مسروراً لسماع المديح. ربنا يحفظك.

المخلص أ. تشيخوف

(تعقيب) مسألة الزواج، أو على الأصح عدم الزواج، كانت تشغل بال تشيخوف طوال الوقت. في رسالة إلى المحامي يفيم كونوفيتسير بتاريخ ٢٦ ديسمبر ١٨٩٨ كتب يقول: «أنا غير محظوظ في المسرح، إلى حد فظيع. هكذا شاءت الأقدار. ولو أني تزوجت ممثلة مسرحية لأنجبنا بكل تأكيد قرداً، أورانغ أوتانغ. إلى هذا الحد أنا غير محظوظ». ومعروف أن تشيخوف في آخر العمر تزوج بالفعل من ممثلة شهيرة هي أولغا كنيبر، ولم ينجبا قروداً ولا أطفالاً!

١٩٣. إلى أليكسي سوفورين

يالطا، ١٧ أكتوبر ١٨٩٨

توفي أبي بعد مرض أليم وعملية جراحية استغرقت وقتاً طويلاً. لو كنت في البيت لما حصل ذلك. ما كنت لأسمح بعملية حتى الموت. على أية حال مزاجي في الأيام الأخيرة ليس بهيجاً إطلاقاً (. . .)

أنا، على الأرجح، سأبقى لقضاء الشتاء في يالطا. ولا أرغب في السفر إلى الخارج. ثم إنه لا يجوز لي أن أسافر بعيداً لأن من الضروري وضع خطة معيشة العائلة (بعد وفاة الوالد). ستصل إلى يالطا هذه الأيام شقيقتي وسنقرر معاً كيف نتصرف. الوالدة ربما لن ترغب في العيش في القرية، فالوضع هناك سيكون صعباً عليها وهي وحيدة. ينبغي أن نبيع ميليخوفو ونرتب حالنا في القرم، حيث سنعيش

معاً إلى أن تتركني الجراثيم. ثم إن رأي الأطباء على أية حال أن أقيم في القرم أكثر من شتاء. ومعنى ذلك أنني سأغير ما تعودت عليه، فيتعثر عملي. (...)

عرفت من الجرائد بنجاح (القيصر) «فيودور إيوانوفيتش» (مسرحية أليكسي قسطنطينوفيتش تولستوي) عندكم (في بطرسبورغ) وفي موسكو. أفكر في كتابة تمثيلية مقتبسة من معيشة أبناء الشعب. وسأكتبها على الأرجح. في يالطا الحياة هادئة، وبودي أن أؤلف رواية. عندما أستعيد مزاجي المعتاد سأعكف على كتابة عشر ملازم تقريباً.

عُرضت هنا مسرحيتكم «تاتيانا ريبينا» ومثلت فولغينا الدور الرئيسي فيها. (...)

القمر يطل على البحر. منظر آسر. وأنا ذاهب لأضع هذه الرسالة في صندوق البريد.

المخلص أ. تشيخوف

١٩٤. إلى ليديا ميزينوفا

يالطا، ٢٤ أكتوبر ١٨٩٨

عزيزتي ليكا. عندي خبران. أولاً- توفي والدي. حصل عنده انحصار الأمعاء وتأخر العلاج. نقلوه إلى المحطة في طريق كله مطبات، ثم أجروا له عملية في موسكو وفتحوا بطنه. وحسب رسائل الأهل كانت نهاية حياته أليمة جداً. ماشا تعذبت معه. وأنا في حالة نفسية فظيعة.

ثانياً - أنا في سبيل شراء قطعة أرض /بقرض/ على مقربة من يالطا، ليتوفر لي عقار يمكنني من قضاء فصل الشتاء وزراعة عنب الثعلب الهندي الذي تكرهينه. قطعة الأرض التي سأشتريها تقع في منطقة خلابة مناظرها على البحر والجبال. فيها مزرعة كروم وبئر خاصة بها. وهي على مسافة ٢٠ دقيقة من يالطا سيراً على الأقدام. وقد رسمت المخطط، ولم أنس الضيوف، فأفردت لهم غرفة في الطابق السفلي تحت الأرض. وفي حال غياب الضيوف سيسكن الدجاج الرومي تلك الغرفة.

مهما يكن من أمر يستبعد أن أصل إلى باريس قبل أبريل. وأنا مشتاق جداً لرؤيتك، لكنني لا أريد السفر. ثم إنني لا أمتلك نقوداً. والوضع في القرم جيد، جيد إلى درجة يصعب عليَّ وصفها. الطقس رائع، والصيف لا يزال في عزه. كلا، ينبغي أن تأتي أنت إلى روسيا لا أن أذهب أنا إلى باريس. وإذا كنت ستأتين قريباً بالفعل فاجلبي لي ربطات عنق ومناديل /عليها الحرف أ/ وسأدفع لك. كلمة شرف، سأدفع. اجلبيها ولو بمئة روبل. سأدفع المبلغ كاملاً. فلا تعترضي على طباعي.

صورك جيدة جداً. حتى أنك جميلة فيها، الأمر الذي لم أكن أتوقعه. بودّي أن أرسل إليك صورتي الفوتوغرافية، لكنني لا أمتلك صورة. ويمكنك أن تري جنابي في اللوحة النصفية بمعرض تريتياكوف الفني (موسكو). على فكرة هذه اللوحة بريشة الرسام (يوسف) براز ليست جيدةً.

أنتظر ماشا. ستصل هذه الأيام إلى يالطا لنلتقي ونتحدث. بعد وفاة الوالد، بعد هذه الفاجعة التي استمرت عدة أيام واضطرب لها الجميع في توتر شديد، من المستبعد أن ترغب والدتي وأختي في الإقامة في ميليخوفو. وانا أفكر الآن أليس الأفضل أن ننتقل جميعاً إلى القرم. الجو دافئ هنا والحياة مريحة.

اكتبي لي يا ليكا، ولا تتكاسلي. عنواني بسيط: يالطا. وإذا فكرت في المجيء إلى روسيا اكتبي لي قبل أسبوع.

من قال لك إنني أصلع؟ ما هذا التجاسر؟ أنا أفهم أنك تنتقمين مني لأنني أشرت مازحاً في إحدى رسائلي ولا أقصد الإهانة أبداً إلى الاعوجاج في قوامك، الأمر الذي حال دون زواجك حتى الآن مع الأسف.

أتمنى لك الصحة والسعادة. لا تنسي المعجب بك من زمان.

المخلص أ. تشيخوف

١٩٥. إلى ميخائيل تشيخوف

يالطا، ٢٦ أكتوبر ١٨٩٨

عزيزي ميشيل، ما إن بعثت إليك رسالتي المفتوحة حتى استلمت رسالتك. كنت أعرف بمعاناتكم جميعاً أثناء تشييع الوالد، وكانت حالتي النفسية في منتهى السوء. علمت بوفاة أبي من سيناني مساء الثالث عشر من الشهر فقط. فأنتم لم تبرقوا لي، ولا أدري لماذا؟ لو لم أعرج على حانوت سيناني بالصدفة لبقيت أمداً طويلاً ولا علم لي بالوفاة.

حسناً فعلتم عندما دفنتم جثمان الوالد في مقبرة (دير) نوفوديفيتشيه (أشهر مقبرة بموسكو، وقد دفن فيها أنطون تشيخوف نفسه فيما بعد). أنا أردت أن أبرق لكم بهذا الشأن، لكن الوقت كان متأخراً. وقد حزرتم رغبتي.

أنا في سبيل شراء قطعة أرض في يالطا، وسأبني بيتاً بإمكاني أن أقيم فيه شتاءً. يخيفني احتمال التجوال المتواصل والتنقل بين الفنادق والتعامل مع البوابين وتناول الطعام غير المعتاد وما إلى ذلك. حبذا لو أمضت الوالدة الشتاء معي. فلا شتاء هنا. الورود والزهور الأخرى متفتحة حتى أواخر أكتوبر. والأشجار مورقة خضراء والجو دافئ. والمياه وفيرة. وما عدا المنزل لا حاجة لأية خدمات. كل شيء يسير المنال تحت سقف واحد. في الطابق السفلي تحت الأرض فحم وحطب وغرفة الخدم وكل شيء. الدجاج في هذه الأنحاء يبيض طوال العام. ولا حاجة لمبنى خصوصي لها. يكفي أن تكون هناك أقفاص أو حواجز. وعلى مقربة من البيت مخبز وسوق. لذا تجد الوالدة الدفء المطلوب وأسباب الراحة. على فكرة، طوال الخريف يجمع الناس في الغابات القريبة مختلف أنواع الفطر والكمأة. وهذا سيصرف أمّنا عن همومها. لن أبني البيت بنفسي، بل أكلف مهندساً معمارياً. سيكون البيت جاهزاً في أبريل. قطعة الأرض، من وجهة نظر سكان المدن، فسيحة تتسع لحديقة ومشتل زهور وخضار. واعتباراً من العام القادم ستصل السكة الحديدية إلى يالطا.

كوتشوكوي (حيث اشترى تشيخوف منزلاً) لا تصلح لحياة محترمة. فهذا المنزل الريفي صغير والسبب الوحيد في شرائه هو جماله وسعره الرخيص.

أما بخصوص (زواجي) الذي تصر عليه أنت، فماذا أقول لك؟ الزواج ممتع إذا

كان بحب متبادل. أما الزواج من فتاة لمجرد أنها جميلة فهو أشبه بكونك تشتري من السوق حاجة غير ضرورية لمجرد أنها جيدة. أهم مسمار لتثبيت الحياة الزوجية هو الحب والولع الجنسي ووحدة المشاعر، وكل ما عدا ذلك غير متين وممل، مهما حسبنا حسابنا بذكاء. إذن، المسألة ليست في الفتاة الجميلة، بل في الحبيبة. الموقف، كما ترى، يحتاج إلى شيء زهيد لا أقل ولا أكثر. (...)

غداً تصل ماشا. وسوف نتشاور ونبحث كل شيء كما ينبغي. وسأحيطك علماً بقرارنا.

يتواجد هنا المحامي الأمير أوروسوف. أحاديثه ممتعة. وهو أيضاً يريد أن يشتري قطعة أرض. في القريب العاجل لن يبقى في يالطا شبر فارغ واحد. الجميع مسرعون لشراء الأرض. وقد ساعدني في الشراء كوني أديباً. فلأنني أديب باعوا قطعة الأرض لي بثمن رخيص وبالتقسيط.

أتمنى لك الصحة والعافية. بلّغ تحياتي إلى أولغا غيراسيموفنا وإلى زوجتك. الوقاية من التيفوس ليست صعبة، فهو ليس معدياً. المهم أن لا تشرب الماء غير المغلي.

مسرحيتي «الخال فانيا» تعرض في جميع المحافظات، وتحقق نجاحاً في كل مكان. لا يعلم المرء أن يَغلب وأين يُغلب. أنا لم أكن أعلق آمالاً على هذه المسرحية.

مع العافية. اكتب لي.

أخوك أ. تشيخوف

(تعقيب) في تذييل لرسالته إلى أليكسي سوفورين بتاريخ ٢٧ أكتوبر ١٨٩٨ كتب تشيخوف: «مسرحيتي /الخال فانيا/ تعرض في المحافظات على قدم وساق. تعرض في كل مدينة عدة مرات. في أوديسا عرضت خلال الخريف ثلاث مرات. وتعرض حالياً في خاركوف وهلمجرا».

١٩٦. إلى يعقوب ميربيرت (أديب مهاجر)

يالطا، ٢٩ أكتوبر ١٨٩٨

يعقوب سيميونوفيتش المحترم،

كل شيء تمام (بخصوص محاضرة ميربيرت عن دوستويفسكي بباريس). اشطبوا فقط المفردة المؤشرة بالأخضر. ويخيل إليّ أن بعض تفاصيل سيرة حياة الكاتب لا موجب لها. فليس من الضروري ذكر الإخوة والمعلمين، لأن ذلك يجعل المادة ثقيلة. ولعل من الأفضل استخدام أسلوب آخر في تحديد زمن الأحداث. فالقول بأن الحدث الفلاني حصل «في عام ١٨٣٩» لا يعني شيئاً بالنسبة للمستمع الفرنسي. وبدلاً من ذلك لعل الأفضل القول التالي: «عندما كان دوستويفسكي في العشرين من العمر». وكذلك من المفيد تقديم عرض سريع جداً وخفيف لتاريخ الأدب في الحقبة التي بدأ فيها السيد دوستويفسكي حياته. ينبغي الإشارة إلى أن دوستويفسكي بدأ حياته في ملابسات سلطة القيصر نكولاي الأول وسلطة بيلينسكي وبوشكين / وكان للأخير تأثير هائل عليه/. وهذه الأسماء: بيلينسكي، بوشكين، نكراسوف، في اعتقادي تواريخ معبرة أفضل من الأرقام التي يصعب على المستمع هضمها عادة، فتبقى خرساء.

لهجة موضوعكم متناسقة رائعة ومقنعة.

أنتظر البقية.

أرسلت إليكم بوشكين في طرد آمل أن تكونوا قد استلمتموه.

المخلص أ. تشيخوف

١٩٧. إلى إيفان غوربونوف - بوسادوف

يالطا، ٩ نوفمبر ١٨٩٨

عزيزي إيفان إيفانوفيتش. سأبقى في يالطا فترة طويلة، ولربما سأقضي الشتاء هنا. لذا أرسلوا كل شيء، الكتب و«عنبر رقم ٦» والمكافأة المالية والرسائل إلى

يالطا. العنوان بسيط: يالطا، أ. ب. تشيخوف. لا ترسلوا جميع نسخ «العنبر» المستحقة للمؤلف. تكفيني خمس نسخ. راجعت بروفة «الزوجة»، أما «العنبر» فقد قرأت نصفها حتى الآن. على فكرة، ليس في ذلك مشكلة. فالأخطاء قليلة جداً.

أجل، توفي شيخنا. والحال في ميليخوفو سيئة جدّاً. كنت أظن أن والدتي وأختي لن تطيقا البقاء هناك، أو على الأقل ستشعران بضجر شديد. ففكرت في بيع الضيعة. إلا أن ماشا جاءت إلى يالطا وتشاورنا في الأمر، فأدركتُ مدى تعودنا على ميليخوفو وصعوبة مغادرتها. وقررنا أن لا نبيعها. (. . .)

صحتي لا بأس بها. أعمل وأخرج من البيت حتى في الطقس السيئ. ولم يحصل نزيف مع القشع من زمان.

في حياتي لم أحترم إنساناً بهذا القدر العميق المتفاني كما أحترم ليف نكولايفيتش. ما كتبتموه عنه في رسالتكم بعث في نفسي ارتياحاً كبيراً. (كتب غوربونوف أن تولستوي فرغ من مراجعة «البعث» وتبرع بريعها لمعونة طائفة الدوخوبوريين الأرثوذكس في كندا).

أشد على يدكم بحرارة، وأشكركم على رسالتكم الجميلة، وأتمنى لكم الصحة وكل خير. بودّي أن أتحدث إليكم. لست متعرفاً على زوجتكم، ومع ذلك بلّغوها تحياتي.

المخلص أ. تشيخوف

١٩٨. إلى أليكسي بيشكوف (مكسيم غوركي)

يالطا، ١٦ نوفمبر ١٨٩٨

أليكسي مكسيموفيتش المحترم.

استلمت رسالتكم مع الكتب من زمان. وكنت أريد الكتابة إليكم من زمان أيضاً، إلا أن أموراً شتى شغلتني. فاعذروني، رجاءً. حالما تتوفر الفرصة سأكتب لكم بالتفصيل. ليلة أمس قرأت قصتكم «السوق في غولتفا»، فأعجبتني كثيراً، وأردت أن أكتب لكم هذه السطور كيلا تزعلوا ولا تظنوا بي الظنون. أنا مسرور

جداً، جداً، للتعرف عليكم، وأشكركم جزيل الشكر. كما أن الشكر موصول إلى ميرولوبوف الذي كتب لكم عني.

فإلى الفرصة السانحة حين يتسع الوقت، إذن. أتمنى لكم كل خير وأشد على يدكم بمودة.

المخلص أ. تشيخوف

(تعقيب) هذه أول رسالة من تشيخوف إلى مكسيم غوركي. المراسلات بين الكاتبين الكبيرين استمرت طويلاً. وكانت المبادرة من غوركي.

١٩٩. إلى اليكسي سوفورين

يالطا، ١٦ نوفمبر ١٨٩٨

استلمت نماذج (طباعة المؤلفات) وبعثت رداً إلى قسطنطين سيميونوفيتش. لن نعنون الطبعة الجديدة بـ«المؤلفات الكاملة»، بل نسمّيها ببساطة: المجلد الأول، والثاني وهلمجرا. ونحتفظ بالعناوين السابقة لكل مجلد، مثلاً: المجلد الخامس. «المكتئبون». ويكون العنوان على الغلاف الأمامي وليس الخلفي كما اقترحتم. وإذا اتضح أن حجم أحد المجلدات أقل من الـ ١٠ ملازم المطلوبة فسوف أضيف إليه قصصاً أخرى. ويمكن توحيد المجلدات الأصغر مثل «المبارزة» و«عنبر رقم ٦» في مجلد واحد، على أن يبقى سعر المجلد كما كان، روبلاً واحداً. والآن من المهم اختيار الحجم ونوعية البنط للتقيد بهما دوماً ومهما حدث. أما الورق فيمكن تغييره فيما بعد تبعاً للملابسات. فهل توافقونني؟ أنتظر من قسطنطين سيميونوفيتش رداً على رسالتي الأخيرة، ثم أبدأ بمراجعة المجلد الأول، الذي هو كنز ثمين. (. . .)

(في رسالة أخرى إلى سوفورين بتاريخ ١٧ يناير ١٨٩٩ كتب تشيخوف يقول: «أراجع بروفة المجلد الأول. وأعيد صياغة الكثير من الأقاصيص. المجلد يضم أكثر من ٧٠ أقصوصة. ثم يأتي المجلد الثاني وفيه «القصص المبرقشة»، ويضم المجلد الثالث «في الغسق»، وهكذا دواليك. وسأضطر إلى إضافة قصص إلى بعض المجلدات لتأمين الـ ١٠ ملازم التي تطلبها الرقابة»).

تصوروا، يالطا تشهد صيفاً حقيقياً. النهار قائظ، والليل مقمر دافئ. وصلت أختي ماشا. تشاورنا وقررنا أن تبقى الأمور على حالها. في الصيف أعيش في ميليخوفو، وفي الشتاء حيثما اتفق، تبعاً لحالتي الصحية. لا يهون علينا أن نبيع ميليخوفو. فقد أنشأنا فيها ضيعة جيدة من لاشيء.

في الربيع سأكون في باريس من جديد. ألن نلتقي هناك في فطور أو غداء عند إيفان إيفانوفيش شوكين (هاوي تحفيات)؟ سأتردد على باريس كل ربيع. (...)

تتواجد هنا، في يالطا، ابنة (الرسام إيفان) آيوازوفسكي. وقد زارتني، ويتعين عليَّ أن أرد الزيارة بمثلها.

كيف صحتكم عموماً؟ أتمنى لكم من صميم القلب كل خير. تذكّروني في صلواتكم وابتهالاتكم. واكتبوا لي.

المخلص أ. تشيخوف

٢٠٠. إلى ألكسندر تشيخوف

يالطا، ٢٨ نوفمبر ١٨٩٨

أخي الطيب. أنا مذنب بحقك من دون قصد. لم أكتب لك لأن ماشا لم ترد حتى الآن على سؤالي إلى أين أبعث لها النقود. لم ترد عليّ وكنت طوال الوقت أنتظر، فلم أكتب إليك.

لم أعد أقيم في منزل بوشيف من زمان. عنواني يالطا وكفى. أرجوك لا تنصت إلى تيتشينكين. فمن الصعب أن تجد على وجه البسيط شخصاً أكثر ذهولاً ونسياناً منه. منذ بدأ عمله في المطبعة أصبحت المطبعة نفسها أكثر نسياناً وأبطأ تحركاً مما سبق بخمس مرات.

وصلت ماشا إلى يالطا، ولكن لأمد قصير.

أنا بخير وبصحة جيدة. لا أعاني من أية آلام على الأقل. يصادف أن أبصق دماً، ولكن في حالات لا تعيقني كثيراً، وقد تعودت عليها. قلبي سليم تماماً. وسبب ذلك في اعتقادي هو الامتناع التام عن التدخين وتعاطي الكحوليات، تاركاً

إياها للمتفسخين والطائشين. الطقس في يالطا جيد جداً. الجو دافئ، والطبيعة طيبة. والبواخر تأتي وتمضي.

ما هذا الصمت بشأن الجزر الفنلندية وبشأن مستشفى المدمنين على الكحول؟ «العصر الحديث» تخوض في الوحل فيما يخص قضية دريفوس، والجميع يخوضون فيه. يا عيب الشؤم!

تحياتي الخالصة لعائلتك المحترمة.

أتمنى لك الصحة والعافية

المخلص أنطونيو

٢٠١. إلى أليكسي بيشكوف (مكسيم غوركي)

يالطا، ٣ ديسمبر ١٨٩٨

السيد المحترم أليكسي مكسيموفيتش. رسالتكم الأخيرة بعثت في نفسي ارتياحاً كبيراً. شكراً لكم من صميم القلب. «الخال فانيا» كتبتها من زمان، من زمان بعيد. ولم أشاهدها على خشبة المسرح. وفي السنوات الأخيرة باتت تعرض كثيراً في مسارح المحافظات، ربما لأنني أصدرت مجموعة مسرحياتي. لكنني على العموم أشعر ببرود تجاه مسرحياتي، وقد تخلفت عن المسرح منذ فترة طويلة. لم أعد راغباً في الكتابة للمسرح.

أنتم تتساءلون عن رأيي في قصصكم. أي رأي تريدون؟ الموهبة لا جدال فيها، وهي موهبة حقيقية وكبيرة. من خلال قصة «في السهب» مثلاً تتجلى الموهبة بقوة بالغة، حتى أنني شعرت بالحسد لأن القصة ليست من تأليفي. إنكم فنان ذكي يتحسس (الواقع) بأروع صورة، ويتميز بالمرونة، بمعنى ملامسة الشيء باليد أثناء تجسيده. وذلك هو الفن الحقيقي. هذا هو رأيي، وأنا مسرور جداً لاستطاعتي أن أعبّر عنه لكم. أكرر أنا مسرور جداً. ولو أننا تعارفنا وتجاذبنا أطراف الحديث ساعة أو ساعتين لاقتنعتم بمدى تقويمي الرفيع لكم وسعة الآمال التي أعلقها على موهبتكم.

هل تريدونني أن أتكلم الآن عن النواقص؟ تلك مسألة ليست يسيرة. الكلام عن

نواقص الموهبة هو بمثابة الكلام عن نواقص شجرة باسقة في البستان. فالقضية هنا، بالأساس، ليست في الشجرة نفسها، بل في أذواق ومشارب الذين يتطلعون إلى تلك الشجرة. أليس كذلك؟

أبدأ من تصوري أنكم ليست لديكم فرامل تحول دون الإسهاب. أنتم مثل المتفرج في صالة المسرح. فهو يعبّر عن إعجابه بإفراط يشوش على نفسه وعلى الآخرين. ويتجلى الإسهاب بخاصة في وصف الطبيعة، حيث تقطع التوصيفات سياق الحوار. وعندما نقرأها نشعر برغبة في أن تكون مكثفة وقصيرة، في سطرين أو ثلاثة لا أكثر. التذكير المكرر بالنعيم والحفيف والمخملية وغيرها يضفي على التوصيف مسحة من الرتابة والكلام المنمق بعض الشيء، ما يدفع القارئ إلى فتور ممل يكاد يثقل على النفس. كما يلاحظ الإسهاب في تصوير النساء /«مالفا» و«على الطوافة»/ ومشاهد الغرام. وليس بسبب سعة النطاق أو الفرشاة العريضة، بل هو تحديداً نتيجة للإسهاب والإطناب. ثم هناك الاستعمال الكثير لمفردات غير مريحة أبداً في قصص من الطراز الذي تكتبون فيه. (...) ويلاحظ توتر في تصوير المثقفين أقرب إلى الحذر، وليس ذلك بسبب قلة متابعتكم لحياة المثقفين. فأنتم تعرفونهم، لكنكم لا تعرفون بدقة من أية جهة تتناولونهم.

كم عمركم؟ أنا لا أعرفكم (شخصياً)، لا أعرف من أنتم ومن أين. ولكن يخيل إليّ أنه ينبغي لكم، طالما أنتم في ريعان الشباب، أن تغادروا (مدينة) نيجني (نوفغورود) وتعيشوا عامين أو ثلاثة بقرب الأدب والأدباء، للاحتكاك بهم، إن صح التعبير. وليس ذلك لكي تتعلموا من ديوكنا (المصياحين) وتشحذوا الهمة أكثر، بل لكي تمخروا عباب الأدب نهائياً وتغوصوا فيه لتحبوه، لا سيما وأن المدن الهامشية تسبب الشيخوخة المبكرة. كورولينكو وبوتابينكو ومامين (سيبيرياك) وأرتيل من أروع الناس، قد يبدو لكم في بادئ الأمر أنكم ستشعرون بالملل منهم، لكنكم فيما بعد، بمرور عام أو عامين، ستتعودون عليهم وتقدرونهم حق قدرهم، وستعوض لكم معاشرتهم عن مساوئ حياة العاصمة وغياب الراحة فيها.

أنا مسرع إلى البريد، أتمنى لكم دوام الصحة والتوفيق. أشد على يدكم بحرارة. وأشكركم مجدداً على الرسالة.

المخلص أ. تشيخوف

(آثرتُ أن لا أترجم جميع رسائل تشيخوف إلى غوركي، فالمراسلات بين الكاتبين معروفة للقارئ العربي ولو من خلال لغة وسيطة. ولنفس السبب فعلت الشيء ذاته مع رسائل تشيخوف إلى العائلة- خ. ض.)

٢٠٢. إلى إيفان بافلوفسكي
(مراسل «العصر الحديث» في باريس)

يالطا، ٣ ديسمبر ١٨٩٨

عزيزي إيفان ياكوفليفيتش! أشكركم من صميم القلب على إرسال "Le Temps". قراءة هذه الجريدة تريحني وتضفي تنوعاً على رتابة الحياة هنا، وإلى ذلك تمنعني من نسيان اللغة الفرنسية. كيف حالكم؟ ما أخباركم؟ هل قرأتم ما كتبه سوفورين عن تأثير اللوثريين؟ فهو يقول إن قضية دريفوس والمشكلة كلها من فعلهم.

المترجم D. Roche بعث لي ١٥٠ فرنكاً لقاء الموافقة على ترجمة «عنبر رقم ٦». يقال إنه مترجم ضعيف جداً، لكنني لم أقوَ على رفض طلبه بمواصلة ترجمة قصصي.

الجو في القرم جيد جداً حتى الآن. وفي يالطا دورة مياه وإسالة مياه. في الخريف سيبدأون بمد سكة الحديد. ويتحدثون عن الإنارة الكهربائية. باختصار: حضارة. أنا اشتريت بتهور قطعة أرض بقرض، وبتهور أيضاً بدأت بناء منزل، بقرض كذلك. ولا أعرف ماذا سيحصل. أما الآن فكل شيء تمام، وأنا أحلم بكيفية قضاء فصل الشتاء هنا.

المخلص أ. تشيخوف



٢٠٣. إلى بيوتر سرغيينكو
(كاتب، زميل تشيخوف في الثانوية)

يالطا، ١ يناير ١٨٩٩

عزيزي بيوتر أليكسييفيتش! لا يوجد معي هنا ولا كتاب واحد (من مؤلفاتي). أبعث إليك تذكرة (إلى المتجر)، فاستلم الكتب منه وأرسلها إلى المكتبة العامة (الجديدة) في كولومنا. وفيما بعد سأبعث لهم كتاباً بتوقيعي.

والآن بخصوص (الناشر أدولف) ماركس (بطرسبورغ). أنا لا أمانع في بيع مؤلفاتي له، لا أمانع إطلاقاً. ولكن ما هي الإجراءات؟ يصعب عليّ أن أشغلك بها، فأنت مشغول أصلاً، والمحادثات مع الناشر تحتاج إلى وقت طويل. بالإضافة إلى ما صدر، لدي في جرارات المكتب مادة لأربعة كتب أخرى على غرار «القصص المبرقشة» من حيث الحجم. سأبيع كل ما موجود، بالإضافة إلى ما سأجده مما نشر لي في المجلات والجرائد القديمة وأرى أن له قيمة أدبية.

أبيع كل شيء ما عدا ريع (عروض) المسرحيات. كتبي تعود عليّ سنوياً بأكثر من ثلاثة آلاف وخمسمئة روبل. وحتى الآن كنت أتابع هذه القضية بإهمال شديد. فالكتاب ينشر ويباع من دون حرص ولا انتظام. وعندما تسير الأمور بشكل جيد قصة «كاشتانكا» وحدها ستعود عليّ بما لا يقل عن ألف روبل في العام. الرقم ٣٥٠٠ يخص بشكل تقريبي كل السنوات الماضية اعتباراً من عام ٨٧. أما في واقع الحال فالمباغ أكبر بكثير، ذلك لأن العائدات في ازدياد مطرد. العام الفائت مثلاً

عاد عليّ بحوالي ٨ آلاف. وهو عام شهد حصاداً غير مسبوق بالنسبة لي. إذا كانت لديك رغبة تكلم مع ماركس. فأنا أريد أن أبيع، وقد حان وقت تنظيم الأمور من زمان. وإلا فالوضع بات لا يطاق.

إذا أردت أن تتكلم مع ماركس أبرق لي (يالطا، تشيخوف)، وبأسرع ما يمكن طبعاً.

عموماً، كيف حالك؟ لماذا لا تكتب عن صحتك؟ صحتي لا بأس بها. الحالات المؤلمة والمؤذية توقفت... وأنا أجرجر حياة العجوز الأعزب، حياة ليست سليمة ولا مريضة، بينَ بين.

فيشنيفسكي إنسان لطيف. فما رأيك؟ من كان آنذاك يتصور أن التلميذ الكسلان المتواضع فيشنيفسكي سيغدو فناناً يمثل في المسرح الفني ويؤدي دوراً في مسرحية تلميذ كسلان ومتواضع آخر (هو تشيخوف)؟

أتمنى لك الصحة والتوفيق. وأشد على يدك بحرارة.

المخلص أ. تشيخوف

٢٠٤. إلى إيفان تشيخوف (شقيق الكاتب، معلم)

يالطا، ١٨ يناير ١٨٩٩

عزيزي إيفان. المحادثات مع (الناشر) ماركس قطعت شوطاً بعيداً، وتم توقيع العقد التمهيدي. وبموجب الشروط التي يقترحها الناشر سأستلم مقابل حق ملكية نتاجي المنشور والذي سينشر مبلغ ٧٥ ألف روبل، وبعد ذلك أستلم ٥ آلاف روبل مقابل كل مجلد جديد لا يزيد عن ٢٠ ملزمة. بمعنى أن كتاباتي ستنشر كالعادة في المجلات والجرائد وأستلم منها أجوراً بالمقابل. أما طباعة مجموعات قصصي فهي حصرياً من حق ماركس، بشرط أن يدفع لي كل مرة ٥ آلاف روبل عن كل ٢٠ ملزمة. أما عائدات (تمثيل) مسرحياتي فهي لي. المسألة لم تنته بعد. لكن المحادثات جارية بشكل حثيث. ومن المحتمل أنني سأباع كالعبيد في مصر عندما تصلك رسالتي هذه. لهذا المبيع جانبان جيدان جداً، أولهما أنني أستلم ٧٥ ألفاً،

وثانيهما أنني أتخلص من لخبطة سوفورين. كل ذلك لا يزال طي الكتمان. بلّغ ماشا وحذّرها أن لا تخبر أحداً بالموضوع كيلا يصل الخبر إلى (صحيفة) «المراسل».

(...)

الأسرّة وصلت.

تحياتي إلى سونيا وفولوديا. (...)

أتمنى لك الصحة والعافية.

أخوك أنطونيو

٢٠٥. إلى فيرا كوميسارجيفسكايا

يالطا، ١٩ يناير ١٨٩٩

أنا آسف جداً، يا فيرا فيودوروفنا. طلبتم مني حل مشكلة غير قابلة للحل. أولاً- أنا طوال حياتي لم أكتب تقريظاً واحداً، فتلك بالنسبة لي مسألة غامضة غموض اللغة الصينية. ثانياً- أنا لا أراسل «العصر الحديث». (فيرا طلبت من تشيخوف أن ينشر تقريظاً في هذه المجلة عن ترجمة كتاب «هكذا تكلم زرادشت»). أنا آسف جداً لأنني لا أستطيع تلبية طلبكم، وأخشى أن لا تصدقوا مدى أسفي المرير. طلبكم مقدس بالنسبة لي، وعدم إجادة تلبيته شيء مخجل ومعيب. على فكرة، أنا لم أعد أنشر في «العصر الحديث» من زمان، من عام ١٨٩١. شكراً جزيلاً لكم على إرسال الكتاب. قرأته بكل ارتياح. فماذا أكتب لكم عن نفسي؟ أقيم في يالطا، وأشعر بالملل. مللت من كل شيء هنا، حتى من الطقس الجيد جداً. أرغب في جو الشمال. إذا توفرت لي نقود فسأسافر في بداية الربيع إلى الخارج، إلى باريس.

مسرحيتي «النورس» تعرض في موسكو للمرة الثامنة. قاعة المسرح مكتظة كل مرة. يقال إن إخراج المسرحية يفوق العادة. والممثلون متمكنون من أدوارهم تماماً. بيساريف (ممثل مسرح ألكسندرينسكي في بطرسبورغ) قال في ختام المسرحية إن «زجاجة» إنفجرت في الغرفة المجاورة، فقهقه الجمهور، أما الممثل الآخر في

موسكو فقال إن دورق الأثير انفجر، ولم يضحك الجمهور. وانتهى كل شيء بسلام. مهما يكن من أمر لم تعد بي رغبة في كتابة المسرحيات. المسرح في بطرسبورغ خلصني من هذا المرض. (يقصد فشل «النورس» في العرض الأول هناك).

لماذا تمرضون طوال الوقت؟ لم لا تتعالجون جدياً؟ فالأمراض، وخصوصاً النسائية، تعكر المزاج وتفسد الحياة وتربك العمل. أعرف ذلك تمام المعرفة، فأنا طبيب.

تقولون إنكم تحققون نجاحاً. أنا أعرف ذلك. وهو يسرني. لكنني في الوقت ذاته آسف جداً لأنني لا أرى أداءكم. أنتم ممثلة بارعة رائعة، والمؤسف أنه ليست لديكم البيئة المناسبة، ليس لديكم مسرح ولا رفاق. لعل الأفضل لو انتقلتم إلى موسكو، إلى مسرح مالي تياتر. فالوضع فيه، على أية حال، أقرب إلى الفن الحقيقي، وبين الممثلين عدد غير قليل من الطيبين! في موسكو يمكن أن تحققوا نجاحاً يفوق التصور.

أين ستقضون الصيف؟ أين ستمثلون؟ إذا كان في مكان قريب من موسكو فسآتي لألقي نظرة عليكم. فأنا اعتباراً من أبريل سأكون في منزلي بضواحي موسكو.

أكرر شكري من صميم القلب وأتمنى لكم موفور الصحة والسعادة وكل خيرات الدنيا.

المخلص أ. تشيخوف

٢٠٦. إلى إيفان تشيخوف

يالطا، ٢٠ يناير ١٨٩٩

عطفاً على رسالتي بخصوص المباحثات مع ماركس أخبرك بأنني واصلت الإصرار على مصالحي حتى اليوم. واليوم فقط أبرقت له بأنني موافق. سأستلم منه على الكتابات المستقبلية /بعد نشرها في المجلات كالعادة/ ٢٥٠ روبلاً للملزمة. وبعد خمس سنوات أستلم ٤٥٠ روبلاً، وبعد خمس سنوات أخرى ٦٥٠ روبلاً،

وهكذا دواليك، أي بزيادة ٢٠٠ روبل للملزمة كل ٥ سنوات. وقد وعدته في البرقية بأنني سأعيش لا أكثر من ٨٠ عاماً!

عندنا مطر. مطر خريفي يطرق على النافذة كما في ميليخوفو. الإقطاعي بوبوف يشق الطريق الأسفل إلى كوتشوكويه (الضاحية التي يبني فيها تشيخوف منزله الريفي في يالطا). تحياتي إلى صونيا وفولوديا. أتمنى لك الصحة والعافية. هذه المرة القبعة جيدة.

في صباح الغد سأبعث هذه الرسالة مع الباخرة.

أخوك أنطونيو

(تعقيب) بخصوص الـ ٨٠ عاماً فهم أدولف ماركس هذه المزحة حرفياً، وكاد يرفض عقد الصفقة لقلة المهلة في اعتقاده!!

٢٠٧. إلى ليديا ميزينوفا

يالطا، ٢٢ يناير ١٨٩٩

عزيزتي ليكا. رسالتك الغاضبة انهالت عليّ كالبركان بالحمم والنيران. ومع ذلك أمسكت بها بيديّ وقرأتها بكل ارتياح. أولاً- أنا أحب استلام الرسائل منك، وثانياً- لاحظت من زمان أنك عندما تغضبين عليّ يعني ذلك أنك بخير تماماً.

عزيزتي ليكا الزعلانة. لقد أثرتِ في رسالتك صخباً وضجيجاً، لكنك لم تذكري ولا كلمة واحدة عن حياتك وما الجديد عندك وكيف صحتك وما حال الغناء وهلمجرا. فيما يخصني أنا لا أزال في يالطا /ليس في منزل بوشيف/. أشعر بالملل وأنتظر الربيع حيث أستطيع أن أغادر. وفي حياتي خبر عظيم، حادث مشهود... أتزوج؟ احزري: هل سأتزوج؟ إذا كان الجواب نعم فممن أتزوج؟ كلا. لستُ مقبلاً على الزواج. كل ما في الأمر أنني أبيع مؤلفاتي إلى (أدولف) ماركس. أبيع حق الملكية. المباحثات جارية، ويمكن أن يحصل بعد أسبوعين أو ثلاثة أن أغدو صاحب دخل ريعي. أنا بالطبع لم أعد أفكر في أن أبيع ميليخوفو لأحد ما عداك. فلتبق أمور الضيعة على حالها.

في مارس سأسافر إلى باريس، وإذا لم يتسع الوقت، أسافر في سبتمبر. وفي أبريل سأكون في ميليخوفو. فهل ستأتين؟ لا بدّ لك من المجيء. ثم، إذا رغبتِ، نسافر معاً إلى القرم لمدة أسبوعين في يونيو. وحتى ذلك الحين يكون منزلي الصيفي (هناك) جاهزاً. ويمكن أن تسافر ماشا أيضاً في يونيو.

ماشا والوالدة تقيمان في موسكو /دار فلاديميروفا، شقة ١٠ عند التقاء شارع مالايا دميتروفكا وزقاق أوسبينسكي/ . ويبدو أنهما لا تشعران بالملل.(. . .).
«النورس» تعرض للمرة التاسعة والقاعة مكتظة بالمشاهدين. التذاكر نفدت. (. . .)

وصلت إلى يالطا نينا ابنة كورش. وسيأتي أيضاً أحد معارفك، فوكول لافروف. وسيسود المرح.

في الحقيقة أنا أسافر إلى باريس لأشتري لنفسي ثياباً وبياضات وربطات عنق ومناديل وما إلى ذلك، ولأراك إذا لم تغادري المدينة آنذاك عمداً حينما تعرفين بأنني قادم إليها، كما حصل سابقاً أكثر من مرة. وإذا لم يكن من المناسب لك اللقاء معي في باريس لسبب ما ألا تستطيعين أن تحددي لي موعداً للقاء في مكان ما، في الضواحي، مثل فرساي؟

سأصل إلى باريس وحدي. وفي السابق أيضاً كنت أجيء وحدي. لا شيء غير إشاعات أطلقتها أحدى معارفي، وهي نمامة لطيفة. هل تريدين أن تعرفي من هي؟ أنت تعرفينها جيداً، من الانحناء في قوامها والالتواء في وجهها (إنها أنتِ).

المطر يتساقط. والملل يلاحقني. فلا أرغب في الكتابة. الحياة تجري ببطء شديد.

إذن، أتمنى لك الصحة والعافية، عزيزتي ليكا. ابعثي لي في المستقبل أيضاً رسائل مسجلة. وسأسدد كلفة البريد المسجل. تتوفر لك في ميليخوفو الأطعمة والمتبلات وكل أسباب الراحة التي ترغبين فيها.

أشدّ على يدك.

المخلص أ. تشيخوف

٢٠٨. إلى ماريا تشيخوفا

يالطا، ٢٧ يناير ١٨٩٩

تقولين في رسالتك: «لا تبع مؤلفاتك لماركس»، فيما تقول برقية من بطرسبورغ: «كاتب العدل صادق على العقد». الصفقة التي أقدمتُ عليها قد تبدو غير مجزية، وستبدو كذلك أغلب الظن في المستقبل. إلا أن أهميتها تكمن في كونها أطلقت يديّ وخلصتني حتى آخر العمر من التعامل مع الناشرين والمطابع. وإلى ذلك ماركس يصدر الكتب بأروع صورة. وستكون تلك طبعة ضخمة ليست مثل الكتيبات والكراسات. وسأتقاضى ٧٥ ألفاً على ثلاث دفعات. على أية حال أنت تعرفين ذلك وتعرفين باقي الشروط.

ما يعني أنك لن تتصرفي بمؤلفاتي من الآن فصاعداً، ولن تكوني نسخة مصغرة من صوفيا أندرييفنا (زوجة تولستوي أشرفت على إصدار مؤلفاته). ومع ذلك ينبغي أن تدبري حالك بحيث تستطيعين أن تسافري في أي وقت تشائين وتعيشي في أي مكان ترغبين. رغبتك ونيتك بعدم مفارقة موسكو لأمد طويل أنا أحبذها. ينبغي أن تقيمي في موسكو ولو لشهرين في السنة، بل حتى لشهر واحد.

والآن أكلفك بمهمة. رجاءً التقي أولغا ميخائيلوفنا دارسكايا أو اكتبي لها ما يلي: في عيد الفصح سيقام في يالطا مهرجان بوشكين في اليومين الثاني والثالث من العيد. وستعرض بالمناسبة مسرحيته «بوريس غودونوف». فهل تتمكن هي من المجيء إلى يالطا لتؤدي دور مارينا في المسرحية، فيما يؤدي زوجها دور القيصر الدعي؟ على فكرة، صحتها تتطلب أن تتواجد في القرم خلال الربيع. ثمة من يمثل دور بيمن ودور غودونوف، ولا أحد يمثل دور مارينا والدعي. ثم إن الجميع يريدون لهذين الدورين أن يؤديهما ممثلون متقفون مبدعون. وإذا لم توافق أولغا ميخائيلوفنا على المجيء والمشاركة في المسرحية فلتبعث لي برقية: «يالطا. تشيخوف. كلا». ننتظر الجواب بفارغ الصبر. الأكاديمي كونداكوف سيمثل دور بيمن. أنا سأكون خلال عيد الفصح في ميليخوفو على الأغلب. لكنك الزمي الصمت بهذا الخصوص، ولا تخبري أولغا ميخائيلوفنا. ريع المسرحية سيصرف على بناء مدرسة بوشكين في يالطا. عندما يزورني أهالي المدينة يجلسون عندي طويلاً. فعمدتُ إلى تنظيم «أمسيات الخميس». تتردد عليّ تلميذات ثانوية البنات، وبعض الشباب. إلا

أن فارفارا أخذت تصطحب معلمي اللغة والأدب الصامتين وبعض النساء المعروفات لديك. ولذا قررت إلغاء الأمسيات والفرار منهن.

في عدد يناير من «الأسبوع» قصتي «في شؤون الخدمة». بالمناسبة، سيكون مينشيكوف في حارتكم، شارع دميتروفكا، في فبراير. وهو يتساءل في رسائله دوماً عن الوالدة، أين هي وهل تركناها وحدها في ميليخوفو؟ (...)

ماركس أراد في البداية أن تبقى عائدات المسرحيات لي «مدى الحياة»، ولكنني دافعت عن حقوق الورثة من بعدي. هذا الألماني بخيل، إلا أنني أنا أيضاً، كما يقول وكيلي، «أربكتُ» ماركس بشروطي العجيبة الغريبة. كتب البعض أن ليف تولستوي هو الذي أقنع ماركس بشراء مؤلفاتي.

أطلت في كتابة هذه الرسالة حتى آخر الورقة عمداً، كيلا تقولي إنني أكتب لك قليلاً. إذا كنتِ قد تعرفت على كنيبر بلّغيها تحياتي. وبلّغي فيشنيفسكي تحياتي أيضاً.

أتمنى لك موفور الصحة. تحياتي للوالدة وإيفان وصونيا وفولوديا. وإلى إيفانينكو أيضاً.

أخوكِ أنطونيو

٢٠٩. إلى الكسندر أوروسوف (ناقد أدبي)

يالطا، ١ فبراير ١٨٩٩

الملاطفات المفرطة المتكررة تحرمنا في آخر المطاف من إمكانية الرد عليها بالمثل. مقالتكم النقدية في «المراسل» (عن «النورس») وبرقية التهنئة بعرض هذه المسرحية والرسائل من موسكو بهذا الخصوص، وهدير الشهرة الذي يتناهى إلى هنا أحياناً على متن ريح الشمال، كل ذلك أتعبني وجعلني عاجزاً عن الكتابة إليكم، يا عزيزي ألكسندر إيفانوفيتش. فلا مؤاخذة، وتكرموا عليّ بغفران ذنوبي، وثقوا بأنني شاكر لكم بلا حدود. ولو لم أكن أقيم في يالطا لكان هذا الشتاء أسعد شتاء في حياتي.

إذن، أنا لا أزال في يالطا. الآن مساء. والريح تعوي كما في الفصل الرابع من «النورس»، ولا أحد يأتي إليّ، بالعكس ينبغي لي أن أرتدي المعطف الدافئ وأخرج بعد العاشرة. عموماً، أعيش حياة مملة. وأنا مضطر أن أرغم نفسي على الإقامة هنا يوماً بعد يوم، دون أن أتشكى من مشيئة الأقدار. أقرأ الجرائد وأتابع أخبار معجم بوشكين (الذي يدعو أوروسوف إلى إصداره جماعياً) وأحسد بالطبع أولئك الذين يعاونونكم في هذا المشروع.

لقد بعت على ماركس حقوق طبع مؤلفاتي إلى أبد الآبدين. وأرسلت إليه لأجل المجلد الأول تلالاً من أقاصيصي من عهد الثانوية ولم تكن قد أدرجت في أي كتاب من كتبي. وهي أقاصيص قصيرة جداً كفطائر العجين في حساء خضروات بلا زيت. والمؤمل أن تكون الطبعة جيدة.

كاترين الثانية (كنية كابيتولينا إيلوفايسكايا صاحبة منزل ريفي في يالطا) تسلم عليكم وتتساءل متى تصلون إلينا. إنها على ثقة تامة بأنكم ستصلون قريباً. أما ماريا ألكساندروفنا فهي مريضة طوال الوقت ويلاحقها النحول.

أشد على يدكم بحرارة، أحييكم أخلص تحية وأشكركم من صميم القلب والروح. أتمنى لكم الصحة والسعادة، وليكن أربات (شارع في موسكو) والأزقة المتفرعة منه أفضل وأجمل مكان على وجه البسيطة.

في يناير اجتزت عتبة الأربعين (...)

المخلص أ. تشيخوف

٢١٠. إلى بيوتر غنيديتش (كاتب مسرحي)

يالطا، ٤ فبراير ١٨٩٩

عزيزي بيوتر بتروفيتش. قبل كل شيء أشكركم من صميم القلب على مقالتكم عن مسرحيتي («النورس»). وقد فرحت لها فرحاً يفوق الوصف. ثم إن جوقة المسرح الفني مرتاحة للمقالة. فقد شجعتموها. كما أنني استلمت رسائل إعجاب بمقالتكم.

فيما يخص المجموعة المكرسة لبوشكين (مئوية ميلاد الشاعر) أنا في الحقيقة لا أدري ماذا أقول. فليس عندي قصة جاهزة. ذلك لأنني لا أكتب شيئاً الآن، ولا أستطيع أن أكتب. أنا أعكف فقط على مراجعة قصصي التي يصدرها ماركس، ولا يحتمل أن أشرع بالكتابة في القريب العاجل، ليس قبل أواخر أبريل عندما أعود من جديد إلى منزلي في قضاء سيربوخوف. أما هنا فالوضع لا يساعد على الكتابة مطلقاً. ثم إن أحداث حياتي الشخصية لا تمكنني من التركيز والتفرغ ولو لكتابة قصة قصيرة جداً. ولذا لا يمكنني أن أعد بشيء محدد.

كيف حالكم؟ لم أركم من زمان. في أواخر مايو سآتي إلى بطرسبورغ، لكنكم ستكونون آنذاك في الجنوب، أليس كذلك؟

أتمنى لكم كل خير وأشد على يدكم بحرارة، وأشكركم مرة أخرى. إقرأوا قصة غوركي «في السهب» وقصته الأخرى «على الطوافات». يبدو أنه يتحلى بموهبة كبيرة. إنه فظ غليظ ومتخلف، ومع ذلك موهوب. وإذا لم يكن لديكم متسع من الوقت اقرأوا «في السهب» فقط. (. . .)

(مسرحيتكم الكوميدية) «الرسائل المشتعلة» وصلت إلى العنوان المطلوب (في باريس). وتلقيت ألف شكر من (المخرج) ميربيرت مع تبليغ ببدء البروفة عليها هناك.

المخلص أ. تشيخوف

(تعقيب) صدرت مجموعة بوشكين في يونيو عام ١٨٩٩ وفيها قصة تشيخوف «الحادث».

٢١١. إلى ألكسندر تشيخوف

يالطا، ٥ فبراير ١٨٩٩

المفكر المتعمق ساشا! ارتدِ بنطالاً جديداً واذهب إلى هيئة تحرير «العصر الحديث» وأصدر إليهم أمرك بأن يستنسخوا أقصوصتي «الحكاية» المنشورة في العدد ٤٢٥٣، ثم أرسلها إليّ. (نشرت في مجموعة المؤلفات «بلا عنوان») وأصدر أمرك

أيضاً أن يكلفوا شخصاً مقابل أجور /زهيدة/ بأن يبحث عن حكاية أخرى نشرت في «العصر الحديث» ذاتها بعد عام من صدور العدد ٤٢٥٣ لمناسبة عيد الفصح أو أعياد الميلاد أو رأس السنة، وهي عن رهان بين اثنين من أصحاب الملايين (نشرت في مجموعة المؤلفات بعنوان «الرهان»). وكلفهم أيضاً باستنساخ الأقاصيص «رتابة الحياة» و«المعلم» و«ثقلاء الظل» المنشورة في «العصر الحديث» ذاتها في السنة الأولى من تعاوني مع هذه الجريدة الجيدة. (١٨٨٦). كل هذه الأقاصيص ضرورية للسيد ماركس الذي كرّمنا بشراء حقوق طبع مؤلفاتي رغم سوء سلوكك. استلمت اليوم رسالة من سوفورين (. . .) يقول فيها عن الصفقة التي أقدمتُ عليها إن سبب عدم شرائه هو لتلك الحقوق يعود إلى أن سرغيينكو أبلغه بالموضوع بعد توقيع الصفقة مع ماركس، وما إلى ذلك. ويعبّر عن مشاعر الصداقة والمودة. رسالته مكتوبة بلهجة دافئة. (. . .)

ومهما يكن من أمر فإن «العصر الحديث» تخلق على العموم انطباعاً مقيتاً. البرقيات التي تنشرها من باريس تثير الاشمئزاز. فهي ليست مادة خبرية، بل مجرد افتراءات وتحايلات (بشأن قضية دريفوس). وما أبشع مقالات إيفانوف المتغطرس، وإخباريات البطرسبورغي الدنيء وغارات أمفيتياتروف الشبيهة بهجمات الجوارح والنسور. هذه ليست جريدة، بل حديقة حيوانات مفترسة، سرباً من الثعالب الجائعة التي يعض بعضها ذيل البعض الآخر. الشيطان وحده يعرف حقيقة هؤلاء. مرحى يا حاخامات بني إسرائيل!

أنا وسوفورين ننوي الاحتفال بطباعتنا للكتب التي استمرت بنجاح كبير ١٢ عاماً. هلا نصحتنا بالكيفية التي نحتفل بها ونحيي هذه الذكرى؟

أنا لم أستلم نقوداً من ماركس حتى الآن. ولعله حوّل كل النقود إليك خطأً.

لم لا تقيم علاقات مع «المراسل» في موسكو؟ فهم بحاجة ماسة إلى الكتابات الأدبية. ويمكن لماشا أن تزكيك عندهم، لأن ناشري «المراسل» معارفها من نبلاء أورشليم الجديدة. الجريدة جيدة وتدفع جيداً. ويمكنك أن تحصل رأساً على ٤ كوبيكات للسطر. ماذا؟ قليل؟ خذ ١٢ كوبيكاً إذن. (. . .)

في بداية الصوم الكبير سيأتي سوفورين إليّ في يالطا.

كتبتَ مؤخراً عن رغبتك في شراء قطعة أرض. أين تريدها؟ في الشمال أم الجنوب؟ أجب عن السؤال تفصيلاً.

بلّغ تحياتي لعائلتك، وأتمنى لك موفور الصحة. إذا كان ماركس قد حوّل نقودي إليك أعدها.

أخوك المتفضل عليك
أ. تشيخوف

٢١٢. إلى ليديا آفيلوفا (كاتبة)

يالطا، ٥ فبراير ١٨٩٩

ليديا أليكسييفنا المحترمة! لديّ رجاء إليكم، رجاء كبير ومزعج جدّاً. فلا تزعلوا، باللّه عليكم. هلا تفضلتم بالبحث عن شخص أو فتاة عفيفة لاستنساخ قصصي التي نشرت في حينه بـ «جريدة بطرسبورغ»؟ كما أرجو أن تستحصلوا من هيئة تحرير الجريدة المذكورة سماحاً بالبحث عن أقاصيصي واستنساخها لأن البحث عنها في المكتبة العامة واستنساخها هناك أمر في منتهى الصعوبة. وإذا تعذرت تلبية طلبي هذا لسبب ما فأرجوكم أن تهملوه. ولن أزعل. وإذا كان طلبي يسيراً بهذا القدر أو ذاك فسأبعث إليكم قائمة القصص التي لا لزوم لاستنساخها. ليست لدي تواريخ دقيقة، ولا أتذكر في أي عام بدأت أنشر في «جريدة بطرسبورغ». عندما تبلغونني بأنكم وجدتم نسّاخاً سأطلب في الحال من أحد أمناء المكتبات القدامى ليتفضل بتزويدكم بالتواريخ المضبوطة.

أرجوكم أن تعذروني لإزعاجكم بطلبي هذا، وأنا أشعر بخجل شديد، لكنني بعد تفكير طويل لم أجد من أكلفه. أنا بحاجة إلى هذه القصص لأسلمها إلى ماركس بناءً على العقد الموقع بيننا. والأسوأ من ذلك أنني مضطر إلى قراءتها من جديد ومراجعتها كما قال بوشكين: «أقرأ حياتي باشمئزاز»...

كيف حالكم؟ ما الجديد؟ صحتي لا بأس بها، على ما يبدو. ذات مرة في منتصف الشتاء حصل نزيف، أما الآن فلا بأس، كل شيء تمام.

اكتبوا لي على الأقل أنكم لستم زعلانين عليّ، إذا كنتم لا تريدون أن تكتبوا لي عموماً.

الطقس رائع في يالطا، لكن الملل كما في شكلوف (مدينة هامشية في بيلوروسيا). وأنا أشبه بضابط في الجيش مبتعث إلى الأطراف. على أية حال أتمنى لكم الصحة والسعادة والتوفيق في كل ما تقومون به. واذكروني كثيراً، أنا الخاطئ الكبير، في صلواتكم وابتهالاتكم.

من الآن فصاعداً سينشر مؤلفاتي ماركس وليس سوفورين. أنا الآن «ماركسي».

المخلص الوفي أ. تشيخوف

٢١٣. إلى فلاديمير نيميروفيتش - دانتشينكو

يالطا، ٨ فبراير ١٨٩٩

عزيزي فلاديمير إيفانوفيتش! هل حضر عندك الضابط ليسكوف؟ الحضور الثاني للممثلة زويا بتروفنا، ولقبها في الطفولة كونداسوفا. في الـ ٢٥ من العمر، درست على يد فيدوتوف، وخدمت عامين بسذاجة في مدن هامشية. تزكيها إنسانة لطيفة جداً، أختها. أرجوك لا ترفض استقبال زويا هذه، ادرسها، تلمس قابلياتها، استمع إليها، وقرر هل تصلح كممثلة مسرحية، وهل يمكنها، على سبيل المثال، أن تأمل في الانتساب إلى المسرح الفني في زمن ما؟ أختها ترجو صراحة أن تعطوها للبداية دور البطلة في «النورس».

يبدو أنك مرهق بالعمل، فيما تخنقني العطالة. أنا الآن أشبه بمدينة منسية يسودها الركود التام. الصوم الكبير على الأبواب، وسيهدأ بالك مطمئناً على ما أنجزت، وتأخذ قسطاً من الراحة. فلك الخير كل الخير!

إذا سنحت لك الفرصة اكتب لي متى تكون فرقتكم بكامل ممثليها في أوديسا وخاركوف وكييف، لأتمكن من المجيء للقائكم. على فكرة، ينوي صاحب المسرح الخاص هنا أن يبرق لك بأن تأتي الفرقة إلى يالطا وتقدم عدة عروض مسرحية.

شكراً جزيلاً لك على وعدك بالتقاط صورة تبعثها إليّ. أنتظرها بفارغ الصبر.

لا أكتب لك شيئاً عن «الخال فانيا»، لأني لا أدري ماذا أقول. لقد وعدت شفوياً بتقديمها إلى «مالي تياتر»، وأنا الآن محرج بعض الشيء. فالأمر يبدو وكأنني

أتحاشى هذا المسرح. اصنع معروفاً، واستفسر هل ينوي «مالي تياتر» عرض «الخال فانيا» في الموسم القادم. إذا كان لا ينوي، فإنني سأطلق يدكم بالطبع لإخراجها. وإذا كان ينوي عرضها فإنني سأكتب غيرها لمسرحكم الفني. (كان فلاديمير دانتشينكو طلب من تشيخوف سماحاً بعرض هذه المسرحية). فلا تزعل: الكلام عن «الخال فانيا» دار مع مسؤولي «مالي تياتر» من زمان. وهذا العام استلمت رسالة من أوروسوف يخبرني أنه تحدث في الموضوع مع يوجين وما إلى ذلك.

بعت إلى ماركس كل مؤلفاتي، ما عدا عائدات عرض المسرحيات.

أنا أرتعش من العطالة كما ترتعش أنت من البرد.

أتمنى لك الصحة وأشد على يدك بحرارة. تحياتي إلى يكاترينا نكولايفنا وجميع العاملين في المسرح.

المخلص أ. تشيخوف

٢١٤. إلى أدولف ماركس (ناشر من أصلٍ ألماني)

يالطا، ١٦ فبراير ١٨٩٩

أدولف فيودوروفيتش الموقر!

أرسل إليكم وثيقة مصدقة من كاتب العدل وأرجو المعذرة على الخلل العفوي الذي حصل بسبب الاستعجال.

سأقدم لكم المواد اللازمة لمجموعة مؤلفاتي الكاملة قبل يوليو وأرجو أن تثقوا بأني سأنفذ كل الالتزامات المنصوص عليها في العقد بيننا بأدق صورة. والأكثر ملاءمة بالنسبة لي شخصياً لو أنكم باشرتم الطباعة قبل مايو حتى أتمكن من المراجعة في أشهر الصيف الأولى حيث أقيم ليس بعيداً جداً عن بطرسبورغ. وأعتقد أن بالإمكان الشروع الآن بطبع «كاشتانكا»، قصة الأطفال، /إذا كنتم تنوون إصدارها في كتاب مستقل/. ويمكن الآن أيضاً، وبصرف النظر عن المؤلفات الكاملة، الشروع بإصدار مسرحياتي، كلها في مجلد واحد أو كل مسرحية على حدة من أجل المسارح، وذلك كيلا يحصل انقطاع في تسويقها.

مادة المجلد الأول أرسلتها إليكم في ٢٧ يناير. وهي إجمالاً ٦٥ أقصوصة. ولما كانت قصيرة فمن الأسهل تنقيحها أثناء مراجعة البروفة.
يطيب لي أن أتمنى لكم كل النجاحات وأبقى على احترامي الخالص لكم واستعدادي للتعاون.

المخلص أ. تشيخوف

٢١٥. إلى ليديا آفيلوفا

يالطا، ١٨ فبراير ١٨٩٩

(...) أتقدم إليكم بالشكر الجزيل، بكل الشكر، على استعدادكم لمساعدتي (في تنظيم الاستنساخ) وعلى رسالتكم الجميلة الطيبة. أنا أحب الرسائل المكتوبة ليس بصيغة المواعظ.

تقولون إن لدي مهارة غير عادية في كيفية العيش، وإني أعرف من أين تؤكل الكتف. ربما. ولكن اللّه لا يمنح البقرة الناطحة قرنين. ما الفائدة من مهارتي في العيش إذا كنت أصرف الوقت كله في السفر والترحال وكأنني أتنقل في المنافي؟ أنا ذاك الذي يسير في شارع الحمّص ولا يجد حبّاته. كنت حراً دون أن أعرف الحرية. كنت أديباً وأمضيت حياتي كلها رغم أنفي ليس مع الأدباء. بعت مؤلفاتي مقابل ٧٥ ألفاً واستلمت جزءاً من المبلغ، ولكن ما فائدتي من هذه النقود إذا كنت ألازم البيت من أسبوعين ولا أجرؤ على الظهور بأنفي في الشارع؟ (...) الصفقة مع ماركس توفر لي ألفين في السنة، وقبلها كانت كتبي تدر عليّ سنوياً قرابة ثلاثة آلاف وخمسمئة روبل. وفي السنة الأخيرة استلمت، ربما بفضل «الفلاحون»، ٨ آلاف! تلك هي أسرار المهنة، فاستنتجوا منها كل ما يفيدكم، ولكن لا تحسدوني على أنني أعرف من أين تؤكل الكتف.

على أية حال، إذا وجدت نفسي في مونت كارلو فسأخسر حتماً قرابة ألفين. ذلك بذخ لم أكن أحلم به من قبل. ولربما سأربح، أليس كذلك؟ الكاتب إيفان شيغلوف يسمّيني بوتيومكين ويمتدح مثلكم مهارتي في حسن التدبير. فإذا كنت بمثابة بوتيومكين (الأمير الذي بنى القرى الجميلة الخالية) فماذا أفعل في يالطا ولماذا

يقتلني الملل هنا؟ الثلج يتساقط والزوبعة تعوي والريح تخترق النافذة والمدفأة تبعث لهاثاً ساخناً، وتعاف نفسي الكتابة، فلا أكتب شيئاً على الإطلاق.

إنكم مثال الطيبة. قلت هذا الكلام ألف مرة، وأكرره الآن.

أتمنى لكم الصحة وسعة الحال والبهجة والمرح. ولتحرسكم السموات. أشد على يدكم بحرارة.

المخلص أ. تشيخوف

٢١٦. إلى أدولف ماركس

يالطا، ٢٥ فبراير ١٨٩٩

أدولف فيودوروفيتش المحترم

بهذه الرسالة أرد على رسالتكم وأضع تحت تصرفكم كل مؤلفاتي القصصية والمسرحية التي أصدرتها في جميع الأوقات باسمي أو باسم مستعارٍ، ولا أستثني منها أقصر الأقاصيص. بعض تلك المؤلفات منشور في المجاميع التي استلمتموها مني بواسطة بيوتر سرغيينكو، وبعضها موجود عندي بشكل مستلات تنضيد أقوم بمراجعتها حالياً، والبعض الثالث الذي لا أستطيع الآن تحديد حجمه يجري استنساخه بناءً على طلبي في بطرسبورغ وموسكو وسيصلني لا أبعد من شهر مارس. أنا لم أحتفظ بالتواريخ الدقيقة. ومن بين الأقاصيص الموزعة على العديد من الصحف والمجلات على مدى عشرين عاماً تقريباً لم أعد أتذكر الكثير، ونسيت عناوين تلك الأقاصيص وتوقيعاتي عليها، بل وحتى أسماء المجلات التي نشرت فيها. ولكي أستعيدها في الذاكرة عليّ أن أراجع كل رسائل المحررين والناشرين المحفوظة لديّ. ولن أتمكن من تلك المراجعة قبل أبريل حيث أعود إلى البيت في الضيعة. أما تكليف شخص ما بالمراجعة فهو غير وارد، فلا أحد غيري يستطيع أن يغوص في بحر رسائل تكدست طوال عقدين من الزمن. زد على ذلك لا يوجد في ضيعتي حالياً ولا شخص واحد متعلم يمكن أن أكلفه بهذه المهمة. إلا أن ما طواه النسيان يشكل نسبة لا يؤبه بها من إجمالي المؤلفات ولا ينبغي أن يؤخذ بعين

الاعتبار لدى توزيعها على المجلدات. وسوف أسجل الملاحظة التالية على القصص والمسرحيات التي أعتبرها غير صالحة للنشر في مجموعة المؤلفات الكاملة: «لا تدرج ضمن المؤلفات الكاملة». أشكركم على اقتراحكم بتزويدي بالمجلات اللازمة. عندي منها مجلتا «الشظايا» و«اليعسوب». وفي موسكو يجري استنساخ كتاباتي في «المنبه». فهل لديكم «الجدجد» و«المشاهد» /العام الثاني/؟ إذا كانتا موجودتين لديكم تفضلوا بإرسالهما إليّ في يالطا. وسأعيدهما إليكم عندما تنتفي الحاجة.

سأرتبُ مؤلفاتي حسب التسلسل الزمني، ولكنْ من المتعذر التقيد المطلق بهذا التسلسل، ولذا سأحاول أن لا أجعل النتاجات الجديدة تختلط بالقديمة. ليست لديّ مؤلفات ضخمة أكثر من المعتاد. ولذا لن أعمد إلى تقسيم المؤلفات إلى كبيرة وصغيرة. وفيما يخص أحجام المجلدات فإنني أنا أيضاً أرغب في أن تكون متماثلة الحجم وأن نحدد نوع الكتاب الآن كيلا نغيره في المستقبل عندما ترد مواد جديدة. حجم الكتاب وأبعاده يمكن أن لا تتوقف عليكم. فلدي بهذا الخصوص رأي ثابت: الأفضل أن يكون الكتاب سميكاً. ويمكن أن نقرر عدد المجلدات بعد أسبوعين أو ثلاثة، عندما تجتمع لدي المادة كاملة تقريباً.

متجر سوفورين وعد أن يبعث إليكم المعلومات المطلوبة حالما يستلم بياناتها من المحافظات /متاجر المدن وأكشاك الكتب في السكك الحديدية/. وقد نفدت نسخ كتابين هما «القصص» و«كاشتانكا».

سأواصل التعاون مع «نيفا» بكل ارتياح، لأنني أحب مجلتكم هذه. في الحال الحاضر أنا لست في البيت، وأعمل قليلاً من دون رغبة. ولكنني في أبريل، على ما يبدو، سأبدأ العمل كما ينبغي وأوافيكم بقصص تناسب مجلتكم من حيث المضمون واعتبارات الرقابة.

بخصوص الصور الفوتوغرافية. في يالطا من المتعذر التقاط صور لي. فلا يوجد مصورون جيدون. ما يعني تأجيل المسألة إلى موسكو. وسأتصور فقط نزولاً عند رغبتكم. فأنا شخصياً، لو كان الأمر بيدي، لا أريد نشر صورتي، في الطبعات الأولى على الأقل. وأقول الشيء ذاته بخصوص النبذة عن حياتي. فلو رأيتم أن بالإمكان الاستغناء عن الصورة والنبذة أكون شاكراً لكم.

وصلت رسالتكم المؤرخة في ٢٠ فبراير. المجلدات الأولى ستتضمن القصص

التي بعثتها لكم وكذلك الأقاصيص المنشورة في مجاميع «قصص مبرقشة» و«في الغسق» و«القصص». وإلى ذلك سأوافيكم بأقاصيص أقصر لمجلد واحد على الأقل. أنتم تسألون عن الأقاصيص التي نشرتها «جريدة بطرسبورغ» في حينه. بعضها أدرج في المجاميع، وبعضها موجود عندي في نسخ تنضيد أو مستنسخات يدوية.

في الختام أتمنى لكم كل خير وأبقى الوفي الصادق لكم بكل احترام

المخلص أ. تشيخوف

٢١٧. إلى أليكسي سوفورين

يالطا، ٤ مارس ١٨٩٩

نقوم أنا والأكاديمي كونداكوف بإخراج مشهد «صومعة النساك في دير المعجزات» من (تراجيديا) «بوريس غودونوف» لمصلحة مدرسة بوشكين. دور (القسيس) بيمين يؤديه كونداكوف نفسه. فتفضلوا علينا، لوجه الله وفي سبيل الفن المقدس، واكتبوا لأحد ما في فيودوسيا أن يرسل لي بالبريد القرص الصيني (الناقوس) المعلق عندكم هناك. فهو ضروري لنا لندق فيه. وسأعيده إليكم كاملاً غير منقوص. إذا تعذر ذلك فاكتبوا لي عاجلاً، وسنضطر أن نستخدم الطست ناقوساً.

ليس ذلك كل شيء. فلي طلبات أخرى. طلبات متكررة، يا لها من طلبات! إذا كانت صور (الرسام) فاسينتسوف أو عموماً صور لوحاته الأخيرة تباع (في معرض أكاديمية الفنون) كلّفوا أحداً بارسالها إليّ بطرد بريدي والدفع عند الاستلام. بخصوص الاضطرابات الطلابية (إضراب جامعة بطرسبورغ) الكثيرون هنا، كما في كل مكان، يتحدثون ويتشكون بأنهم لا يجدون شيئاً عنها في الصحف. وتأتي رسائل من بطرسبورغ مؤيدة للحركة الطلابية. أما كتاباتكم عن الاضطرابات فلا تحظى بالاستحسان. ولا يمكن للأمر أن يكون على غير ذلك. فلا يمكن الحكم على الاضطرابات من خلال الصحف حيث لا يجوز التعرض لجوهر المسألة. الدولة

تمنعكم من الكتابة. وهي تمنع الكلام عن الحقيقة. هذا تعسف، بينما تتكلمون بيسر وسهولة، فيما يخص هذا التعسف، عن حقوق الدولة وصلاحياتها، وهو كلام لا يقبله العقل. أنتم تتكلمون عن حقوق الدولة، لكنكم لا تلتزمون بوجهة نظر الحقوق والقانون. الحق والعدل للدولة هما نفس الحق والعدل للشخصية المعنوية (للفرد). إذا صادرت الدولة أرضي بالخطأ أتوجه إلى المحكمة، وهي تعيد إليّ حقي. ألا ينبغي أن يحصل الشيء ذاته عندما تلهب الدولة جسدي بالسياط ؟ ألا يحق لي في حال وقوع عنف من الدولة أن أصرخ بالويل والثبور لانتهاك حقوقي؟ مفهوم الدولة ينبغي أن يقوم على علاقات حقوقية معينة، وفي حال العكس تصبح الدولة فزاعة، صوتاً فارغاً مخيفاً. (. . .)

تلقيت دعوة إلى باريس. إلا أن الجو هنا أيضاً بدأ يتحسن. فهل ستأتون؟ تعالوا في آخر أيام الصيام، وسنعود معاً. إذا كان من المتعذر الحصول على القرص الصيني بلغوني برقياً. تمثيليتنا في الأسبوع الثالث (من الصوم الكبير). تحياتي إلى آنّا إيفانوفنا وناستيا وبوريس. أتمنى لكم الصحة والسعادة.

المخلص أ. تشيخوف

٢١٨. إلى فاسيلي سوبوليفسكي
(صاحب «الوقائع الروسية»)

يالطا، ٥ مارس ١٨٩٩

عزيزي فاسيلي ميخائيلوفيتش، مرحباً! (. . .) كنت أريد الكتابة لكم، لكنني لم أشد العزم، أعاقتني الأشغال والناس. مراسلاتي كثيرة جداً، غرفتي أشبه بدائرة البريد، والناس تتردد عليّ طوال الوقت. ولا ساعة من وقت الفراغ، حتى لأرغب في الفرار من يالطا.

منذ الفترة التي لم أكتب إليكم فيها صبت مياه كثيرة في البحر وتبدلت أحوال وأحوال تحت فلك السماء. أولاً، أنا بعت نفسي إلى ماركس (. . .) ولدي الآن مال كثير، حتى أن المجمع الكنسي المقدس سمح لي بأن ألعب القمار وأخسر ٢-٣ آلاف.

ثانياً- انتهى الشتاء الطويل الممل، وحلّ الربيع والصوم الكبير. النور يبهر العينين، والجو دافئ. أزهار السوسن تفتحت، وأشجار اللوز ازدهرت، والبحر منظره وديع. كل شيء رائع، رائع جداً. ثالثاً- صحتي تحسنت، على ما يبدو، إلى درجة قررت فيها أن أقضي الخريف وبداية الشتاء في موسكو. تصميمي هذا قوي لأنني مللت جداً من التسكع في كل فصول الشتاء وأنا أنظر إلى الأعناب من بعيد وألعق لعابي مثل الثعلب: «هذا حصرم رأيته في حلب». سأقيم في موسكو وأسافر معكم إلى الخارج في فبراير.

في يالطا العديد من معارفكم، (...) وهم مرتاحون للمدينة ويمتدحونها. يلباتييفسكي غمز لي بعينه أمس وقال من المحتمل أن تأتوا أنتم أيضاً إلى يالطا. ليتكم تأتون. سأكون سعيداً لرؤياكم بلا حدود. (تعالوا) وستجدون نبيذاً لم تتذوقوا مثله في القرم أبداً. (...) والمحار قدر ما تشاءون. أعتقد أنكم ينبغي أن تجيئوا /مع العائلة/. فهل يعقل أن يقتصر التجوال على الخارج؟ يجب الالتفات أحياناً إلى مصايف الوطن.

وصلتني رسائل من نيس تفيد أن الموسم رديء، لكن المرضى كثيرون والأطباء يكسبون جيداً. (...) والبنسيون الروسي يزدهر. ملكة بريطانيا وصلت إلى نيس.

في الموسم القادم اعتقد أن «مالي تياتر» سيعرض مسرحيتي («الخال فانيا»)، وقد استلمت رسالة من المخرج وأجبت عليها بالموافقة.

الأكاديمي كونداكوف هنا، ونحن نلتقي يومياً ونتحدث عنكم (...) اكتبوا لي ولو سطرين: هل آمل في مجيئكم إلى يالطا؟ أشد على يدكم بحرارة مع تحياتي.

المخلص أ. تشيخوف

٢١٩. إلى فلاديمير كورولينكو

يالطا، ٥ مارس ١٨٩٩

عزيزي فلاديمير غالاكتيونوفيتش! بدأت أستلم «الثروة الروسية» بفضلكم، على ما يبدو. وبذلك توفرت لي فرصة قراءة قصتكم الرائعة («المسالمون»)، وها أنا ذا

أكتب لكم بالمناسبة. كيف حالكم؟ يلباتييفسكي جاءنا بأخبار سارة عن صحتكم. وأنا مسرور جداً لها. لا تعملوا كثيراً ولا ترهقوا أعصابكم كيلا يداهمكم الصداع من جديد فتتدهور صحتكم.

عصيات كوخ التي في داخلي لا تقلقني كثيراً. أشعر أن حالتي الصحية لا بأس بها. في أواخر مارس أو أوائل أبريل أعود إلى البيت في ميليخوفو.

أشكركم من صميم القلب على تذكركم لي وعلى المجلة، فأنا أقرأها بكل ارتياح. وأتمنى لكم كل خير.

أشد على يدكم بحرارة.

المخلص الوفي أ. تشيخوف

٢٢٠. إلى ليديا آفيلوفا

يالطا، ٩ مارس ١٨٩٩

سيدتي، أرسلوا لي دفاتر استنساخ القصص. سأعيد صياغتها. وما لا يصلح لإعادة الصياغة أرميه في نهر النسيان. أضيفوا إلى القصص التي لا موجب لاستنساخها ما يلي: «أكباش الفداء» و«هلوسة السبات» و«الكاتب».

أنا لن أشارك في مؤتمر الكتاب (المرتقب في بطرسبورغ لمناسبة مئوية ميلاد بوشكين). ففي الخريف سأكون في القرم أو في الخارج إذا بقيت على قيد الحياة طبعاً وإذا توفر لي الوقت. وسأقضي الصيف كله عند أهلي في قضاء سيربوخوف. على فكرة، في أي قضاء من محافظة تولا اشتريتم ضيعة؟ في العامين الأولين بعد الشراء ستجدون صعوبة، وأحياناً يصادف وضع سيئ جداً، وبعد ذلك تأتي حالة النرفانا شيئاً فشيئاً ويتحول الأمر إلى حالة اللذة والمتعة. أنا اشتريت ضيعة بالتقسيط، وواجهت صعوبات كبيرة جداً في السنوات الأولى /المجاعة والكوليرا في المنطقة/. ثم انتهت المشاكل، وبات مبعثاً للارتياح أن أتذكر وجود قطعة أرض لديّ في مكان ما قرب (نهر) أوكا. أنا أتعايش مع الفلاّحين بسلام، فلا يسرقون مني شيئاً أبداً، والعجائز يبتسمن عندما أمر بالقرية أو يرسمن علامة الصليب. أنا

أخاطب الكل، ما عدا الأطفال، بصيغة الجمع، ولا أصرخ في وجه أحد أبداً. ولكنّ أهم عماد لبناء علاقاتنا الطيبة هو الطب. سترتاحون في الضيعة، ولكن لا تتقبلوا، رجاءً، أية نصائح ولا تأخذوا بالاعتبار أي تخويف، ولا تنساقوا لخيبة الأمل في بادئ الأمر، ولا تظنوا سوءاً بالفلاحين. فالفلاحون، وخصوصاً في محافظة تولا، يواجهون كل الوافدين الجدد بقساوة ومن دون إخلاص في البداية. وليس عبثاً أن يقول المثل السائر: هذا الإنسان طيب مع أنه من تولا.

ها أنا ذا أكتب لكم شيئاً من قبيل النصائح، يا سيدتي، فهل يرضيكم؟

هل ثمة تعارف بينكم وبين ليف نكولايفيتش تولستوي؟ هل ضيعتكم بعيدة عن ضيعته؟ إذا كانت قريبة فأنا أغبطكم. إنني أحب تولستوي حباً جماً. في حديثكم عن الكتّاب الجدد وضعتم ميلشين (الاسم المستعار للكاتب بيوتر ياكوبوفيتش) في نفس الكومة، في حين أن الأمر ليس كذلك. ميلشين قمة منفردة. إنه كاتب كبير يفوق التقدير، كاتب ذكي قوي مع أنه ربما لن يكتب أكثر مما كتب. أنا لم أقرأ كوبرين (حتى الآن). غوركي يعجبني، لكنه في الآونة الأخيرة أخذ يكتب تفاهات، تفاهات مستهجنة، ولذا سأكف عن قراءته قريباً. (قصة كوروليكو) «المسالمون» جيدة، مع أنه كان بالإمكان الاستغناء عن بوخفوستوف، فهو بوجوده يضفي على القصة مسحة من التوتر واللجاجة، بل وحتى الزيف. كوروليكو كاتب رائع. يحظى بحب القراء ليس من دون سبب. فإلى جانب خصاله الأخرى يتحلى باليقظة والنقاوة.

تسألونني هل أنا آسف على سوفورين؟ (مقاطعة الكتّاب له بسبب مواقفه المعادية للطلبة) آسف طبعاً. أخطاؤه تكلفه غالياً. إلا أنني لست آسفاً أبداً على أولئك الذين يحيطون به.

لقد أطلت عليكم. أتمنى لكم الصحة وأشكركم من صميم القلب، من أعماق الفؤاد.

المخلص أ. تشيخوف

٢٢١. إلى بيوتر سرغيينكو

يالطا، ١٧ مارس ١٨٩٩

عزيزي بيوتر أليكسييفيتش! (. . .)

يبدو أن ماركس يحاول بدء مراسلات معي غير ودية تماماً. هذا الألماني اللعين بدأ يخوفني بالغرامات (بخصوص مسودات تشيخوف غير المنشورة بعد في مطبعة سوفورين) ويورد في رسائله الفقرة المتعلقة بها من العقد. أجبته بأنني لا أخشى الغرامات.

أحوال «العصر الحديث» (جريدة سوفورين) متردية. في مختلف المدن تعمدوا نشر بيانات وقرارات بالتخلي عن قراءتها. حتى في يالطا قرر أعضاء النادي المحلي بالإجماع عدم استلام «العصر الحديث» ونشروا بياناً بهذا الخصوص في «وقائع بطرسبورغ».

ليس عندنا من جديد. كل شيء على حاله. أتمنى لك الصحة والابتهاج. أشد على يدك.

المخلص أ. تشيخوف

٢٢٢. إلى ليديا آفيلوفا

٢٣ مارس ١٨٩٩

أنتم لا تريدون التشكرات، ومع ذلك، يا سيدتي، اسمحوا لي أن أعبّر عن تقديري لطيبتكم ولحسن التدبير (في تنظيم استنساخ قصص تشيخوف لإصدار المؤلفات الكاملة). كل شيء رائع، وعلى أحسن ما يكون.(. . .) أجور (النساخين) مقبولة تماماً. وموعد التسليم مفتوح، على أن لا يتعدى الربيع (الروسي في مايو). حبذا لو استلمنا العمل كاملاً في أواخر مايو.

أحيطكم بأنني درست مع سيرغيينكو (مؤلف سيرة ليف تولستوي) في الثانوية، ويخيل إليّ أنني أعرفه جيداً. إنه بطبيعته إنسان مرح يتحلى بروح الفكاهة

والنفس الكوميدي. كان هكذا حتى الـ ٣٠ - ٣٥ من العمر. نشر قصائده في «اليعسوب» / بالاسم المستعار «إميل بوب»/. وكان ينكت بلا كلل في حياته وفي رسائله. ولكنه، فجأة، تصور نفسه كاتباً كبيراً، وانتهى كل شيء. لم ولن يتحول إلى كاتب، إلا أنه شغل موقعاً معيناً بين الكتّاب: موقع حفار القبور. فاستعينوا به إذا كنتم بحاجة إلى كتابة وصية أو بيع نتاجات وما إلى ذلك (توسط سيرغيينكو في بيع مؤلفات تشيخوف إلى الناشر أدولف ماركس). إنه رجل طيب.

رسالتكم تضمنت خبرين. ١) هل صرتم أكثر نحافة؟ ٢) كتبتم عن «النورس»؟ أين ومتى؟ ماذا كتبتم؟ (شاهدت آفيلوفا العرض الأول «للنورس» وامتدحت المسرحية كثيراً في «جريدة بطرسبورغ») (. . .)

لا جديد في أخباري. أريد أن أشتري للوالدة منزلاً صغيراً في موسكو، ولا أعرف كيف. أريد أن أنتقل إلى موسكو، ولا يسمحون لي. نقودي كطيور البراري تحلّق مبتعدة عني. وبعد عامين تقريباً سأنضم إلى سلك الفلاسفة.

أنا أعرف تولستوي. يخيل إليّ أنني أعرفه جيداً، وأفهم كل حركة في حاجبيه. ومع ذلك أحبه.

غوركي موجود في يالطا. من حيث المظهر صعلوك، لكنه في المَخبر إنسان رشيق تماماً. وأنا مسرور جداً له. أريد أن أعرّفه على النساء، معتقداً أن ذلك سيعود بالنفع عليه. لكنه متردد.

أتمنى لكم الصحة، وليهبكم الله السعادة. أشكركم مرة أخرى، وأشد على يدكم.

المخلص أ. تشيخوف

٢٢٣. إلى ماريا تشيخوفا

يالطا، ٢٩ مارس ١٨٩٩

عزيزتي ماشا! كتبت لك أنني سأستلم من ماركس ٣٠ ألفاً في الأول من يناير ١٩٠٠، وحينذاك أستطيع أن أدفع لشراء المنزل أي مبلغ كان. إذا كان منزل

بريمييف يعجبك خير على خير. اشتريه. (لم يوفق تشيخوف في شراء المنزل في موسكو). ولربما يوافق الرجل على بيعه لحين الأول من يناير. عندئذ نوقع الصفقة، وإذا رفض نستلف قرضاً. يمكن الرهن، ولكن بمبلغ غير كبير، لا أكثر من ١٠ آلاف، كيلا يثقل علينا تسديد الفائدة المئوية.

المنزل، على الأرجح، سيخلق لدينا عجزاً غير كبير. ولكن عندما يكون لدينا سكن معتبر وهادئ فذلك يعوض تماماً عن كل الخسائر. كلما كانت المعيشة هادئة (بالمعنى البدني) يسهل العمل وتزداد الرغبة فيه. حاولي إقناع بريمييف أن يتكفل بكل تكاليف الصفقة، أي نفقات إجراءات بيع المنزل، وإلا فسيكلفنا ٣٢ الفاً وخمسمئة روبل. أوضحي له أن التنازل أسهل عليه من عبء زيادة النفقات علينا.

أما بخصوص «الخال فانيا» فلن أكتب ولن أبرق شيئاً. (حول رغبة اللجنة الأدبية تعديل المسرحية). أولاً- أنا لا أعرف عنوان اللجنة. وثانياً- كتبت إلى نيميروفيتش ألف مرة، ولا جواب. وثالثاً- مللت من ذلك كله إلى حدّ الغثيان... عموماً، أكرر أنني مللت، ولن أقدم لأحد مسرحيات للإخراج في أي مكان. ولن أكتب لأحد.

في «الجدجد» لعام ١٨٨٣ كثير من الرسومات الرائعة بريشة (أخينا) نكولاي. حبذا لو بحثنا في متاجر الكتب القديمة في شارع سوخوروفا واشتريناها. فقد قررت أن أجمع كل رسوم نكولاي في ألبوم أرسله للحفظ في مكتبة تاغانروغ العامة. من بينها رسوم لا يصدق العقل لماذا تأخرنا عن جمعها حتى الآن.

في أرضنا بضواحي يالطا ازدهر اللوز في حلة بهيجة رائعة. زهوره حمراء. والعمل في بناء المنزل سائر على قدم وساق.

سآتي قريباً. أتمنى لك الصحة والعافية. تحياتي للوالدة.

المخلص أنطوان

٢٢٤. إلى أليكسي سوفورين

موسكو، ٢٤ أبريل ١٨٩٩

وصلت إلى موسكو، وأول ما فعلته هو تغيير الشقة. عنواني الجديد: موسكو، شارع مالايا دميتروفكا، عمارة شيشكوف. استأجرت هذه الشقة لمدة عام كامل، على أمل غامض بأن يسمح لي الأطباء، ربما، بالإقامة هنا شهراً أو شهرين.

استلمت أمس رسالتكم الأخيرة مع نسخة تنضيد من موضوع «محكمة الشرف» (في اتحاد الأدباء. سوفورين لم يحضر الجلسة التي عقدت لمحاكمته). ولكنني لا أفهم إطلاقاً مَن هو بحاجة إلى هذه المحكمة وما الغرض منها وما الذي دفعكم للموافقة على حضور مرافعات محكمة لا تعترفون بها، كما أعلنتم مراراً في صحيفتكم. محكمة الشرف عند الأدباء، طالما لا يشكلون فئة مستقلة مثل الضباط أو المحلفين، إنما هي حماقة لا معنى لها. في البلد الآسيوي حيث تنعدم حرية الصحافة وحرية الرأي، وحيث الحكومة وتسعة أعشار المجتمع تنظر إلى الصحفي نظرتها إلى العدو، وحيث الحياة مقيتة خانقة والأمل ضعيف في حلول أوقات أفضل، تجعل التسلية في صب البعض مياه الغسيل على رؤوس البعض الآخر، وفي محاكم الشرف وما إلى ذلك، حمَلة القلم في موقف مضحك مخجل، هو موقف الوحوش التي حبست في قفص وراحت تعض أذناب بعضها البعض. وحتى لو أيدنا موقف اتحاد الأدباء الداعي إلى محكمة الشرف فإننا نتساءل ماذا يريد هذا الاتحاد؟ ماذا؟ إن محاكمتكم لأنكم أعربتم عن رأيكم بكل صراحة وبشكل مكشوف ومطبوع /مهما كان ذلك الرأي/ إنما تنطوي على مجازفة، وهي تطاول على حرية الرأي. إنها خطوة لجعل حال الصحفي أمراً لا يطاق، وذلك لأنه ما من صحفي يمكن أن يكون، بعد محاكمتكم، على ثقة بأنه لن يقع آجلاً أو عاجلاً تحت طائلة هذه المحكمة العجيبة. والقضية ليست في الاضطرابات الطلابية، ولا في سلسلة رسائلكم القصيرة الانتقادية. رسائلكم تلك يمكن أن تتخذ ذريعة لجدل حاد ولتظاهرات معادية لكم، ولرسائل أخرى تتهجم عليكم، وليس للمحاكمتكم بأية حال. نقاط الاتهام كأنما تتستر عمداً على السبب الرئيسي للفضيحة، إنها تلقي كل التبعة على الاضطرابات وعلى رسائلكم القصيرة كيلا تتناول السبب الرئيسي. وما الغرض من ذلك؟ أنا لا أفهمه أبداً. أنا في حيرة مطبقة. طالما دعت الحاجة

أو ظهرت رغبة في محاربتكم حتى الرمق الأخير لماذا لا يتكلمون بصراحة؟ المجتمع /ليس المثقفون وحدهم، بل المجتمع الروسي عموماً/ كان في السنوات الأخيرة معادياً «للعصر الحديث». ونشأ اقتناع بأن «العصر الحديث» تتلقى معونة من الحكومة ومن الأركان العامة الفرنسية. فيما بذلت الجريدة قصارى جهدها لترسيخ هذه السمعة غير المستحقة. وكان من الصعب أن نفهم لماذا تفعل ذلك ولمصلحة من. لا أحد يفهم، على سبيل المثال، الموقف المبالغ فيه تجاه فنلندة في الآونة الأخيرة، ولا أحد يفهم الإخباريات والوشاية بالجرائد التي منعت ثم أخذت تصدر كأنما بأسماء أخرى. ربما يبرَّر ذلك بأهداف «السياسة الوطنية»، إلا أنه ليس من الأدب بشيء.(. . .) لقد نشأ انطباع عنكم وكأنما أنتم شخص قوي في خدمة الحكومة، شخص قاسٍ لا يرحم. وبذلت «العصر الحديث» هذه المرة أيضاً قصارى الجهود لترسيخ هذا الانطباع الجائر في المجتمع. ووضع الجمهور «العصر الحديث» في عداد المطبوعات الحكومية المقيتة الأخرى، واشتد غضبه وتصاعدت شكاواه، فاتسع الموقف المتحيز ضدها، ورويت أساطير انتفخت أحجامها ككتلة ثلج انهالت وستظل تنهال من الأعلى جارفة ما تصادفه أمامها. وها هي فقرات الاتهام تلزم الصمت المطبق بشأن «كتلة الثلج» هذه، مع أنهم يريدون محاكمتكم بسببها تحديداً. أنا أشعر بالقلق وعدم الارتياح لهذه المغالطات.

بعد الأول من مايو سأسافر إلى ميليخوفو. أما الآن فأنا مقيم في موسكو أستقبل المرضى. وعددهم يفوق الحصر. تعبت. بالأمس زرت ليف تولستوي وقد تحدث هو وتاتيانا (ابنته) عنكم بشعور طيب. أعجبهما كثيراً موقفكم من «البعث». كما تناولت طعام العشاء أمس عند فيدوتوفا. إنها ممثلة أصيلة لا تعرف الزيف والرياء. أنا في صحة جيدة. هل ستأتون إلى موسكو؟

المخلص أ. تشيخوف

٢٢٥. إلى أليكسي بيشكوف (مكسيم غوركي)

موسكو، ٢٥ أبريل ١٨٩٩

لا خبر جاء ولا وحي نزل من طرفكم يا أليكسي مكسيموفيتش الغالي. أين أنتم؟ ماذا تفعلون؟ إلى أين تتوجهون؟

كنت قبل ثلاثة أيام في زيارة ليف نكولايفيتش تولستوي. أثنى عليكم كثيراً وقال عنكم: «كاتب رائع». تعجبه من كتاباتكم «السوق» و«في السهب». ولا تعجبه «مالفا». قال أيضاً: «يمكن افتعال كل شيء ما عدا النفس البشرية، بينما نصادف عند غوركي حالات نفسية مفتعلة، فهو يصف ما لا يتحسسه». هذا هو رأيه. وقلت له إنني سأصطحبكم إليه عندما تأتون إلى موسكو.

فمتى تكونون في موسكو؟ يوم الخميس ١ مايو يقدم (المسرح الفني بعد انتهاء موسمه) عرض «النورس» خصيصاً لي. فإذا جئتم فسأوفر لكم مقعداً في المسرح المغلق (. . .) وبعد الأول من مايو أمضي إلى القرية بضواحي موسكو.

تصلني من بطرسبورغ رسائل ثقيلة كرسائل التوبة والتكفير (عن ذنوب سوفورين ومحاكمته الرمزية). الأمر صعب عليّ، فلا أدري كيف أرد عليها، وكيف ينبغي لي أن أتصرف. حقاً، الحياة معقدة إنْ لم تكن مفبركة نفسياً.

اكتبوا لي سطرين أو ثلاثة. تولستوي تساءل كثيراً عن تفاصيل نشاطكم. فأنتم تستثيرون لديه حب الاستطلاع. ويبدو أنكم أثّرتم فيه.

على أية حال، أتمنى لكم موفور الصحة وأشد على يدكم بحرارة. تحياتي لابنكم مكسيم.

المخلص أ. تشيخوف

٢٢٦. إلى ميخائيل مينشيكوف (كاتب)

ميليخوفو، ٤ يونيو ١٨٩٩

عزيزي ميخائيل أوسيبوفيتش، مرحباً! أنتم الآن في ترحال؟ مسرور لكم جداً، وأغبطكم. صحيح أنكم ستتعبون في آخر الأمر وتشعرون بالحنين. لكنكم عندما

تعودون فيما بعد إلى مدينتكم المضيافة تدمر الشمال (بطرسبورغ)، حيث البلل والبرد والعتمة، سيكون لديكم ما تتذكرونه. وأنا مسرور (لابنكم) ياشا أيضاً. أنتم تتجولون، في الإمبراطوريات، وأنا قابع في ميليخوفو الطيبة، بدني يقشعر من البرد، وأعكف بدأب شديد على مراجعة البروفات التي يبعثها لي ماركس أكواماً. أصحح كل ما سبق وكتبته، حتى أنني رميت ٢٠٠ أقصوصة وكل ما لا صلة له بالأدب، ومع ذلك بقي أكثر من ٢٠٠ ملزمة طباعية، وبالتالي ستكون مجموعة المؤلفات من ١٢-١٣ مجلداً. كل ما كان يشكل مضامين المجموعات القصصية المعروفة لديكم والتي صدرت حتى الآن سيغرق في بحر من المواد غير المعروفة للعالم إطلاقاً. عندما جمعت كل تلك المواد استولت عليّ الدهشة لكثرتها.

شقيقتي تريد أن تبيع ضيعة ميليخوفو وقد بعثت إعلانات إلى الجرائد، ولكن من المستبعد أن تباع قبل الخريف أو الشتاء. وأنا سأسافر إلى القرم في يوليو وأعود في أغسطس لأعيش في روسيا حتى أواخر الخريف.

أنا لم أشارك في مهرجانات بوشكين (لمناسبة مرور مئة عام على ميلاده). أولاً- لأنني لا أملك بدلة سهرة، وثانياً- أنا أخشى الخطب. حالما يبدأ أحدهم بإلقاء خطبة في وليمة اليوبيل أشعر بالتعاسة، وأرغب في الاختباء تحت المائدة. ففي هذه الخطب، وخصوصاً عند خطباء موسكو، كثير من الكذب المتعمد. ثم إن تلك الخطب لا تُلقى بصيغة جميلة. في موسكو أمطرت السماء وكان الجو بارداً في ٢٥ مايو وبعده، فلم تنجح المهرجانات والاحتفالات. ومع ذلك كانت الخطب كثيرة. وكان المتحدثون بالطبع ليسوا من الأدباء، بل فقط من الصناعيين /تجار الأدب بالجملة/ . ومن بين جميع الذين قابلتهم في موسكو في تلك الفترة بدا لي (فكتور) غولتسيف الشخص اللطيف الوحيد. (. . .)

شكراً جزيلاً على الرسالة فلا تنسوني. تحية قلبية إلى ليديا إيفانوفنا وياشا. أتمنى لهما كل خير.

الوالدة وأختي تشكرانكم على تذكركم لهما وتبعثان بالتحية.

أشدّ على يدكم بحرارة.

المخلص أ. تشيخوف

٢٢٧. إلى أولغا كنيبر (زوجة الكاتب المرتقبة)

ميليخوفو، ١٦ يونيو ١٨٩٩

ماذا يعني هذا كله؟ أين أنتم؟ إنكم مصرون على عدم إرسال أخبار عن أحوالكم حتى صرنا في حيرة من أمرنا لا ندري ماذا نتوقع، وأخذنا نظن أنكم نسيتمونا وتزوجتم في القوقاز. (أولغا سافرت إلى أخيها في القوقاز) فإذا كنتم قد تزوجتم بالفعل فممّن؟ وهل قررتم أن تتركوا المسرح؟

المؤلف (تشيخوف) منسي. ما أفظع ذلك وما أقساه. إنه الغدر ليس إلا.

الجميع يبعثون تحياتهم إليكم. ولا أخبار أخرى. لا وجود حتى للذباب. لا شيء عندنا. حتى العجول لا تعض.

كنت أريد أن أرافقكم إلى محطة القطار، إلا أن المطر منعني لحسن الحظ!

كنت في بطرسبورغ. تصورت في اثنين من إستوديوهات التصوير الفوتوغرافي. وكدت أتجمد هناك. سأسافر إلى يالطا ليس قبل مطلع يوليو.

أشد على يدكم بحرارة إذا سمحتم. وأتمنى لكم كل خير.

المخلص أ. تشيخوف

٢٢٨. إلى أولغا كنيبر

موسكو، ١ يوليو ١٨٩٩

نعم، أنتم على حق: الكاتب تشيخوف لم ينس الممثلة كنيبر (أدت أدواراً رئيسية في جميع مسرحياته). والأكثر من ذلك يعتقد أن اقتراحكم بالسفر معاً من باتوم إلى يالطاً رائع. أنا أسافر ولكن بشروط. أولاً- حالما تستلمون هذه الرسالة تبرقون لي فوراً، من دون تأخير ولا دقيقة واحدة، بخصوص الموعد التقريبي الذي تنوون فيه مغادرة متسخيت. البرقية، على سبيل المثال، كالآتي: «موسكو، مالايا دميتروفكا، شيشكوف، تشيخوف، عشرون». بمعنى أنكم ستغادرون متسخيت إلى باتوم في ٢٠ يوليو. ثانياً- بشرط أن أتوجه أنا إلى باتوم رأساً وأستقبلكم هناك دون

أن أعرج على تفليس. ثالثاً- بشرط أن لا تلعبوا على أعصابي. فيشنيفسكي يعتبرني شخصاً جدياً تماماً، ولا أريد أن أبدو في نظره ضعيفاً كالآخرين.

حالما أستلم برقيتكم أكتب لكم، وسيكون كل شيء على خير ما يرام. أما الآن فأبعث إليكم ألف أمنية قلبية وأشد على يدكم بحرارة. شكراً على الرسالة.

المخلص أ. تشيخوف

موسكو، مالايا دميتروفكا، عمارة شيشكوف

٢٢٩. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ٣ سبتمبر ١٨٩٩

عزيزتي الممثلة البارعة! أرد على جميع أسئلتكم. وصلت بالسلامة. رفاق الطريق تنازلوا لي عن السرير السفلي، وبعد ذلك لم يبق في القمرة سوى شخصين، أنا وشاب أرمني. كنت أشرب الشاي عدة مرات في اليوم. وكل مرة أشرب ثلاثة أقداح مع الليمون. بتأنٍّ وتلذذ. وقد أجهزت على كل ما كان في السلة. لكنني أعتقد أن حمل السلة والاستعجال في استحصال الماء الساخن من المحطة مسألة غير جدية تسيء إلى سمعة المسرح الفني. كان الجو بارداً حتى (مدينة) كورسك، ثم أخذ يتدفأ، وبات قائظاً في سيواستوبول. في يالطا نزلت في بيتي (بالضواحي). وها أنا أعيش هنا برعاية (الخادم) مصطفى الوفي. أتناول وجبة الغداء ليس كل يوم. لأن المدينة بعيدة، واستخدام مطبخ الكيروسين يسيء إلى السمعة أيضاً. في المساء أتناول الجبن. وألتقي مع إسحق سيناني (صاحب متجر كتب). زرت عائلة ليونيد سريدين مرتين. أعجبوا بصورتكم الفوتوغرافية كل الإعجاب، وبالسكاكر أيضاً. ليونيد فالينتينوفيتش في صحة لا بأس بها. أنا لا أشرب مياه نارزان (المعدنية). وماذا أكتب لكم أكثر؟ لا أتواجد في البستان تقريباً، أطيل الجلوس في البيت وأفكر فيكم. عندما مر القطار (بمدينة) باختشي ساراي فكرت فيكم وتذكرت كيف تجولنا هناك. عزيزتي الممثلة الفريدة والمرأة الرائعة، لو تعلمون كم كان سروري برسالتكم عظيماً. أطأطئ رأسي لكم حتى تلامس جبهتي قاع البئر التي حفرناها بعمق ١٦

متراً. لقد تعودت عليكم، وأشعر الآن بالحنين ولا أتقبل فكرة كوني لن أراكم حتى الربيع، فيستولي علي الغضب. لو علم الناس بما يعتمل في نفسي لكان ما كان.

الجو رائع في يالطا، إلا أن المطر يتساقط من يومين من دون موجب. فازداد الوحل وتعين عليّ أن أنتعل الجزمة المطاطية. بسبب الرطوبة تزحف أم أربع وأربعين على الجدران، والضفادع تتقافز في البستان، وكذلك صغار التماسيح. الشيطان الأخضر الذي أعطيتموني إياه في أصيص الزهور وأوصلته أنا بسلام يستقر الآن في الحديقة ويتدفأ بأشعة الشمس.

وصل سرب بواخر، أتطلع إليه بالمنظار.

على خشبة المسرح أوبريت. البراغيث المروضة تواصل خدمة الفن المقدس. لا نقود لدي. الضيوف يترددون عليّ كثيراً. عموماً، الملل شديد. ملل العطالة الذي لا معنى له.

على أية حال، أشد على يدكم وأقبلها بحرارة. وأتمنى لكم الصحة والسعادة والبهجة والمرح. فاعملوا وتقافزوا واسترسلوا في الغناء. ولا تنسوا، إن أمكن، الكاتب الطارئ على المسرح والمعجب المتيم بكم.

المخلص أ. تشيخوف

٢٣٠. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ٩ سبتمبر ١٨٩٩

استلمت قصاصة الورق والعطور والسكاكر. مرحباً، عزيزتي الغالية الممثلة الرائعة! مرحباً يا رفيقة الطريق إلى آي- بيتري وباختشي ساراي. مرحباً يا فرحتي ومسرتي!

ماشا تقول إنكم لم تستلموا رسالتي. كيف؟ لماذا؟ بعثت الرسالة من زمان، حالما قرأت رسالتكم.

كيف حالكم؟ وعملكم؟ كيف تجري التدريبات؟ (على مسرحية غيرهارت هاوبتمان «الوحيدون»). هل من جديد؟

أهلي وصلوا. يستقرون بالتدريج في المنزل الفسيح. المعيشة تغدو مقبولة.

ولدينا هاتف. أستعمله كل ساعة لأقتل الملل. فالملل شديد من دون موسكو، ملل شديد من دونكم يا عزيزتي الممثلة. متى نلتقي؟

استلمت برقية من (مسرح) ألكسندرينسكي، يطلبون «الخال فانيا».

أنا مسرع الآن إلى السوق في المدينة. أتمنى لكم الصحة والسعادة والفرحة. لا تنسوا الكاتب، لا تنسوني، وإلا سأنتحر هنا غرقاً أو أتزوج من أم أربع وأربعين.

أقبّل يدكم بحرارة. بحرارة وبشدة!!

المخلص لكم بالتمام والكمال

أ. تشيخوف

(باخرة تطهير قاع البحر) «بارشاك» انصرفت.

٢٣١. إلى فكتور غولتسيف

يالطا، ١٥ سبتمبر ١٨٩٩

مرحباً، صديقي العزيز فكتور ألكساندروفيتش! اعذرني، لن أرسل إليكم (لأجل «الفكر الروسي») قصتي («السيدة صاحبة الكلب»، ترجمة د. أبو بكر يوسف) لأنها غير جاهزة بعد. النجارون يعدون الأرضية ويطرقون عليها من الصباح حتى المساء، ويشوشون عليّ، فلا أستطيع أن أكتب. ثم إن الطقس جيد جداً ويصعب البقاء في الغرفة.

سرت شائعات بأنك ستأتي قريباً إلى القرم. فهل هذا صحيح؟

أين فوكول (لافروف، صاحب مجلة «الفكر الروسي») كيف صحته؟ إذا كان قد عاد إلى موسكو بلغه تحياتي.

ابعث لي الصورة.

ثم عندي طلب آخر، تجاري هذه المرة. هل تستطيع أن تأخذ لي من شخص ما في موسكو ألف روبل ديناً حتى ديسمبر؟ في ديسمبر أستلم من ماركس أكواماً من النقود، أما الآن، ونحن في سبتمبر، فجيوبي خالية. ألا تعطيني هيئة تحرير «الفكر

الروسي» قرضاً؟ أنا مدين لها، ومتجر الكتب مدين لي في مقابل «سخالين»، وأعتقد أننا متصافون، أو متصافون تقريباً. لذا أتجرأ في طلب القرض. وسأسدده في ديسمبر شاكراً. ثم ألا يعطيني دميتري تيخوميروف (صاحب مجلة «قراءة الأطفال»)؟

اعذرني، يا عزيزي، لإزعاجك بطلبي المقيت هذا. أعلل النفس بأنني لن أكون ناكراً للجميل. إذا كان تيخوميروف في موسكو ولا يمانع إقراض الأدباء فبودّي أن آخذ قرضاً بثلاثة آلاف حتى الخامس عشر من ديسمبر.

ستستلم القصة لعدد ديسمبر. إنها رواية قصيرة في ٤ ملازم، وأذكر أنك وعدتني ذات مرة بأنك ستدس الملازم الأربع لهذه الرواية كاملة في عدد واحد من المجلة من دون تجزئة.

شقيقتي تبعث إليكم تحياتها. الجو حار. يوجد هنا نبيذ أحمر جيد بسعر ٣٠ كوبيكاً للقنينة.

أتمنى لك الصحة وأشدّ على يدك.

المخلص أ. تشيخوف

٢٣٢. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ٢٩ سبتمبر ١٨٩٩

استلمت رسالتكم العقلانية مع القبلة على القذال الأيمن وكذلك الرسالة الأخرى مع الصور الفوتوغرافية. أشكركم يا عزيزتي الممثلة، أشكركم قدر ما أستطيع وما لا أستطيع. اليوم هو بداية التمثيليات عندكم. وتعبيراً عن امتناني للرسالتين ولتذكركم لي أبعث لكم تهنئة ببدء الموسم مع مليون أمنية (بالنجاح). كنت أريد أن أبعث برقية إلى المدراء لأهنئ الجميع، ولكن طالما أنهم لا يكتبون لي، ولأنهم نسوني على ما يبدو، فلم يرسلوا لي حتى التقرير (عن نشاط المسرح الفني خلال العام) الذي صدر مؤخراً كما تفيد الصحف، وطالما تمثل في «النورس» روكسانوفا نفسها طوال الوقت، فقد فضلت أن أتظاهر بالزعل عليهم. ولذا أهنئكم وحدكم شخصياً.

تساقط المطر عندنا، إلا أن الجو صفا بعده والنسيم عليل. في الليل حصل حريق، فنهضت وأخذت أتطلع إلى النيران من العريشة، وانتابني شعور فظيع بالوحدة.

أخذنا نعيش في المنزل ونتغدى في غرفة الطعام. ولدينا بيانو.

ولا نقود لدي. كل ما أفعله هو الاختباء عن الدائنين. وسأبقى على هذه الحال حتى منتصف ديسمبر حيث يبعث لي ماركس مالاً.

أردت أن أكتب إليكم شيئاً معقولاً آخر، لكنني لم أجد ما يستحق الكتابة. فالموسم بالنسبة لي لم يبدأ بعد، وليس لدي جديد ممتع. كل شيء على حاله. لا أتوقع شيئاً سوى سوء الأحوال الجوية الذي يوشك أن يحصل.

مسرح ألكسندرينسكي (في بطرسبورغ) يعرض«إيفانوف» و«الخال فانيا».

أتمنى لكم الصحة والعافية، يا عزيزتي الممثلة البارعة والمرأة الرائعة. ولتكونوا في أمان الله وحفظه. أقبّل كلتا يديكم، وأطأطئ رأسي حتى قدميكم. لا تنسوا المخلص لكم

أ. تشيخوف

٢٣٣. إلى ليديا ميزينوفا

يالطا، ٣٠ سبتمبر ١٨٩٩

أنت تكتبين عن خطيباتي كالعادة، يا عزيزتي ليكا، ولا كلمة عن حياتك، كيف تعيشين، كيف صحتك، كيف تسير أعمالك؟ أنا لن أكتب شيئاً عن خطبائك، وأبدأ بالقول إنني في صحة جيدة، جيدة تقريباً. أقيم في منزلي الشخصي في يالطا، والطقس هنا صيفي جيد، وأشعر بالملل من دون موسكو. ماشا هنا، وستعود إلى موسكو بعد الـ ٢٠ من أكتوبر. الوالدة تشعر بألم في أسنانها. والعجوز ماريوشكا دهشت وفرحت عندما علمت أن شجرة الغار تنمو في باحة منزلنا. إلا أن القرم، على ما يبدو، لا يعجبها، وهي ترغب في العودة إلى روسيا.

متى تأتين إلى يالطا؟ اكتبي لي تفصيلاً عن كل شيء، وخصوصاً عنك أنت. هل تترددين على المسارح؟ هل تلتقين ليفيتان؟ ومامونتوف؟

اكتبي لي يا ليكا، ولا تتكاسلي. لا تؤجلي كتابة اليوم إلى غدٍ.

عندنا نبيذ رائع بسعر ٣٥ - ٤٠ كوبيكا للقنينة، ورغيف ناصع لذيذ وجبن الغنم الأبيض. في الأمسيات نتلذذ بالجبن الأبيض مع النبيذ الأحمر. فتعالي.

المخلص أ. تشيخوف

٢٣٤. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ٤ أكتوبر ١٨٩٩

عزيزتي الممثلة، إنكم تبالغون كثيراً في رسالتكم (حول فشل مسرحية أليكسي قسطنطينوفيتش تولستوي وفاة القيصر إيفان «يوحنا الرهيب»)، وهذا واضح، لأن الصحف واجهت العرض الأول ببرود. ومهما يكن من أمر فإن عرضاً أو عرضين فاشلين ليس مدعاة للاكتئاب الشديد والسهر طول الليل. فالفن، وخصوصاً الفن المسرحي، مجال لا يمكن السير فيه من دون التعثر بالمطبات. وسيشهد المستقبل كثيراً من الأيام الفاشلة، بل والمواسم الفاشلة بالكامل، وستحصل مفارقات كبيرة وخيبة أمل واسعة، ولا بدّ أن نكون مستعدين لكل هذه الأمور. وينبغي أن نواصل العمل بعناد أهوس مهما حصل.

فيما يخص أليكسييف (ستانسلافسكي) أنتم محقون طبعاً. ما كان ينبغي له أن يمثل دور (إيفان) الرهيب. فليس ذلك من شأنه. عندما يتولى الإخراج فهو فنان، وعندما يمثل فإنه تاجر شاب ثري يريد أن يتذوق الفن.

أنا مريض من ثلاثة أو أربعة أيام. ألازم البيت حالياً. ألسنة أهالي الريف العاطلين تثرثر، وأنا أشتاط غضباً ويقتلني الملل، فأحسد الجرذ الذي يعيش تحت أرضية مسرحكم (بموسكو).

كتبتم رسالتكم الأخيرة في الرابعة فجراً. إذا خيل إليكم أن «الخال فانيا» لم تحقق النجاح الذي تريدونه فأرجوكم أن تناموا، وتغطوا في نوم عميق. فالنجاحات جعلتكم تتبطرون، ولم تعودوا تطيقون مجريات الأيام العادية.

في بطرسبورغ أعتقد أن دافيدوف سيمثل دور «الخال فانيا»، وسيؤديه جيداً، إلا أن المسرحية ستفشل أغلب الظن. (آنذاك لم تعرض المسرحية في بطرسبورغ أصلاً)

كيف حالكم؟ اكتبوا لي أكثر. فأنا أكتب لكم كل يوم تقريباً، المؤلف يكتب كثيراً إلى الممثلة، ولربما تتأثر سمعتي بسبب ذلك. لا بدّ من التشدد مع الممثلات، بدلاً من الكتابة إليهن. أنا أنسى طوال الوقت أنني مفتش على عمل الممثلات. (هكذا كانوا يسمون تشيخوف في المسرح الفني على سبيل المزاح).

كونوا في تمام الصحة، أيها الملاك العزيز.

المخلص أ. تشيخوف

٢٣٥. إلى غريغوري روسوليمو
(بروفيسور، زميل الكاتب في دراسة الطب)

يالطا، ١١ أكتوبر ١٨٩٩

عزيزي غريغوري إيفانوفيتش! أرسلت اليوم إلى الدكتور رالتسيفيتش ٨ روبلات و٥٠ كوبيكاً ثمن الصورة الفوتوغرافية و٥ روبلات بدل الاشتراك السنوي. كما أبعث بالبريد المسجل على عنوانكم صورة غير جيدة لي، التقطت عندما اشتد بي التهاب الأمعاء. أما بخصوص النبذة عن سيرة حياتي فأنا مصاب بكراهية السيرة الذاتية. قراءة تفاصيل مكتوبة عني، ناهيك عن قيامي بالكتابة للصحف عن شخصي، عذاب لا يطاق بالنسبة لي. ولذا أرفق على ورقة منفردة (لأجل ألبوم الأطباء) سطوراً من صحيفة أعمالي خالية من التفاصيل، ولا أستطيع أكثر. (. . .).

تسألونني متى نلتقي؟ ليس قبل الربيع على الأرجح. فأنا في يالطا، في المنفى، ولعله منفى رائع، لكنه منفى على أية حال. الحياة مملة فيه. صحتي لا بأس بها، لست سليماً كل يوم. وإلى ذلك أنا أعاني من البواسير ومن التهاب الأمعاء. تصادف أيام ينهال عليّ فيها إسهال لا يطاق. لا بدّ من إجراء عملية جراحية. (. . .)

ألا تأتون إلى القرم في الصيف أو الخريف؟ الاستجمام هنا مسرة. على فكرة، الساحل الجنوبي بات المكان المحبب لأطباء النواحي في محافظة موسكو. يقيمون هنا بارتياح وبأقل التكاليف ويغادرون المنطقة كل مرة مسحورين بجمالها.

إذا حصل ما يثير الاهتمام اكتبوا لي. فأنا، في الحقيقة، أشعر بالملل هنا. ومن دون الرسائل يمكن للمرء أن ينتحر أو يتعود على شرب نبيذ القرم السيئ أو يعاشر امرأة دميمة حمقاء.

أتمنى لكم الصحة والعافية، وأشد على يدكم بحرارة وأبعث التحيات الخالصة لعائلتكم.

المخلص أ. تشيخوف

(صحيفة أعمال)

أنا، أ. ب. تشيخوف، ولدت في تاغانروغ في ١٧ يناير ١٨٦٠. درست في البداية بالمدرسة اليونانية التابعة لكنيسة القيصر قسطنطين، ثم في ثانوية تاغانروغ. وفي عام ١٨٧٩ التحقت بكلية الطب في جامعة موسكو. عموماً لم تكن معرفتي بالكليات جيدة آنذاك، ولا أتذكر لماذا اخترت كلية الطب. لكنني لم آسف على هذا الاختيار فيما بعد. ومنذ السنة الدراسية الأولى بدأت أنشر في المجلات الأسبوعية والجرائد، وفي مطلع الثمانينات اكتسبت هذه الاهتمامات الأدبية طابعاً مهنياً متواصلاً. في عام ١٨٨٨ منحتُ جائزة بوشكين. وفي ١٨٩٠ قمت برحلة إلى جزيرة سخالين، وبعد ذلك ألفت كتاباً عن معسكرات المنفيين والأشغال الشاقة هناك. وخلال ٢٠ عاماً من النشاط الأدبي ألفت ونشرت ما يزيد على ٣٠٠ ملزمة طباعية من القصص والأقاصيص، بالإضافة إلى كل ما نشرته يوماً بعد يوم من تقارير قضائية وتقاريظ ومقالات نقدية يصعب العثور عليها وجمعها الآن. كما كتبت تمثيليات مسرحية.

ولا ريب أن دراسة العلوم الطبية أثّرت جدياً في نشاطي الأدبي، حيث وسعتْ كثيراً مجال ملاحظاتي ومتابعاتي وأغنتني بمعارف لا يستطيع أن يفهم قيمتها الحقيقية بالنسبة لي ككاتب إلا الأطباء. كما كان لها تأثير توجيهي. وبفضل قربي من الطب استطعت أغلب الظن أن أتفادى الكثير من الأخطاء. فالاطلاع على العلوم الطبيعية والمنهج العلمي جعلني ألتزم الحذر دوماً، وحاولت على قدر الإمكان أن أتقيد بالمعطيات العلمية، وعندما يتعذر ذلك كنت أفضل الامتناع عن الكتابة عموماً. وأشير، بالمناسبة، إلى أن ظروف الإبداع الفني لا تسمح دوماً بالاتفاق التام مع المعطيات العلمية. فلا يمكن أن نصور الموت بالسم على خشبة المسرح كما هو في

واقع الحال. إلا أن الاتفاق مع المعطيات العلمية ينبغي أن يكون حاضراً وملحوظاً حتى في مثل هذا الموقف الاصطلاحي، بمعنى أن يكون واضحاً للقارئ أو المشاهد أن الموقف اصطلاحي افتراضي لا غير وأن المؤلف يعرف ما يقول. أنا لا أنتمي إلى الأدباء الذين يتخذون موقفاً سلبياً تجاه العلوم. ولا أريد أن أنتمي إلى أولئك الذين يحاولون أن يعالجوا كل الأمور بذكائهم وحده.

فيما يخص الممارسة الطبية فقد عملت، منذ كنت طالباً، في مستشفى الناحية ببلدة فوسكريسينسك بضواحي موسكو /على مقربة من نوفي أورشليم/ تحت إشراف الطبيب المعروف ب. أرخانغلسكي. ثم عملت طبيباً لفترة وجيزة في مستشفى (مدينة) زفينيغورود. وأثناء تفشي وباء الكوليرا /في السنتين ٩٢ و٩٣/ كنت مديراً لقطاع ميليخوفو بقضاء سيربوخوف لمكافحة المرض.

٢٣٦. إلى فسيفولود مائيرهولد (ممثل ومخرج)

يالطا، ؟ أكتوبر ١٨٩٩

العزيز فسيفولود أميلوفيتش! ليس لدي نص المسرحية (هاوبتمان «الوحيدون»، جائزة نوبل ١٩١٢)، ولا يمكنني الكلام (كما تطلبون برسالتكم المؤرخة في ٢٩ سبتمبر ١٨٩٩) عن دور يوهانس إلا بالخطوط العامة. ولو أرسلتم لي نص الدور المذكور لقرأته واستعدته في الذاكرة وكتبت لكم عنه تفصيلاً. أما الآن فأقول ما قد يتسم بأهمية تطبيقية لكم حالياً. يوهانس، في المقام الأول، مثقف تماماً. فهو عالم شاب عاش في المدينة الجامعية. ولا أثر لديه للعناصر البرجوازية. أسلوبه أسلوب الشخص المؤدب المتعود على صحبة الأخيار /مثل آنّا/ . وفي حركاته ومظهره ليونة وفتوة كما لدى شخص تربى في عائلة دللته، ولا يزال يعيش تحت جنح أمه العزيزة. يوهانس عالم ألماني، ولذا فهو رصين في التعامل مع الرجال، لكنه مع النساء يغدو على العكس رقيقاً رقتهن عندما يختلي بهن. ومن هذه الناحية يبدو مميزاً المشهد مع زوجته، فهو لا يصمد أمام الرغبة في ملاطفتها مع أنه أحب أو بدأ يحب آنّا. والآن عن الانفعالات العصبية. لا ينبغي التركيز عليها كيلا تحجب الطباع العصبية ولا تستبعد ما هو أهم، وأعني الشعور بالوحدة، تلك الوحدة التي لا تشعر بها إلا

الكيانات السامية والسليمة بأعلى معنى للكلمة. مثلوا (على خشبة المسرح) الشخص الذي يعاني من الوحدة والعزلة، أما الانفعالات العصبية فاعرضوها بالقدر الذي يحتويه نص المسرحية. ولا تعتبروا هذه الانفعالات ظاهرة شخصية. تذكروا أن كل مثقف تقريباً، وحتى الأصحاء، في زماننا هذا لم يعانِ من الانفعال والاستياء كما يعاني في منزله، في عائلته، لأن الانفصام بين الحاضر والماضي يتجلى، أول ما يتجلى، في الأسرة. إنه انفعال مزمن، من دون حماسة ولا انفجارات عصبية، نفس الانفعال الذي لا يلاحظه الضيوف ويلقي بثقله في المقام الأول على أقرب الأقربين، على الوالدة والزوجة، وأعني الانفعال العائلي، الجنسي إن صح القول. لا تتوقفوا عنده خصيصاً. صوروه على أنه مجرد سمة واحدة من سمات عديدة، ولا تتمادوا في تصويره، وإلا ستمثلون ليس إنساناً وحيداً يعاني من العزلة، بل شاباً منفعلاً سريع التأثر. أنا أعرف أن قسطنطين سرغييفيتش (ستانسلافسكي) سيصر على تجسيد هذه النرفزة والانفعالات العصبية المفرطة وسيبالغ في أهميتها، فلا تتنازلوا ولا تضحوا بجمال وطاقات الصوت والحوار في سبيل شيء لا شأن له هو التركيز. لا تضحوا، لأن الانفعال في واقع الأمر مجرد واحد من التفاصيل الصغيرة.

شكراً جزيلاً لكم على تذكركم لي. اكتبوا لي مرة أخرى، رجاءً. وسيكون ذلك رائعاً من جانبكم، لأنني أشعر بالملل. الطقس هنا ممتاز، ودافئ، إلا أنه مجرد صلصة. وما نفع الصلصة إذا انعدم اللحم المشوي.

أدعو لكم بموفور الصحة وأشد على يدكم بحرارة مع التمنيات بكل خير.

تحياتي (. . .) وأكرر شكري على (الرسالة).

المخلص أ. تشيخوف

(تعقيب) هذه هي الرسالة الوحيدة المحفوظة من تشيخوف إلى مائيرهولد. باقي رسائله مفقودة. وقد جاء في رسالة شكر بعثها مائيرهولد إلى تشيخوف في ٢٣ أكتوبر ١٨٩٩: «مع أنكم تناولتم فقط الخطوط العامة لشخصية يوهانس، إلا أنكم فعلتم ذلك بمهارة فائقة جعلت صورته واضحة تماماً».

٢٣٧. إلى ألكسندر فيشنيفسكي (ممثل)

يالطا، ٣ نوفمبر ١٨٩٩

صديق الطفولة العزيز ألكسندر ليونيدوفيتش! شكراً جزيلاً على الرسالة وعلى الإعلان (عن عرض مسرحية «الخال فانيا»). حقاً، الإعلان أصيل كما تقولون، ولكنه ليس رصيناً بالقدر الكافي، بل هو يصلح على الأكثر لتمثيلية خيرية تقام في مسرح منزلي عند زوجة بارون متحررة. على أية حال، كل شيء تمام. وأنا أشكر السموات لأنني، وأنا أعوم في بحر الحياة، ألقيت المراسي أخيراً عند جزيرة رائعة كالمسرح الفني. عندما أنجب أطفالاً سأجعلهم يبتهلون إلى الله دوماً ليوفقكم جميعاً.

لقد أدهشتك طباختنا الحبلى ماشا، وأنت تسألني في رسالتك من المذنب. من بين الرجال الذين يترددون علينا أكثر من غيرهم أنت والجندي الشاب (ألكسندر). وأنا لا أعرف من الفاعل، بل وليس من شأني أن أحكم على الأقرباء. إذا لم تكن أنت فلن تضطر إلى دفع نفقة الطفل.

لديّ رجاء إليك: تعال إلى الجنوب لتمثل في الربيع. اطلب سماحاً من فلاديمير إيفانوفيتش (دانتشينكو) وقسطنطين سرغييفيتش (ستانيسلافسكي). ستمثل، وبالمناسبة، تستجم وترتاح. في يالطا تحيي فرقتكم خمس حفلات في قاعة مكتظة، وفي سيواستوبول بنفس القدر. أما في أوديسا فسيستقبلونكم استقبال الملوك، لأن مسرحكم محبوب غيابياً، بالسماع.

اكتب لي رجاءً، فمن دون الرسائل أشعر بضجر.

بلّغ تحياتي القلبية إلى (الممثلة) غليكيريا نكولايفنا وإلى مديرَي مسرحكم (ستانسلافسكي ودانتشينكو) وكل أفراد مجموعة المسرح الفني. أنتظر بفارغ الصبر صورتك وصور باقي المشاركين في «الخال فانيا».

أشد على يدك.

المخلص أ. تشيخوف

(تعقيب: اعتباراً من عام ١٩٨٩ صار المسرح الفني بموسكو يسمى رسمياً مسرح تشيخوف الفني).

٢٣٨. إلى ماريا تشيخوفا

يالطا، ١١ نوفمبر ١٨٩٩

عزيزتي ماشا! عندنا أزمة وزارية. مصطفى ترك العمل، واستدعينا بدلاً منه أرسيني، وهو روسي مهندم ومتعلم، خدم في بستان نكيتسكي. إنه شاب يثني عليه من يعرفه.

والآن أرد على رسالتك الأخيرة. نفقة طفل الطبّاخة يجب أن يتحملها فيشنيفسكي وليس الجندي آشيشوف. يجب أن يدفع للطباخة ولو ثلاثة روبلات في الشهر. والأفضل لو أنه أخذها إلى بيته مع طفلها. وقد كتب لي أنه هو والد الطفل وليس الجندي ألكسندر. (. . .)

الثلوج تغطي الجبال. وتبعث البرد إلينا. الإقامة في القرم الآن تعني حماقة كبرى. أنت تكتبين عن المسرح والحلقة الأدبية وغيرها من المغريات وكأنك تعاكسينني، ولا تعلمين بالضجر الذي أعاني منه وصعوبة النوم في التاسعة مساءً. أمضي إلى الفراش منزعجاً لعلمي بأنني لا أستطيع أن أكلم أحداً، ولا مكان أذهب إليه، ولا جدوى من العمل، لأنني لا أرى ولا أسمع عملي. البيانو وأنا حاجتان تقضيان حياتهما في البيت بصمت ويتساءلان بكل حيرة لماذا وضعونا هنا ولا أحد يعزف علينا؟

الوالدة في صحة مقبولة. وماريوشكا أيضاً. مارفوشا تبذل جهدها. لا أستطيع أن أكتب لك شيئاً محدداً عن الضيعة على ساحل البحر قريباً من غورزوف. فانتظري. (. . .) هذا كل شيء. لم يبق ما يستحق الكتابة عنه. تحياتي إلى أولغا ليوناردوفنا (كنيبر) والأمير شاخوفسكي و(الطباخة) ماشا وصغيرها. (. . .) عندما تزورين أولغا كنيبر بلّغي والدتها تحياتي.

تحياتي موصولة أيضاً إلى فلاديمير إيفانوفيتش (دانتشينكو). أنا أحسده، لأنني أعلم علم اليقين أن إحدى النساء معجبة به.

أتمنى لك الصحة والعافية. اكتبي.

كيف حال إيفان، ما أخباره؟

أخوك أنطوان

٢٣٩. إلى فلاديمير بوسيه (رئيس تحرير مجلة «الحياة»)

يالطا، ١٩ نوفمبر ١٨٩٩

فلاديمير ألكساندروفيتش المحترم. رسالتكم لا تزال أمامي على المكتب في انتظار الرد عليها. وقد تولت دور تأنيب الضمير بالنسبة لي طوال الوقت إلى أن التقطت الريشة لأكتب لكم. القضية أنني أؤلف قصة «للحياة» («في المنخفض») أتوقع أن أنجزها قريباً، في النصف الثاني من ديسمبر. وهي من ثلاث ملازم. إلا أن عدد الشخوص كبير، وهم يتزاحمون ويتدافعون على صفحاتها. ولا بدّ من العمل لتخفيف حدة هذا التدافع. ومهما يكن من أمر سأفرغ من صياغة القصة نهائياً في حدود العاشر من ديسمبر، وسيكون بالإمكان البدء بتنضيدها. إلا أن الطامة الكبرى هي أنني أخشى عليها من براثن الرقابة. أنا لا أطيق ما تنهشه الرقابة، أو يخيل إليّ أنني لا أطيقه. ولأن في القصة مواضع لن يمررها الرقيب لم أجرؤ على الكتابة لكم تحديداً ولم أبعث رداً أكيداً. أما الآن فأنا أرد بالتأكيد، ولكن بشرط أن تعيدوا لي قصتي إذا بدا لكم أنتم أيضاً أن الرقابة لن تمرر تلك المواضع، بمعنى إذا كنتم أنتم أيضاً تتلمسون خطراً وتتوقعون أن الرقيب سيشطب منها ما يشاء.

والآن عندي رجاء إليكم: لا تطبعوا في الإعلانات اسمي مطولاً. فهذا لا يبعث على الارتياح. اطبعوه على نفس السطر مع الآخرين، بحسب الألفباء.

أين مكسيم غوركي؟

أتمنى لكم الصحة ولمجلتكم المزيد من المشتركين والقراء. بمئة ألف مثلاً. أشدّ على يدكم.

المخلص أ. تشيخوف

٢٤٠. إلى فلاديمير نيميروفيتش- دانتشينكو

يالطا، ٢٤ نوفمبر ١٨٩٩

عزيزي فلاديمير إيفانوفيتش! لا تزعل عليّ رجاءً بسبب صمتي. عموماً لدي ركود في المراسلات. ذلك لأنني أواصل الكتابة الأدبية. هذا أولاً، وثانياً- أراجع

البروفات (للناشر) ماركس، ثالثاً - العمل كثير لفحص المرضى الوافدين الذين يراجعونني ولا أدري لماذا. في حين أن قراءة البروفات هي نوع من الأشغال الشاقة. فلا أكاد أنهي المجلد الثاني. ولو كنت أعلم بتلك الصعوبة مسبقاً لأخذت من ماركس ١٧٥ ألفاً بدلاً من الـ ٧٥. معظم المرضى القادمين من الأماكن الأخرى فقراء يطلبون مني المساعدة، ولذا أضطر إلى الكلام الكثير والمكاتبات مع المسؤولين لتدبير أمر إسعافهم.

بالطبع أنا أعاني هنا من ملل شديد. أعمل في النهار، وقبيل المساء أتساءل ما العمل؟ إلى أين أذهب؟ وفي الوقت الذي يعرض فيه على خشبة المسرح لدينا الفصل الثاني عادة أكون قد أويت إلى الفراش. وأنهض مع الفجر. يمكنك أن تتصور: الظلام لا يزال مخيماً، والريح تعوي، والمطر يطرق (على النافذة).

أنت على خطأ عندما تظن أن «الجميع يكتبون إليّ من كل فج عميق». أصدقائي ومعارفي لا يكتبون أبداً. خلال كل هذه الفترة لم أستلم سوى رسالتين من (الممثل ألكسندر) فيشنيفسكي إحداهما ليست في الحساب، لأن ألكسندر ليونيدوفيتش ينتقد فيها تقاريظ لم أقرأها. كما استلمت رسالة من غوسلافسكي، وهي أيضاً ليست في الحساب، لأنها رسالة عمل، بمعنى أنني لا أدري كيف أرد عليها.

أنا لا أؤلف مسرحية. كل ما لدي هو حبكة «الشقيقات الثلاث»، ولكنني لن أعكف على كتابتها ما لم أنتهِ من القصص المطولة التي تثقل على ضميري من زمان. الموسم المرتقب سيمر من دون مسرحية لي. هذا أكيد.

منزلي الريفي (بضواحي) يالطا بات مناسباً جداً. تتوفر فيه أسباب الراحة والتدفئة والمنظر الجميل (على البحر). وسيكون البستان باهراً على غير المعتاد. أغرس نباتاته بنفسي، بيديّ الاثنتين. وقد غرست من الورود وحدها مئة شتلة، من أجمل الأنواع وأزكاها. كما غرست ٥٠ شجيرة من الأقاصيا الهرمية الشكل، والكثير من الكاميليا والزنبق ونرجس مِسك الروم وما إلى ذلك، وهلمجرا.

في رسالتك تلوح نأمة مهتزة لا تكاد تسمع، كجرس ناقوس قديم. أعني ما كتبته عن المسرح، حيث تقول إن صغائر الحياة المسرحية تثقل عليك. آه، لا ترزح تحت ثقلها. ولا تترك للفتور سبيلاً إليك. المسرح الفني يمثل أفضل الصفحات من ذلك الكتاب الذي سيؤلف في زمن ما عن المسرح الروسي المعاصر. هذا المسرح مفخرة لك، وهو المسرح الوحيد الذي أحبه مع أنني لم أزره بعد ولا مرة. لو كنت

أقيم في موسكو لحاولت أن أنتسب إلى إدارتكم ولو بصفة حارس لأساعد ولو قليلاً، ولأحول إنْ أمكن دون أن يصيبك البرود تجاه هذه المؤسسة الجميلة.

المطر يتساقط مدراراً، وقد أظلمت الغرفة. أتمنى لك الصحة والبهجة والسعادة.

أشد على يدك بحرارة، وأتوجه بتحياتي إلى يكاترينا نكولايفنا وإلى كل من في المسرح، وأكثرهم أولغا ليوناردوفنا (كنيبر).

المخلص أ. تشيخوف

٢٤١. إلى أليكسي بيشكوف (مكسيم غوركي)

يالطا، ٢٥ نوفمبر ١٨٩٩

مرحباً، عزيزي أليكسي مكسيموفيتش! شكراً جزيلاً على الكتاب («مقالات وقصص»، المجلد الثالث). بعض القصص سبق أن قرأتها، والبعض الآخر لم أقرأه بعد، وستبعث في نفسي الارتياح وأنا أعيش حياتي المملة بعيداً عن العاصمة. متى تصدر «فوما غورديف»؟ قرأتها مؤخراً على فترات (في مجلة «الحياة»)، وبودّي أن أقرأها دفعة واحدة بجلستين أو ثلاث.

أكتب الآن قصة لعدد يناير من«الحياة» («في المنخفض»...) وليس عندي أخبار أدبية أخرى.

طبعة كتابكم جيدة.

انتظرتكم طوال الوقت، حتى يئست. الثلج يتساقط في يالطا، والجو رطب والرياح شديدة. إلا أن الأهالي من كبار السن يؤكدون أن أياماً جميلة ستأتي.

المرضى الفقراء يثقلون عليّ. ولو كنت حاكماً للمدينة لأبعدتهم إدارياً، لهذا الحد يعكرون عليّ صفو حياتي في هدوء النعيم!!

يحز في نفسي وأنا أراهم يتوسلون، ويحز في نفسي أن أرى البطانيات البائسة تلفّهم عندما يموتون. ولذا قررنا أن نبني لهم مشفى. وقد كتبت بهذا الخصوص نداءً (للتبرع). كتبته لأنني لا أرى وسيلة أخرى. روجوا هذا النداء إن أمكن من خلال

جرائد نيجني نوفغورود وسمارا التي لديكم معارف فيها. (نشر غوركي النداء في جريدة «منشور نيجني نوفغورود» ووزعه على معارفه). قبل ثلاثة أيام توفي هنا في ملجأ المراسلين الشاعر يبيفانوف وحيداً مهجوراً. وقبل يومين من وفاته طلب سكاكر التفاح. عندما جلبتها له انتعش فجأة وقال فرحاً بحشرجة من حنجرته المريضة: «نعم، إنها هي!»، وكأنه شاهد امرأة من بلدته.

لم تكتبوا لي من زمان. ماذا يعني هذا كله؟ أنا لا يعجبني بقاؤكم طويلاً في بطرسبورغ، فهناك يمكن للإنسان أن يمرض سريعاً.

أتمنى لكم موفور الصحة والمرح، في أمان الله وحفظه. أشد على يدكم بحرارة.

المخلص أ. تشيخوف

(تعقيب) في رسالة إلى أليكسي سوفورين بتاريخ ١٠ مارس ١٩٠٠ كتب تشيخوف من مدينة يالطا ذاتها: «ما أكثر المصابين بالتدرن الرئوي هنا! ما أشد فقرهم، وما أسوأ المعاملة التي يتلقونها. أصحاب الحالات المستعصية لا تقبلهم المستشفيات ولا شقق الإيجار. يمكنكم أن تتصوروا فظاعة ما نراه. المرضى يموتون من الهزال ومن تردي الأوضاع ومن غياب العناية بالمطلق. كل هذا في ربوع تافريدا المجيدة. المرء هنا يفقد الرغبة في التمتع بالبحر وبأشعة الشمس».

٢٤٢. إلى ميخائيل تشيخوف

يالطا، ٣ ديسمبر ١٨٩٩

عزيزي ميشا! كنت أكتب إليك قليلاً ونادراً. هذا صحيح. ولذلك أسبابه الكثيرة. أولاً- مع التقدم في العمر أصابني فتور في المراسلات وصرت أحب استلام الرسائل فقط لا كتابتها. ثانياً- كل يوم أنا مضطر لتحرير خمس رسائل تقريباً، فأتعب وأنفعل. ثالثاً- كنت أعوّل كثيراً على تسامحك. باقي الأسباب كلها من هذا القبيل. وأوكد لك أن زواجك لا دخل له في الموضوع.(. . .) مهما يكن من أمر فأنا حزين لأنني أحزنتك بصمتي الطويل. وسأحاول تفادي تقصيري.

والآن عن مجريات الأمور. نعيش في يالطا. بنينا داراً. ليست كبيرة لكنها مريحة. نتردد على أكشاك الكتب. كل صباح يمضي الكناس إلى البازار. والهاتف يرن طول النهار، والمراجعون يثقلون عليّ. نحن نلازم البيت ولا نغادره إلى أي مكان، وأنا أنتظر بفارغ الصبر إمكان السفر إلى موسكو، وأفكر في الفرار إلى الخارج على نحو ما. من الناحية المالية ليست الحال على ما يرام، لأننا مضطرون إلى التقتير. وأنا لا أستلم عائدات الكتب. لن يدفع لي ماركس بموجب العقد قريباً. وما استلمته منه أنفقته من زمان. التقتير لا يجعل أموري أفضل. يبدو أن مدخنة معمل عالية تنتصب فوق رأسي وتتبخر من خلالها كل أموالي. أنا لا أنفق على نفسي إلا القليل، ونفقات المنزل زهيدة، لكن مكانتي الفكرية وعاداتي الأدبية /ولا أدري كيف أسميها/ تستهلك ثلاثة أرباع ما يقع في يدي. حالياً أنا أعمل. وإذا استمرت الرغبة في العمل حتى مارس القادم فسأكسب ألفين أو ثلاثة، وإلا ستنفد عائدات العقد مع ماركس. المنزل غير مرهون.

فيما يخص ضيعة ميليخوفو فقد بيعت مثلما بيعت مؤلفاتي، أي بدفع آجل. ويخيل إليّ أننا لن نستلم شيئاً في آخر المطاف، أو نستلم النزر القليل. ستعرف التفاصيل من ماشا إذا سافرت إلى موسكو.

مزاجي ليس سيئاً. وصحتي أيضاً. الوالدة والجدة دورميدونتوفنا بصحة جيدة. يبدو أن طقس القرم ينجدهما. وهما مرتاحتان. أمّنا لا تزال قوية.

المرضى هنا يثقلون عليّ. وهم يتقاطرون إلى هنا من كل الأنحاء، حاملين عُصيات السل والنخاريب المتقيحة، بوجوه خضراء وجيوب خالية. أضطر إلى مكافحة هذه الكوابيس واستخدام مختلف السبل والوسائل غير المعتادة. (. . .)

والآن بخصوص (بيوتر) بوليفوي. أنا لا أتراسل مع بطرسبورغ ولا أستعين بماركس. كما أنني توقفت عن المراسلة مع سوفورين من زمان /بسبب قضية دريفوس/. ولن أستطيع أن ألبي طلبك (توفير كتاب بوليفوي «تاريخ الأدب الروسي») قبل الربيع حيث أكون في بطرسبورغ. ولكن ما حاجتك إلى بوليفوي هذا. إنه (باحث) يهودي ولى زمانه. لا شيء في كتابه سوى سير حياتية مبتسرة.

تكتب (الصحف) أن «الخال فانيا» تحظى بإقبال جيد جداً في موسكو. عندما تكون هناك شاهدها.

حبذا لو سعيتَ إلى منصب أقرب إلى موسكو، أو في موسكو ذاتها. لماذا

تسعى إلى منصب إداري في المدن الهامشية؟ هذه المدن تجتذب العصبيين وتقص أجنحتهم.

تحياتي وتمنياتي إلى أولغا غيرمانوفنا وإلى زوجتك. ماشا ستأتي في أعياد الميلاد وستشتري قماشاً من حرير. أما أنا فلا أفهم في هذه الأمور وقد أشتري شيئاً تافهاً على الأغلب.

أتمنى لك الصحة والعافية. لا تزعل عليّ.

المخلص أخوك أ. تشيخوف

٢٤٣. إلى فلاديمير نيميروفيتش - دانتشينكو

يالطا، ٣ ديسمبر ١٨٩٩

العزيز فلاديمير إيفانوفيتش! وصلني رد من كاربوف (مخرج في مسرح ألكسندرينسكي). وهو يوافق على إرجاء عرض «الخال فانيا» حتى العام القادم /والأصح حتى الموسم القادم/ . وبذلك يمكنكم حينئذٍ أن تسافروا (لعرضها في بطرسبورغ) على أساس «شرعي»، كما يقول المحامون المحنكون. فالمسرحية تعود لكم، وأنتم تسافرون معها، فيما أتظاهر أنا بأنني عاجز عن الاعتراض عليكم لأنني سبق أن أعطيتكم المسرحية.

هل تخشى سوفورين؟ أنا وإياه لم نعد نتبادل الرسائل. ولا أدري ماذا يجري عندهم هناك. ولكن يمكن القول مسبقاً وباحتمال أكيد إن المسرح الفني لن يحظى عندهم بالترحيب. أدباء وممثلو بطرسبورغ حسودون جداً ومتهورون.(. . .)

قرأت التقاريظ عن «الخال فانيا» فقط في جريدتي «المراسل» و«أخبار اليوم». ورأيت في «الوقائع الروسية» مقالة (فيها مقاربة بين الخال فانيا وأوبلوموف)، لكنني لم أقرأها. فلا تعجبني التخرصات وتعليق «الخال فانيا» على شماعة أوبلوموف أو «الآباء والبنون» وما إلى ذلك. يمكن تعليق أية مسرحية على أية شماعة. ولو قارن سانين وإيغناتوف الخال فانيا مع نوزدروف («النفوس الميتة» لغوغول) والملك لير لجاءت المقارنة بنفس القدر من العمق وسهولة القراءة. أنا لا أقرأ هذا النوع من المقالات كيلا يعتكر مزاجي.

أنت تريد المسرحية («الشقيقات الثلاث») جاهزة من كل بد للموسم القادم. ماذا لو تعثرت كتابتها؟ أنا سأحاول بالطبع. لكنني لن أتعهد ولا أعد بشيء. على أية حال ستتحدث في الموضوع بعد عيد الفصح عندما يقوم مسرحكم بجولة فنية في يالطا كما كتبت الصحف. حينذاك نبحث المسألة. (. . .)

أنت على حق. بالنسبة لبطرسبورغ ينبغي تعديل ثنائية أليكسييف- تريغورين بعض الشيء. هل نضيف إليها قليلاً من السائل المنوي؟ ففي بطرسبورغ التي يقيم فيها معظم أدبائنا سيثير تمثيل أليكسييف (ستانسلافسكي) لدور تريغورين («الخال فانيا») كشخص ميئوس منه يعاني من البرود الجنسي موجة من الحيرة وسوء الفهم لدى الجميع. ذكرياتي عن أداء أليكسييف كئيبة إلى درجة لا أستطيع معها أن أتخلص منها ولا أتصور أن أداءه في «الخال فانيا» جيد مع أن الجميع يكتبون أنه أداء جيد في الواقع، بل وجيد جداً. (. . .).

أعكف على كتابة مسرحية («في المنخفض») لمجلة «الحياة». وسأبعث لك مستلاً من التنضيد لأنك لا تقرأ «الحياة» أغلب الظن.

أتمنى لك الصحة والعافية. تحياتي إلى يكاترينا نكولايفنا وأليكسييف وباقي أفراد فرقة (المسرح الفني). أشد على يدك وأعانقك.

المخلص أ. تشيخوف

٢٤٤. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ٨ ديسمبر ١٨٩٩

نحن معزولون عن العالم. البرق عاطل في كل مكان، والبريد لم يصلنا. الزوابع تعصف من ثلاثة أيام. يقال لم يسبق أن حصل مثلها.

عزيزتي الممثلة الفاتنة، المرأة الحسناء، لم أكتب لكم لأنني أرغمت نفسي على العمل لا ألوي على شيء.

سألتقط أنفاسي في الأعياد (الميلاد ورأس السنة)، وسأكتب لكم رسالة أطول. اكتبوا لي بوضوح وبالدليل: هل ستأتي الفرقة (المسرح الفني) إلى يالطا في الربيع أم لا؟ هل تقرر ذلك نهائياً أم لا؟

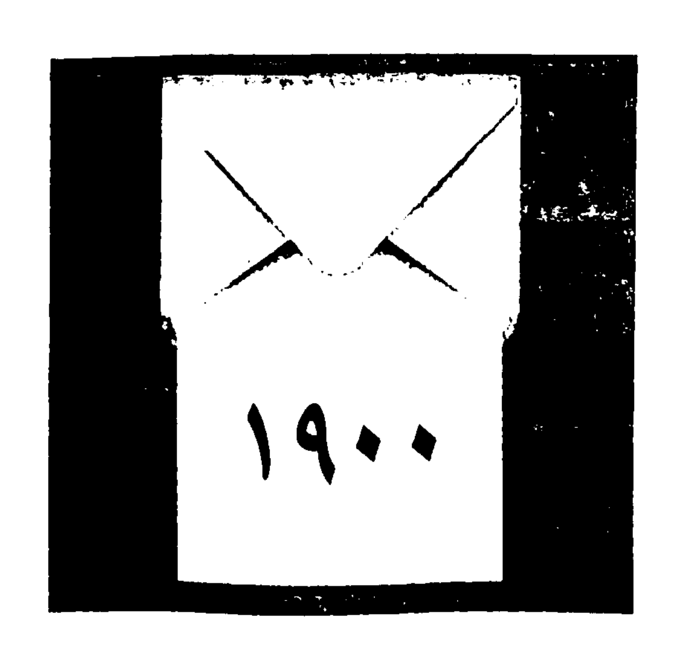
أبعث إليكم مقتطفين من الجرائد، فأنتم من هواة جمع القصاصات.

الريح تعوي بحقد شديد.

هل تلتقون الأمير شاخوفسكي؟ في حياته تجري غربلة. مثيرة جداً.

إذن، عيشوا في حيوية ومرح أيتها الممثلة النصابة. أتمنى لكم موفور الصحة والبهجة والثراء. أتمنى لكم كل ما ترغب فيه روحكم الرقيقة. وأشد على يدكم بحرارة وأركع أمام قدميكم.

المخلص أ. تشيخوف



٢٤٥. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ٢ يناير ١٩٠٠

مرحباً، عزيزتي الممثلة! هل أنتم زعلانون عليّ لأنني لم أكتب لكم طويلاً؟ لقد كتبت لكم كثيراً، إلا أنكم لم تستلموا رسائلي. كان أحد معارفنا يختطفها من البريد. (يبدو أن تشيخوف مطلع على الشائعات عن غراميات أولغا).

أهنئكم بالعام الجديد متمنياً لكم المزيد من السعادة. أنا أتمنى لكم السعادة فعلاً وأنحني أمامكم حتى القدمين. فكونوا في سعادة وثراء وصحة ومرح.

نحن نعيش حياة لا بأس بها. نأكل كثيراً، ونثرثر كثيراً. نضحك ونقهقه، وغالباً ما نتذكركم. ماشا ستحدثكم عندما تعود إلى موسكو، وتحكي لكم كيف تمر الأعياد عندنا.

أنا لا أهنئكم الآن على نجاح (العرض الأول لمسرحية هاوبتمان) «الوحيدون». فلا يزال يدور في خاطري احتمال مجيء فرقتكم إلى يالطا وسأرى «الوحيدون» على خشبة المسرح هنا وأهنئكم حينئذٍ من صميم القلب بكل ما تستحقونه. كنت قد كتبت في رسالة إلى مائيرهولد وحاولت إقناعه أن لا يتشدد في تصوير بطل هذه المسرحية العصبي. فالسواد الأعظم من الناس عصبيون، الأكثرية تعاني، والأقلية تتألم بشدة، ولكن أين؟ في الشوارع والبيوت. ألا ترون المعذبين يتململون ويضغطون بأيديهم على الصدغين؟ ينبغي تصوير الآلام والمعاناة كما هي في الحياة، أي ليس بحركات اليدين والقدمين، بل برشاقة، بنأمة الكلام ونظرة

العينين، من دون إيماءات. الحركات النفسانية الرقيقة الرهيفة الملازمة للمثقفين يجب أن يعبّر عنها من الناحية الخارجية أيضاً بنفس القدر من الرقة والرهافة. ولعلكم تقولون إن ظروف المسرح لها استحقاقاتها. لا يجوز لأية ظروف أن تبرر الزيف.

تقول شقيقتي إنكم مثلتم دور آنّا بأروع شكل. يا ليت فرقة المسرح الفني تصل إلى يالطا.

«العصر الحديث» امتدحت فرقتكم الفنية كثيراً. المجلة تغير اتجاهها حالياً. ولعلها ستثني عليكم جميعاً في الصوم الكبير أيضاً. مجلة «الحياة» ستنشر في عدد فبراير مسرحية عجيبة غريبة لي («في المنخفض»): شخوص عديدة، ومناظر طبيعية، وهلال ونُحامة تنعق في مكان ما بعيد جداً، صوتها كخوار بقرة محبوسة في مستودع: بوو! بوو!.

ليفيتان في ضيافتي. وقد رسم على جدار مدفأتي الحائطية لوحة ليلة مقمرة أثناء حش الحشيش. فيها مرج، وأكوام عشب، وغابة تلوح من بعيد، وفوق الجميع يطل القمر.

أتمنى لكم موفور الصحة عزيزتي الممثلة الرائعة. يشدني الحنين إليكم.

المخلص أ. تشيخوف

إلى متى أنتظر صورتكم الفوتوغرافية؟ متى ترسلونها؟
ما هذه الهمجية!

٢٤٦. إلى اليكسي سوفورين

يالطا، ٨ يناير ١٩٠٠

أهنئكم بالعام الجديد متمنياً لكم المزيد من السعادة. العيد انتهى، وقد ودعت الضيوف اليوم. (غادر يالطا الرسام إسحق ليفيتان وميخائيل تشيخوف شقيق الكاتب). وبقيت وحيداً من جديد. بودّي أن أحرر رسائل. أهنئكم وأتمنى لكم كل خير، بما في ذلك موفور الصحة وطول العمر. (. . .) صحتي لا بأس بها، أشعر

بأني أفضل مما في العام الفائت، ومع ذلك لا يسمح لي الأطباء بمغادرة يالطا. لكنني مللت من هذه المدينة الجميلة إلى حدّ الغثيان، كما يمل الزوج من زوجته الباردة. إنها تداويني من السل، لكنها تجلب لي الشيخوخة قبل عشر سنوات من موعدها. إذا كنت سأسافر إلى نيس فليس قبل فبراير. أكتب شيئاً فشيئاً. أرسلت مؤخراً إلى «الحياة» قصة مطولة. نقودي قليلة. كل ما استلمته من ماركس، بما فيه عائدات المسرحيات، تبخّر. (...)

تسألونني ما سر نجاح «مراسل الشمال»؟ ذلك لأن مجتمعنا متعب، أكله صدأ الأحقاد وقد تعفن كعشب المستنقعات، وهو يتوق إلى شيء ما طري طازج وسهل يسير، يتوق إليه مهما كلف الأمر. (...)

من هنا أسمع المؤذن (يدعو إلى الصلاة) من المنارة. الأتراك متدينون، وهم الآن في شهر الصيام، لا يأكلون شيئاً طوال النهار. وليس لديهم نساء متدينات، ذلك العنصر الذي يغدو الدين ضحلاً بغيابه، مثلما يتحول الفولغا إلى مضاحل بفعل الرمال.

حسناً تفعلون بنشر كشف عن المدن الروسية التي أهملها المهندسون المرتشون. إليكم ما قاله الكاتب المعروف تشيخوف في قصته المطولة «حياتي»:

محطة القطار بنيت على مسافة خمسة فراسخ عن المدينة. ويقال إن المهندسين طلبوا رشوة بخمسين ألف من أجل توصيل سكة الحديد إلى المدينة، فيما وافقت الإدارة على دفع أربعين ألفاً لا غير. واختلف الطرفان على عشرة آلاف. والآن يأسف أهالي المدينة لأن الحاجة تقتضي شق طريق إلى المحطة يكلف أكثر من ذلك.

مهندسو الطرق حقودون. إذا رفضتَ لهم طلباً تافهاً ينتقمون منك مدى العمر. هذا تقليد قديم.

شكراً لكم على الرسالة وعلى تساهلكم معي. أشدّ على يدكم بحرارة، مع تحيات

المخلص أ. تشيخوف

٢٤٧. إلى غريغوري روسوليمو

يالطا، ٢١ يناير ١٩٠٠

عزيزي غريغوري إيفانوفيتش. يمكن إضافة ملحوظة إلى صحيفة الأعمال، ولكن الأفضل أن ننتظر الاجتماع العام للأكاديمية حيث ستجري الانتخابات النهائية (انتخبت الأكاديمية تشيخوف آنذاك عضو شرف فيها).

ما يناسب الأطفال عندي، على ما يبدو، قصتان من حياة الكلاب («الجبين الأبيض» و«كاشتانكا») أرسلهما إليكم بالبريد المسجل. وليس لدي غيرهما في هذا المجال أغلب الظن. عموماً أنا لا أجيد الكتابة للأطفال، أكتب لهم مرة كل ١٠ سنين، ولا أحب ما يسمى أدب الأطفال ولا أعترف به. ينبغي أن نقدم للصغار ما يصلح للكبار. فالأطفال والراشدون يقرأون بكل رغبة أندرسن و«الفرقاطة بالادا» (رواية إيفان غونتشاروف) غوغول. بدلاً من الكتابة للأطفال ينبغي أن نختار لهم مما هو مكتوب للكبار، أي من النتاجات الأدبية الحقيقية. ينبغي أن نجيد اختيار الدواء ومعاييره، فهذا أنفع وأجدى من محاولة ابتكار دواء خصوصي للمريض لمجرد أنه طفل صغير. معذرة على هذه المقاربة الطبية. ولعلها جاءت في الوقت المناسب، ذلك لأنني منذ ٤ أيام منهمك في التطبيب، أعالج نفسي والوالدة. ربما من الإنفلونزة. فثمة صداع، ودرجة الحرارة مرتفعة.

إذا كتبت شيئاً ما آخر فسأحيطكم علماً به في حينه. ولكن لا أحد يحق له أن يصدر ما أكتب سوى ماركس. سأضطر لدفع غرامة قدرها ٥٠٠٠ روبل على كل ملزمة طباعية تنشرها أية جهة غير ماركس.

لدي أخ معلم، هو إيفان بافلوفيتش، يمارس تعليم الصغار منذ أكثر من ٢٠ عاماً، وهو يعرف جيداً ما يعجب الأطفال وما لا يعجبهم. لدى ترتيب المجموعة التي تنوون إصدارها لن ينفعكم بشيء، فهو لا يجيد أمور التحرير والمراجعة. ولكن لو فكرتم يوماً في إصدار دليل بالنتاجات الأدبية والمقالات الصالحة لقراءة الأطفال فيمكن لأخي أن يقدم لكم توجيهات جيدة ولديه حاسة شم تطبيقية بهذا الخصوص. إنه يمارس التدريس في موسكو، وعنوانه (كذا. . .)

رسالتكم أسعدتني وأضافت قليلاً من الصودا إلى مزاجي المعتكر. فشكراً على

تذكركم لي. ستصدر في «الحياة» قريباً قصة أخيرة عن الحياة الشعبية. أشدّ على يدكم بحرارة.

المخلص أ. تشيخوف

٢٤٨. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ٢٢ يناير ١٩٠٠

الممثلة العزيزة!

في ١٧ من يناير الحالي تلقيت برقيات التهنئة من والدتكم وأخيكم (وغيرهما. . .)، فتفضلوا بنقل تشكراتي القلبية ومشاعري الخالصة لهم.

لماذا لا تكتبون لي؟ هل حصل شيء؟ أم أنكم مشغولو البال ببطانة الياقة الحريرية المجعدة على السترة؟ (مزحة، تلميح إلى نيميروفيتش- دانتشينكو) لا حيلة لي في الأمر، اللّه معكم!

يقال إن فرقتكم ستصل إلى يالطا في مايو. إذا كان القرار قد اتخذ، أليس من الحكمة الاهتمام باستئجار خشبة المسرح مسبقاً؟ المسرح هنا مؤجر، ولا بد من مباحثات مع مستأجره، الممثل نوفيكوف. ماذا لو خوّلتموني بالتباحث معه؟

الـ ١٧من الشهر، عيد الشفيع ويوم انتخابي عضواً فخرياً في الأكاديمية، مر باهتاً كئيباً، لأنني كنت مريضاً. أما الآن فقد تحسنت حالي، إلا أن صحة الوالدة توعكت. هذه الفواجع الوقتية حرمتني من التمتع بالعيد ومن فرحة العضوية في الأكاديمية. كما حالت دون الكتابة إليكم ودون الرد على البرقيات في حينه.

صحة الوالدة تحسنت الآن.

أنا ألتقي بعائلة سريدين، هم يزوروننا، وأنا نادراً ما أزورهم، إلا أنني أراهم على أية حال. (. . .)

أنتم، إذن، لا تراسلونني، ولن تراسلوني في القريب العاجل. والسبب هو البطانة المجعدة على ياقة تلك السترة. إنني أفهمكم!

أقبّل يدكم.

المخلص أ. تشيخوف

٢٤٩. إلى فيودور باتوشكوف
(رئيس تحرير مجلة «دنيا اللّه»)

يالطا، ٢٤ يناير ١٩٠٠

فيودور دميتريفيتش المحترم!

(الأديب والمترجم الفرنسي ديني) روش يرجوني أن أبعث له المواضع التي شطبتها الرقابة من «الفلاحين». ولكن لم تكن هناك مواضع مشطوبة. ثمة فصل لم ينشر في المجلة ولا في الكتاب، ومضمونه أحاديث الفلاحين عن الدين والسلطة. ولا ضرورة لإرساله إلى باريس (هذا الفصل ظل مجهولاً)، بل ولا ضرورة لترجمة «الفلاحين» أصلاً إلى اللغة الفرنسية.

أشكركم من صميم القلب على إرسال الصورة الفوتوغرافية للوحة ريبين (غلاف الترجمة الفرنسية لرواية «الفلاحين»). لوحة إيليا ريبين شرف لي لم أكن أتوقعه أو أحلم به. وسأكون سعيداً جداً للحصول على اللوحة الأصلية. بلغوا إيليا يفيموفيتش بأنني سأظل أنتظرها بفارغ الصبر، وبأنه لن يتمكن من تغيير رأيه بإرسالها لي لأنني قد أوصيت بتقديمها (بعد وفاتي) إلى مدينة تاغانروغ، مسقط رأسي (لوحة ريبين محفوظة حالياً في متحف تاغانروغ).

في رسالتكم جئتم على ذكر غوركي. فهل تعجبكم كتاباته؟ أنا معجب ليس بكل ما يكتب. إلا أن لديه نتاجات تعجبني جدّاً، ولا يخامرني شك أن غوركي مصبوب من نفس العجينة التي يُصب منها الرسامون. إنه فنان حقيقي. وهو إنسان طيب وذكي، مفكر يجيد التأمل. إلا أن عليه وفيه ثقلاً كبيراً لا لزوم له، توجهه الهامشي الريفي على سبيل المثال. (. . .)

شكراً جزيلاً على الرسالة وعلى تذكركم لي. أنا أشعر بالضجر هنا. مللت، وأحس كأني رُميت من على متن السفينة. يضاف إلى ذلك سوء الأحوال الجوية وتدهور الحال الصحية. لا يزال السعال يداهمني.

أتمنى لكم كل خير.

المخلص الوفي أ. تشيخوف

٢٥٠. إلى ميخائيل مينشيكوف

يالطا، ٢٨ يناير ١٩٠٠

العزيز ميخائيل أوسيبوفيتش. أنا لا أفهم طبيعة مرض تولستوي. لم يرد عليّ تشيرينوف، ولا أستطيع أن أخرج بشيء مما قرأته في الصحف ومما تكتبونه الآن. أعراض القرحة في المعدة والأمعاء تتجلى بشكل آخر. القرحة غير موجودة، أو كانت هناك عدة خدوش مدماة حصلت بفعل حصى المرارة. كما أنه غير مصاب بالسرطان. فالسرطان ينعكس بالدرجة الأولى على الشهية والحالة الصحية عموماً، والأهم أن الوجه يفصح عن وجود السرطان إذا كان موجوداً. الاحتمال الأكبر هو أن ليف نكولايفيتش سليم /ما عدا الحصى/ وسيعيش عشرين عاماً أخرى. هذا المرض أفزعني وجعلني في توتر شديد. أنا أخشى وفاة تولستوي. فلو توفي لنشأت في حياتي ثغرة خالية كبيرة. أولاً، لأنني ما أحببت شخصاً أكثر مما أحببته. أنا لست من المؤمنين، لكنني أعتبر إيمانه من أقرب الأديان إليّ وأكثرها ملاءمة لي. ثانياً- بوجود تولستوي في الأدب يسهل على الأديب أن يكون أديباً ويسرّه أن يكون أديباً. وحتى إذا فهم الأديب أنه لم ولن ينجز شيئاً لا خوف على الأدب لأن تولستوي ينوب عن الجميع. نشاطه يبرر الآمال والطموحات المرجوة من الأدب. ثالثاً - تولستوي ثابت في مقامه، ومنزلته رفيعة هائلة. وطالما هو على قيد الحياة تنسحب الأذواق الضحلة في الأدب، والتفاهات المتهرئة والغرور الوقح الحاقد المتباكي، إلى خلفية بعيدة مغمورة في الظل. إن منزلته الأخلاقية وحدها قادرة على تأمين مرتبة عالية لما يسمى بالتيارات والاتجاهات الأدبية. ومن دونه تبدو تلك الاتجاهات والتيارات بمثابة قطيع بلا راعٍ أو عصيدة بلا طعم.

ولكي أتم حديثي عن تولستوي أذكر «البعث» التي قرأتها دفعة واحدة وليس جزءاً جزءاً. إنها نتاج أدبي رائع. الشيء غير الممتع في الرواية هو الكلام عن موقف نيخلودوف من كاتيا. والشيء الأكثر متعة هو تصوير الأمراء والجنرالات والنساء والفلاحين والموقوفين والرقباء. قرأت المشهد عند الجنرال قومندان قلعة بطرس وبافل محتبس الأنفاس لروعته الفائقة. فماذا أقول عن السيدة كورتشاغينا في مقعدها الوثير؟ وماذا عن الفلاح زوج فيدوسيا؟ هذا الفلاح يصف امرأته بـ«المتشبثة». ريشة تولستوي تحديداً هي المتشبثة. الرواية بلا خاتمة، وما هو

موجود لا تجوز تسميته بالخاتمة. عندما يكتب المؤلف ويطيل الكتابة ثم يلقي التبعة على نص مقتبس من الإنجيل إنما يفعل ذلك اعتباطاً مثل اعتباطية تقسيم السجناء إلى خمس فئات. فلماذا يقسمون إلى خمس فئات وليس عشراً؟ ولماذا المقتبس من الإنجيل وليس من القرآن؟ ينبغي في البداية العمل على تصديق الإنجيل والإيمان بأنه هو الحقيقة، وبعد ذلك يصار إلى الحل اللازم بنص من نصوصه.

هل أثقلت عليكم؟ إذن، عندما تصلون إلى القرم سأجري مقابلة صحفية معكم وأنشرها فيما بعد في «أخبار اليوم». وإلا فإن أشباه المثقفين اليهود يكتبون عن تولستوي كما تتحدث العجائز عن شخص من أهل الله. كل الترهات المعسولة. عبثاً يتحدث إليهم.

اعتلّت صحتي أسبوعين، نتيجة الإجهاد. والآن هناك ذرنوح أسفل عظم الترقوة الأيسر. وصحتي لا بأس بها. لا ليس حشرة الذرنوح نفسها، بل بقعة حمراء بعد استعمالها (في العلاج).

سأبعث إليكم صورتي الفوتوغرافية حتماً. وأنا مسرور لمنحي لقب أكاديمي، فإدراكي بأن الكثيرين سيحسدونني الآن يبعث الفرح في النفس. وسأكون مسروراً أكثر عندما أفقد هذا اللقب بعد مفارقة أو سوء فهم. (تشيخوف تخلى بالفعل عن هذا اللقب فيما بعد) والمفارقة ستأتي حتماً لأن علماء الأكاديمية يخشون من أننا (نحن الأدباء) نزعجهم. ولقد انتخبوا تولستوي على مضض. فهو عدمي برأيهم. هذا النعت، على أية حال، أطلقته عليه سيدة هي مستشارة سرية فعلية. فتهانيّ القلبية له بهذا التوصيف.

أنا لا أستلم (مجلتكم) «الأسبوع». لماذا؟ (. . .)

أتمنى لكم الصحة والعافية، وأشد على يدكم بحرارة. تحية إلى ياشا وليديا إيفانوفنا. اكتبوا لي.

المخلص أ. تشيخوف

٢٥١. إلى ميخائيل تشيخوف

يالطا، ٢٩ يناير ١٩٠٠

عزيزي ميشا! أرد على رسالتك (حول المصالحة مع سوفورين).

أولاً- انا لم أكن (بمدينة) تورجوك ولا مرة في حياتي، ولم أبعث من هناك أية برقية لأحد (كما أبلغك سوفورين). غادرت بطرسبورغ في اليوم التالي بعد عرض «النورس» ورافقني (إلى المحطة) بوتابينكو وخادم سوفورين.

ثانياً- كان سوفورين يعرف تفصيلاً أنني أبيع مؤلفاتي إلى ماركس وبأية شروط وقد رد على سؤالي المباشر عما إذا كان يريد هو شراءها بأنه ليس لديه مال، وأن ابنه وابنته لا يسمحان له بشرائها، وأن أحداً لن يدفع ثمناً لها أكثر مما يدفع ماركس.

ثالثاً- سلفة الـ ٢٠ ألفاً تعني أنني أبيع مؤلفاتي بـ ٢٠ ألفاً، لأنني ما كنت سأستطيع التخلص من الدين أبداً.

رابعاً- عندما حسمت مسألة ماركس كتب لي أليكسي سرغييفيتش (سوفورين) أنه مسرور جداً لما حصل، لأن ضميره يؤنبه طوال الوقت لسوء إصدار كتبي.

خامساً- لم يكن هناك كلام عن إرسال «العصر الحديث» إليّ في نيس.

سادساً- «العلاقات» التي كتبت لك عنها /وما كان ينبغي لك أن تتصارح بشأنها مع سوفورين/ أخذت تتبدل خصوصاً بعدما كتب لي أليكسي سرغييفيتش نفسه أنه لم يبق هناك ما يمكن أن نتكاتب عنه.

سابعاً- بدأ تنضيد مؤلفاتي الكاملة في المطبعة، لكنه لم يستمر لأن مخطوطاتي تتعرض للضياع طوال الوقت، ولم يردوا على رسائلي، فاستولى عليّ القنوط بسبب هذه المعاملة الكسيفة. كنت مصاباً بالسل، وعليّ أن أتدبر الأمر كيلا ألقي على كاهل الورثة أعباء مؤلفاتي بشكل مجموعة مشوشة فاقدة القيمة.

ثامناً- بالطبع ما كان يجب أن أكتب لك عن ذلك كله، لأنه مسألة شخصية مملة، ولكن طالما اشتكوا لك وصوروا المسألة على غير ما هي عليه فلا حيلة في الأمر، اقرأ هذه البنود الثمانية وخذ العبرة منها. أما المصالحة فلا معنى لها، لأننا لم نتشاجر أنا وسوفورين، وقد عدنا إلى المراسلة وكأن شيئاً لم يكن. آنّا إيفانوفا

(زوجة سوفورين) امرأة لطيفة، لكنها مراوغة جداً. أنا واثق من طيبة موقفها تجاهي، ولكنني عندما أتكلم معها لا أنسى مراوغتها ولا للحظة واحدة، كما لا أنسى أن أليكسي سرغييفيتش طيب القلب جداً، وأنه صاحب «العصر الحديث». أكتب ذلك لك وحدك.

أحوالنا جيدة. الوالدة كانت متوعكة، لكنها الآن في صحة لا بأس بها. هل التقيت ماشا في موسكو؟

أنا أستلم «صقع الشمال». ينبغي إثراء الأخبار. مراسلو المحافظات جيدون، وخاصة في محافظة فولوغدا.

كيف حال جينيا؟ أتمنى لك موفور الصحة. تحياتي إلى (عمتك) أولغا غيراسيموفنا. أكرر تمنياتي لكم بالصحة وكل الخيرات.

المخلص أ. تشيخوف

٢٥٢. إلى إيفان تشيخوف

يالطا، ٧ فبراير ١٩٠٠

عزيزي إيفان! لا أتذكر هل كتبت لك أنني اشتريت شريطاً من الساحل في غورزوف. ففي ملكيتي خليج صغير بمنظر رائع، بصخور بحرية وإمكانية السباحة وصيد السمك وما إلى ذلك، على مقربة كبيرة من المرفأ والمتنزه العام. ثلاث دقائق سيراً على الأقدام. في قطعة الأرض منزل صغير يثير الشفقة. ثلاث غرف لا غير، وشجرة واحدة. أعتقد أننا، أقصد الوالدة وماشا وأنا وجميع أقناننا (الخدم) سنقضي الصيف في غورزوف. فإذا رغبت في المجيء يمكنني أن أستأجر لك غرفة أو غرفتين في منزل جارنا التتري، على أن تكتب لي في الموضوع مسبقاً. اشترِ لي في شارع تروبنايا صنانير وسلة صيد بشكل برميل أو دلو وما إلى ذلك من حاجيات صيد السمك.

في المنزل الصيفي الجديد شجرة توت واحدة. ويمكن غرس مئة شجرة أخرى. وسأغرسها. سنبيع قطعة الأرض في كوتشوك - كوي. أحوالنا جميعاً جيدة. ولا

مستجدات أخرى. تحياتي الخالصة إلى صونيا وفولوديا. أتمنى لك الصحة والعافية. لماذا لا تكتب إليّ؟

أخوك Antoine

٢٥٣. إلى إيفان تشيخوف

يالطا، ١٢ مارس ١٩٠٠

عزيزي إيفان! جاءني الملا (من المسجد المجاور) في ضاحية آوتا وطلب أن أشتري للمدرسة التترية في الضاحية ما يلي: ٢٠ لوح كتابة و٧٠ دفتراً ومحابر وعلبة ريشات واحدة و٣٠ قلم حبر و٧٠ قلم رصاص. اشترِ أقلام رصاص مدرسية رخيصة وأقلام حبر رخيصة أيضاً، واطلب أن يبعثوا هذه القرطاسية إليّ في يالطا أو يقوم ميور بإرسالها مع الكراسي التي تريد ماشا أن ترسلها في شحنة. ويمكن ببساطة حجز مكان واحد للعفش وإرسال هذه الحاجيات عندما تأتي إلينا ماشا. فمجموعها لا يزيد عن ١٦ رطلاً. ماشا ستدفع لك مقابل كل ما تشتريه. فاشترِ المطلوب رجاءً.

الطقس في يالطا مقيت خلال شهر مارس. وقد مللت من الشتاء أشد الملل. أتمنى لك الصحة. تحياتي إلى صونيا وفولوديا. ولا جديد عندنا. الوالدة بخير، وأنا أيضاً.

أخوك Antoine

٢٥٤. إلى أدولف ماركس

يالطا، ١١ مايو ١٩٠٠

أدولف فيودوروفيتش المحترم!

أرد على رسالتكم التي بعثتموها إلى يالطا وأعيدت إليّ في موسكو وأقول إنني سأرسل القصة إليكم حالما أكتبها. سأعود إلى يالطا في الفترة ما بين ١٥ و٢٠ مايو

وأشرع في تأليف القصة فوراً إذا لم يحصل ما يعيقني عن الكتابة وأظن أنني سأنجزها في يونيو أو يوليو.

سلمت رسالتكم إلى مكسيم غوركي (طلب ماركس من غوركي أن يكتب لمجلته «نيفا») اسمه الثلاثي أليكسي مكسيموفيتش بيشكوف، ومكسيم غوركي اسمه المستعار.

أتمنى لكم كل خير، وأبقى المخلص لكم باحترام صادق

أ. تشيخوف

٢٥٥. إلى أليكسي بيشكوف (مكسيم غوركي)

يالطا، ١٢ يوليو ١٩٠٠

عزيزي أليكسي مكسيموفيتش! دعوَتكم للسفر إلى الصين أدهشتني. كيف نسافر؟ والمسرحية؟ أيعني ذلك أنكم أنهيتموها؟ على أية حال السفر إلى الصين بات متأخراً. ذلك لأن الحرب، كما يبدو، تشرف على الانتهاء. ثم إنني لا أستطيع الذهاب إلى هناك إلا بصفة طبيب. طبيب عسكري. إذا طال أمد الحرب أسافر. أما الآن فأنا مواظب على الكتابة بعض الشيء. (. . .)

ما من جديد عندنا، سوى الحر الشديد الذي لا يطاق.

تحياتي الخالصة إلى يكاترينا بافلوفنا ومكسيم. أتمنى لكم موفور الصحة والسعادة.

المخلص أ. تشيخوف

٢٥٦. إلى ألكسندر فيشنيفسكي

يالطا، ٥ أغسطس ١٩٠٠

عزيزي وابن بلدي ألكسندر ليونيدوفيتش. شكراً جزيلاً على رسالتكم، وعموماً على طيبتكم. لعلنا سنلتقي قريباً. لأنني أفكر في موسكو طوال الوقت وأبحث عن ذريعة للسفر. أشعر بحنين قاتل إليها.

أواصل كتابة المسرحية. كتبت منها الكثير، لكنني لا أستطيع أن أحكم عليها ما لم أصل إلى موسكو. ربما هي ليست مسرحية، بل تفاهة مملة من تفاهات القرم. عنوانها «الشقيقات الثلاث» (ترجمة د. أبو بكر يوسف). أعد فيها لكم دور مفتش المدارس الثانوية زوج إحدى الشقيقات. وستكونون في سترة طويلة أنيقة مع وسام بقلادة.

إذا لم تكن المسرحية صالحة للموسم الحالي فسأعيد كتابتها للموسم القادم.

أغبطكم لأنكم تتواجدون في مكان لم أكن فيه من ست سنوات، أعني الحمام العمومي. بدني الآن مكسو بحراشف السمك، وشعري طويل وأتمشى شبه عارٍ وأصرخ بصوت وحشي، والسيدات يخشينني.

يقال إنكم تنوون الزواج من ر. (رايفسكايا) فهل هذا صحيح؟ إذا كان صحيحاً أهنئكم من صميم القلب. فهي ممثلة جيدة.

عندما أكون في موسكو استضيفوني. أختي تقول إن لديكم شقة جيدة جداً. وإذا كنتم مرتاحين وراضين حقاً فسأكون سعيداً لكم وأغبطكم. أتمنى لكم، يا ابن بلدي، الصحة والفرحة والهمة والنشاط. اعملوا جيداً وبارتياح، ولا تنسوا المخلص لكم

أ. تشيخوف

٢٥٧. إلى اولغا كنيبر

يالطا، ٩ أغسطس ١٩٠٠

عزيزتي أوليا، مرحباً يا فرحتي وقرة عيني! استلمت منك اليوم رسالة هي الأولى بعد سفرك، وقرأتها، ثم قرأتها مرة أخرى، وها أنا أكتب لك أيتها الممثلة الرائعة. بعد أن ودعتك (رافق تشيخوف أولغا من يالطا حتى سيواستوبول بالقطار الصاعد إلى موسكو) بتّ ليلتي في فندق كيستا، وفي اليوم التالي سافرت إلى بالاكلافا بسبب الملل والعطالة. وهناك كنت أتحاشى السيدات اللواتي عرفنني وأردن أن يرحبن بي. وفي الصباح ركبت العربة إلى يالطا. كانت تهتز بشكل فظيع. والآن أنا قابع هنا أشعر بالملل والوحشة والغضب. يوم أمس زارني أليكسييف (ستانسلافسكي)، وتداولنا بشأن المسرحية. وعدته بأن أنهيها ليس بعد سبتمبر. ألا ترين مدى ذكائي؟

يخيل إليّ أن الباب سيفتح في أية لحظة وتدخلين أنت عليّ. لكنك لا تدخلين. أنت الآن في البروفة أو في زقاق ميرزلياكوفسكي بعيداً عن يالطا، بعيداً عني.

وداعاً، فلتحفظك ملائكة السماء. وداعاً أيتها البنت الطيبة.

المخلص أنطونيو

(تعقيب رقم ١) في رسالة إلى أولغا كنيبر بتاريخ ٢٨ سبتمبر ١٩٠٠ كتب تشيخوف: «لو تعلمين، أي دور أعده لك في «الشقيقات الثلاث»، (دور ماشا). ما أروعه! لو تعطينني عشرة روبلات أعطيك الدور، وإلا أكلف ممثلة أخرى بأدائه. في هذا الموسم لن أسلم المسرحية، فلتبق بعض الوقت في جرار مكتبي لتختمر، أو كما تقول زوجات التجار عندما يقدمن الكعكة على المائدة: لتأخذ نَفَساً».

(تعقيب رقم ٢) في رسالة إلى مكسيم غوركي بتاريخ ١٦ أكتوبر ١٩٠٠ كتب تشيخوف: «يمكنكم أن تتصوروا، كتبت المسرحية. وطالما أنها لن تعرض الآن، بل في الموسم القادم، فلن أقوم بتبييضها، ولتبق في الجرار مسودة. كان تأليف «الشقيقات الثلاث» من أصعب الأمور. كل بطلة من بطلاتها الثلاث ينبغي أن تكون في صورتها الخصوصية، وكلهن على طبيعة والدهن الجنرال! أحداث المسرحية تجري في بلدة هامشية على غرار مدينة بيرم، في بيئة عسكرية، مدفعيين».

٢٥٨. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ٥ سبتمبر ١٩٠٠

عزيزتي، ملاكي! أنا لا أكتب لك، فلا تزعلي. سامحي الإنسان الضعيف الإرادة. أمضيت الوقت كله في تأليف المسرحية، أفكر أكثر مما أكتب، ومع ذلك خيل إليّ أنني مشغول بعمل مثمر ولا وقت عندي للرسائل. أؤلف المسرحية، ولكن من دون استعجال. من المحتمل أن أسافر إلى موسكو دون أن أكملها. ففيها يتزاحم كثير من الشخوص، وأخشى أن تكون غير واضحة أو باهتة، ولذا في اعتقادي الأفضل إرجاؤها إلى الموسم القادم. على فكرة، «إيفانوف» هي مسرحيتي الوحيدة التي عرضت، على خشبة «كورش»، بعد الفراغ من كتابتها مباشرة. جميع مسرحياتي الأخرى ظلت مركونة عندي لأمد طويل في انتظار فلاديمير إيفانوفيتش (دانتشينكو)، ولذا كان لدي متسع من الوقت لإجراء مختلف التعديلات.

عندي ضيوف (. . .)

سأبرق لك بالطبع كي تستقبليني من كل بد. سأصل بالقطار السريع صباحاً. وفي نفس اليوم أواصل العمل على المسرحية. أين أنزل؟ في شارع مالايا دميتروفكا (حيث تقيم شقيقة الكاتب ماريا) ليس هناك طاولة ولا فراش. سأضطر للإقامة في الفندق. ولن أبقى طويلاً في موسكو.

لا مطر في يالطا. الأشجار عطشى، والعشب جف من زمان. والريح تعوي يومياً. الجو بارد.

اكتبي لي أكثر. رسائلك تفرحني كل مرة وتُحسّن مزاجي، وهو كل يوم تقريباً متحشف يابس مثل أرض القرم. لا تزعلي مني يا عزيزتي.

ضيوفي ينصرفون. أنا ذاهب لتوديعهم.

المخلص أنطوان



٢٥٩. إلى قسطنطين ستانسلافسكي
(مخرج، اسم مستعار)

نيس، ٢ يناير ١٩٠١

قسطنطين سرغييفيتش المحترم!

رسالتكم التي بعثتموها قبل ٢٣ ديسمبر استلمتها يوم أمس، ولعل ثمة سبباً وجيهاً لتأخر وصولها.

أهنئكم بالعام الجديد متمنياً لكم المزيد من السعادة. كما أتمنى وآمل أن تنجزوا مبنى المسرح الجديد الذي ستبدأون قريباً بإنشائه (أعمال بناء «المسرح الفني» بموسكو من تصميم المعماري شيختيل بدأت عام ١٩٠٢) وأتمنى لكم أيضاً خمس مسرحيات جديدة رائعة. فيما يخص الصيغة القديمة «للشقيقات الثلاث» لا يجوز تلاوة مقتطفات منها في أمسية الكونتيسة (صوفيا أندرييفنا تولستايا) بأي حال من الأحوال. (ستانسلافسكي هو أيضاً ما كان يريد تلاوتها بناءً على طلب زوجة تولستوي). أستعطفكم، لوجه الله، لا تقرأوا شيئاً منها، بأي شكل كان. وإلا ستسببون لي حزناً ومرارة.

أرسلت لكم الفصل الرابع من زمان، على عنوان فلاديمير إيفانوفيتش (دانتشينكو)، بعد أن أجريت تعديلات كبيرة عليه. تقولون إن نتاشا، في الفصل الثالث، أطفأت النار المشتعلة لدى تفقد البيت ليلاً وأخذت تبحث عن المذنبين تحت الأثاث. يخيل إليّ أن الأفضل لو أنها مرت على خشبة المسرح في اتجاه

واحد دون أن تلتفت إلى أحد، وتحمل شمعة مثل الليدي ماكبث. فهذا المشهد أقصر، وأكثر إثارة للرعب.

أهنئ ماريا بتروفنا بالعام الجديد وأبعث لها أجمل التحيات وأتمنى لها من صميم القلب كل خير، والأهم موفور الصحة والعافية.

أشكركم من صميم القلب على الرسالة التي أفرحتني وأسعدتني. أشد على يدكم بحرارة.

المخلص أ. تشيخوف

٢٦٠. إلى أولغا كنيبر

نيس، ٢ يناير ١٩٠١

هل أنت معتكرة المزاج، يا روحي، أم أنك مرحة؟ لا تحزني، يا عزيزتي، عيشي واعملي واكتبي أكثر لعجوزك الشيخ أنطونيو. لم أستلم منك رسائل من زمان، ما عدا رسالة ١٢ ديسمبر التي استلمتها اليوم. وأنت تصفين فيها كيف بكيتِ عندما سافرتُ. على فكرة، ما أروعها من رسالة! لستِ أنت التي كتبْتِها. ربما كتبها شخص آخر بناءً على طلبك. رسالة مدهشة.

نيميروفيتش (دانتشينكو) لا يتردد عليّ. قبل ثلاثة أيام أبرقت له أن يأتي إليّ «وحده». وهذا هو السبب، أو الثبب، كما يلفظه تلاميذ الثانوية. والحقيقة أنه لا بدّ من لقائه لنتداول في موضوع الرسالة التي استلمتها من ستانسلافسكي (عن بروفات «الشقيقات الثلاث»). اليوم ألازم الغرفة طول النهار، كما في الأمس. لا أخرج إلى الشارع والسبب أن سيدة رفيعة المنزلة دعتني لتناول طعام الغداء فاعتذرتُ بحجة أني مريض. ليس لديّ بدلة سهرة ولا مزاج. (...) ولا أخبار.

اكتبي لي توصيفاً ولو لبروفة واحدة على «الشقيقات الثلاث». أليس هناك ضرورة لإضافة شيء أو حذف شيء؟ هل تمثلين دورك جيداً يا روحي؟ خذي بالك! لا تعبّسي في مشهد. يمكنك أن تكوني غاضبة فقط، وليس عبوساً. الأشخاص الذين تنطوي نفوسهم على فاجعة يكتفون بالتأوه ويتأملون طويلاً. وعليك أنت أيضاً أن تتأملي كثيراً أثناء الحوار على خشبة المسرح. هل تفهمين؟

تفهمين طبعاً، لأنك ذكية. هل هنّأتُكِ برأس السنة في هذه الرسالة؟ هل يعقل انني لم أهنئك بعد؟ أقبّل كلتا يديك، وأصابعهما العشرة، وأقبّل جبينك، وأتمنى لك السعادة وهدوء البال والمزيد من حب مستمر لأطول وقت، لـ ١٥ عاماً على سبيل المثال. ما رأيك ؟ هل ثمة حب بهذا الطول؟ نعم، عندي هو ممكن، وعندك لا. أعانقك على أية حال...

المخلص طوطو

أرسلي لي بين فترة وأخرى جريدة من الجرائد /ما عدا « الوقائع الروسية»/ والصقي عليها طابعاً بكوبيكين (...)

٢٦١. إلى أولغا كنيبر

نيس، ٦ يناير ١٩٠١

عزيزتي، فتاتي السريعة الهمة! لم أستلم منك رسائل من زمان. يبدو أنك يئستِ مني. على فكرة، سبق أن استلمت منك كل الرسائل التي بعثتِها، وخصوصاً التي عليها عنواني الكامل. أما التي بلا عنوان فقد تأخرت كثيراً. في البداية كانت تصل إلى تشيرتكوف، ومع ذلك استلمتها كلها.

عزيزتي الغالية، لقد أنهيت متابعتي لنزلاء البنسيون الروسي، وأريد أن أنتقل إلى فندق آخر مزدحم وصاخب مثله. سأبرق لك حالما أنتقل. هنا، في البنسيون الروسي، درست سلوك اثنين من الأساتذة الجامعيين من مدينة كييف. مهزلة بكل معنى الكلمة. ثم ما أحقر النساء هنا. ما أحقرهن، يا عزيزتي الغالية. عند إحداهن ٤٥ بطاقة يانصيب رابحة. وهي تقيم هنا بسبب عطالتها. تأكل وتشرب وتتردد كثيراً على مونت كارلو، فتلعب القمار بجبن وتهيب... ما أكثر الأموال الروسية التي تبذر وتهلك هنا، وخصوصاً في مونت كارلو.

أخيراً استلمت رسالة من ماشا، لذا سأكتب للوالدة من الآن فصاعداً رسالة كل ثلاثة أيام كيلا تشعر بالضجر (...)

كيف حال «الشقيقات الثلاث»؟ ولا ابن كلب واحد يكتب لي عن المسرحية.

وأنت أيضاً لا تكتبين. سألقنك درساً بسبب ذلك. نيميروفيتش كان في مينتون. أقام، فخامته، في فندق الأمير. لم يلتق أحداً ولم ير شيئاً. ويغادر اليوم، فيما تبقى هنا زوجته الذكية الماهرة. نادراً ما كنت أراهما.

أنت لا تكتبين لي. إذا كنت قد وقعت في غرام أحد اكتبي لي كيلا أتجرأ غيابياً على تقبيلك، بل ومعانقتك، كما أفعل الآن. وداعاً، يا روحي، إلى اللقاء. عيشي حياتك، يا حمقاء، متوكلة على الله. ولا ترتابي بشيء.

المخلص أنطوان

٢٦٢. إلى يوسف تيخوميروف (ممثل)

نيس، ١٤ يناير ١٩٠١

يوسف ألكساندروفيتش المحترم! استلمت رسالتكم الآن وسررت بها كثيراً. فشكراً جزيلاً. إليكم ردّي على أسئلتكم (بخصوص «الشقيقات الثلاث»): ١) إيرينا لا تعرف أن توزينباخ ماضٍ للمبارزة، إلا أنها تخمن أن شيئاً جللاً حدث يوم أمس ويمكن أن تكون له عواقب هامة، سيئة على الأرجح. والمرأة عندما تخمّن مجرد تخمين تقول: «كنت أعلم علم اليقين».

٢) تشيبوتكين ينشد العبارة التالية: «ألا تريدون أن تتذوقوا هذه التمرة...». العبارة مأخوذة من أوبريت عرض في وقت ما على مسرح «أرميتاج» (موسكو) ولا أتذكر عنوان الأوبريت. يمكن الاستفسار عنه، إذا كانت هناك حاجة، من المعماري شيختيل /المقيم في منزله الشخصي قرب كنيسة يرمولاي/. تشيبوتكين لا ينبغي أن ينشد أكثر من العبارة المذكورة، وإلا فإن انصرافه من الخشبة سيستغرق وقتاً طويلاً.

٣) سوليوني، بالفعل، يتصور أنه يشبه ليرمونتوف، والحقيقة طبعاً أنه لا يشبهه. فالتفكير في هذا الشبه شيء مضحك... مكياجه ينبغي أن يكون بملامح ليرمونتوف. فالشبه بينهما كبير للغاية، ولكن ذلك في رأي سوليوني وحده.

لا مؤاخذة، هل أجبتكم بالشكل المطلوب؟ هل يرضيكم جوابي؟... لا جديد في حياتي هنا. كل شيء على حاله. ولعلّي أعود قبل الموعد الذي كنت أفكر فيه. من المحتمل أن أكون خلال شهر مارس في بيتي، أي في يالطا.

لا أحد يكتب لي عن المسرحية. فلاديمير إيفانوفيتش (دانتشينكو) عندما كان هنا لزم الصمت بشأنها. وخيّل إليّ أنهم ملّوا من المسرحية ولن تحقق نجاحاً. وجاءت رسالتكم، شكراً لكم عليها، لتخفف من كآبتي بعض الشيء. أتمنى لكم موفور الصحة والعافية. تحياتي لأختكم (الموظفة في مكتب «المسرح الفني»). تمنياتي لكم بكل خير.

المخلص أ. تشيخوف

٢٦٣. إلى قسطنطين ستانسلافسكي

نيس، ١٥ يناير ١٩٠١

قسطنطين سرغييفيتش المحترم! شكراً جزيلاً على الرسالة. بالطبع أنتم على حق ألف مرة. جثة توزينباخ لا ينبغي أن تعرض على الخشبة إطلاقاً. أنا نفسي شعرت بذلك عندما كتبت المسرحية، وتحدثت معكم بهذا الخصوص إن كنتم تتذكرون. أما أن خاتمة («الشقيقات الثلاث») تذكرنا «بالخال فانيا» فتلك ليست مصيبة كبرى. «الخال فانيا» مسرحيتي وليست غريبة. وعندما يذكّر الكاتب الآخرين بنفسه في مؤلفاته يقولون إن ذلك هو ما ينبغي أن يكون. تشيبوتكين لا يتلفظ العبارة بخصوص التمرة، بل ينشدها إنشاداً. وقد أخذت العبارة من أوبريت لا أتذكر عنوانه قطعاً. يمكن الاستفسار عنه من المعماري فيودور شيختيل الذي يقيم في منزله قرب كنيسة يرمولاي على شارع سادوفايا (موسكو).

شكراً جزيلاً على ما كتبتموه لي. تحياتي الخالصة إلى ماريا بتروفنا وجميع ممثلي المسرح. أتمنى لكم كل خير. كما أتمنى أن تكونوا في صحة وعافية وتوفيق.

المخلص أ. تشيخوف

٢٦٤. إلى ميخائيل تشيلينوف (طبيب أمراض جلدية)

نيس، ١٩ يناير ١٩٠١

عزيزي ميخائيل ألكساندروفيتش! أبعث إليكم رداً موجزاً على رسالتكم. المبلغ تتبرع به أو تنوي أن تتبرع به السيدة المدعوة فاسيليفيا. وهي في الـ ٢٠ أو ٢٢ من العمر. سأقرأ عليها مقطعاً من رسالتكم، وهو المتعلق بالأمراض الجلدية وألزم الصمت بشأن الزهري. يخيّل إليّ أن من الضروري بناء مستشفى للأمراض الجلدية للأغراض العلمية فقط. أما المصابون بالزهري فالمدينة نفسها ستبني مستشفى لعلاجهم عاجلاً أم آجلاً. أو قد تستدعي الحاجة البحث عن متبرع آخر. فما رأيكم؟ مبلغ تبرعات السيدة فاسيليفا ١٢٠ ألفاً، قد تزداد إلى ١٣٠. الأمر يتوقف على مبلغ بيع منازلها في أوديسا.

اليوم سأذهب إليها لبحث الموضوع. وبعد شهر، على ما أعتقد، سيتم البت في المسألة نهائياً، بمعنى أنكم ستحصلون على مستشفى جديد.

يتضح من لهجة رسالتكم أنكم تظنون أنني أنا المتبرع من مالي الخاص... للأسف. أنا عاجز عن التبرع حتى بجزء من عشرين جزء من المبلغ. فأنا لا أملك شيئاً.

أرجوكم مرة أخرى أن تحفظوا السر ولا تخبروا أحداً بتدخلي في مصائر الطب بموسكو. (...)

أتمنى لكم الصحة وأشد على يدكم بحرارة. سأكتب لكم قريباً من جديد.

ألم تتزوجوا بعد؟

المخلص أ. تشيخوف

٢٦٥. إلى أولغا كنيبر

نيس، ٢١ يناير ١٩٠١

عزيزتي! توبة ماشا في الفصل الثالث (أولغا كنيبر تمثل دورها في «الشقيقات الثلاث») ليست توبة بالمعنى الحرفي للكلمة، وإنما هي حديث صريح. أدّيه

بانفعال، ولكن ليس بقنوط واستماتة. لا تصرخي، ابتسمي من حين لآخر، وتصرّفي أساساً بحيث يشعر المتفرج بثقل الليل، ويدرك أنك أذكى من شقيقتيك، أو تعتبرين نفسك، على الأقل، أذكى منهما. (. . .)

يوم أمس أرسلت إليك برقية، هل استلمتِها؟

أنا أواصل الكتابة طبعاً، ولكن بدون رغبة. يخيل إليّ أن «الشقيقات الثلاث» أتعبتني. لا أدري، حبذا لو لم أكتب خمس سنوات. أقوم بترحال خمس سنوات، ثم أعود وأعكف على التأليف. على أية حال، ألن تعرض «الشقيقات الثلاث» بموسكو في هذا الموسم؟ ستعرضونها لأول مرة في بطرسبورغ، أليس كذلك؟

على فكرة، خذي بنظر الاعتبار أنكم لن تحققوا أي نجاح في بطرسبورغ. هذا بالطبع لحسن الحظ. فبعد بطرسبورغ لن تقوموا بجولات فنية، بل تلازمون موسكو. الجولات الفنية ليست من شأنكم. في بطرسبورغ التذاكر ستباع، ولكن من دون أي نجاح. اعذريني رجاءً.

أتمنى لك الصحة يا رفيقة حياتي العزيزة. وأبقى على العهد، المحب لك

الأكاديمي طوطو

٢٦٦. إلى أولغا كنيبر

روما، ٧ فبراير ١٩٠١

عزيزتي! بعد زهاء ساعتين أرتحل إلى الشمال، إلى روسيا. فالبرد شديد هنا (في إيطاليا)، والثلج يتساقط، ولا رغبة لي في السفر إلى نابولي. إذن، اكتبي لي على عنواني في يالطا.

لم أستلم منك ولا رسالة واحدة عن عرض «الشقيقات الثلاث»، فيما تقول «العصر الحديث» والبرقية إنك مثّلت أفضل الجميع وتميزت عنهم جميعاً. اكتبي لي التفاصيل على عنوان يالطا، اكتبي يا روحي، أرجوك.

الكتابة الآن صعبة عليّ، ضوء الكهرباء خافت.

أعانقك، أقبّلك بحرارة. لا تنسيني. لا أحد يحبك كما أحبك.

المخلص أنطونيو

(تعقيب) في رسالة إلى نكوديم كونداكوف بتاريخ ٢٠ فبراير ١٩٠١ كتب تشيخوف: «هربت من نيس إلى إيطاليا، وزرت فلورنسة وروما، لكنني اضطررت أن أهرب من هناك أيضاً، لأن البرد شديد في كل مكان، والثلج يتساقط، ولا أفران للتدفئة. أما الآن فأنا أتدفأ في يالطا».

٢٦٧. إلى ميخائيل تشيخوف

يالطا، ٢٢ فبراير ١٩٠١

عزيزي ميشيل! عدت من الخارج، ويمكنني الآن أن أرد على رسالتك. نيّتك للإقامة في بطرسبورغ شيء جيد جداً، بالطبع، ووسيلة للإنقاذ. أما بشأن الخدمة عند سوفورين فلا أستطيع أن أبدي رأياً معيناً، مع أنني فكرت في الموضوع طويلاً. طبعاً لو كنتُ في محلك لفضلت الخدمة في مطبعته وليس في جريدته. «فللعصر الحديث» حالياً سمعة سيئة جداً. ويعمل فيها أشخاص أثرياء متبطرون / ما عدا ألكسندر الذي لا يرى شيئاً/ . سوفورين كذاب، كذاب إلى حدّ فطيع. وخصوصاً فيما يسمى بلحظات المصارحة، أي عندما يتكلم ربما صادقاً. ولكن ما من ضمانة تحول دون تغيير رأيه والتصرف على العكس بعد نصف ساعة. ومهما يكن من أمر فهذه مسألة صعبة. كان الله في عونك. أما نصائحي فمن المستبعد أن تفيدك. إذا خدمتَ عند سوفورين تذكّر يوماً أنكما يمكن أن تفترقا بكل سهولة.

ولذا ينبغي أن يكون أمامك منصب رسمي جاهز، أو أن تكون من المحلفين الشعبيين.

كان يعمل مع سوفورين شخص طيب القلب هو تيتشينكين، كان على الأقل طيب القلب. أما ولداه، أعني ولدي سوفورين (من زوجته الأولى)، فهما تافهان من جميع النواحي. آنا إيفانوفنا (زوجته الحالية) باتت مبتذلة أيضاً (. . .)

أتمنى لك الصحة والعافية والتوفيق. اكتب لي عما سيحصل لك. حياة أولغا غيراسيموفنا والأولاد في بطرسبورغ ستكون أفضل مما في ياروسلافل.

اكتب لي عن التفاصيل حالما تستجد. الوالدة في صحة مقبولة.

أخوك أ. تشيخوف

٢٦٨. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ١ مارس ١٩٠١

عزيزتي، لا تقرئي الجرائد (بعد أن انتقدت أداء الممثلة كنيبر في «الخال فانيا»)، لا تقرئيها أبداً، وإلا ستمرضين. خذي العبرة وأنصتي لأقوال الشيخ الراهب المتعبد. ألم أقل وأؤكد أن أموركم في بطرسبورغ لن تكون على ما يرام؟ كان ينبغي أن تنصتي إليّ. ومهما يكن من أمر فإن فرقة مسرحكم لن تسافر أبداً إلى بطرسبورغ بعد الآن، والحمد لله.

أنا شخصياً سأترك الكتابة للمسرح نهائياً. لن أكتب للمسرح بعد الآن أبداً. يمكن الكتابة للمسرح في ألمانيا والسويد وحتى في إسبانيا، وليس في روسيا التي لا يحظى فيها الكتّاب المسرحيون بالاحترام، يدوسون عليهم بالحوافر ولا يعذرونهم لا على النجاح ولا على الفشل. يلومونك أنت لأول مرة في حياتك، ولذا تشعرين بحساسية شديدة، وستهون الأمور بمر الزمن وتتعودين.(. . .).

الطقس هنا رائع، الجو دافئ والشمس مشرقة وأشجار المشمش واللوز مزدهرة. في أسبوع الآلام أنتظرك أيتها الممثلة المسكينة بعد التعرض للملامة والانتقاد. أنتظرك، وأظل أنتظرك، فخُذي ذلك بالاعتبار.

في فبراير بعثت لك خمس رسائل وثلاث برقيات ما بين ٢٠ و٢٨ من الشهر. ورجوتك أن تبرقي لي، لكنني لم أستلم أي جواب. (. . .)

اكتبي لي إلى متى ستظلون جميعاً في بطرسبورغ. اكتبي يا ممثلة!

أنا في صحة جيدة. كلمة شرف.

أعانقك.

المخلص الراهب المتعبد

(تعقيب) في رسالة بتاريخ ٢٦ يناير ١٩٠١ إلى الممثلة ماريا أندرييفا التي أدت دور إيرينا في «الشقيقات الثلاث» كتب تشيخوف: «ماذا ستمثلون في بطرسبورغ؟ أنا آسف جداً، لأنني لا أحب بطرسبورغ ولا أقدّر أذواقها».

٢٦٩. إلى نكوديم كونداكوف
(أكاديمي، مؤرخ فنون)

يالطا، ٢ مارس ١٩٠١

نكوديم بافلوفيتش المحترم!

أشكركم كل الشكر من صميم القلب على الكتاب («الأيقونة المعاصرة»). قرأته باهتمام كبير وبكل ارتياح. على فكرة، المسألة أن والدتي، وهي من قضاء شويسكي، كانت قبل خمسين عاماً في زيارة أقاربها من رسامي الأيقونات ببلدة باليخ وفي سرغييف التي تبعد عن باليخ ثلاثة فراسخ. آنذاك كانوا يعيشون في رخاء ونعيم. أقاربها في سرغييف يعيشون في منزل ضخم بطابقين وتعريشة تطل على الشارع. عندما أخبرتُ الوالدة بمضمون كتابكم انتعشت وأخذت تحدّثني عن باليخ وسرغييف وعن ذلك المنزل الذي كان عتيقاً آنذاك. وبناء على الانطباعات التي ظلت عالقة في ذاكرتها كانت الحياة حينئذٍ موسرة مرفهة. وكانت الوالدة شاهدة على استلام طلبيات (على الأيقونات) من موسكو وبطرسبورغ لأجل الكنائس الكبرى.

حقاً، قوى الإبداع الشعبي عظيمة ومتنوعة لا ينضب لها معين. إلا أن هذه القوى عاجزة عن إحياء ما لفّه الموت. أنتم تنعتون رسم الأيقونات بالصنعة أو الحرفة. وهو بالفعل يعطي نتاجات بدائية كالحرفة، وينتقل شيئاً فشيئاً إلى معمل جاكو وبوناكير (للأيقونات المطبوعة). وإذا أغلقتَ معملهما يأتي أصحاب معامل جدد يصنعون الأيقونات المطلوبة على الخشب بمقتضى الأصول، لكنّ الروح لن تعود إلى مدرستي خولوي وباليخ بعد موتهما. رسم الأيقونات كان حياً وراسخاً عندما كان يمثل فناً لا حرفة، عندما كان يمارسه أشخاص موهوبون. وعندما ظهر «الرسم» في روسيا وبدأ تعليم الرسامين وتنسيبهم إلى طبقة النبلاء برز رسامون مثل فاسنيتسوف وإيفانوف، ولم يبق في باليخ وخولوي سوى الحرفيّين وتحوّل رسم الأيقونات هناك إلى حرفة.

على فكرة، أكواخ الفلاحين تخلو من الأيقونات تقريباً. كانت هناك صور قديمة للقديسين، لكنها احترقت، أما الصور الجديدة فقد ظهرت صدفة، على الورق تارة وعلى المقوّى تارة أخرى.

لم أشاهد (مسرحية هوبتمان) الحوذي «هينشل»، ولم أقرأها، لذا لا أعرف

عنها شيئاً. إلا أن هوبتمان يعجبني، وأعتبره كاتباً مسرحياً كبيراً. ثم إن الحكم على نتاج بفصل واحد غير جائز. وخاصة إذا كانت روكسانوفا تمثل فيه.

صحتي متوعكة كل هذه الأيام. داهمني السعال، بشدة لم أواجهها من زمان.

كتابكم عن رسم الأيقونات جاء بلغة دافئة، ومنفعلة متحمسة جداً في بعض المواضع. ولذا يُقرأ بمنتهى الاهتمام. ولا ريب أن رسم الأيقونات /مدرستي باليخ وخولوي/ يحتضر أو ينقرض. ويا ليت أن يتولى شخص تدوين تاريخ رسم الأيقونات في روسيا. فهذا العمل يستحق أن يكرس له المرء حياته.

على أية حال بدأت أشعر أنني أثقل عليكم. الجمهور يسخر من لعنة تولستوي وحرمانه من التبعية للكنيسة (بناءً على قرار المجمع الكنسي). عبثاً أدرج كبار القساوسة في ندائهم نصاً باللغة السلافية القديمة. ففي ذلك رياء شديد أو تفوح منه رائحة الرياء.

أتمنى لكم الصحة، وليحفظكم الله، ولا تنسوا، على قدر الإمكان، المخلص الوفي الذي يحترمكم

أ. تشيخوف

٢٧٠. إلى ميخائيل تشيخوف

يالطا، ٥ مارس ١٩٠١

عزيزي ميشيل! ما يقوله إيفانوف للطبيب لفوف (في مسرحية تشيخوف «إيفانوف») إنما هو كلام شخص متعب أنهكته الحياة. وبالعكس على الإنسان أن يتطلع من قوقعته طوال الوقت، إن لم يكن بالإمكان الخروج منها، وعليه أن يتوخى الحكمة طوال حياته، وإلا لن تكون تلك حياة، وإنما وجوداً ليس إلا. أنا لا أعترض على الإقامة في بطرسبورغ، فهي مدينة جيدة يسهل التعود عليها، كما على موسكو. والمشكلة هي أين ستخدم. في رسالتي السابقة اعترضت على الخدمة في جريدة سوفورين. يمكنك أن تنشر فيها كتاباتك الأدبية فقط، مع البقاء بمنأى بعيد عن الجريدة. أما العمل في المطبعة فهو شيء آخر. مطبعته جيدة جداً من جميع

النواحي. ولكن الأفضل أن يكون لك في بطرسبورغ موقع في دائرة رسمية ما، وتمارس العمل الأدبي في المساء. كروبوتوف فظ خشن المعاملة، ولكن اعلم أن سوفورين أكثر منه خشونة، والخدمة عنده وحده أسوأ من الخدمة في (مدينة) تشيرنيغوف أو بوبرويسك. إذن، تخدم في الدائرة الرسمية حتى الظهر، وفي المساء تعمل عنده في المطبعة / مثلما يفعل تيتشينكين معلم الثانوية/. هذا سيكون أفضل.

الجميع هنا يأتون إليّ ويشوشون عليّ، فلا أستطيع إكمال كتابة الرسالة. تحياتي إلى أولغا غيراسيموفنا والأولاد. بلّغهم أجمل التمنيات بالنيابة عني. أتمنى لك الصحة والعافية. سيتمّ تدبير الأمور طبعاً، وكل شيء سيكون على ما يرام. الوالدة بخير، ولا أخبار أخرى. إذا كان لديك متسع من الوقت اكتب لي وسأرد على رسائلك.

أخوك أ. تشيخوف

٢٧١. إلى غيورغي تشيخوف (ابن عم الكاتب)

يالطا، ٨ مارس ١٩٠١

عزيزي جورج، أشجار اللوز والمشمش عندنا مزدهرة منذ فترة. والجو دافئ كان سيسوده المرح لولا السعال الذي يزعجني لليوم العاشر. «الشقيقات الثلاث» تحقق نجاحاً منقطع النظير إذا كانت الممثلات الثلاث شابات متمكنات وإذا كان الممثلون يجيدون ارتداء البزة العسكرية. أنا كتبت المسرحية ليس للمدن الهامشية (مثل تاغانروغ التي يريد غيورغي عرض المسرحية فيها).

لا أخبار جديدة عندنا، كل شيء على حاله. الوالدة بخير. صائمة الآن. الكركي يتبختر في باحة البيت متصوراً أنه هو سيد الموقف. اكتب لي عن أوضاع مكتبة تاغانروغ العامة، وهل يزداد عدد قرائها.

أتمنى لك الصحة. تحياتي لعمّتي وأخواتك. وكذلك فولوديا وإيرينوشكا. أشدّ على يدك بحرارة.

المخلص أ. تشيخوف

٢٧٢. إلى إيفان بونين (روائي، جائزة نوبل ١٩٣٣)

يالطا، ١٤ أبريل ١٩٠١

عزيزي إيفان أليكسييفيتش (. . .) أنا أعيش حياة لا بأس بها. لستُ في أسوأ حال. ولكنني أتحسس الشيخوخة. على فكرة، أريد أن أتزوج. نحن، وجميع معارفكم في يالطا، نتذكركم بكل ارتياح. بقينا آسفين جداً على مغادرتكم لنا. استلمت البروفة من «سكوربيون» (دار «العقرب» أصدرت حولية فيها قصة تشيخوف «حادث ليلي»)، ولكن بإهمال شديد وبطابع بريد واحد من فئة الكوبيك، فاضطررت لدفع الباقي. ثم إن الدار تعلن عن حوليتها بإهمال شديد أيضاً، وتضعني في المرتبة الأولى. لذا أقسمت، بعد أن قرأت هذا الإعلان في «الوقائع الروسية»، بأن لا أتعامل بعد الآن مع العقارب ولا التماسيح ولا الأفاعي.

متى نلتقي؟ بعد الفصح ربما آتي إلى موسكو لفترة قصيرة، وسأنزل في فندق «درزدن».

أشدّ على يدكم، وأتمنى لكم كل خير.

المخلص لكم روحياً أ. **تشيخوف**

(تعقيب) معظم الذين راسلهم تشيخوف وظلوا على قيد الحياة بعد وفاته، بمن فيهم إيفان بونين، كتبوا عنه مذكرات شخصية، ونشأت مكتبة كاملة من تلك المذكرات القيّمة.

٢٧٣. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ٢٦ أبريل ١٩٠١

الكلبة أولكا (الحبيبة)! سأصل في أوائل مايو. حالما تستلمين برقية مني اذهبي إلى فندق «درزدن» واستفسري هل الغرفة ٤٥ خالية، بعبارة أخرى احجزي لي غرفة بإيجار أرخص.

أنا كثيراً ما ألتقي مع نيميروفيتش. إنه شاب طيب جداً، لا يتكبّر. لم أر زوجته

بعد. سآتي إلى موسكو بالأساس لكي أتجول وأشبع. وسنذهب معاً إلى بتروفسكو-رازوموفسكيه وزفينيغورود، إلى جميع الأماكن، بشرط أن يكون الطقس جيداً. وإذا وافقتِ أن تتجولي معي في نهر الفولغا سنأكل سمك الحفش.

يبدو أن كوبرين وقع في غرام سحري. أحبَّ امرأة بدينة ضخمة أنت تعرفينها، وتنصحينني أن أتزوجها.

إذا تعاهدينني أن أحداً في موسكو لن يعرف بسر خطوبتنا إلى حين يتم الزفاف فإني سأتزوجك ولو في يوم وصولي. لا أدري لماذا أخشى الزفاف والتهاني وكأس الشمبانيا التي يجب إن أرفعها بيدي وأبتسم لا أدري لمن. حبذا لو غادرنا الكنيسة على عجل ليس إلى البيت بل إلى (مدينة) زفينيغورود مباشرة. أو أن نعلن القران في زفينيغورود. فكّري، فكري يا روحي! فأنت، على ما يقال، ذكية.

الطقس في يالطا لا أسوأ منه. الريح تعصف، الورود تتفتح، ولكن رويداً وستتفتح كثيراً على أية حال. السوسن رائع.

كل شيء بالنسبة لي على ما يرام، كل شيء ما عدا نقطة تافهة واحدة هي حالتي الصحية.

غوركي ليس في المنفى. إنه معتقل فقط. محبوس في (مدينة) نيجني نوفغورود. بوسيه (صاحب مجلة «الحياة») معتقل أيضاً.

أعانقك يا أولكا.

المخلص أنطوان

٢٧٤. إلى فلاديمير بوسيه

موسكو، ٢١ مايو ١٩٠١

عزيزي فلاديمير ألكساندروفيتش! رسالتكم (من محبس التوقيف) وصلت إلى يالطا، ومن هناك أرسلت إليّ في موسكو حيث أتواجد الآن. ولذا استلمتها أمس، فلا تزعلوا على تأخر الجواب. هل أطلق سراحكم؟ غوركي أطلق سراحه قبل أربعة أيام. وهو مرح وفي صحة جيدة. وسيبقى تحت الإقامة الجبرية في منزله لا أكثر من ١٠ أيام. (. . .)

صحتي لا بأس بها، ومع ذلك اتضح أنها تدهورت أكثر من السابق، وعليّ أن أسافر للعلاج بلبن الخيل. وتلك سفرة تضاهي النفي. سأبقى هناك قرابة شهرين. وسأكون شاكراً لكم لو أرسلتم لي عددي مايو ويونيو من «الحياة» (المجلة احتجبت في مايو)، ولا أدري كيف. عنواني في منطقة العلاج سأوافيكم به الجمعة، في يوم السفر.

كما سأبعث إليكم قصة من كل بد. سأبعثها حتماً، ولكم أن تقطعوا عنقي إن لم أفعل.

مقالتكم عن المسرح الفني بموسكو أعجبتني كثيراً. لكنني أتساءل لماذا استهجن أهالي بطرسبورغ مسرحية هوبتمان «الوحيدون»؟ ولماذا أعجبت موسكو بها؟

مسرحيتي «النورس» ستعرض في الموسم القادم.

حبذا لو التقينا هذا الصيف. ما رأيكم؟ في يوليو سأعود من محافظة أوفا (حيث يتعالج تشيخوف بلبن الخيل) وسأكون قي موسكو. فهل يجدر بي أن أعرج على بطرسبورغ؟

على فكرة، أنا لم أكن في بطرسبورغ من زمان.

اكتبوا لي أين ستكونون في الصيف وماذا ستفعلون. فلعلّنا نلتقي.

أتمنى لكم الصحة والتوفيق. خذوا قسطاً من الراحة بعد المحبس. واستعيدوا صحتكم. أشد على يدكم بحرارة.

إذن، سأبقى في موسكو حتى مساء الجمعة. عنواني: فندق «درزدن».

المخلص أ. تشيخوف

٢٧٥. إلى يفغينيا تشيخوفا

موسكو، ٢٥ مايو ١٩٠١ (برقية)

حبيبتي ماما باركينا أتزوج كل شيء (في العائلة) يبقى على حاله مسافر للعلاج بلبن الإبل العنوان أكسيونوفو سامارا زلاتوأوستوفسكي صحتي أفضل **أنطون**

٢٧٦. إلى ماريا تشيخوفا

أكسيونوفو (محافظة أوفا)، ٢ يونيو ١٩٠١

مرحباً، عزيزتي ماشا! كنت طوال الوقت أنوي الكتابة لك، إلا أن الأشغال كثيرة، وهي صغيرة بالطبع. أنت تعرفين بأنني تزوجت. وأعتقد أن تصرّفي هذا لن يغير شيئاً في حياتي وفي الموقف الذي كنت عليه حتى الآن. الوالدة، على الأغلب، تقول ما لا يعرفه إلا الله. فبلّغيها بأن أية تبدلات لن تحدث بالمطلق، كل شيء يبقى كما كان. سأظل أعيش كما عشت حتى الآن. والوالدة أيضاً، وعلاقاتي تجاهك تبقى دافئة وطيبة دوماً، كما كانت إلى اليوم.

هنا، في محافظة أوفا، الوضع ممل لا متعة فيه. أشرب لبن الخيل ويبدو أنه ليست لدي حساسية منه. إنه شراب طعمه حامض يشبه الكفاس (الروسي). الجمهور هنا جاهل عبوس، تبدو آنا إيفانوفنا، زوجة (العم) تشوخوف، بين الناس أرستقراطية. وهي هنا مع ابنها العفريت المدلل جداً حسب الظاهر.

إذا أشرفت نقودكم على الانتهاء ابعثي لي الشيك الذي في جرار مكتبي (لتوقيعه على ما يبدو). أما إيصالات بنك الدولة فقد جمعتها معاً وأضفت إليها إيصالاً آخر بمبلغ ٢٧٠٠ روبل ووضعتها في مظروف كتبتُ عليه «م. ب. تشيخوفا». وهو، أي المظروف، عند كنيبر، وستسلمه لك. حافظي عليه رجاءً (يقصد أنفقي بحسن تدبير)، وإلا فأنا أبذره.

صحتي مقبولة، بل وجيدة حتى الآن. السعال قلّ، توقف تقريباً. في أواخر يوليو سأكون في يالطا، وأبقى هناك حتى أكتوبر ثم أعود إلى موسكو، وأبقى فيها إلى ديسمبر، ومن ثم إلى يالطا مرة أخرى. ما يعني أنني سأعيش بمعزل عن زوجتي. وقد تعودتُ على الفراق بالمناسبة.

كيف الطقس في يالطا؟ هل سقط مطر عندما كنتِ هناك؟ هل وصل إيفان؟ إنه بخير، لكنه يشعر بعدم الارتياح بسبب الإجهاد. لا بد له من الاستجمام.

سأكتب لك مرة أخرى قريباً. أما الآن فأتمنى لك الصحة والعافية. وللوالدة تحياتي الخالصة. برقيتها وصلتني. أعادوا إرسالها من موسكو. تحياتي كذلك إلى ماريوشكا ومارينا ومارفوشا وأرسيني.

لا مجال للسباحة هنا. حبذا لو اصطدت سمكاً. لكن المسافة بعيدة.
إذن، المسيح في عونك.

أخوك أ. تشيخوف

٢٧٧. إلى ألكسي بيشكوف (مكسيم غوركي)

موسكو، ٢٤ سبتمبر ١٩٠١

عزيزي أليكسي مكسيموفيتش! أنا في موسكو. وقد استلمت رسالتكم هنا. عنواني: شارع سبيريدونوفكا، عمارة بويتسوف. قبيل مغادرة يالطا زرت ليف نكولايفيتش (تولستوي يستجم ببلدة غاسبرا). القرم تعجبه كثيراً، وتبعث في نفسه فرحة طفولية خالصة. إلا أن صحته لم تعجبني. لقد شاخ تماماً. ومرضه الرئيسي هو الشيخوخة التي داهمته. في أكتوبر سأكون في يالطا من جديد. ولو سمحت لكم (السلطات) بالسفر إلى هناك لكان ذلك رائعاً. في الشتاء الناس قليلون في يالطا، ولا أحد يثقل على أحد أو يشوش عمله. هذا أولاً، وثانياً- لاحظت أن ليف نكولايفيتش يشعر بالضجر وهو وحده. ويمكننا أن نتردد عليه.

حاولوا، يا عزيزي، إكمال المسرحية («البرجوازيون الصغار») (...). لا تسلموها لأحد كي يطلع عليها. أرسِلوها إلى موسكو رأساً، إلى نيميروفيتش أو إليّ، وأنا أسلمها إلى المسرح الفني. وإذا اقتضى الأمر يمكن تعديلها أثناء البروفة، بل وحتى قبيل العرض.(...).

الله معكم. أتمنى لكم الصحة والعافية وموفور السعادة (...). تحياتي واحتراماتي إلى يكاترينا بافلوفنا والأولاد.

اكتبوا لي رجاءً.

المخلص أ. تشيخوف

٢٧٨. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ٦ نوفمبر ١٩٠١

إذن، يا فرحتي، زرت تولستوي يوم أمس. وجدته في الفراش. رضوض طفيفة جعلته يلازم السرير. صحته أفضل مما كانت، إلا أن ذلك بفعل الأيام الدافئة في أواخر أكتوبر، أما الشتاء فهو قادم لا محالة. يبدو أنه سر لمجيئي. وأنا أيضاً كنت هذه المرة مسروراً أكثر لرؤيته. تعابير وجهه بشوشة طيبة رغم الكهولة أو على الأصح الشيخوخة. وهو يستمع بارتياح ويتكلم برغبة. (شبه جزيرة) القرم لا تزال تعجبه.

اليوم زارني بالمونت. لا يجوز له الآن الذهاب إلى موسكو، ممنوع. وإلا لزارك في ديسمبر، وكان بوسعك أن تساعديه في الحصول على تذاكر لجميع التمثيليات التي تعرض في مسرحكم. إنه شاب رائع، والأهم أنني أعرفه من زمان وأعتبره صديقاً، وهو أيضاً يعتبر نفسه صديقاً لي.

كيف حالك، يا فرحتي وبهجتي؟ اليوم زارني سريدين وقدّم لي نسخة مكبرة من الصورة الفوتوغرافية التي جلبناها أنا وأنت من أكسيونوفو. ولكننا في هذه النسخة نبدو عجوزين بعيون شبه مغمضة.

عزيزتي، يا روحي، اكتبي على ورق بسيط وفي مظاريف متواضعة، وإلا فإن رسائلك تصلني مدعوكة وكأنما أغلقت باستعجال. تلك مسألة تافهة، لكننا، يا روحي، في مدينة هامشية وتنتابنا الشكوك.

هل ستبدأ أعمال بناء مسرحكم؟ متى؟ اكتبي يا زوجتي، اكتبي، فالملل يقتلني، وأشعر بأنني كأنما تزوجت من ٢٠ عاماً، وأفترق عنك للعام الأول فقط. سآتي، على الأرجح، في يناير. ألتفّ بثياب أدفأ، وآتي. وفي موسكو سألازم الغرفة. أتمنى لك الصحة يا ألمانيتي الطيبة، الرائعة، الوديعة. أحبك حباً جماً وأقدرك أرفع تقدير.

أعانقك، وأقبّلك بحرارة، فتمتعي بالصحة والمرح. شكراً على الرسائل!

المخلص أنطونيو

(تعقيب) في رسالة أخرى إلى زوجته بتاريخ ١٧ نوفمبر ١٩٠١ كتب تشيخوف:

«الإشاعات التي وصلتكم عن تدهور صحة تولستوي، وحتى عن وفاته، لا أساس لها من الصحة. فلا تبدل جذرياً في حالته الصحية لا الآن ولا قبل ذلك. إلا أن الوفاة بعيدة على ما يبدو. صحيح أنه ضعيف ونحيل حسب الظاهر، ولكن لا وجود لأية أعراض يمكن أن تهدد حياته أبداً، ما عدا الشيخوخة... لا تصدقي ما يشاع. وإذا حصل شيء، لا سمح الله، فسأبلغك برقياً، وسأسميه في البرقية «جدنا»، وإلا فلن تصل أغلب الظن».

٢٧٩. إلى فكتور غولتسيف

يالطا، ١١ ديسمبر ١٩٠١

صديقي العزيز فكتور ألكساندروفيتش. في الحال الحاضر أنا ألازم الفراش وأنفث مع القشع دماً. لا أتناول طعاماً، ولا أفعل شيئاً، ما عدا مطالعة الصحف. لا تزعل عليّ، يا عزيزي. عندما تتحسن حالي أبدأ الكتابة من جديد.

لا تخبر أحداً بمرضي، كيلا يصل الخبر إلى الجرائد. أنا كتبت لزوجتي بهذا الخصوص.

أشد على يدك بحرارة، وأقبّلك يا عزيزي. أتمنى لك كل خير!

المخلص أ. تشيخوف

٢٨٠. إلى سرغي دياغيليف
(رئيس تحرير مجلة «عالم الفن»)

يالطا، ٢٠ ديسمبر ١٩٠١

سرغي بافلوفيتش المحترم!

بخصوص سؤالكم عن تواريخ كتابة مؤلفاتي يمكنني أن أقدم إجابة تقريبية فقط، فلا مؤاخذة. إذا تناولنا المؤلفات التي أصدرها (أدولف) ماركس فإن كتابتها كالآتي: المجلد الأول في الأعوام ٨٠ - ٨٣. المجلد الثاني في الأعوام ٨٢ -

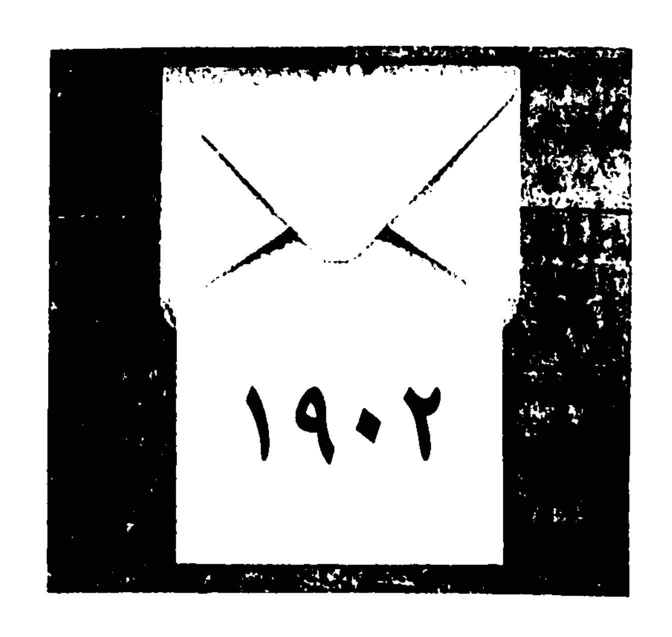
٨٤. المجلد الثالث في الأعوام ٨٤ - ٨٧ /ما عدا قصة «الجبين الأبيض» التي كتبت بعد ١٨٩٠/ . المجلد الرابع في الأعوام ٨٥ - ٨٨. المجلد الخامس في الأعوام ٨٥ - ٨٩. المجلد السادس في العام ٨٩ /ما عدا قصة «رواية رجل مجهول» التي كتبت بعد العام ٩٠/ . المجلد الثامن بعد عام ١٨٩٠. المجلد التاسع في الأعوام ٩٥- ١٩٠٠. «جزيرة سخالين» كتبت في عام ١٨٩٣ بدلاً من الأطروحة التي فكرت في كتابتها بعد عام ١٨٨٤، أي سنة التخرج من كلية الطب. ويضم المجلد السابع مسرحيات «إيفانوف» ١٨٨٨ و«النورس» ١٨٩٦ و«الخال فانيا» ١٨٩٠. أما مسرحيات الفوديفيل ذات الفصل الواحد فقد كتبت قبل عام ١٨٩٠. كما أن قصة «في المنخفض» المنشورة في «الحياة» عام ١٩٠٠ لم تدخل ضمن هذه الطبعة..

والآن أجيب عن السؤال الثاني: مارست التطبيب لبعض الوقت من أجل الكسب. ولكن لفترة غير طويلة. كنت أحياناً أعالج الكثيرين، في قرية (ميليخوفو)، دون أن أتقاضى أجوراً لأنني لم أكن بحاجة إلى المال. ثم إنني لم أنظم الشعر أبداً. تريدون مني بضع كلمات عن ليفيتان (لمناسبة وفاته)، وأنا لا أريد أن أقول بضع كلمات، أريد أن أكتب الكثير. أنا غير مستعجل، لأن الكتابة عن ليفيتان ستأتي في حينها مهما كان الوقت الذي تكتب فيه. أما الآن فصحتي متدهورة، وأستخدم الضمادات. قبل فترة حصل عندي نزيف من الرئة. عموماً، أنا مذنب بحقكم، جداً.

أتمنى لكم الصحة، وكل خير.

وتقبّلوا فائق الاحترام من

المخلص أ. تشيخوف



٢٨١. إلى قسطنطين بالمونت (شاعر)

يالطا، ١ يناير ١٩٠٢

عزيزي قسطنطين دميتريفيتش. أهنئكم بالعام الجديد. كل عام وأنتم بخير. كما أهنئكم بتقلبات مزاج إلهة الإلهام الشابة الحسناء والحلوة بكل معنى الكلمة. فلتحفظكم السموات. عندما كنتم معنا شعرت بالمرض يدب رويداً رويداً، وحالما رحلتم اشتدّ عليّ وصرت أبصق دماً. وأصابني الهزال مثل فوفانوف، ولم أغادر المنزل طوال الوقت. أما الآن فيطعمونني كماشية التسمين ويعالجونني، فتحسنت صحتي بعض الشيء.

من كتبكم لدي ما يلي: ١) «تحت سماء الشمال»، ٢) شيلي، الإصدار الثاني والسابع، ٣) « بلا شواطئ»، ٤) «الهدوء»، ٥) كالديرون، المجلد الأول، ٦) «أقاصيص سحرية»، ادغار بو، المجلد الأول.

أشكركم من صميم القلب على الكتاب (المجلد الأول من مجموعة مؤلفات إدغار ألن بو بترجمة بالمونت). أنا الآن لا أعمل، أكتفي بالقراءة فقط. وسأبدأ بقراءة إدغار بو غداً أو بعد غد.

هل أنتم متضايقون في القرية؟ كلا؟ في يالطا الجو رائع، والطقس كما في الصيف. وهذا له عيوبه. طوال الليل تموء القطط وتنبح الكلاب وتلوح نواويس القبور في الأحلام، وفي النهار أشعة الشمس باهرة والذكريات تنهال على الأذهان، ويشتد الحنين إلى برد الشمال وأناسه.

زوجتي تنوي المجيء إلينا في أواخر يناير. وقد جاءت أختنا لمناسبة العيد. لم أزر تولستوي، لكنني سأكون عنده بعد أيام وأسأله وأبلغكم جوابه (بالمونت يسأل هل أعجب كتابه «المباني المشتعلة» تولستوي؟). الشيء الذي سمعته أنكم تركتم انطباعاً جيداً في نفسه وكان مسروراً للحديث معكم... هذا ما سمعته.

ولا جديد غير ذلك. كل شيء كما كان. أتمنى لكم الصحة والسعادة والمزاج المرح. لا تنسوا أن في يالطا يعيش شخص لا يعرف اللامبالاة تجاهكم، فاكتبوا له ولو أحياناً.

المخلص من صميم القلب **أ. تشيخوف**

(...)

٢٨٢. إلى إيفان بونين

يالطا، ١٥ يناير ١٩٠٢

عزيزي إيفان أليكسييفيتش! مرحباً! أهنئكم بالعام الجديد، كل عام وأنتم بخير! أتمنى لكم شهرة وأمجاداً عالمية، وأتمنى أن تلتقوا امرأة مليحة وتكسبوا ٢٠٠ ألف في اليانصيب بمراحله الثلاث.

توعكت صحتي ومرضت قرابة شهر ونصف. والآن أعتبر نفسي في صحة وعافية، رغم السعال، ولا أفعل شيئاً تقريباً، بل أنتظر شيئاً ما طوال الوقت. لعله الربيع.

هل كتبتُ لكم عن «الصنوبر»؟ (قصة بونين ١٩٠١). شكراً جزيلاً على إرسالكم نسخة التنضيد. هذا أولاً، وثانياً- «الصنوبر» كلها جِدّة وطراوة وروعة. إلا أنها مكثفة جداً، وكأنها حساء مركز ثخين.

إذن نحن في انتظاركم. تعالوا بأسرع ما يمكن. وسأكون في منتهى السرور لرؤيتكم. أشدّ على يدكم، وأتمنى لكم موفور الصحة.

أجبت على دعوة «الاستعراض الجنوبي» بأن لا مانع لدي، ولكنني في الحال

الحاضر لا أكتب شيئاً، فلا مؤاخذة. وعندما أكتب سأوافيكم بما تريدون. أنا هكذا أرد على الجميع.

المخلص أ. تشيخوف

٢٨٣. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ٢٠ يناير ١٩٠٢

يا لكِ من حمقاء، عزيزتي، ما أغباك! بماذا تهذرين؟ لماذا أنت مكتئبة؟ ما السبب؟ تقولين إن ثمة مبالغة في تقديرك وإنك بمنتهى التفاهة، وإنني مللت من رسائلك وإنك تتحسسين، بفزع، ضيق حلقة حياتك وما إلى ذلك. حمقاء أنت! لم أكتب لك عن المسرحية المرتقبة لا لأنني لا أثق بك، بل لأنني لا أثق بالمسرحية. فقد ومضت بالكاد في دماغي مثل ومضة الفجر المبكر، وأنا نفسي لا أفهم طبيعتها بعد وكيف ستكون، وهي تتبدل يوماً فيوماً. لو كنا قد التقينا لحدثتك عنها، أما الكتابة فلا جدوى منها، لأنني لن أستطيع أن أكتب عنها سوى التفاهة والهذر، ومن ثم يفتر اهتمامي بحبكتها. تقولين في رسالتك إنك لن تسأليني بعد الآن عن أي شيء ولن تتدخلي في أي شأن. فلماذا؟ ما سبب ذلك، يا روحي؟ مستحيل. أنت طيبة القلب، وستتجاوزين الغضب بالتسامح عندما ترين مرة آخرى مدى حبي لك وكم أنت عزيزة عليَّ وكيف يتعذر عليَّ العيش بدونك يا حمقاء. اتركي الكآبة، اتركيها واضحكي. أنا يحق لي أن أكتئب، لأني أعيش في البرية، أنا عاطل بلا عمل، لا ألتقي أحداً من الناس، يلاحقني المرض كل أسبوع تقريباً. وأنت؟ حياتك، مهما كان، مليئة ثرّى.

استلمت رسالة من قسطنطين سرغييفيتش (ستانسلافسكي) كتب فيها الكثير مما هو جميل. يلمّح إلى أن مسرحية غوركي («البرجوازيون الصغار») ربما لن تعرض في هذا الموسم. ويكتب عن (شارل) أومون ويدعو إلى الحشمة: «لا تتمادَينَ في الديكولتيه، يا سيدات» (في الأصل بالفرنسية).

على فكرة، غوركي ينوي الشروع بتأليف مسرحية جديدة، عن حياة المشردين،

مع أنني أنصحه بأن ينتظر عاماً أو عامين ولا يتسرع. فالمؤلف يجب أن يكتب الكثير، ولكن بدون استعجال. أليس كذلك، يا زوجتي؟

في ١٧ يناير، في عيد شفيعي، كنت في أسوأ مزاج، لأن صحتي متوعكة، ولأن الهاتف يرن بين لحظة وأخرى لينقل إليّ برقيات التهنة. حتى أنت وميخائيل أبرقتما ولم ترأفا بي.

على فكرة، متى عيد ميلادك؟ (في الأصل بالألمانية).

تكتبين لي أن لا أحزن، وأننا سنلتقي قريباً. ماذا تعني هذه الـ«قريباً»؟ هل نلتقي في أسبوع الآلام؟ أم قبله؟ لا تجعليني أنفعل، يا فرحتي. لقد كتبتِ في ديسمبر أنك ستأتين في يناير، فأثرتِ انفعالي وارتبكتُ، ثم كتبتِ أنك ستأتين في إسبوع الآلام (أبريل)، وأمرتُ أعصابي أن تهدأ وتنكمش، وها أنت من جديد تثيرين زوبعة في البحر الأسود. ما الموجب؟

وفاة (ممثل مسرح كورش) سولوفتسوف الذي كرست له مسرحيتي «الدب» حزّت في نفسي وأنا أعيش حياتي الهامشية هنا. كنت على معرفة جيدة به. قرأت في الصحف ادعاءات بأنه أجرى تعديلات على مسرحيتي «إيفانوف»، وأنني كمؤلف أخذت برأيه، إلا أن ذلك غير صحيح.

وهكذا، يا زوجتي الرائعة والذهبية الطيبة، فليحفظك اللّه ويمنحك الصحة والبهجة. تذكّري زوجك، ولو في المساء عندما تأوين إلى الفراش. والمهم أن لا تكتئبي. فزوجك ليس سكيراً عربيداً ولا مبذراً. أنا زوج ألماني تماماً من حيث السلوك، حتى أنني أرتدي بنطالاً داخلياً دافئاً...

أعانقك مئة مرة ومرة. وأقبّل زوجتي بلا حدود.

المخلص أنط.

كتبتِ تقولين: «أرتطم بالجدران كلما مضيت إلى جهة ما». إلى أية جهة مضيتِ؟

٢٨٤. إلى نكولاي تيليشوف (كاتب)

يالطا، ٢٠ يناير ١٩٠٢

عزيزي نكولاي دميتريفيتش! للأسف الشديد، ولا شيء غير الأسف.

تريدون لمجموعتكم نتاجاً لي مطبوعاً، ولكن كل مؤلفاتي المطبوعة تعود الآن إلى ماركس، ولا يحق لي، حسب العقد، أن أعطي مجاناً قصصي التي لم تدرج بعد في طبعته، ما عدا المجموعات التي تخصص للأعمال الخيرية. (مجموعة تيليشوف مخصصة لطبعة شعبية بسعر ٢٠ كوبيكاً. الروبل الروسي مئة كوبيك).

طبعتكم فكرة رائعة. وممتعة، أتمنى لكم كل النجاح وأغبطكم عليها. ولكن ليس من المستحسن أن يأتي الكتاب مفككاً ومجمّعاً من هنا وهناك، مع أنه سيحظى بإقبال في كل الأحوال. على فكرة، «مجلة الأدب الأجنبي الجديدة» تنشر حالياً «فاوست» غوته في ترجمة نثرية أعدّها فينبيرغ. وهي ترجمة رائعة. حبذا لو طلبتم أنتم أيضاً تراجم نثرية دقيقة، تراجم نثرية لكنها رائعة لـ«هاملت» و«عطيل» وغيرهما ونشرتموها لتباع أيضاً بسعر ٢٠ كوبيكاً. حبذا لو التقيتم فينبيرغ لهذا الغرض وتكلمتم معه في الموضوع.

لكم مني أجمل التمنيات بالسعادة والتوفيق في العام الجديد. وأتمنى لكم موفور الصحة والعافية!

المخلص أ. تشيخوف

٢٨٥. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ٣١ يناير ١٩٠٢

مرحباً عزيزتي أوليوشا، كيف حالكِ؟ أحوالي أنا بَينَ بَينْ، لأن من المستحيل أن أعيش على نحو آخر. أنت معجبة بمسرحية ل. («الغواية» تأليف أناتولي لوناتشارسكي)، لكنها عادية مكتوبة بلغة كلاسيكية مهيبة، لأن المؤلف لا يجيد الكتابة ببساطة، من الحياة. الروسي. ل. هذا، على ما أعتقد، يكتب من زمان، ويمكن أن أجد رسائل منه عندي إذا بحثت عنها جيداً. قصة بونين «في الخريف»

مكتوبة بيد متوترة غير طليقة. على أية حال قصة كوبرين «في السيركس» أفضل منها، فهي طليقة ساذجة وبارعة، ألّفها بلا ريب شخص مطلع. اللّه معهما. ما الذي جعلنا نتكلم عن الأدب؟! (. . .)

حالة تولستوي تحسنت يوم أمس. وظهر أمل.

شكراً لك، يا روحي، على توصيف الحفلة الفكاهية (في المسرح الفني)، وصفها أضحكني كثيراً (. . .) ما أجمل مسراتك، وما أقسى وحدتي.

أتمنى لك الصحة يا فرحتي، وليحفظك اللّه. لا تنسيني. أعانقك وأقبّلك.

المخلص أنط. الألماني

بلّغي ماشا أن الوالدة شفيت، وهي تمشي الآن. أكتب هذا الكلام بعد شاي الـ ٣١ من يناير، أما رسالتي لها فقد كتبتها في الصباح. كل شيء الآن تمام.

٢٨٦. إلى ماريا اليكسييفا
(ممثلة، زوجة ستانسلافسكي)

يالطا، ٣ فبراير ١٩٠٢

عزيزتي ماريا بتروفنا! ما أطيب قلبكم. شكراً جزيلاً على الرسالة. للأسف لا أستطيع أن أكتب لكم شيئاً ساراً. نعيش كما في تشوخلوما أو فاسيلسورسك (مجاهل في أواسط روسيا)، تلاحقنا الشيخوخة ونشرب نقيع الأعشاب الطبية وننتعل جزمات اللباد. . . على أية حال ثمة خبر سار جداً، وهو أن الكونت ليف تولستوي يتماثل للشفاء. كان مريضاً إلى درجة خطيرة جداً: بدأ لديه التهاب الرئتين الذي لا يشفى منه عادة شيوخ في مثل سنه. كنا طوال ثلاثة أيام نتوقع النهاية، وفجأة انتعش شيخنا وانتعش الأمل معه. في الحال الحاضر، وأنا أكتب لكم هذه الرسالة، بات الأمل أقوى تماماً، وعندما ستقرأون الرسالة يكون ليف نكولايفيتش قد تعافى أغلب الظن.

فيما يخص غوركي فهو في صحة لا بأس بها، يعيش حياة نشيطة، لكنه يشعر بالضجر وينوي الشروع بكتابة مسرحية جديدة حبكتها جاهزة في ذهنه

(«الحضيض»). أتصور أنه سيؤلف بعد خمس سنوات مسرحيات رائعة. أما الآن فهو كأنما يكتب ويكتب.

ما ذكرتموه لي في رسالتكم بالسر من أن قسطنطين سرغييفتش (يغازل) زوجتي (مزحة) أفرحني جداً، فشكراً لكم، ذلك لأنني صرت قادراً على اتخاذ اللازم.. سأبدأ اليوم في الحال إجراءات الطلاق (مزحة). سأبعث اليوم بالذات طلباً إلى مأذون الأبرشية وأرفق به رسالتكم هذه. وأظن أنني سأكون حراً طليقاً في مطلع مايو. وحتى ذلك الحين سأؤدب زوجتي الصغيرة. وهي تخشاني، فأنا أعاملها ببساطة، حسبما تريده قدمي!

احتراماتي وتحياتي القلبية إلى قسطنطين سرغييفيتش (ستانسلافسكي). وأهنئكم بمسرحه الجديد، وأنا واثق من نجاحه.

أحيّيكم أجمل تحية، وأقبّل يدكم، وأحيّيكم من جديد.

المخلص الوفي أ. تشيخوف

٢٨٧. إلى ماريا تشيخوفا

يالطا، ٨ فبراير ١٩٠٢

عزيزتي ماشا! اليوم صقيع وثلج. يبدو أن كل النباتات التي صدقت بالربيع وازدهرت قبل الأوان قد هلكت. استلمت «أخبار اليوم». شكراً. صحتي مقبولة، لا دم مع القشع. آكل كالعادة وأكتب. تتحدثين عن الكثيرين المستائين من التبدلات في المسرح. هذا أمر مفهوم. فلا يجوز الإجحاف بحق البعض وتدليل البعض الآخر من دون مبرر. كان يجب توفير الأسهم لكل من يرغب فيها من العاملين في المسرح منذ البداية.

الوالدة استلمت رسالتك، وهي في صحة جيدة. كما أنا. كوبرين سيتزوج من المدموازيل دافيدوفا ابنة صاحب مجلة «دنيا الله». سيتزوج ويأتي إلى يالطا. خبّري أولغا لتجلب بذور البرسيم. صحة «الجد» (تولستوي) ليست على ما يرام. (...) اطلبي من أولغا أن تشتري لي من متجر ميور على شارع كوزنيتسكي قنينة من الحبر

المسمى «أنتراتسين»، وتجلبها معها. وإذا لم تعرج على كوزنيتسكي فلا داعي للذهاب إليه خصيصاً. سأستغني عن هذا الحبر. أنا لم أذهب إلى المدينة منذ شهر أو يزيد. اليوم هو الثامن من فبراير، والجو كما في أواخر ديسمبر. الشتاء القادم لن أقضيه في يالطا. سأمضي في جولة بحرية حول العالم، إلى مكان ما بعيد جداً. أتمنى لك الصحة والتوفيق. ما سبب الألم في جنبك؟ حافظي على نفسك. الوالدة تحيّيك، وأنا أقبّلك وأقدّم كل الاحترامات.

المخلص أنطوان

٢٨٨. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ٩ فبراير ١٩٠٢

أوليا، كلبتي الحبيبة. هل كتبتُ لك أن تجلبي «أولاد فانيوشين»؟ (مسرحية سرغي نايديونوف ١٩٠١) خذيها من ماشا. على فكرة، اقرئيها في الطريق. من سيمفيروبل استأجري عربة خيل بريد مناصفة مع مسافر آخر أو وحدك. تعالي بأسرع ما يمكن. وتذكّري أن الجو سيكون بارداً، فارتدي ثياباً دافئة ما أمكن. وإلا فلن تتحملي.

الثلج يتساقط والبرد شديد. شيء مزعج.

يوم أمس أبلغوني بالهاتف أن صحة تولستوي جيدة تماماً. كانت هناك مضاعفات، انتهت، ودرجة حرارته الآن طبيعية.

عزيزتي الطيبة، يا روحي، لماذا تمثلون مسرحية غوركي (بلهجة مسقط رأسه نيجني نوفغورود)، تلفظون الفتحة ضمة والألف واواً؟ ماذا تفعلون؟!! هذه نذالة مثلما تكلم دارسكي في دور شيلوك («تاجر البندقية») بلكنة يهودية. في «البرجوازيون الصغار» الجميع يتكلمون كما نتكلم أنا وأنت.

هل تصلين قريباً؟ متى؟ أنا أنتظر، وأنتظر... والطقس سيئ، سيئ...

أقبّل مرة أخرى زوجتي الألمانية مالكة بعض أسهم (المسرح الفني).

المخلص زوجك أ. أكتريسين (مملوك الممثلة)

٢٨٩. إلى ميخائيل تشيلينوف

يالطا، ١٣ فبراير ١٩٠٢

عزيزي ميخائيل ألكساندروفيتش! أنتم غاضبون؟ تلومونني لأنني لا أكتب لكم؟ والله، ليس ثمة ما يستحق الكتابة. تولستوي تعافى والحمد لله. التهاب الرئتين انتهى. والربيع، على ما يبدو، لم يبدأ بعد. لا أرى أناساً ممتعين، ولا أسمع جديداً يثير الاهتمام.

أكتب، إذن، عما سلف. في المقام الأول أشكركم من صميم القلب على الرسالة وعلى جهودكم في مؤتمر (الأطباء الثامن). خلال المؤتمر شعرت (من بعيد) وكأنني أمير. برقياتكم رفعتني إلى ذروة لم أكن أحلم بها. ولكنْ لماذا، لماذا أهديتم صورتي بريشة يوسف براز (إلى المسرح الفني بعد مشاهدة الأطباء لمسرحية «الخال فانيا»)؟ فهي صورة نصفية رديئة، فظيعة، وخصوصاً نسختها الفوتوغرافية. في الخريف صوّرني أوبيتس في (الاستوديو) بشارع بيتروفكا. التقط لي عدة صور، بعضها موفق. وهي على أية حال أفضل من لوحة براز. ليتكم تعلمون كم عذبني براز عندما رسم صورتي. رسمني في المرة الأولى ٣٠ يوماً وفشل. ثم جاءني إلى نيس وأخذ يرسم صورة أخرى. رسمني قبل الغداء وبعده ثلاثين يوماً متوالية. وإذا كنت قد غدوت متشائماً أكتب قصصاً كئيبة فالذنب ذنب صورتي هذه.

اكتبوا لي ما الجديد في موسكو وماذا يجري وعماذا يتحدثون وبماذا يحلمون. وسأرد عليكم بالطبع في رسائل غير ممتعة. إلا إذا حدث زلزال، حينئذٍ أكتب لكم رسالة مطولة بكل التفاصيل.

صحتي لا بأس بها، على ما يبدو (. . .)

اكتبوا لي كيف حال ليونيد أندرييف، (روائي ١٨٧١- ١٩١٩) هل صحيح أنه ينوي المجيء إلى القرم؟ . . .

بعد الفصح أصل إلى موسكو من كل بد، ولو أعطوني مليوناً. سأبقى في موسكو شهر مايو كله.

أشد على يدكم بحرارة، وأشكركم مرة أخرى من صميم القلب. بإخلاص، صدقوني. اكتبوا لي، أيها العزيز.

المخلص أ. تشيخوف

٢٩٠. إلى فكتور ميرولوبوف
(صاحب «مجلة الجميع»)

يالطا، ٢٠ فبراير ١٩٠٢

عزيزي فكتور سرغييفيتش! معذرة لتأخري في إرسال هذه الموسيقى (في السابق كان فكتور مغنياً في مسرح بولشوي تياتر). القصة («الأسقف») جاهزة من زمان. ولكن تبييض المسودة صعب عليّ. صحتي متوعكة... متوعكة إلى حدّ الغثيان.

أرسلوا لي البروفة من كل بد. سأضيف إليها عبارتين أو ثلاثاً في النهاية.

لن أتنازل للرقابة ولا عن كلمة واحدة. خذوا ذلك بنظر الاعتبار. فلو شطب الرقيب ولو كلمة واحدة أعيدوا لي القصة، وسأوافيكم بغيرها في مايو؟

فليحفظكم مالك السموات. اكتبوا لي رسالة حتى وإن كانت قصيرة. أتمنى لكم الصحة والسعادة.

المخلص أ. تشيخوف

٢٩١. إلى فلاديمير كورولينكو

يالطا، ١٩ مارس ١٩٠٢

عزيزي فلاديمير غالاكتينوفيتش!

الشتاء كله لم أفعل شيئاً، لأني كنت متوعكاً. الآن حالتي أهون، وأنا في صحة جيدة تقريباً. لكنني لا أدري ماذا سيحصل فيما بعد. ولذا لا أستطيع أن أقول شيئاً محدداً بخصوص الأقصوصة للمجموعة القصصية. (تكريماً لذكرى نكولاي غوغول. المجموعة لم تصدر). سأبلغكم في يوليو أو أغسطس عندما ينجلي الموقف. أما بخصوص «الثروة الروسية» فسأرسل لهم قصة أو أقصوصة في أول فرصة سانحة. هذه المجلة تعجبني. أنا أحبها، ولعلّي سأعمل فيها بسرور.

اليوم استلمت رسالة من الأكاديمي الموقر (نكديم كونداكوف) تضمنت ما يلي:

«يوم أمس عقدت جلسة خصوصية للآداب في القصر الرخامي هذه المرة أيضاً

مكرسة للحادث المتعلق بمكسيم غوركي (الذي انتُخب عضواً فخرياً في أكاديمية العلوم، إلا أن الأكاديمية ألغت الانتخابات بإيعاز من القيصر نكولاي الثاني) وتلي الحكم السامي القائل بأن الإمبراطور مستاء جداً من انتخابه وأن وزارة التعليم العام تقترح من الآن فصاعداً تقديم جميع المرشحين إلى جلالته وإلى وزارة الداخلية للنظر فيهم».

على فكرة، مكسيم غوركي يقيم حالياً في أولينز، وقد زارني اليوم. حالة ليف تولستوي الصحية تتحسن.

إليكم أطيب التمنيات، وأشد على يدكم.

شكراً جزيلاً على الرسالة وعلى تذكّركم لي.

المخلص أ. تشيخوف

٢٩٢. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ٣١ مارس ١٩٠٢

عزيزتي، روحي! أنا ذاهب الآن إلى تولستوي. الطقس رائع. وأنتِ، هل مللت من بطرسبورغ؟ هل أنت ضجرة؟ هل الجو بارد؟

بخصوص الأكاديميين الفخريين لم يتخذ القرار بعد، وأنا لا أعرف شيئاً، لا أحد يكتب لي في الموضوع. ولا أدري كيف ينبغي لي أن أتصرف. سأتكلم اليوم عن ذلك مع ليف نكولايفيتش.

هل حققت مسرحية غوركي نجاحاً؟ أحسنتم!!

إذن، إلى اللقاء يا روحي! إذا كنت سأحتاج إلى شيء أبرق لك. أما هذه الرسالة فهي الأخيرة إنْ لم أكتب لك غداً.

صحتي جيدة تماماً. سأنتهي من حشو أسناني غداً. يوم الأربعاء يبدأ الرسام نيلوس، صديق بونين، برسم صورتي.

وهكذا، يا زوجتي، إلى اللقاء. سنجتمع، ولن يفرق بيننا أي ابن كلب حتى سبتمبر أو أكتوبر.

أعانقك، وأقبّلك مليون مرة.

هل فشل عرض «البطة البرية» (مسرحية هنريك إبسن)؟

اليوم لم أستلم رسالة منك.

زوجك الوفي أنـ.

٢٩٣. إلى نكوديم كونداكوف

يالطا، ٢ أبريل ١٩٠٢

العزيز المحترم نكوديم بافلوفيتش! لا أدري هل عدتم إلى بطرسبورغ / فقد كتبتم وكتبت الصحف أنكم في موسكو / ومع ذلك اسمحوا لي أن أذكّركم بوجودي. أبدأ بالقول إن الربيع الحقيقي حل في يالطا، الأشجار تخضرّ وازدهار البرقوق يوشك على الانتهاء، والجو دافئ، والممثل سازونوف يحتسي الشاي في ضيعته، في الهواء الطلق، وإلا فلا. صحتي توعكت في فبراير وبداية مارس وأصابني النحول والسعال الشديد. أما الآن فأنا، على ما يبدو، أتماثل للشفاء، وأشعر بأن حالي جيدة جداً.

بودّي أن ألتقيكم لنتحدث وأعرف منكم تفاصيل الانتخابات الأخيرة في الأكاديمية. فثمة أمور كثيرة غير واضحة بالنسبة لي حتى الآن. أنا على الأقل لا أعرف ماذا يجب أن أفعل، هل أحتفظ بعضوية الأكاديمية الفخرية أم أنسحب؟

صحة ليف تولستوي أفضل من دون ريب. فالمرض / التهاب الرئتين/ مر بسلام.

لكنه لا يزال ضعيفاً، ضعيفاً جداً. قبل فترة فقط أخذ يجلس على الأريكة، ولن يستطيع أن يمشي في القريب العاجل. كنت عنده قبل ثلاثة أيام، وخيّل إليّ أنه يتماثل للشفاء. لكنه طاعن في السن، هرم تقريباً. يقرأ كثيراً بصفاء ذهن. وعيناه ذكيتان إلى حدّ يثير الدهشة. لا يجوز له أن يكتب بالطبع، ومع ذلك ثمة شيء جديد كتبه (لعل تشيخوف يقصد العمل على رواية «الحاج مراد») وسأحدثكم عن ذلك حينما نلتقي.

فمتى نلتقي؟ اكتبوا لي رجاءً. أكرر: بودّي جداً أن أتحدث إليكم. أريد الحديث معكم، وهو إلى ذلك ضروري جداً.

أتمنى لكم كل خير، وأحيّيكم مع العائلة أجمل تحية. فانعموا بالصحة والتوفيق.

المخلص أ. تشيخوف

٢٩٤. إلى فلاديمير كورولينكو

يالطا، ١٩ أبريل ١٩٠٢

عزيزي فلاديمير غالاكتيونوفيتش! زوجتي وصلت من بطرسبورغ وحرارتها ٣٩ درجة مئوية. إنها ضعيفة جداً وتشعر بألم شديد. لا تستطيع المشي، حملوها من الباخرة على الأيدي... والآن يبدو أنها أفضل قليلاً.

لن أسلم إلى تولستوي نسخة عريضتكم (بخصوص الاحتجاج على موقف الأكاديمية من غوركي). فعندما تطرقت في الحديث معه إلى غوركي والأكاديمية قال: «أنا لا أعتبر نفسي أكاديمياً»، وأنهمك في قراءة كتاب. سلمت نسخة من العريضة إلى غوركي وقرأت عليه رسالتكم. يخيّل إليّ أن اجتماع الأكاديمية المقرر في ٢٥ مايو لن يلتئم، ففي مطلع مايو يسافر جميع الأكاديميين. ويخيل إليّ أيضاً أنهم لن ينتخبوا غوركي حتى في المرة الثانية، وسيتهمونه بمختلف الذنوب لتسويد صفحته. بودّي أن ألتقيكم، لنتحدث. هل تأتون إلى يالطا؟ أنا سأبقى هنا حتى ١٥ مايو. كان بودّي أن آتي إليكم في بولتافا (أوكرانيا)، إلا أن زوجتي مرضت، ويبدو أنها ستبقى على هذه الحال ثلاثة أسابيع. أم أننا نلتقي بعد ١٥ مايو في موسكو، أو على نهر الفولغا أو في الخارج. ما رأيكم؟ اكتبوا لي.

أشدّ على يدكم بحرارة متمنياً لكم كل خير. تمتعوا بموفور الصحة.

زوجتي تبلغكم تحياتها.

المخلص أ. تشيخوف

٢٩٥. إلى قسطنطين بالمونت

يالطا، ٧ مايو ١٩٠٢

عزيزي قسطنطين دميتريفيتش. فلتبارككم السموات على رسالتكم الرقيقة. أنا على قيد الحياة، في صحة جيدة تقريباً. لكنني لا أزال قابعاً في يالطا، وسأبقى هنا طويلاً، لأن زوجتي مريضة. استلمت «المباني المشتعلة» والمجلد الثاني من (مؤلفات بيدرو) كالديرون، وأشكركم بلا حدود. أنتم تعرفون أنني أحب موهبتكم وكل كتاب من كتبكم يمنحني قدراً كبيراً من الارتياح والانفعالات. ولعل السبب في ذلك أنني من المحافظين.

كما استلمت من زمان مسرحية (ميستر أيلتسه لمؤلفها الألماني شلياف) بترجمة زوجتكم وحوّلتها إلى المسرح الفني. المسرحية أعجبتني، فهي عصرية حداثية، إلا أن لهجتها متشددة، وأظن أن الرقابة لن تسمح بعرضها.

أنا أغبطكم أو أحسدكم. تقيمون بعيداً في أوكسفورد الجميلة وتعملون بطيبة خاطر، وأحياناً تتذكروننا، نحن الذين نعيش حياة باهتة في ضجر وخمول.

أتمنى لكم الصحة والعافية وليحفظكم كل ملائكة السماء. اكتبوا لي مرة أخرى، ولو سطراً واحداً.

المخلص أ. تشيخوف

٢٩٤. إلى أليكسي بيشكوف (مكسيم غوركي)

موسكو، ٢ يونيو ١٩٠٢

عزيزي أليكسي مكسيموفيتش! استلمت رسالتكم في موسكو، فأنا فيها لليوم السادس. لا أستطيع أن أجيء إليكم في أرزاماس لأن زوجتي أولغا مريضة جداً. ليلة البارحة تعذبتْ كثيراً، وتعذب معها الآخرون. غداً أرسلها إلى مستشفى شتراوخ ثم إلى فرانتسنباد.

اكتبوا لي ياعزيزي ولو سطراً آخر. عنواني: موسكو زقاق نيغليني، عمارة غونيتسكايا. قبل أيام التقيت سيداً على معرفة (بوزير الداخلية) بليفيه، وقال لي إنهم

سيعفونكم قريباً من المراقبة. لا أستطيع أن أحكم على صحة هذا الكلام. لكنني أعتقد أنه إذا كان في أرزاماس جدول وبستان، فيمكن السكوت حتى على المراقبة.

احتراماتي وتحياتي القلبية إلى يكاترينا بافلوفنا ومكسيم والبنت الصغيرة. أشدّ على يدكم بحرارة وأعانقكم.

بالأمس زارني المغني السابق (الكاتب سكيتاليتس) واليوم سيأتي لتناول طعام الغداء. إنه إنسان في منتهى الطيبة، موهوب جداً، والحديث معه ذو شجون.

قبيل مغادرتي يالطا جاءني كورولينكو. تشاورنا، وسوف نكتب إلى بطرسبورغ بعد أيام، نقدم الاستقالة (تنازل كورولينكو عن عضوية الأكاديمية الفخرية في ٢٥ يوليو ١٩٠٢. وبعد شهر فعل تشيخوف الشيء ذاته).

أحيّيكم من جديد أجمل تحية.

المخلص أ. تشيخوف

٢٩٧. إلى قسطنطين ستانسلافسكي

لوبيموفكا (ضواحي موسكو)، ١٨ يوليو ١٩٠٢

عزيزي قسطنطين سرغييفيتش! اليوم جاء إلى لوبيموفكا الدكتور شتراوخ واتضح له أن حالة أولغا جيدة. منعها من شيء واحد هو استخدام العربة في المطبات، وعموماً منعها من الحركة الكثيرة. أما المشاركة في البروفات فقد سمح بها من دون تحفّظ، ما أثار ارتياحي العميق. ويمكنها أن تبدأ العمل في المسرح ولو اعتباراً من ١٠ أغسطس. السفر إلى يالطا ممنوع عليها. سأسافر إلى هناك وحدي، في أغسطس، وأعود في منتصف سبتمبر وأبقى في موسكو حتى ديسمبر.

الوضع في لوبيموفكا يعجبني كثيراً. كان أبريل ومايو قد كلّفاني غالياً، وها أنا أتلقى في الحال مكافأة على معاناة الماضي. ما أكثر الهدوء هنا والصفاء الصحي والدفء والارتياح. ما أشدّ دهشتي لذلك كله. ثم إن الطقس جيد والنهر جيد. وفي المنزل نقتات وننام ككبار القساوسة. أبعث إليكم التشكرات بالآلاف من صميم القلب (لوبيموفكا ضيعة ستانسلافسكي). من زمان لم أقضِ صيفاً كهذا. أصطاد السمك كل يوم. خمس مرات يومياً. والصيد لا بأس به. /يوم أمس تناولنا طبيخ

الشبوط/. الجلوس على الشاطئ يبعث مسرّة تفوق الوصف. باختصار: كل شيء جيد جداً. والأمر السيئ الوحيد هو التهاون والكسل. فأنا لا أفعل شيئاً. لم أباشر بكتابة المسرحية («بستان الكرز» ترجمة د. أبوبكر يوسف). أنا في مرحلة التفكير فيها. وسأبدأ، على الأرجح، ليس قبل نهاية أغسطس. أولغا تبلغكم تحياتها، وكذلك فيشنيفسكي (ممثل، ضيف العائلة). بلّغوا تحياتي إلى ماريا بتروفنا والأولاد. أتمنى لكم الصحة والبهجة والمرح. استجمِعوا قواكم وطاقاتكم. أشدّ على يدكم.

المخلص أ. تشيخوف

(. . .) من الجيران أكثر مَن يزورنا ميكا /ابن أخيكم/ وكذلك ن. سميرنوفا الرسامة. وهي ترسم لي صورة نصفية.

٢٩٨. إلى أليكسي بيشكوف (مكسيم غوركي)

لوبيموفكا، ٢٩ يوليو ١٩٠٢

عزيزي أليكسي مكسيموفيتش! قرأت مسرحيتكم (مخطوطة «الحضيض»). فيها جِدّة. وهي جيدة بلا شك. الفصل الثاني جيد جداً. إنه الأفضل والأقوى. عندما قرأته، وخصوصاً نهايته، كدت أقفز من الارتياح. جو المسرحية كئيب، ثقيل. والجمهور سيترك قاعة المسرح لعدم تعوده على مثل هذه الأجواء. ويمكن، والحال هذه، أن تفقدوا صفة الكاتب المتفائل. لا تستعجلوا في اختيار عنوان المسرحية، ففي الوقت متسع. زوجتي ستمثل دور فاسيليسا، المرأة المتهتكة الحاقدة. فيشنيفسكي يجوب أركان المنزل عندنا ويصور شخصية التتري في مسرحيتكم. فهو واثق بأن هذا الدور يناسبه. دور لوقا، للأسف، لا يجوز أن يعطى إلى أرتيوم، وإلا سيكرر نفسه وأسلوبه المعتاد فيه وسيشعر بالإرهاق. إلا أنه يجيد أداء دور الشرطي. فهو دوره. أما دور العشيقة فيناسب ساماروفا. أما الممثل الذي نجحتم كل النجاح في تصويره فهو دور رائع ينبغي أن يعطى لفنان محنك، مثل ستانسلافسكي على الأقل. فيما يمثل كاتشالوف دور البارون.

لقد أبعدتم عن الفصل الرابع أفضل الشخوص /ما عدا الممثل الذي ظل فيه/ ، فلاحظوا ما يمكن أن يحصل. قد تكون النتيجة سلبية، وقد يبدو الفصل مملاً لا لزوم له، خاصة وأن كل الممثلين الباقين فيه، بعد غياب الفنانين الأقوياء المهمين، من المستوى المتوسط. مقتل الممثل فظيع. فأنتم كأنما تهمسون بخبر وفاته في إذن المتفرج من دون مقدمات. ثم لماذا وجد البارون نفسه في حضيض الملجأ؟ ولماذا هو بارون؟ هذه أيضاً مسألة غير واضحة تماماً.

قبيل العاشر من أغسطس أسافر إلى يالطا /زوجتي تبقى في موسكو/ ثم أعود في أغسطس ذاته وأقيم هنا حتى ديسمبر إذا لم يحصل خلاف ذلك. وسأشاهد «البرجوازيون الصغار». سأحضر بروفة المسرحية الجديدة. ألن تتمكنوا من مغادرة أرزاماس والمجيء إلى موسكو لأسبوع على الأقل؟ سمعت أن السلطات ستسمح لكم بالسفر إلى موسكو وأن جهة معينة تسعى من أجلكم بهذا الخصوص. في موسكو يجري إعمار مسرح ليانوزوفسكي وتحويله إلى مبنى للمسرح الفني. العمل جارٍ على قدم وساق. وعدوا بإكماله حتى ١٥ أكتوبر. ومن المستبعد أن تبدأ العروض قبل نهاية نوفمبر، بل وحتى ديسمبر. يخيل إليّ أن المطر المدرار يعرقل أعمال البناء.

أنا أقيم في لوبيموفكا، ضيعة ألكسييف (ستانسلافسكي)، وأصطاد السمك من الصبح حتى المساء. فالنهر هنا رائع وعميق يعج بالأسماك. استولى عليّ الكسل إلى درجة باتت تزعجني.

صحة أولغا تتحسن على ما يبدو. وهي تبلغكم تحياتها القلبية. بلّغوا تحياتي إلى يكاترينا بافلوفنا ومكسيم وابنتكم الصغيرة.

«فكرة» ليونيد أندرييف قصة طموحة أكثر من اللزوم وصعبة على الهضم، ولعلها غير ضرورية. لكنّ الأداء يتميز بموهبة كبيرة. أندرييف لا يعرف البساطة، وموهبته أشبه بتغريد بلبل اصطناعي. (ستيبان) سكيتاليتس بالمقارنة معه عصفور، لكنه عصفور حي حقيقي.

في أواخر أغسطس سنلتقي في كل الأحوال.

أتمنى لكم الصحة والتوفيق. لا تضجروا (. . .)

المخلص أ. تشيخوف

٢٩٩. إلى الكسندر فيسيلوفسكي (أكاديمي)

يالطا، ٢٥ أغسطس ١٩٠٢

معالي السيد ألكسندر نكولايفيتش المحترم!

في شهر ديسمبر من العام الفائت تلقيت تبليغاً عن انتخاب أليكسي بيشكوف (مكسيم غوركي) عضواً فخرياً في الأكاديمية. كان بيشكوف آنذاك في القرم، فأسرعت لمقابلته، وكنت أول من أخبره بانتخابه لعضوية الأكاديمية وأول من يهنئه. وبعد فترة قصيرة نشرت الصحف أن الانتخابات ألغيت نظراً لكون بيشكوف رهن التحقيق وفق المادة ١٠٣٥. علماً بأن التبليغ صادر عن أكاديمية العلوم تحديداً، وطالما أنا عضو فخري فيها، فالتبليغ صادر عني أنا أيضاً. لقد هنأت الرجل من صميم القلب، وأنا نفسي، بناءً على قرار الإلغاء، أعترف بعدم شرعية الانتخابات!! هذا تناقض لا يقبله عقلي، ولا يستطيع ضميري أن يسكت عليه. ولم تسعفني مراجعة المادة ١٠٣٥ (فهي ليست مبرراً وجيهاً). وبعد تفكير طويل توصلت إلى حل واحد، عسير ومؤسف جداً بالنسبة إليّ، وهو أن التمسكم المساعدة في الموافقة على تنازلي عن لقب الأكاديمي الفخري.

مع أعمق آيات الاحترام والتقدير يشرفني أن أبقى خادمكم المطيع

أ. تشيخوف

٣٠٠. إلى فوكول لافروف

يالطا، ٨ سبتمبر ١٩٠٢

الصديق العزيز فوكول ميخائيلوفيتش! وصلت إلى هنا في أغسطس لأعمل، ولكن هيهات. فقد مرضت كالعادة. بدأ السعال والضعف، وفقدتُ الشهية، وبقيت على هذه الحال قرابة شهر. وإلى ذلك كان الطقس مقرفاً بعناد، فلا قطرة مطر، سوى الحر والغبار. وقررت أن أغادر حالما تسنح الفرصة. ربما سأسافر إلى Nervi /قرب ميلانو/ وسأحاول أن يكون طريقي إليها عبر موسكو.

لن أكتب مسرحيات (فيما تبقى من) هذا العام. سأكتب أقاصيص فقط. أما التفاصيل فسنتناولها أثناء اللقاء في موسكو، ربما بعد ٢٥ سبتمبر.

اليوم بردَ الجو قليلاً، فشعرت بخفة الحركة، وقد قل السعال على ما يبدو.

أتمنى لك الصحة، وتحياتي إلى فكتور ألكساندروفيتش (غولتسيف).

شقيقتي (ماريا)، وكذلك أولغا ليوناردوفنا (كنيبر) في موسكو.

المخلص أ. تشيخوف

٣٠١. إلى نكولاي تيليشوف

يالطا، ١٤ سبتمبر ١٩٠٢

عزيزي نكولاي دميتريفيتش! شكراً جزيلاً. استلمت اليوم قصتكم «البلشون الأبيض» وكتابكم «أقاصيص وقصائد». قرأت كل ما بعثتموه تقريباً، وأعجبني الكثير مما تكتبون، سحرني إلى حد الدهشة. كتاباتكم رائعة. خيل إليّ أن «عشية عيد الميلاد» و«أغنية العميان» جيدتان ورائعتان إلى حد يفوق الوصف، ربما لأنني لم أقرأ الأدب الروائي من زمان. كل الشكر لكم، كله! أشدّ على يدكم بحرارة وأرجوكم أن لا تنسوني في صلواتكم وابتهالاتكم. تحياتي واحتراماتي لرواد أمسيات «الأربعاء».

المخلص أ. تشيخوف

٣٠٢. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ١٨ سبتمبر ١٩٠٢

زوجتي الرائعة! حدث باهر عندنا. في الليل سقط المطر. عندما دخلت الحديقة صباح اليوم كل شيء كان قد جف وغطاه الغبار، ومع ذلك سقط في الليل مطر. سمعت حفيفه. البرد مر، وتسخن الجو من جديد. صحتي تحسنت تماماً. آكل كثيراً على أية حال، والسعال بات أقل. لا أتناول القشدة لأنها في هذه الإنحاء

دسمة تؤذي المعدة. باختصار، لا تقلقي. كل شيء لا أسوأ من المعتاد، إن لم نقل أفضل.

اليوم أنا مكتئب. توفي (إميل) زولا. تلك مفاجأة، في غير وقتها. انا لم أكن أحبه كثيراً ككاتب، لكنني قدّرته كإنسان رفيع التقدير في السنوات الأخيرة عندما أثيرت قضية دريفوس.

إذن، سنلتقي قريباً، يا بقتي الصغيرة. سآتي وأقيم معك إلى أن تطردِيني. سيكون ثمة وقت يكفي لتملّي مني. كوني على ثقة. بلّغي نايديونوف إذا دار الكلام عن مسرحيته («النزلاء») أنه كاتب موهوب جداً، مهما كانت التقولات. أنا لا أكتب له لأنني سأتحدث معه وجهاً لوجه قريباً. هكذا قولي له.

كتبت إلى موروزوف مثلما كتبت لك. أنا أنسحب من مجموع المساهمين (في مبنى المسرح الفني) بسبب عدم توفر المال، فلم أستلم الدين الذي كنت أنتظره. (تشيخوف باع ضيعة ميليخوفو ولم يستلم ثمنها).

لا تكتئبي، فالكآبة لا تليق بك. كوني مرحة يا روحي. أقبّل كلتا يديك، وجبينك وخديك وكتفيك وألاطف بدنك كله وأعانقك وأقبلك من جديد.

الوالدة تحيّيك وتشكو طوال الوقت من أنك لا تكتبين لها.

المخلص أ.

٣٠٣. إلى أدولف ماركس

موسكو، ٢٣ أكتوبر ١٩٠٢

أدولف فيودوروفيتش المحترم!

لا أعترض على نشر قصة لي في مجلة «نيفا» عام ١٩٠٣، لأنني بأي حال لست ضد التعاون مع مجلتكم، وسوف أوافيكم بالقصة إلا إذا داهمني المرض.

فيما يخص السيد أيتينغر فإن كتابه «أفكار وتأملات تشيخوف» جاء بصيغة طفولية لا تجيز الحديث بجد عن تلك الأفكار. ناهيك عن أن كل تلك الأفكار والتأملات لا تعود لي، بل لشخوص قصصي ومسرحياتي. فإذا كان أحدهم يدعو،

مثلاً، إلى القتل أو السرقة فذلك لا يعني أبداً أن من حق السيد أيتينغر أن يصورني داعية للقتل والسرقة.

أعيد إليكم مخطوطة أيتينغر. واسمحوا لي أن أتمنى لكم كل خير وأن أبقى على احترامي الصادق لحضرتكم.

المخلص أ. تشيخوف

٣٠٤. إلى ألكسندر كوبرين (روائي)

موسكو، ١ نوفمبر ١٩٠٢

عزيزي ألكسندر إيفانوفيتش. استلمت «دار العجزة» وقرأتها. شكراً جزيلاً. القصة جيدة، قرأتها دفعة واحدة وبشعور من الارتياح الصادق، كما «في السيرك». لكنكم تريدون مني أن أبحث عن العيوب فقط، وبذلك تحرجونني. فلا نواقص أو عيوب في هذه القصة. وإذا كنت لا أوافقكم على شيء فذلك يقتصر على بعض خصائصها. أنتم، مثلاً، تتعاملون مع أبطال قصتكم الممثلين (المنبوذين)، بالطريقة القديمة مثلما كان يعاملهم جميع الذين كتبوا عنهم منذ مئة عام. ولا جديد. هذا أولاً، وثانياً- في الفصل الأول أنتم مهتمون بتوصيف المظهر، وبالطريقة القديمة أيضاً، وهو توصيف يمكن الاستغناء عنه. ملامح الوجوه الخمسة التي تصورونها تتعب التفكير وتفقد قيمتها في آخر المطاف. الممثلون الحليقون متماثلون كالقساوسة الكاثوليكيين ويبقون متماثلين مهما جهدتم في تصويرهم. ثالثاً- الخشونة والمبالغة في وصف السكارى. . .

هذا كل ما أستطيع أن أقوله لكم رداً على سؤالكم حول النواقص، وليس بوسعي أن أضيف أكثر.

بلّغوا زوجتكم أن لا تقلق، كل شيء سيتم بسلام. المخاض سيستمر قرابة ٢٠ ساعة، ثم تحل لحظة الدعة والارتياح عندما تبتسم، فيما ترغبون أنتم في البكاء من شدة التأثر والإعجاب. ٢٠ ساعة هي الحد الأقصى المعتاد للولادة الأولى.

إذن، كل التمنيات لكم بالصحة. أشدّ على يدكم. المراجعون كثيرون إلى حد الصداع في الرأس. والكتابة صعبة. المسرح الفني جيد في الواقع، وهو مريح حتى من دون الأبهة والبذخ.

المخلص أ. تشيخوف

٣٠٥. إلى فيودور باتوشكوف

موسكو، ٦ نوفمبر ١٩٠٢

فيودور دميتريفيتش المحترم! في يالطا كانت صحتي متوعكة، ولم أكتب شيئاً، والآن أيضا لا أكتب تقريباً، لأنني أستقبل المراجعين من الصباح حتى المساء. لكنني، رغم سوء حالتي الصحية وعطالتي المزمنة، لا أفقد الأمل بأن أعكف في القريب العاجل على كتابة رواية قصيرة أو قصة طويلة لمجلتكم. ولا أدري متى سيتم ذلك، في ديسمبر أم يناير، إلا أنني أعاهدكم بأن أبدأ إذا بقيت بالطبع على قيد الحياة وفي صحة جيدة. وسأوافيكم بالقصة. ولذا أعتقد أن من الممكن ذكر اسمي في الإعلانات عن أسماء العاملين في العام القادم.

«الحضيض» مسرحية جيدة. يقال إن الرقابة نهشتها، ومع ذلك ستعرض وستبدأ البروفات الصحيحة عليها قريباً. وإلى ذلك ثمة أمل بأن يتساهل الرقيب ويعيد للمسرحية بعضاً مما شطبه منها. بالأمس عرضت بنجاح «سلطة الظلام» (مسرحية ليف تولستوي). الممثلون ليسوا من النوابغ، إلا أن في الإخراج كثيراً من النزاهة وحب العمل.

أشدّ على يدكم بحرارة وأتمنى لكم كل خير. مع موفور الصحة.

زوجتي تبلغكم تحياتها واحتراماتها.

المخلص أ. تشيخوف

٣٠٦. إلى بيوتر كوركين (طبيب)

يالطا، ٤ ديسمبر ١٩٠٢

عزيزي بيوتر إيفانوفيتش. شكراً لكم على الرسالة. أنا الآن في يالطا، أشعر بالضجر والبرد. إلا أن مزاجي جيد. آمل أنكم ستشاهدون قريباً «الحضيض» (مكسيم غوركي) على خشبة المسرح الفني وتكتبون لي كيف تسير الأمور فيه. اكتبوا لي عن ذلك، أرجوكم كل الرجاء. قصة بونين التي تتحدثون عنها في رسالتكم نشرت في العدد ١٠ من «مجلة الجميع» (العبارة الأخيرة مشفرة وتعني عريضة تشيخوف، وليس قصة بونين، إلى أكاديمية العلوم والمنشورة في العدد ١٠ من مجلة «التحرير»، وهي بخصوص قضية غوركي).

إذن ابقوا على قيد الحياة في صحة وعافية وكل الموفقية ولا تنسوا

المخلص لكم أ. تشيخوف

(...)

٣٠٧. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ١٤ ديسمبر ١٩٠٢

عزيزتي وروحي المشعثة المبهذلة، كلبتي الحبيبة! ستلدين أطفالاً من كل بد. هكذا يقول الأطباء. كل ما عليك هو أن تستجمعي قواك. كل شيء لديك تمام. فلا تقلقي. لا يعوزك سوى زوج يعيش معك على مدار العام. وأنا، على أية حال، سأحاول أن أقيم معك سنة دون أن أفارقك ودون أن أسافر. وسيولد لك صبي يحطم الصحون ويمسك كلبك من ذيله، وأنت تتطلعين إليهما بارتياح.

أمس غسلت رأسي. ويبدو أني أخذت برداً، لأن الصداع ألمّ بي اليوم ولا أقوى على العمل. أمس مضيت إلى المدينة لأول مرة. هناك ضجر فظيع، في الشوارع وجوه كالحة، ولا امرأة واحدة حسناء، ولا واحدة ترتدي ثياباً لافتة.

عندما أشرع بتأليف «بستان الكرز» أبلغك يا كلبتي. حالياً أعكف على كتابة

أقصوصة غير ممتعة (لعلها قصة «رسالة» التي لم يكملها تشيخوف). بالنسبة لي على الأقل تثير الملل.

الأرض في يالطا مكسوة بعشب أخضر. يسر الأنظار في غياب الثلوج.

استلمت رسالة من أفروس يسألني فيها رأيي في نكراسوف، كأنما لينشره في جريدة («أخبار اليوم» لمناسبة مرور ٢٥ عاماً على وفاته). طلبٌ لا يعجبني، ولكنني مضطر أن ألبيه. على فكرة أنا أحب نكراسوف حباً جماً، ولا أتسامح على الأخطاء مع أي شاعر روسي مثلما أتسامح معه. سأكتب إلى أفروس بهذه اللهجة.

ريح شديدة تعصف الآن. (. . .)

إحدى أذني أنثى الخنزير (دمية) التي أعطيتني إياها تشققت.

اللّه يحفظك، يا نور عيني. تحلي بالفطنة ولا تكتئبي. لا تضجري. وتذكّري زوجك الشرعي أكثر. ففي الواقع لا أحد على وجه البسيطة يحبك مثلي، ولا أحد لديك غيري. عليك أن تتذكري ذلك، وتأخذي العبرة منه.

أعانقك، وأقبلك ألف مرة.

اكتبي أكثر.

المخلص أ

(تعقيب رقم ١) ذات يوم، في فبراير ١٩٠٢، انزلقت الممثلة كنيبر وسقطت على قمرة الملقن، فحصل عندها إجهاض نقلت على أثره إلى المستشفى.

(تعقيب رقم ٢) كان رأي ليف تولستوي في نكولاي نكراسوف أن الموهبة الشعرية تعوزه وأن «زمانه قد ولى». فجاء رد تشيخوف: «. . . لا أجزم كم سيبقى أدب نكراسوف على قيد الحياة. . . أظن، لزمن طويل. على الأقل بعمر جيلنا أو يزيد. وفي كل الأحوال لا يجوز أبداً القول بأنه شاخ وولى زمانه».

٣٠٨. إلى سرغي دياغيليف

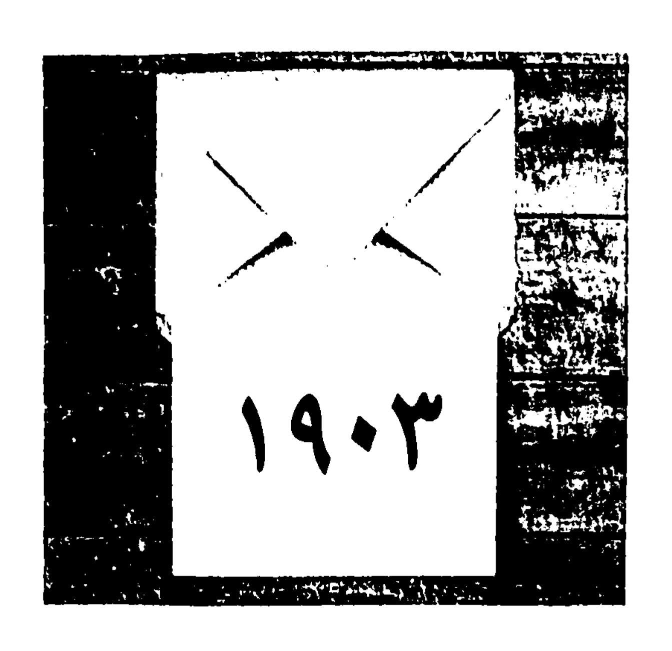
يالطا، ٣٠ ديسمبر ١٩٠٢

سرغي بافلوفيتش المحترم!

استلمت عدد مجلتكم «عالم الفن» وفيه مقالة (دميتري فيلوسوفوف) عن «النورس». قرأت المقالة. فشكراً جزيلاً. عندما فرغت من قراءة المقالة رغبت من جديد في كتابة مسرحية، ولعلي سأكتبها بعد يناير.

تقولون إننا تحدثنا عن حركة دينية جدية في روسيا. لقد تحدثنا عن الحركة الدينية ليس في روسيا، بل بين المثقفين. بخصوص روسيا ليس عندي ما أقوله. أما المثقفون فلا يزالون يلعبون لعبة الدين، وذلك بالأساس لأنه ليس لديهم ما يفعلونه. يمكن القول عن القسم المثقف من مجتمعنا إنه ابتعد عن الدين ويمعن في الابتعاد عنه أكثر فأكثر مهما قيل بهذا الخصوص ومهما تداولت الجمعيات الدينية الفلسفية بشأنه. أنا لا أحكم على ذلك إن كان جيداً أم لا. كل ما أقوله هو أن الحركة الدينية التي تكتبون عنها تسير لحالها، فيما تسير الثقافة المعاصرة لحالها، ولا يجوز اعتبار الأولى سبباً أو نتيجة للثانية. الثقافة الحالية هي باكورة العمل من أجل المستقبل العظيم. وهو عمل سيستمر ربما عشرات الآلاف من السنين لتتمكن البشرية في المستقبل البعيد أن تعرف حقيقة الخالق الفعلي، بمعنى أنها لن تحزر أين هو ولا تبحث عنه عند دوستويفسكي، بل تتعرف عليه بوضوح، كما عرفت أن اثنين في اثنين يساوي أربعة. الثقافة الحالية بداية العمل، أما الحركة الدينية التي تحدثنا عنها فهي من المخلفات، إنها تقريباً نهاية ما ولى أو يولي زمانه. على فكرة، تلك قصة طويلة لا يمكن احتواؤها في رسالة. عندما تلتقون السيد فيلوسوفوف بلّغوه، رجاءً، شكري الجزيل. أهنئكم بالعام الجديد وأتمنى لكم كل خير.

المخلص الوفي أ. تشيخوف



٣٠٩. إلى يفغيني غوسلافسكي

يالطا، ١٠ يناير ١٩٠٣

عزيزي يفغيني بتروفيتش! مكسيم غوركي من أطيب الناس. ليّن المعشر وفي منتهى اللياقة والأدب. على أية حال إنه ليس إنساناً ضحلاً ليزعل منكم بسبب شيء تافه. أؤكد لكم أن ليونيد أندرييف لم يقل لكم ذلك، وإنما شكوككم هي التي أوحت لكم.

أنا لست مطلعاً تقريباً على دار «المعرفة» (للطباعة والنشر بإشراف غوركي)، أو على الأصح لست على معرفة بها بالقدر الذي يمكنني من أن أعدكم بشيء من جانبها. في ١ مارس سأكون في موسكو، وسنلتقي ونذهب معاً إلى مكسيم غوركي ونتحدث في موضوع (نشر كتابكم). أما الآن فلن أكتب له، لأنني، كما ذكرت، غير مطلع جيداً على شؤون هذه المؤسسة. بعد أيام سيصل إيفان بونين إلى يالطا، وسأتحدث معه بهذا الخصوص، وإذا أطلعني على أسرار «المعرفة» فسأكتب إلى غوركي أو بياتنيتسكي من دون إبطاء. وأبلغكم. بالتأكيد.

فيما يخص كتابكم «طريق العمر. قصص» فقد استلمته وقرأته من زمان. هل يعقل أنني لم أكتب لكم عنه؟! معذرة، يا عزيزي. فتارة تداهمني الأمراض، وتارة أنا في ترحال، ولذا لم يعد الالتزام من فضائلي. معظم أقاصيص الكتاب سبق أن قرأتها قبل صدوره، وأظن أني كتبت لكم عن بعضها. ولو كنت أقيم في موسكو لدبرت لكم دراسات نقدية. كان بوسعي أن أرغم شخصين أو ثلاثة على قراءة

الأقاصيص باهتمام والكتابة عنكم. كان ينبغي أن أقوم بذلك من زمان. الأشخاص الذين يكتبون المقالات في النقد مشغولون جداً، لأنهم مضطرون أن يقرأوا الكثير الكثير. ولا يجوز إلقاء الذنب عليهم.

طبعة كتابكم ليست على المستوى. وفي كل الأحوال ليس من المناسب تسليمه إلى «المعرفة» لتغيّر الغلاف وتبيع الكتاب على اعتبار أنه صادر عنها. فمن الأسهل والأريح على دار «المعرفة» أن تصدر طبعة جديدة من قصصكم من أن تتبنى طبعة دار أخرى. (. . .)

أتمنى لكم الصحة والعافية. لا تكتئبوا، رجاءً. كل شيء سيكون على ما يرام. أشدّ على يدكم بحرارة.

في مطلع مارس سأكون في موسكو بالتأكيد. إذا كنت في صحة جيدة طبعاً.

المخلص أ. تشيخوف

٣١٠. إلى فيودور باتوشكوف

يالطا، ١١ يناير ١٩٠٣

فيودور دميتريفيتش المحترم! كنت كل هذه الأيام أنوي الكتابة لكم، واليوم استلمت برقيتكم، وها أنا أكتب أخيراً. كنت أعاني من (التهاب) ذات الجنب. وبالأمس فقط رفعت الضمادات الدافئة. عانيت من المرض طوال الأعياد، ولم أنجز شيئاً، وعليّ الآن أن أبدأ من جديد، وباكتئاب، كل ما كنت قد بدأته. لا مؤاخذة على ذنب بحق «دنيا اللّه» لا جريرة لي فيه. ربما لا أستطيع أن أجزم متى تكون القصة جاهزة. فعليّ أن أنهي أولاً قصة «لمجلة الجميع» («العروس»). وعدتهم بها من زمان. لقد صرت شغيلاً سيئاً بين قوسين.

العدد الأول من «دنيا اللّه» (لهذا العام) استلمته من ثانوية البنات (لديها اشتراك في المجلة) وقرأت مقالة آلبوف (النقدية عن تشيخوف) بمنتهى الارتياح. في السابق لم أقرأ لهذا الرجل شيئاً، وبودّي أن أعرف من هو، هل هو كاتب ناشئ، أم أنه دخل معترك الحياة وعرف ما عرف. ثانوية البنات وعدتني بموافاتي بأعداد «دنيا

اللّه» القادمة. فإذا كنتم سترسلون لي المجلة هذا العام أيضاً / وأنا شاكر لكم كل الشكر/ فأرسِلوها على عنوان العام الماضي في موسكو.

مقالتكم عن مسرحية غوركي (عرض «الحضيض» في المسرح الفني) أعجبتني كثيراً. لهجتها رائعة. أنا لم أشاهد المسرحية، ولا أعرف عنها إلا القليل، ولكنني بعد قراءة مقالتكم أدركت أنها مسرحية ممتازة ولا بد أن تحقق نجاحاً.

أنا أحسدكم، وأحسد عموماً كل من لديه إمكانية الإقامة ليس في القرم.

أشدّ على يدكم بحرارة، وأعتذر مرة أخرى وأرجوكم أن تتفهموا وضعي. عسى أن أتمكن في المستقبل أن أكفّر عن كل خطاياي. أتمنى لكم كل خير.

المخلص أ. تشيخوف

٣١١. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ١١ يناير ١٩٠٣

عزيزتي الممثلة، يا روحي، كتبت اليوم رسالة إلى باتوشكوف وطلبت أن يرسلوا أعداد «دنيا اللّه» إليك في موسكو. أبلغته أنني لست بحاجة إلى المجلة في يالطا، لأن ثانوية البنات هنا تستلمها وتزودني بها. اليوم سافرت ماشا (إلى طرفكم)، وقبيل الغداء هبّت ريح عاتية. بلّغيها أن تكتب لي هل شعرتْ بالغثيان (من اهتزاز الباخرة في أول الطريق). فلتكتب لي عموماً كيف وصلت إلى موسكو. (. . .)

عزيزتي، أثناء الأعياد اختلطت الأمور في ذهني، لأني لم أكن مرتاحاً من الناحية الصحية. ولم أكتب شيئاً. والآن عليّ أن أبدأ من جديد. يا للمصيبة! ولكن لا بأس.

فليقضِ زوجك عامين آخرين في عطالة، ثم يشد العزم ويؤلف خمسة عشر مجلداً تثير رعب ماركس.

حجزت الكثير من شتلات الزهور من سينوب (التركية) لأغرسها في الحديقة. أفعل ذلك بسبب العطالة والملل. كلبتي (يقصد زوجته) غير موجودة معي، فلأهتم بالزهور على الأقل.

أخيراً قرأت اليوم قصيدة سكيتاليتس التي أغلقت السلطات مجلة «المراسل» بسببها. لا يسعني أن أقول شيئاً بخصوص هذه القصيدة، سوى أنها رديئة، ولا أفهم لماذا ارتعبوا منها؟ يقال إنهم زجوا الرقيب في الزنزانة الانفرادية. فلأي ذنب؟ شيء غير مفهوم. أظن أن ذلك بسبب الجبن. (...)

أعتقد هذه ثاني رسالة أبعثها إليك ملوثة بقطرات الحبر. فلا مؤاخذة. سامحي زوجك الوسخ.

متى نرى «القنصل بيرنك» (من شخوص مسرحية هنريك إبسن «أعمدة المجتمع»)؟ هل أبدع ستانسلافسكي في دور بيرنك؟ أما أن زوجتي بارعة (في دور لونا) فذلك أمر لا يخامرني فيه شك. بعد عامين أو ثلاثة ستتحولين، يا امرأة، إلى ممثلة حقيقية بالتمام والكمال، أنا أفتخر بك من الآن وأفرح لنجاحاتك. أباركك، يا امرأتي، وأحوّم بك وأدور عدة دورات في الجو، وأقبّلك في ظهرك، وأرميك إلى أعلى وأصفق وأتلقفك من جديد وأحتضنك بشدة وأقبّلك. تذكّري زوجك

الوفي أ.

٣١٢. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ٢٣ يناير ١٩٠٣

عزيزتي الممثلة الرائعة، مرحباً. استلمت اليوم رسالة من نيميروفيتش كتب فيها عن المسرحيات التي ستعرض مستقبلاً، ويتساءل عن مسرحيتي («بستان الكرز»). أما أنني سأكتب المسرحية فهذا شيء صحيح صحة اثنين في اثنين يساوي أربعة. إذا كنت في حال جيدة طبعاً. لكنني لا أعرف هل سأوفق في كتابتها، وهل ستثمر جهودي. (...)

درجة حرارتي بالأمس طبيعية، واليوم لا أدري بعد. إلا أنني أعكف على الكتابة. عين الحسود فيها عود. مزاجي جيد، أردت أن أذهب إلى الحانة وأدخن سجارة هناك ثُم أعود إلى الكتابة.

لماذا تزوج سكيتاليتس؟ ما حاجته إلى الزواج؟

أنتظر منك طوال الوقت رأيك بخصوص سويسرا. يمكننا أن نعيش هناك بعض

الوقت. ويمكنني، بالمناسبة، أن أشرب قليلاً من الجعة. فكري في الموضوع يا روحي الغالية، ولا تمانعي بشدة إذا كنتِ لا ترغبين في السفر. المعلم غورزوفسكي لم يحدثني شيئاً عن موسكو. جلس صامتاً يمضغ طرف لحيته. ربما كان مغتماً لأن قناني الجعة انفجرت بسبب الصقيع. ثم إنني أنا لم أكن في صحة جيدة. جلستُ أنتظر صامتاً متى ينصرف. دميتك أم الخنانيص وعلى ظهرها صغارها تقف أمامي على المكتب وتبلغك تحياتها. تحفة رائعة.

ما أكثر الحبكات التي تزدحم في ذهني. وما أشدّ رغبتي في الكتابة. لكنني أشعر بعدم توفر شيء ما، يخص الوضع الذي أنا فيه أو يتعلق بصحتي. لا أدري. صدر ملحق مجلة «نيفا» المجاني، وفيه قصة لي مع صورتي. يخيل إليّ أن القصة ليست قصتي! ما كان ينبغي لي أن أقيم في يالطا، تلك هي المشكلة! فأنا هنا كما في آسيا الصغرى.

ماذا يفعل في موسكو قداسة ساشا سريدين؟ كيف صحته؟ كيف حال زوجته؟ هل رأيتِ بالمونت في موسكو؟

إذن، يا كلبتي العزيزة، كوني في صحة وفي أحسن مزاج. اكتبي لزوجك أكثر. أباركك، وأعانقك، وأقبّلك، وأقلّبك في طبقات الجو. وأخيراً، هل أراك في القريب العاجل؟

المخلص أ.

٣١٣. إلى فكتور غولتسيف

يالطا، ٢٦ يناير ١٩٠٣

عزيزي الطبيب فكتور ألكساندروفيتش، مرحباً! قرأت في «أخبار أوديسا» أن وليمة غداء ستقام في فبراير تكريماً لك. (لمرور ٢٥ عاماً على نشاطه الأدبي). إذا كان ذلك صحيحاً فتذكر على المائدة، أيها العزيز، أنني صديقك الصدوق الوفي وسأبقى كذلك حتى الرمق الأخير، وأنني أحبك وأحترمك من زمان بعيد. وسأبرق لك مهنئاً إذا عرفت بالضبط موعد الاحتفاء بيوبيلك ومكان الوليمة.

من شهر ديسمبر وحتى اليوم لم أكتب شيئاً. أعاني من ذات الجنب، لعنه اللّه.

حالياً هان الأمر وقد سمح لي الطبيب بأن أذهب إلى المدينة غداً للحلاقة، والأهم أنني شرعت بكتابة قصة («العروس») «لمجلة الجميع». حالما أفرغ منها أبدأ بكتابة أخرى «للفكر الروسي». كلمة شرف. الحبكات لدي متراكمة متزاحمة.

كيف حالك؟ حبذا لو كتبت لي سطراً.

احتراماتي وتحياتي القلبية إلى فوكول. أتمنى لك الصحة وأعانقك بحرارة وأقبّلك.

المخلص أ. تشيخوف

٣١٤. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ٢٦ يناير ١٩٠٣

كلبتي الحبيبة الرائعة، يا روحي الغالية، أنت موافقة على السفر إلى سويسرا، على التجوال معي عموماً، أليس كذلك؟ عظيم! في فيينا سنمكث خمسة أيام، نسافر بعدها إلى برلين ودرزدن، ثم نرتحل إلى سويسرا. في البندقية يحتمل أن يكون الجو آنذاك حاراً جداً.

حافظة النقود أعجبتني كثيراً. أقسم لك أنها تعجبني كثيراً، ولكنني لا أريد أن أفارق حافظة النقود القديمة التي هي هدية منك أيضاً. هديتك /الجديدة/ مستقرة الآن على مكتبي أحفظ فيها مختلف الملاحظات اللازمة لقصصي. فأنا أكتب وأفتح الحافظة من حين لآخر بحثاً عن المعلومات:

مسرحكم لم يعد يوافيني بنشرات عروضكم. خذي ذلك بالاعتبار.

أما الديك في القبعة فلا يعجبني. لأنه صناعة مبتذلة. ولا يجوز الاحتفاظ بمثل هذه الحاجيات في الغرفة. فليذهب الديك، إذن، إلى الشيطان.

الجو هنا مدهش في روعته. غداً سأخرج من المنزل إلى المدينة. لم يبق من ذات الجنب سوى القليل. ولعله انتهى تقريباً. (. . .)

أكتب قصة «لمجلة الجميع» بأسلوب تقليدي كالذي انتشر في السبعينات. ولا أدري كيف ستكون النتيجة. بعدها ينبغي أن أكتب لأجل «الفكر الروسي»، ثم لأجل «دنيا الله». . . أنقذونا يا ملائكة السماء!!

ما أروع ما ستكون عليه سفرتنا معاً. ليتها تتم من دون معكرات.

استلمت رسالة من كوميسارجيفسكايا. تطلب مني مسرحية جديدة لمسرحها الشخصي في بطرسبورغ (مسرح الدراما الذي أسّسته الممثلة الشهيرة وظل قائماً حتى وفاتها. قدّم من أعمال تشيخوف «النورس» و«الخال فانيا» و«الزفاف»). ستكون هي صاحبة المسرح، يا لسذاجتها. جهودها قد تكفي لشهر واحد، يتبدد بعده أي اهتمام بمسرحها. ولا يليق بي أن أكتب لها عن ذلك. ثم إن الأوان قد فات، ذلك أنها غاصت في مؤسستها هذه من دون رجعة. فماذا أكتب لها، إذن، بخصوص طلبها؟ هل أرفض؟ سارعي بمفاتحة نيميروفيتش واكتبي لي: هل يمكنني أن أعدها «ببستان الكرز»؟ أقصد هل سيعرض مسرحكم «بستان الكرز» في بطرسبورغ؟ إذا كان الجواب بالنفي فسأعدها بها.

إذن، سنسافر أنا وإياك، أليس كذلك؟ أحسنتِ يا ذكية. لن أتركك وحدك أبداً. أعانقك بشدة تجعل أضلاعك تطقطق. وأقبّل كلا خديك، وجيدك وظهرك، وأرجوك أن تكتبي لزوجك.

لا موجب لمجيئك في عيد المرافع، يا فرحتي، فستتعبين وتمرضين. الأفضل، تعالي في الصوم الكبير للمدة كلها. عندها أنا موافق.

اكتشفت في محفظة النقود الجديدة جيباً غميقاً، عمقه نصف متر، يبدو أنه لإخفاء النقود عن الأنظار.

المخلص أ.

٣١٥. إلى فيرا كوميسارجيفسكايا

يالطا، ٢٧ يناير ١٩٠٣

عزيزتي فيرا فيودوروفنا. شكراً جزيلاً على الرسالة، بل ألف شكر. مسرور جداً لأن أحوالكم جيدة. بخصوص المسرحية أقول: ١) إنها جاهزة في ذهني، نعم. تلك حقيقة. وعنوانها جاهز أيضاً /«بستان الكرز»، أرجو أن يبقى سراً بيننا/. وسأعكف على كتابتها أغلب الظن لا أبعد من أواخر فبراير إذا كنت في صحة جيدة

طبعاً. ٢) الدور الرئيسي في هذه المسرحية لعجوز طاعنة، مع الأسف الشديد. ٣) إذا أعطيت المسرحية للمسرح الفني فإن الشروط أو القواعد المعمول بها في هذا المسرح تقتضي وضع المسرحية تحت تصرف المسرح المذكور في موسكو وفي بطرسبورغ. ولا حيلة في الأمر. وإذا لم تتوجه فرقة المسرح الفني إلى بطرسبورغ في عام ١٩٠٤ /وهذا احتمال وارد، ففي العام الحالي لن تتوجه، أليس كذلك؟/ لن تكون هناك أية مشكلة. أنا أقدم المسرحية لكم بكل ارتياح إذا كانت تناسب مسرحكم. أم أن ثمة احتمالاً آخر: ألا يجدر بي أن أؤلف مسرحية لكم؟ ليس لهذا المسرح أو ذاك، بل لكم شخصياً. تلك أمنية تراودني من زمان. على كل حال الأمر بيد الله. ولو كنت أتمتع بالصحة كالسابق لعكفت على الكتابة في الحال ببساطة وبلا مقدمات. أنا مصاب بذات الجنب من شهر ديسمبر، هل تتصورون؟ وغداً سأخرج من البيت بعد اعتقال طويل.

على أية حال، كتبت إلى موسكو ليزودوني بمعلومات دقيقة هل ستسافر فرقة المسرح الفني إلى بطرسبورغ أم لا وسأستلم الجواب بعد ٨ - ١٠ أيام وأبلغكم.

أنتم رأيتم زوجتي، بينما أنا لن أراها قبل حلول الربيع. تارة هي مريضة وتارة أنا على سفر، ولذا لا تستتب لدينا حياة زوجية حقيقية.

كتبتم تقولون إنكم «لولا الثقة بالنفس لـ. . .» صحيح بالمطلق. أنتم على حق. ولكن، لوجه الله، لا تجعلوا ذلك يتوقف على المسرح الجديد. أنتم ممثلة، وهذا يعني، فيما يعني، أن البحّار الجيد يبقى جيداً في أي سفينة يخدم، حكومية أو خاصة، في أي مكان ومهما كانت الظروف.

أكرر الشكر الجزيل لكم على الرسالة. وأقدم احتراماتي وتحياتي وأشد على يدكم وأقبّلها بحرارة.

المخلص أ. تشيخوف

٣١٦. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ١ و٢ فبراير ١٩٠٣

يا امرأتي، إذا كنت تريدين إرسال سكاكر فلا ترسلي المعمولة من المشمش، بل من شكولاتة ماركة فلي أو ترامبليه. وأرسلي أيضاً عشر سمكات رنكة أو عشرين إن أمكن، اشتريها من متجر بيلوف. ألا تثقل عليكِ طلباتي الكثيرة، يا عزيزتي؟! زوجتي الطيبة المسكينة لا تتذمري من زوجك هذا، اصبري وتحمّلي، وستحصلين على مكافأة في الصيف.

تذكرتُ، يا عزيزتي. «في الضباب» (قصة ليونيد أندرييف في «مجلة الجميع») جيدة جداً. المؤلف خطا خطوة عريضة إلى الأمام. سوى أن الخاتمة التي تبقر فيها البطن جاءت باردة، وخالية من المصداقية. (. . .)

أواصل كتابة الرسالة في اليوم الثاني. تساقط ثلج غزير كما في موسكو. ولا رسالة منك. في المصيدة فأر. أستعد الآن للكتابة. سأواصل القصة، لكنني على الأرجح سأكتب على نحو سيئ، بفتور، لأن الريح لا تزال تعوي والمنزل يكتنفه ملل لا يطاق.

عندما نسافر إلى سويسرا لن آخذ معي شيئاً، ولا سترة واحدة. سأشتري كل ما أحتاج إليه في الخارج. آخذ زوجتي وحقيبة فارغة. قرأتُ في «وقائع بطرسبورغ» مقالة باتوشكوف عني: ركيكة عموماً. وكأن تلميذا واعداً في الصف السادس كتبها. «عالم الفن» التي يكتب فيها أشخاص جدد تترك هي الأخرى نفس الانطباع الساذج وكأن تلاميذ الثانوية يكتبون غاضبين.

إذن، يا كلبتي، لا تنسي من أنت. تذكّري أنك زوجتي وأنني أستطيع أن أرغمك على الحضور يومياً من خلال الشرطة. كما يمكنني أن أعاقبك بدنياً.

أعانقك بحرارة، وبشدة تصرخين لها. أقبّل عزيزة قلبي وأستعطفها أن تكتب لي. هل أعجبتْ «البرجوازيون الصغار» كسينيا وماشا؟ ماذا تقولان عنها؟

حلقت شعري. يا للغرابة! شعور غير معتاد.

الله معك يا ممثلة.

المخلص أ.

(تعقيب) في مقتطف من رسالة مفقودة إلى ليونيد أندرييف بتاريخ ٢ يناير ١٩٠٣ كتب تشيخوف: ««الأجنبي» أعجبتني تماماً. «الأجنبي» و«في الضباب» خطوتان جديتان إلى الأمام. فيهما الكثير من الهدوء وثقة الكاتب بقواه والقليل من انفعاله. الحديث بين الأب وابنه «في الضباب» جاء هادئاً، ولا يسعني إلا أن أمنحه درجة ٥ + ».

٣١٧. إلى قسطنطين ستانسلافسكي

يالطا، ٥ فبراير ١٩٠٣

عزيزي قسطنطين سرغييفيتش. استلمت أمس وسام «النورس» (ميدالية ذهبية عليها طائر النورس، ماركة المسرح الفني).أشكركم بلا حدود. وقد ثبتّ هذه الحاجة الرشيقة اللطيفة إلى السلسلة وعلقتها (على الصدر ربما) وسأظل أحملها وأتذكركم.

كانت صحتي متوعكة. وقد انتعشتُ الآن. حالي أفضل، وإذا كنت أعمل ليس كما يرام فالمذنب هو البرد / درجة الحرارة في مكتبي ١١ مئوية/ وعدم وجود أحد في المنزل، وربما الكسل الذي ولد (ربما مع الجنين) في عام ١٨٥٩، أي قبلي بسنة. ورغم ذلك آمل أن أعكف بعد ٢٠ فبراير على كتابة المسرحية وأكملها في ٢٠ مارس. وهي في ذهني جاهزة. عنوانها «بستان الكرز». من أربعة فصول. في الفصل الأول تلوح من النافذة أشجار الكرز المزدهرة. بستان كله زهور بيضاء. والنساء في فساتين بيضاء. باختصار: (الممثل) فيشنيفسكي (ويعني اسمه بالروسية الكرزي) سيقهقه قدر ما يشاء، وبالطبع ليس معروفاً لأي سبب يقهقه.

الثلج يتساقط عندنا. تحياتي الخالصة إلى ماريا بتروفنا، أقبّل يدها وأشدّ عليها بحرارة. إنها تمثل، وهذا شيء رائع. يعني أن كل الأمور على ما يرام.

أتمنى لكم موفور الصحة والبهجة والتوفيق. لا تنسوا الوفي المخلص لكم من صميم القلب

أ. تشيخوف

(تعقيب) تشيخوف مفتون بالكرز. في رسالة إلى أليكسي سوفورين من مدينة سومي الأوكرانية بتاريخ ٤ مايو ١٨٨٩ كتب: «زهور جميع هذه الأشجار بيضاء، وهي شبيهة إلى حد مدهش بالعرائس في فساتين الزفاف: الفساتين بيضاء والزهور بيضاء ومنظرها تجسيد للبراءة وكأنها تستحي من نظرات الآخرين».

٣١٨. إلى ألكسندر كوبرين

يالطا، ٧ فبراير ١٩٠٣

عزيزي ألكسندر إيفانوفيتش. أخيراً ظهر اسمكم في الطبعة السادسة من «معجم اللغة الروسية» الذي استلمت نسخة منه اليوم. اسمكم وارد في عدة مواضع حيث يشرح المعجم بعض المفردات ويستشهد للدلالة على معانيها بمقتطفات من قصصكم. (. . .) هناك إشارة إلى قصتكم «المبيت» وإشارة إلى قصتكم الأخرى «بولافين» وإشارة إلى قصة ثالثة نسيت عنوانها.

صحتي تحسنت. التهاب ذات الجنب انتهى. إلا أن غرفتي باردة، والزمهرير شديد في الخارج، وذلك مزعج جدّاً. أكتب قليلاً وعلى مهل. آمل أن كل شيء عندكم على ما يرام، وأن زوجتكم والرضيعة ليديا بصحة جيدة. هل بدأْت تبتسم؟ أشدّ على يدكم بحرارة.

المخلص أ. تشيخوف

٣١٩. إلى فكتور ميرولوبوف

يالطا، ٩ فبراير ١٩٠٣

عزيزي فكتور سرغيفيتش! أعكف على كتابة «العروس» وآمل أن أنهيها في ٢٠ فبراير أو قبله بقليل، تبعاً لحالتي الصحية والملابسات الأخرى. في كل الأحوال اطمئنكم، وسأرسل القصة. ما يشغل بالي أني أخشى أن تتعرض «خطيبتي» للملامة من طرف العريسين الحريصين على نقاوة مجلتكم!

هل ستأتون إلى يالطا في الربيع؟ هل أنتظر مجيئكم أم لا؟ حالياً الجو بارد جداً، لليوم الثالث أو الرابع. سريدين كان مريضاً إلى درجة شارف فيها على الموت. أما الآن فكل شيء لديه سليم ما عدا الرئتين، وفيهما أيضاً المَرض لا يتصاعد. فلا تقلقوا. اللّه كريم. بعد الشتاء، مهما كان قاسياً، يأتي الربيع دوماً. أشدّ على يدكم بحرارة.

المخلص أ. تشيخوف

٣٢٠. إلى ماريا أليكسييفا

يالطا، ١١ فبراير ١٩٠٣

العزيزة ماريا بتروفنا! شكراً جزيلاً على الرسالة وعلى تذكركم الكاهن المتعبد أنطونيوس. حالما قرأت رسالتكم جلست لأكتب بالطبع تهنئة إلى ألكسندر ليونيدوفيتش (فيشنيفسكي) متمنياً له زواجاً سعيداً بالرفاه والبنين. فليتزوج!

كنت مريضاً. الآن تحسنت صحتي. إلا أنني أسعل من جديد، وأتوانى لسبب غير مفهوم. لم أشرع بكتابة المسرحية. سأبدأ بعد العشرين من الشهر، على أمل أن تمثلوا فيها أنتم كالعادة ومن كل بد. لا أدري كيف ستأتي الثمرة، وهل سأوفق فيها. هذا تساؤل مشروع. ولكن مهما كانت النتيجة لن أقدم المسرحية للعرض على الخشبة إذا رفضتم التمثيل فيها. خذوا ذلك بنظر الاعتبار، ولا تُهلكوا المؤلف. حالياً ليست عندي نقود تقريباً. وإذا رفضتم التمثيل فسأروح في داهية، كما يقول المثل السائر. وسأخلق لكم فضيحة! في الخريف كنت أظنكم مريضة. واتضح لي الآن أنكم في تمام الصحة والعافية، وبالتالي تستطيعون أن تمثلوا، ولن تخضع المسألة لمجادلات! مسرحيتي ستكون جاهزة في الربيع، وسأجلبها لكم بنفسي.

ماذا عساي أكتب لكم عن حياتي؟ لعلني أستطيع أن أقول شيئاً واحداً: أعيش حياة الرهبان. بعد الطقس المزعج شهدنا اليوم نهاراً دافئاً هادئاً، ومن جديد أخذت الريح تصفر الآن، وفي المدخنة ضجيج لا يطاق. أنتم تعرفون طبعاً أنني متزوج من

ممثلة في المسرح الفني، إلا أنني لا أعيش مع زوجتي. لقد هجرتني. وليس لدي أطفال. لذا أعيش هنا وحيداً.

مهما اختلفت آراؤكم بشأن «المفتش العام» و«ذو العقل يشقى» (غريبويدوف) و«شهر في القرية» (تورغينيف) وما إلى ذلك، فستدعو الحاجة على أية حال إلى عرض هذه المسرحيات في آخر المطاف. ويخيل إليّ أن «المفتش العام» ستحقق نجاحاً باهراً عندكم. كذلك «الزواج» (غوغول). في كل الأحوال وجود هذه المسرحيات في قائمة العروض خير على خير. بدأتُ، ولا أدري لماذا، أتصور أن الجمهور سيمل من المسرحيات الجديدة، وأنه سيرغب عموماً في العودة إلى المسرح الأدبي الذهني. ولربما أنا على خطأ.

بودّي أن أكون بموسكو في مطلع مارس، إلا أن الطبيب لا يسمح لي، ولن يسمح، أغلب الظن، قبل أبريل. ولكن لا تبلغوا أولغا بذلك. فقد أفلحُ في المجيء. تحية قلبية واحترامات عميقة إلى قسطنطين سرغييفيتش وأولادكما. فلتحفظكم ملائكة السموات! أتمنى لكم موفور الصحة، وأرجوكم، أستعطفكم أن تمثلوا أكثر ما يمكن!!

المخلص أ. تشيخوف

٣٢١. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ١١ فبراير ١٩٠٣

زوجتي المنقطعة النظير! أنا موافق. إذا سمح الأطباء فسنستأجر منزلاً بضواحي موسكو بشرط أن يكون مؤثثاً وفيه أفران تدفئة. فأنا هنا، في يالطا، في كل الأحوال نادراً ما أخرج إلى الهواء الطلق. سنبحث هذا الأمر بالتفصيل قريباً، يا روحي.

تقولين إنك بعثت لي مقالة باتوشكوف (عن تشيخوف منشورة في «وقائع بطرسبورغ») لم أستلمها. هل قرأتِ مقالة صوفيا تولستايا عن أندرييف؟ (زوجة تولستوي أيدت رأي بورينين: «في الضباب» قصة خلاعية). أنا قرأتها، فالتهب دماغي. حماقة هذه المقالة كادت تغشي بصري. شيء غير معقول. لو أنكِ كتبت

شيئاً من هذ القبيل لحبستك بلا طعام، ما عدا الخبز والماء، ولضربتك أسبوعاً بكامله. الذي سيصعر خده بوقاحة الآن ويتمادى في تلك الوقاحة إلى آخر حد إنما هو السيد بورينين الذي كالت له تولستايا المديح.

لم أستلم منك رسالة اليوم. تكاسلتِ وبدأت تنسين زوجك. (. . .) عزيزتي، لا تشغلي بالك بما لا يسمن ولا يغني من جوع. المهم أن تكون هناك مسرحية وجمهور. أما الباقي فلا قيمة له في الواقع. وعبثاً تستثير ماريا بتروفنا زوجها (ستانسلافسكي) وتجعله ينفعل.

بدني أخذ يؤلمني. حان الوقت، على ما يبدو، لتناول الخروع. تقولين إنك تحسدينني على طباعي. أقول لك طبعي حاد بالفطرة، وأنا سريع الانفعال، وما إلى ذلك. إلا أنني تعودت على ضبط النفس، فلا يليق بالإنسان السوي أن يفقد رشده. في الماضي كنت أقوم بتصرفات لا يفهمها إلا الشيطان. فإن جدي، من حيث المعتقد، من الأقنان الروافض.

البراعم على أشجار اللوز ابيضّت، وسوف تتفتح. اليوم الجو دافئ، تمشيت في الحديقة.

الملل يضايقني بغيابك يا عزيزتي الغالية! أشعر بأنني أحمق في وحدة قاتلة. أبقى جالساً بلا حراك لأمد طويل، ولا يعوزني سوى تدخين غليون طويل. سأبدأ بتأليف المسرحية في ٢١ فبراير. أنت ستمثلين دور الغبية. فمن يؤدي دور الوالدة العجوز؟ من؟ سنكلف ماريا فيودوروفنا بهذا الدور.

جاءني الآن أناتولي سريدين. جلب القدح والشكولاتة وسمك الأنشوفة وربطة العنق. فشكراً، يا حبيبتي، شكراً! أقبّلك ألف مرة. وأعانقك مليون مرة.

أتعرفين؟ أظن أن رسالة (مقالة) صوفيا أندرييفنا تولستايا مزورة وليست حقيقية. يبدو أن شخصاً ما قد خطها للتسلية. على أية حال، أتمنى لك، يا فرحتي، هدوء البال والصحة.

المخلص أ.

٣٢٢. إلى إغناتي بوتابينكو

يالطا، ٢٦ فبراير ١٩٠٣

مرحباً، عزيزي إغناطيوس. ها نحن نتراسل من جديد! نعم، معك حق، أنا في يالطا فعلاً، وسأبقى هنا، على الأرجح، حتى ١٠ - ١٥ أبريل، ثم أسافر إلى موسكو، ومنها إلى الخارج. وإذا حصل وكنتَ لا تعرف أين أنا اكتب إلى المسرح الفني في موسكو، ومنه يوصلون الرسالة إليّ.

والآن أتناول قضية المجلة (بوتابينكو ينوي إصدارها). أولاً- أنت لم تكتب عن واجباتي كناشر. فيم تتلخص؟ بخصوص المال تقول إنك لست بحاجة إليه. ثم إنني لا استطيع أن أقيم في بطرسبورغ، وبالتالي لن أكون قادراً على المشاركة في القضية ولا على التأثير فيها. علماً بأنني سأقيم في الخارج طوال فصل الشتاء القادم. ثانياً- في شؤون الطباعة أنا لا أعترف بأية دساتير. رئاسة تحرير المجلة ينبغي أن تناط بشخص واحد، مالك واحد بإرادة محددة واحدة. ثالثاً- مامين - سيبيرياك وفاسيلي نيميروفيتش- دانتشينكو كاتبان موهوبان ومن أروع الناس، لكنهما لا يصلحان لوظيفة المحرر. رابعاً- أنا مستعد للتعاون معك دوماً. تلك مسألة مفروغ منها.

لا يزال في الوقت متسع حتى العام ١٩٠٤. وسنتكاتب ونتداول في الأمر، ولربما ستقنعني بأنني على خطأ.

لا يمكنني أن أتباهى بصحة البدن. طوال فصل الشتاء كنت أمرض بين الحين والآخر. يلاحقني السعال وذات الجنب. أما الآن فكأن صحتي لا بأس بها، حتى أنني شرعت بالكتابة وكتبت بالفعل قصة («العروس»). وأنت، كيف حالك؟ هل أنت نحيل أم بدين؟ أنا أتذكرك دوماً بمشاعر المودة الطيبة الدافئة. أهلي كلهم بخير، وليست هناك تبدلات تستحق الذكر، اللّهم إلا زواجي. إلا أن الزواج في مثل سني أمر غير ملحوظ، كشعر الأصلع.

أشدّ على يدك وأعانقك بحرارة.

المخلص أ. تشيخوف

٣٢٣. إلى ألكسندر سومباتوف - يوجين

يالطا، ٢٦ فبراير، ١٩٠٣

عزيزي ألكسندر إيفانوفيتش! شكراً جزيلاً على الرسالة. أوافقك أن الحكم على غوركي صعب. ولا بد من الخوض في الكم الكبير مما يُكتب ويقال عنه. أنا لم أشاهد مسرحيته «الحضيض» ومعرفتي بها قليلة. ولكن تكفيني قصص مثل «رفيقي» و«تشيلكاش» لكي أعتبره كاتباً ليس صغيراً أبداً. «فوما غوردييف» و«الثلاثة» لا تستحقان القراءة. فهما رديئتان. وحتى «البرجوازيون الصغار»، في رأيي، من مستوى تلاميذ المدارس الثانوية. إلا أن فضل غوركي ليس في كونه يعجبني. فضله أنه أول من تحدّث، في روسيا وفي العالم، باحتقار واشمئزاز عن البرجوازية الصغيرة. تحدّث بهذه اللهجة تحديداً في وقت بات فيه المجتمع مهيّأً لمثل هذا الاحتجاج. فالبرجوازية الصغيرة، من وجهة النظر المسيحية والاقتصادية، ومن أية وجهة نظر أخرى، إنما هي شر مستطير. إنها كالسد على النهر تؤدي دوماً مهمة الركود. وهاهم الفقراء، رغم كونهم غير مهذبين ورغم إدمانهم على المسكرات، إنما يمثلون الوسيلة الكفيلة، على ما يبدو، لفتح ثغرة خطيرة في ذلك السد إن لم يكن كسره وتفجيره. لا أدري هل ما أقوله مفهوم. أعتقد أنه سيأتي زمان ينسى الناس فيه مؤلفات غوركي، لكنه نفسه من المستبعد أن يطويه النسيان. حتى بعد ألف عام. هذا ما أعتقده، أو ما يخيل إليّ، ولربما أنا على خطأ.

هل أنت في موسكو الآن؟ ألم تسافر إلى نيس ومونت كارلو؟ أنا كثيراً ما أتذكر سنوات شبابنا معك، حيث كنا نجلس سوية ونلعب الروليت. وبوتابينكو أيضاً. على فكرة، اليوم استلمت منه رسالة. يريد إصدار مجلة، يا لغرابة أطواره!

أشدّ على يدك بحرارة، وأتمنى لك الصحة والتوفيق.

المخلص أ. تشيخوف

٣٢٤. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ٢٣ مارس ١٩٠٣

عجوزي العزيزة!

(. . .) ثم تقولين إنني أسألك مجدداً عن مسرحيات تورغينيف وإنكِ قد كتبت عنها وإنني أنسى مضامين رسائلك. كلا، يا عزيزتي، أنا لا أنسى شيئاً، إنني أقرأ رسائلك عدة مرات، والمشكلة أن الفاصل الزمني بين رسالتي وردّك عليها يطول كل مرة لا أقل من عشرة أيام. مسرحيات تورغينيف قرأتها كلها تقريباً. «شهر في القرية» لم تعجبني. وقد كتبت لك عنها. ولكنّ «اللقّام» (أو«المعتاش») التي ستعرضونها لا بأس بها، لا عيب فيها. . . وستحقق نجاحاً مرموقاً (لم تعرض على خشبة المسرح الفني إلا في عام ١٩١٢). ثم إن (ملهاة) «امرأة من البلدة» تحتاج إلى بعض الاختصار، أليس كذلك؟ الأدوار فيها جيدة.

طوال الشتاء لم أعانِ من البواسير. وأنا اليوم بمثابة مستشار من حمَلة الألقاب. الطقس رائع. كل الأشجار مزهرة. الجو دافئ ساكن ولا أمطار. أخشى أن تذوي المزروعات. تقولين في رسالتك إنك ستحتضنينني ثلاثة أيام بلياليها. فكيف نتناول الطعام أو نحتسي الشاي والحال هذه؟

استلمت رسالة من نيميروفيتش، فشكراً جزيلاً له. لن أرد عليها، لأني كتبت له مؤخراً.

إذن، أتمنى لك الصحة، يا كلبة بيتي! بخصوص غوركي كتبت لك. كان في زيارتي وكنت في زيارته. صحته لا بأس بها. لا أستطيع أن أبعث لك قصة «العروس»، لعدم توفرها لديّ. ستقرئينها قريباً في «مجلة الجميع». لقد سبق أن كتبت أقاصيص من هذا النوع. عدة مرات. ولذا لن تجدي فيها جديداً.

هل يمكنني أن أقلبك رأساً على عقب ثم أهزك ثم أحتضنك ثم أعض طرف أذنك؟ ممكن، يا روحي؟ اكتبي، وإلا سأقول عنك: حقيرة.

المخلص أ.

٣٢٥. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ٢٤ مارس ١٩٠٣

عزيزتي، لا تنسي أن تلتقي موديست تشايكوفسكي في بطرسبورغ وتطلبي منه، نيابة عني، أن يعيد لي رسائل بيوتر تشايكوفسكي التي أخذها مني لأجل كتابه عن أخيه «حياة بيوتر إيليتش تشايكوفسكي». (. . .)

(ملهاة تورغينيف) «الحبل ينقطع في أضعف موضع» كتبت في وقت لا يزال واضحاً فيه كل الوضوح تأثر أفضل كتابنا ببايرون وليرمونتوف وشخصية بيتشورين («بطل زماننا»). ذلك أن غورسكي نسخة من بيتشورين. ضحل وتافه، لكنه نسخة من بطل ليرمونتوف على أية حال. والمسرحية قد لا تكون ممتعة. وهي طويلة بعض الشيء. وقد تكون مهمة فقط كأثر من آثار العهود الغابرة. ولربما أكون خاطئاً. نعم، محتمل أن أكون خاطئاً. فمهما كان موقفي تجاه «الحضيض» سلبياً في الصيف حققت هذه المسرحية نجاحاً مذهلاً. أنا لا أصلح للتحكيم.

سنلتقي قريباً، قريباً جداً، يا عجوزي العزيزة الغالية. سأعانقك وألاطفك وأتمشى معك في بتروفكا.

أهتف مهللاً معجباً بنجاحاتك، وأبقى إلى الأبد زوجك المهجور الباهت الخافت.

أ.

«عالم الفن» تمتدحك، يا صغيرتي كنيبر. أرسلتُ لك اليوم عدد المجلة الذي يمتدحونك فيه. أنا أفتخر بك، يا روحي، أفتخر وأعتز.

٣٢٦. إلى فيكينتي فيريسايف (كاتب. اسم مستعار)

نارو- فومينسكويه، ٥ يونيو ١٩٠٣

عزيزي فيكينتي فيكينتيفيتش! تأخرت قليلاً في الرد. رسالتكم مع الصورة بحثتْ عني طويلاً، حتى وصلتني أخيراً في المنزل الريفي على عنوان نارو- فومينسكويه، محافظة موسكو.

شكراً جزيلاً. كتابكم («قصص» المجلد الأول) وصلني في الوقت المناسب تماماً، فليس لديّ ما أقرأه. أقرأ كتابكم ومدونة سرغي أكساكوف «سنوات الطفولة» بكل ارتياح.

زرت (الطبيب) البروفيسور أوسترأوموف، فوجد عندي انتفاخ الرئتين وذات الجنب وما إلى ذلك، بالإضافة إلى التآكل الشديد في الرئة اليمنى، ومنعني من المكوث في يالطا شتاءً وأمرني بأن أعيش في منزل ريفي بضواحي موسكو. وأنا الآن لا أدري إلى من يجب أن أنصت وماذا أفعل. زوجتي تبحث حالياً عن منزل في الريف.

أمارس القليل من الكتابة. اختصرت قصة «العروس» وأعدت كتابتها في مرحلة التصحيح الثاني (بعد ملاحظات فيريسايف على مسودة القصة).

أكرر شكري لكم وأشدّ على يدكم بحرارة.

المخلص أ. تشيخوف

(...)

٣٢٧. إلى شولوم عليهم (كاتب يهودي. اسم مستعار)

نارو- فومينسكويه، ١٩ يونيو ١٩٠٣

سولومون نعوموفيتش المحترم

استلمت رسالتكم يوم أمس، الثامن عشر من يونيو.

أنا الآن لا أكتب عموماً أو أكتب النزر القليل. ولذا أعدكم ليس بالتأكيد أن أكتب قصة بكل سرور، إذا لم يمنعني المرض من ذلك. أما قصصي المنشورة فهي تحت تصرفكم بالكامل، وستكون ترجمتها إلى العبرية وإدراجها ضمن المجموعة المخصصة لغوث اليهود المتضررين في (مجزرة) كيشينيوف مبعث ارتياح كبير لي.

مع الاحترام الصادق من المخلص

أ. تشيخوف

٣٢٨. إلى اليكسي سوفورين

موسكو، ٢٩ يونيو ١٩٠٣

استلمت مجلد يجوف الذي بعثتموه لي، فشكراً جزيلاً. مجلدات يجوف السابقة (تورية يقصد بها أعداد مجلة «التحرير» الصادرة في الخارج والممنوعة في روسيا) سلمتها بعد قراءتها إلى متجركم في موسكو لكي يوصلها إليكم، وسأفعل الشيء ذاته مع هذا المجلد. لهجة «يجوف» رتيبة متماثلة تغدو مملة في الأخير، وكأنما نقرأ معجماً إنسكلوبيدياً. وستظل على هذه الحال ما لم تسعفها الكتابات الأدبية.

في السادس من يوليو أسافر إلى يالطا وسأبقى هناك، على الأرجح، حتى سبتمبر. الجو رائع في يالطا، المطر يتساقط كل يوم. شقيقتي معجبة جداً بالجو هناك. رسالة غوركي بخصوص (مجزرة يهود) كيشينيوف جيدة بالطبع شأن باقي كتاباته، إلا أنها من قبيل التوليف وليس التأليف، وتفتقر إلى روح الفتوة، وإلى القناعة الشخصية كما عند تولستوي. ثم إنها ليست بالإيجاز المطلوب (وزعت في روسيا بشكل منشور، وطبعت بمجلة «التحرير» في الخارج).

في كتبي التي أصدرها ماركس، في جميع المجلدات التسعة، قصص كثيرة لم يسبق لكم أن قرأتموها. ويضم المجلد العاشر (مدونة) سخالين، وسيصدر قريباً المجلد الحادي عشر الذي يضم ما كتبته من قصص في السنوات الأخيرة. عندما اشترى ماركس مؤلفاتي لم يكن يتصور أن قصصي بهذا الكم الكبير. وفيما بعد أعرب لي عن ارتياحه.

يبدو أنه كان يأمل في ثلاثة مجلدات أو أربعة.

أحيّيكم وأتمنى لكم كل خير. صحتي، إلى الآن، لا بأس بها، ولعلها رائعة، سوى أنني أشعر بثقل الصعود على مرتفع أو على السلم.

عنواني: يالطا.

احتراماتي وتحياتي إلى آنّا إيفانوفنا.

المخلص أ. تشيخوف

٣٢٩. إلى أليكسي سوفورين

نارو- فومينسكويه، ١ يوليو ١٩٠٣

أنتم الآن تقرأون الأدب، فاقرأوا، إذن، قصص فيريسايف. ابدأوا بقصة «ليزار». يخيل إليّ أنها سترضيكم تماماً. فيريسايف طبيب تعرفت عليه مؤخراً. وهو يترك في النفس انطباعاً طيباً جدّاً.

سأسلم مجلد يجوف (عدد مجلة «التحرير» الممنوعة في روسيا) إلى متجركم عندما أسافر عبر موسكو. المجلد التالي ابعثوه إليّ في يالطا، إن أمكن.

أنا أستحم في النهر (بضواحي موسكو).

وليست لديّ أخبار أخرى. كل شيء على ما يرام. أتمنى لكم موفور الصحة وكل الخيرات.

المخلص أ. تشيخوف

٣٣٠. إلى سرغي دياغيليف

يالطا، ١٢ يوليو ١٩٠٣

سرغي بافلوفيتش المحترم! تأخرت قليلاً في الرد على رسالتكم لأنني استلمتها ليس في نارو- فومينسكويه، بل في يالطا التي وصلتُها قبل أيام وسأمكث فيها حتى الخريف، على الأرجح. فكرت طويلاً بعد قراءة رسالتكم. ومهما كانت دعوتكم مغرية (لتولي مهمة تحرير القسم الأدبي من مجلة «عالم الفن») يتعين عليّ في آخر الأمر أن أرد بما لا أريده ولا تريدونه.

فأنا لا أستطيع أن أعمل محرراً في «عالم الفن» لتعذر الإقامة بالنسبة لي في بطرسبورغ، ولاستحالة نقل المجلة إلى موسكو. أما تحريرها برقياً أو بالبريد فهو غير ممكن، وليس هناك أي جدوى للمجلة من تواجدي فيها اسمياً كمحرر غير فعلي. هذا أولاً، وثانياً - كما أن اللوحة يرسمها رسام واحد والخطاب يلقيه خطيب واحد كذلك المجلة ينبغي أن يحررها محرر واحد. طبيعي أنني لست ناقداً، ولعل تحريري لقسم النقد يكون ضعيفاً. ومن جهة أخرى كيف أستطيع أن أتعايش

مع ميريجكوفسكي المؤمن تماماً إيمان المعلمين، بينما أنا فقدت إيماني من زمان وصرت أنظر بدهشة إلى كل مثقف مؤمن. أنا أحترم ميريجكوفسكي وأقدره كإنسان وكأديب. إلا أننا إذا كنا نحمل حملاً فإنما نتجه به إلى جهتين مختلفتين. ومهما يكن من أمر، سواء كان موقفي من القضية صائباً أو خاطئاً، كنت أعتقد دوماً، وأنا واثق الآن تماماً، أن المحرر يجب أن يكون واحداً لا يشاركه أحد، وأن «عالم الفن» بخاصة يجب أن يحررها شخص واحد. هذا هو رأيي، وأظن أنني لن أغيره.

لا تزعلوا مني أيها العزيز سرغي بافلوفيتش. يخيل إليّ أنكم لو حررتم المجلة خمس سنوات أخرى لوافقتموني في الرأي. ففي المجلة، كما في اللوحة أو الملحمة، يجب أن يكون هناك شخص واحد وإرادة واحدة. كانت الحال كذلك في «عالم الفن» حتى الآن. وكان ذلك أمراً جيداً ينبغي التقيد به.

أتمنى لكم كل خير، وأشدّ على يدكم بحرارة.

الجو في يالطا بارد، أو ليس قائظاً على أية حال. وأنا مبتهج.

تحياتي واحتراماتي لكم.

المخلص أ. تشيخوف

٣٣١. إلى فلاديمير كوروليِنكو

يالطا، ١٥ يوليو ١٩٠٣ (برقية تهنئة)

عزيزي الإنسان الرائع والرفيق الحبيب، أتذكرك اليوم (خمسينية كوروليِنكو) بشعور خصوصي من الامتنان. أنا مدين لك بالكثير. فشكراً جزيلاً. **تشيخوف**

٣٣٢. إلى قسطنطين ستانسلافسكي

يالطا، ٢٨ يوليو ١٩٠٣

عزيزي قسطنطين سرغييفيتش. يؤسفني جداً أنكم لم تأتوا إلى يالطا في الحال، فالطقس هنا جيد بشكل غير مسبوق، أنه رائع ولا أفضل منه. المطر يتساقط طوال

الصيف، والآن أيضاً الجو ليس قائظاً، ولا غبار هناك. الكساء الأخضر يغطي كل شيء.

مسرحيتي («بستان الكرز») ليست جاهزة. أتقدم فيها بصعوبة. والسبب هو الكسل والطقس الرائع وصعوبة الحبكة. سأكتب لكم، والأفضل برقياً، عندما تكون المسرحية جاهزة أو قبل ذلك. دوركم فيها لا بأس به، على ما أعتقد، مع أنني لا أستطيع أن أحكم عليه لأنني لا أفهم كثيراً في المسرحيات عموماً عندما أقرأها.

أولغا (كنيبر) بصحة جيدة، تستحم (في البحر) يومياً وتسهر عليّ. شقيقتي أيضاً في صحة جيدة. وكلتاهما تشكرانكم على التحية وتبلغانكم تحياتهما. يوم أمس التقيت الكاتب والمهندس ميخائيلوفسكي - غارين الذي سيتولى مهمة مد سكة حديد القرم (المشروع لم ينفذ). يقول إنه سيؤلف مسرحية.

أنا في صحة جيدة. بلّغوا تحياتي واحتراماتي إلى ماريا بتروفنا والأولاد، وكذلك يليزافيتا فاسيليفنا. أشدّ على يدكم بحرارة وأتمنى لكم موفور الصحة والعافية وأفضل ما في الدنيا.

المخلص أ. تشيخوف

لن أتلو عليكم مسرحيتي، فأنا لا أجيد التلاوة. سأكتفي بتقديمها لكم كي تقرأوها إذا فرغت من كتابتها طبعاً.

٣٣٣. إلى قسطنطين بالمونت

يالطا، ٥ أغسطس ١٩٠٣

عزيزي قسطنطين دميتريفيتش. أعيش حياة الشبع والتخمة والبطر كمتسكع يلاحقه الضجر. أنا الآن في يالطا، ولذا وصلتني «نشيد الشمس» بعد عشرة أيام من إرسالها (كي ينشرها تشيخوف في مجلة «الفكر الروسي»). أعتقد أن هذه من أجمل قصائدكم. ومع ذلك لن تمر دون أن يراها فكتور ألكساندروفيتش (غولتسيف). فأنا حتى الآن مجرد محرر معين، لا أقرأ المخطوطات. والأرجح أني سأقرأها وأقرر مصيرها ليس قبل العام القادم. (بدأ تشيخوف العمل محرراً للقسم الأدبي من المجلة

في الواقع في ربيع ١٩٠٣). سمعت أنكم ستصلون إلى يالطا في نهاية أغسطس. إذا صح ذلك فسنلتقي قريباً ونتحدث، وسأوضح كل شيء (بهذا الخصوص).

«نشيد الشمس» موجودة حالياً في موسكو، بعثتها مع رسالة.

قرأت «سنكون كالشمس» (ديوان بالمونت نشر في دار «العقرب»، موسكو ١٩٠٣)، وأعطيته للآخرين كي يقرأوه. تعذر عليّ أن أشكركم في حينه لأنني ما كنت أعرف عنوانكم وكنت أتصور أن الكتاب أرسله لي شخص آخر، فلم أجد عليه إهداءً منكم كما هي العادة.

ولكنْ لا بأس، الشكر واجب وإنْ تأخر. وأطأطئ رأسي لكم ممتناً ثلاث مرات.

تسألونني هل أكون في موسكو في سبتمبر. نعم. سأكون هناك.

أشدّ على يدكم بحرارة.

المخلص برجوازي صغير من ضاحية آوتا في يالطا

أ. تشيخوف

٣٣٤. إلى فلاديمير نيميروفيتش - دانتشينكو

يالطا، ٢٢ أغسطس ١٩٠٣

عزيزي فلاديمير إيفانوفيتش. مسرحية نايديونوف («النقود») جيدة. ولكن ينبغي إعادة كتابة بطلها الرئيسي كوبوروسوف ليأتي بصورة إنسان طيب ذي موقف محدد واضح. كما ينبغي تعديل المشهد والديكور لجهة المزيد من التواضع، بدون جهاز الهاتف وغيره من مظاهر الأبهة. /فالمشهد في المسرحية يثير توقعات لن تتحقق/، وينبغي أن لا يتحدث البطلان تبلوف والمعلمة في آخر الفصل الرابع عن النقود ولا يتبادلا الرسائل. إذا كان المشهد متواضعاً، ليس صارخاً، ولا يخدش السمع والبصر، بل هادئاً جداً وبتلاوين متواضعة، يمكن للمسرحية أن تحقق نجاحاً كبيراً. هذا هو رأيي فيها بإيجاز.

أما بخصوص مسرحيتي أنا، «بستان الكرز»، فكل شيء حتى الآن على ما

يرام. أعمل رويداً رويداً، وإذا تأخرتُ عليكم قليلاً لن يكون ذلك مصيبة. فقد قلصتُ مقتضيات الإخراج في المسرحية إلى الحد الأدنى. ولا داعي لأية ديكورات مميزة. وما من موجب لاختراع البارود. صحتي حالياً جيدة جداً، لا أفضل منها. ولذا بوسعي أن أعمل. (. . .)

أتوقع أن أقضي فصل الشتاء في موسكو هذه المرة أيضاً. وسأكون سعيداً بمشاهدة «الحضيض» التي لم أر عرضها بعد. كما آمل في التمتع بمشاهدة «يوليوس قيصر». في الفصل الثاني من مسرحيتي استبدلت النهر بكنيسة صغيرة عتيقة مع بئر ماء. فهذا المشهد أهدأ. وأريد منكم أن توفروا لي في الفصل الثاني فقط مرجاً معشوشباً كما في الواقع مع درب يمتد إلى أبعاد غير معتادة بالنسبة لخشبة المسرح.

وليحفظك ربنا من كل سوء. قرأت رسالة أولغا، وأكرر هنا أنني أستحسن مسرحية نايديونوف، مع بعض التعديلات بالطبع. قليل من التعديلات لا أكثر.

أتمنى لك الصحة والبهجة والمرح. أعانقك.

المخلص أ. تشيخوف

٣٣٥. إلى سرغي نايديونوف (كاتب مسرحي)

يالطا، ٢٩ أغسطس ١٩٠٣

العزيز سرغي ألكساندروفيتش! شكراً جزيلاً على تذكركم لي وعلى المسرحية التي أرسلتموها. لم أرد عليكم طويلاً لأنني أنا نفسي مشغول الآن بتأليف مسرحية، ثم إنني كتبت إلى أحد معارفي رأيي في (مسرحيتكم) «النقود». أعتقد أن المسرحية رائعة وشخوصها أناس حيويون، وهي رشيقة وموجزة. ولكنني أحبذ تغيير العنوان، ليأتي بمزيد من البساطة، وكذلك جعل المشهد والديكور أكثر تواضعاً، بدون جهاز الهاتف والبهرجة التي تجعل القارئ أو المتفرج يتوقع شيئاً خارقاً للعادة. وحبذا لو جاءت شخصية كوبوروسوف إيجابية فقط، ليكون إنساناً طيباً بالفطرة يستحق الشفقة /عندما يرتدي، مثلاً، زي فاوست/. ولعل الأفضل تغيير اسمه وجعله يقع في غرام المعلمة الطيبة بدرجة أشد وإعفاء المعلمة المذكورة من لزوم الكلام عن النقود ومن

كتابة رسالة في آخر المسرحية. . . الخاتمة مع البواب جيدة جداً. مشهد فراشات الليل جيد. صورتا زوجة البطل وأبيها مكتملتان. في اعتقادي حبذا لو جاءت شخصيات موظفي الإدارة والتعاونية أكثر طيبة. المتفرج يتوقع من الأشرار على خشبة المسرح أفعالاً مهولة، وإلا فإن شخصياتهم لا ترضيه.

تقولون في رسالتكم إنكم تستعجلون في كتابة المسرحيات. فلماذا تستعجلون؟ لو كتبتم مسرحية واحدة كل خمس سنوات يكون ذلك كافياً.

جميع أهل بيتي قرأوا مسرحيتكم من دون إذن منكم. وقد أعجبت بها شقيقتي وزوجتي كل الإعجاب.

سأكون بموسكو في نوفمبر.

أفضل فصل في مسرحيتكم باعتقادي هو الفصل الثاني ثم الرابع. في الفصل الثاني ينبغي تحريك البطل لينمو في أنظار المشاهدين كرسام. مع إضفاء المزيد من الجرأة على شخصيته.

خبروني ماذا عليّ أن أفعل بالنسخة التي بعثتموها لي؟ هل أبقيها عندي أم أرسلها إلى جهة ما؟

أرسِلوا لي، إن أمكن، مسرحيتيكم «الرقم المنحوس ١٣» و«الابن الضال». وإذا تعذر ذلك فسأنتظر حتى نوفمبر على أمل اللقاء بكم.

أشدّ على يدكم بحرارة، وأتمنى لكم الصحة والتوفيق.

المخلص أ. تشيخوف

٣٣٦. إلى ماريا اليكسييفا

يالطا، ١٥ سبتمبر ١٩٠٣

العزيزة ماريا بتروفنا! لا تصدقوا ما يقال. مسرحيتي لم يقرأها أحد أياً كان. وقد خصصت لكم فيها ليس دور امرأة «وقحة سليطة»، بل دور فتاة لطيفة جداً آمل أن يرضيك (المقصود دور فاريا في «بستان الكرز»). أنا على وشك إنهاء كتابة المسرحية. إلا أنني مرضت قبل ثمانية أو عشرة أيام وانتابني السعال والهزال. باختصار بدأت حكاية العام الفائت. أما الآن، أي هذا اليوم، فقد تدفأ الجو،

وتحسنت صحتي قليلاً على ما يبدو. إلا أنني لا أستطيع الكتابة لأن الصداع يلاحقني. أولغا لن تجلب لكم المسرحية. سأوافيكم بفصولها الأربعة كاملة حالما تتوفر الفرصة مجدداً للكتابة على مدار اليوم. بالنتيجة أثمرت جهودي حالياً عن كوميديا وليس دراما، بل وحتى مهزلة في بعض المواضع. وأخشى أن يلومني عليها فلاديمير إيفانوفيتش (دانتشينكو). علماً بأن دور قسطنطين سرغييفيتش (ستانسلافسكي) في المسرحية كبير (المقصود دور لوباخين). وعلى العموم الأدوار قليلة.

لن أتمكن من المجيء لحضور البداية. سأظل في يالطا حتى نوفمبر. أولغا ستصل إلى موسكو، على الأرجح، يوم الأحد بعد أن تحسنت صحتها واكتنز بدنها هنا خلال الصيف. سأبقى وحدي. وبالطبع سأنتهز هذه الفرصة. فأنا، كمؤلف، بحاجة إلى تعقب أكبر عدد ممكن من النساء ودراسة سلوكهن، ولذا لا يمكنني، للأسف الشديد، أن أبقى زوجاً وفياً. وطالما أنا أتعقب النساء من أجل المسرحيات أساساً لذا يتعيّن على المسرح الفني، في اعتقادي، أن يزيد راتبَ زوجتي أو يخصص لها معاشاً تقاعدياً. (. . .)

أشكركم بلا حدود لأنكم تذكرتموني وكتبتم رسالة، تحياتي الخالصة وتشكراتي إلى إيغور وكيرا لأنهما يتذكرانني أيضاً. ولكن لا جدوى من فرحة كيرا بالكلب St. Bernard، فهذا الصنف من الكلاب يتميز بالطيبة، إلا أنه غير مريح وعديم الفائدة، خلافاً لصديقي تسيغان (الغجري). قبل أيام اشتريت أنا أيضاً كلبة أحواش، واتضح أنها في منتهى الغباء.

إذا التقيتم فيشنيفسكي بلّغوه أن يقلل من وزنه. هذا ضروري لمسرحيتي (كان تشيخوف يريد لفيشنيفسكي أن يمثل دور غايف، إلا أن هذا الدور بات في التوزيع الأخير من نصيب ستانسلافسكي وظل الممثل فيشنيفسكي بلا دور في «بستان الكرز»). وإلى ذلك أتمنى لكم موفور الصحة والسعادة والبهجة. وليحالفكم النجاح في كل شيء. كما أتمنى عليكم أن تدعوا لي بالشفاء العاجل لأمارس عملي. تحياتي الخالصة إلى قسطنطين سرغييفيتش وحميع رفاقكم ورفيقاتكم.

أقبّل يدكم.

المخلص أ. تشيخوف

٣٣٧. إلى يفغيني تشيريكوف
(كاتب مسرحي)

يالطا، ٧ أكتوبر ١٩٠٣

عزيزي يفغيني نكولايفيتش. تذكرناكم قبيل وصول رسالتكم وكأننا على موعد. أنا بحاجة إليكم. زوجتي كتبت لي عنكم، والأهم أني سمعت الكثير عن (مسرحيتكم) «اليهودي». كتبت إلى غوركي وطلبت منه أن يزودني بها. والآن أرجوكم كل الرجاء أن تبعثوها لي دون أن أنتظر موعد لقائنا في موسكو. أرسِلوها، يا عزيزي، وسأقرأها وأكتب لكم في الحال. أنا في الحقيقة لا أفهم المسرحيات إلا على خشبة المسرح، ولذا لا أحب قراءتها. أما «يهوديكم» فسأقرأها باهتمام وأعوض عن غياب الخشبة بتصوراتي الشخصية، فلعلني أخرج بنتيجة من قراءتي. إذا كانت المسرحية ناجزة وأنتم راضون عنها فكيف لا تأخذ طريقها إلى خشبة المسرح؟ وما المانع من محاولة عرضها؟ أو على الأقل ترجمتها إلى اللغة الألمانية؟ أرسِلوها لي، ولربما نجد وسيلة ما. (لم يكن تشيريكوف يأمل في عرض مسرحيته «اليهودي» في روسيا).

أولغا ليوناردوفنا كتبت لي عن النجاح الباهر الذي حققته «يوليوس قيصر». وأنا أتصور مدى الضجة التي أثارتها في المسرح!

بخصوص القصة المطلوبة للمجموعة كتبت إلى غوركي بأني سأبلغه في العشرين من أكتوبر الحالي عما إذا كنت سأستطيع كتابتها أم لا. أما الآن فليس لدي ما أتباهى به سوى الإسهال والسعال. (. . .)

أشكركم على الصورة وأشدّ على يدكم بحرارة. كما أشكركم بكل اعتزاز على ميلاد نوفيلا. يا إلهي، ما أشدّ أسفي الآن، في سنوات الشيخوخة، لأنني لم أنجب بنتاً. وما أسعدكم، يا عزيزي. سأعطيكم صورتي عندما نلتقي في موسكو. في البداية ينبغي أن آخذها من (المصور) أوبيتس. أو أرسل لكم صورة لا بأس بها من رسم طبيبنا في يالطا الدكتور سريدين إذا التقيته قريباً وإذا كان ميّالاً إلى العمل. (. . .)

إذن أنا أنتظر «اليهودي». لدي «مسرحياتكم» المطبوعة في دار «المعرفة» ونسخة

تنضيد من «أصدقاء المصارحة». إذا كان من اللازم أن أعيد إليكم «اليهودي» بعد قراءتها فسأعيدها من دون إبطاء.

أتمنى لكم الصحة والبهجة وأشدّ على يدكم وأقبّلكم بحرارة.

المخلص أ. تشيخوف

٣٣٨. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ١٤ أكتوبر ١٩٠٣

لماذا تتذمرين، يا عجوز؟ أنا نفسي دعوت (الطبيب) آلتشولر لأنني شعرت بتدهور، وقد مللت من الركاض. أمرني بتناول ٨ بيضات في اليوم مع قديد لحم الخنزير المفروم. ولا علاقة لماشا بذلك إطلاقاً. أنا بدونك عاجز تماماً وكأنني في جزيرة غير مأهولة.

أرسلت إليك المسرحية أخيراً. ستستلمينها، على الأرجح، في وقت وصول هذه الرسالة. وأرفق مظروفاً اقرئيه بعد الاطلاع على المسرحية. (يضم المظروف مخطط توزيع أدوار «بستان الكرز» على ممثلي المسرح الفني بموسكو. انظر التوزيع في آخر هذه الرسالة). أبرقي لي حالما تقرئين المظروف. سلميه إلى نيميروفيتش وبلّغيه أن يبرق لي هو أيضاً، لأعرف رأيه. واطلبي منه أن تبقى المسرحية سراً بيننا، كيلا تقع في يد أفروس وغيره قبل عرضها في المسرح. فأنا لا أحب نافل الكلام.

رسائلك ليست بهيجة. أنت مكتئبة. هذا شيء غير محمود، يا روحي. واليوم أصلاً لم أستلم منك رسالة. إذا كان قد حصل في المسرح ما لا يرام فالفشل أمر طبيعي، وسيحصل حتماً على مدار عام أو عامين يتلقى المسرح خلالهما الإخفاق تلو الإخفاق. ولا بد من التحمل وقوة العزيمة. في السنوات الماضية كان ستانسلافسكي قوي العزيمة، أما الآن فقد تزحزح من مكانه واستسلم للاكتئاب.

صحتي جيدة. قبل ثلاثة أيام شعرت بألم في المعدة مساءً، ويوم أمس طوال النهار، أما اليوم فكل شيء على ما يرام. تخليت اليوم عن البيض، سآكل نصف الكمية. أمس زارني آلتشولر. بعد المعاينة سمح لي بالذهاب إلى المدينة. ألم تملّي من كتاباتي الطبية؟ هل يعقل أنك لم تملّي منها؟

علمت أن خطوط البرق معطلة من موسكو حتى خاركوف. برقيتي تتأخر كثيراً. غداً أشرع بكتابة قصة من دون استعجال. (بعد «العروس» لم تنشر لتشيخوف قصص جديدة، وأرشيفه يضم العديد من مخطوطات الأقاصيص غير المكتملة). لا أصدق بأنني لم أعد أكتب مسرحية. هل تتصورين أنني أبيّض المسودة مرتين؟ زوجك شاخ، وإذا عقدتِ علاقة مع أحد المولّهين بك لن يكون من حقي الاعتراض.

إذا فكرتم في إخراج مسرحية جديدة اكتبي لي، يا عزيزتي. اكتبي عن كل شيء.

أتمنى لك الصحة والعافية، يا فرسي. اقرئي المسرحية. اقرئيها باهتمام. فعندي فيها فرس أيضاً.(في الفصل الثالث). أباركك، وأعانقك مراراً وتكراراً. في أمان الله!

المخلص أ.

١) دور لوبوف أندرييفنا (رانيفسكايا، صاحبة البستان) تمثلينه أنت، فلا أحد غيرك يمثله. ثيابها ليست فاخرة، لكنها على ذوق رفيع. وهي ذكية، طيبة القلب، ومشتتة التفكير. تلاطف الجميع ولا تفارق الابتسامة محياها.

٢) دور آنّا يجب أن تؤديه ممثلة شابة.

٣) دور فاريا ربما تأخذه ماريا بتروفنا.

٤) دور غايف مخصص من أجل فيشنيفسكي. اطلبي منه أن يستمع إلى لاعبي البليارد ويسجل أكبر عدد ممكن من مصطلحاته. أنا لا ألعب البليارد، والأصح كنت ألعبه لكنني نسيت الآن كل ما يتعلق به. وما كتبته عنه في المسرح جاء كيفما اتفق. سنبحث الموضوع مع فيشنيفسكي فيما بعد وأنقح ما كتبته.

٥) دور لوباخين يؤديه ستانسلافسكي.

٦) يؤدي كاتشالوف دور الطالب تروفيموف.

٧) يؤدي غريبونبن دور سيميونوف.

٨) دور شارلوتا عليه علامة استفهام (. . .) يجب أن تؤديه ممثلة ميالة إلى الفكاهة.

٩) لوجسكي ربما لن يرفض تمثيل دور يبيخودوف.

١٠) دور فيرس للممثل أرتيوم.

١١) دور ياشا للممثل موسكفين. (حصلت تعديلات جذرية على هذا التوزيع فيما بعد).

إذا تمت الموافقة على عرض المسرحية بلّغيهم بأنني سأجري عليها كل التعديلات المطلوبة للتقيد بمستلزمات المسرح. فلدي متسع من الوقت لهذا الغرض، رغم أنني، في الحقيقة، مللت جداً من هذه المسرحية. وإذا كان فيها غموض اكتبي لي أيضاً.

المنزل عتيق، من منازل أصحاب الأطيان. كان نزلاؤه في زمن ما أثرياء جداً. وينبغي أن يتجلى ذلك في الديكور. كل أسباب الراحة والثراء.

فاريا شخصية على قدر من الخشونة والغباء. إلا أنها في منتهى الطيبة.

٣٣٩. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ١٧ أكتوبر ١٩٠٣

فرسي (العزيزة)! كنت في المدينة يوم أمس. حلقت شعري واستعدت شبابي بمقدار ثماني سنوات. واليوم جلست طويلاً في البستان، إلى أن حجب الضباب الشمس.

تلقيت برقية من غوركي يطلب فيها مني مسرحية لمجموعته (التي ستصدر عن دار «المعرفة») ويعرض عليّ ١٥٠٠ روبل للملزمة. ولا أدري كيف أجيبه. أولاً لأنني لم أتلقَّ بعد رداً من موسكو، وثانياً- شروط العقد مع ماركس تنص على أنني يمكن أن أقدم كتاباتي فقط للمطبوعات الدورية / الصحف والمجلات/ أو للأغراض الخيرية.

في المسرحية («بستان الكرز») ينبغي إجراء تعديل طفيف لن يستغرق مني، على ما أعتقد، أكثر من ربع ساعة. وذلك في الفصل الرابع والفصل الثاني. وربما تغيير بضع كلمات في آخر الفصل الثالث. وإلا فثمة شبه بينه وبين خاتمة «الخال فانيا».

إذا كانت المسرحية لا تصلح للعرض الآن فلا تحزني، يا فرسي، ولا تشغلي بالك. فبعد شهر يمكن أن أغيّرها جذرياً. لقد أمضيت وقتاً طويلاً وثقيلاً في تأليفها، مع فترات انقطاع، وأنا أعاني من الإسهال والسعال.

الطاهية تعد الطعام في المطبخ حسب الجدول المقرر. كل شيء على ما يرام. (خادمنا) أرسيني يجلس قرب الجدة بلا مبالاة، ولا يكاد يعمل.

اكتبي لي عن مدى الإقبال على «يوليوس قيصر». (...). أنتظر برقية (من المسرح الفني) بفارغ الصبر. أعانقك، يا حبيبتي.

المخلص أ.

٣٤٠. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ٢١ أكتوبر ١٩٠٣

فرسي الجميلة!

(...) موروزوف إنسان طيب. ولكن لا ينبغي السماح له بالتدخل في جوهر الأمور. فهو يستطيع أن يحكم على الأداء وعلى المسرحيات وعلى الممثلين كما يحكم عليهم الجمهور وليس بصفة صاحب المسرح أو مخرج فيه.

استلمت اليوم برقية من ستانسلافسكي يصف فيها مسرحيتي بأنها نتاج عبقري. ويعني ذلك أنه يبالغ في مدحها وينتزع منها أكثر من نصف النجاح الذي يمكن أن يحققه عرضها في ظروف موفقة. نيميروفيتش لم يرسل لي بعد قائمة الممثلين المشاركين في المسرحية، إلا أنني مع ذلك أخشى ما أخشاه (بهذا الخصوص...).

صحتي لا بأس بها، مع أن السعال لم يتوقف، بل هو أكثر مما كان في مثل هذا الوقت من العام الفائت.

سأصل (موسكو) في أوائل نوفمبر. وستلتحق بي الوالدة في منتصف الشهر أو في أواخره. فهي تشعر بملل شديد هنا.

ألكسندر بليشييف سيصدر في بطرسبورغ مجلة مسرحية (أسبوعية صدرت في يناير ١٩٠٤) على غرار «المسرح والفن». وسينافس كوغيل في هذا المضمار. أنا سأزوده بتمثيلية من فصل واحد في يناير لينشرها في المجلة المرتقبة. أنا أرغب من زمان في كتابة تمثيلية فكاهية أكثر غباءً.

متى تبدأ بروفات مسرحيتي؟ اكتبي لي يا روحي، ولا تجعليني أطيل الانتظار.

برقيتك كانت قصيرة للغاية، فحاولي الآن أن تكتبي بمزيد من التفصيل. فأنا هنا كما في المنفى. (. . .)

مدموازيل صوفيا بونيه (من معارف تشيخوف في يالطا) تنوي السفر إلى موسكو. وقد جهزت فستاناً أبيض لتزور به المسرح الفني خصيصاً.

يا إلهي، متى أستلم رسالتك؟ أريد أن أقرأ شيئاً عن مسرحيتي بفارغ الصبر إلى درجة ستفهمينها لو أنك عشت في سيبيريا الدافئة (الجرداء) هذه. على أية حال أخذت أتعود على يالطا، ولعلّي سأتعلم العمل هنا.

إذن، يا فرسي الهنغارية الطيبة، أعانقك. وأقبّلك بحرارة. لا تنسي أنني زوجك، على أية حال، ولي الحق في جلدك بالسوط.

المخلص أ.

(تعقيب) كتب تشيخوف من يالطا إلى زوجته بأسلوبه المرح المعتاد في ٢٦ مارس ١٩٠٤: «بلغني أنك كأنما تنوين الطلاق. هل هذا صحيح؟ فمن سيضربك ويعاقبك يا ترى؟ مع من ستنامين في الصيف؟ ليتك تفكرين في الأمر أولاً!»

٣٤١. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ٢٥ أكتوبر ١٩٠٣

فرسي العزيزة، هذا النهار أعادت «رسول القرم» و«أنباء أوديسا» نشر مقالة أفروس (عن «بستان الكرز»، حيث شوّه الكاتب مضمون المسرحية) بجريدة «أخبار اليوم». وسوف يكرر الرجل نشر مقالته في جميع الصحف الأخرى. ولو كنت أعلم أن تصرّف أفروس سيؤثر في نفسي هذا التأثير العميق لما سلمت مسرحيتي إلى المسرح الفني. يخيل إليّ أنهم سقوني ماء الغسيل وصبّوه على رأسي.

لم أستلم من نيميروفيتش حتى الآن الرسالة التي وعدني بها. ثم إنني لا أنتظرها بفارغ الصبر. فقد تعكر مزاجي لتصرف أفروس، وانتابني فتور لم أعد أشعر من خلاله بغير الانزعاج الشديد. (. . .)

في رسالة سابقة إليكِ أبديتُ رأياً سلبياً بمسرحية تشيريكوف «اليهودي» (. . .).

إلا أنني قرأتها مساء أمس ورأيت أنها مكتوبة بمستوى لا بأس به. يمكن أن نضعها فوق المتوسط. (...)

أنا لم تعد لي علاقة مع أفروس.

آكل كثيراً. بلّغي ماشا بأن شقيق أرسيني /ويسمّونه في مطبخنا بيتونكا/ عاد ويقيم عندنا في المطبخ ذاته. إنه بستاني ممتاز. ألا يحتاج إليه أحد من معارفكِ؟ خبري موروزوفا أن هذا البستاني خريج دورة وهو شاب نزيه غير مدمن يستطيع أن يغرس بستاناً رائعاً /من الفاكهة وليس الزهور/. ألا تريد أن يكون لها بستان زاهر فسيح؟ أقول ذلك جاداً. بلّغيها. أنا أتكفل بذلك، لأنني أفهم كثيراً في هذا المضمار. فلا تفوّت الفرصة.

ماركس أرسل لي برقية يطلب فيها عدم نشر «بستان الكرز».

الجو غائم بارد.

إفراز البروتين عند سريدين كثير. وذلك مؤشر سيئ. الفحوص الأخيرة لم تكشف عن البروتين عندي. كل عام نفحصه. إلا أنني أسعل أكثر وأسوأ من السنوات الفائتة.

أوراق الأشجار لم تتساقط بعد. اشتريت كافيار ورنكة وزوري، ونسيت أن أشتري سمك الأنشوفة. عندما ترسل ماشا جزمة للجدة ارفقي بها هذا السمك. معذرة، لا داعي لإرساله، تلك زلة قلم. الأنشوفة متوفر في متجر كيوب عندنا.

أقبّلك وأعانقك، يا فرسي. داريني برسائلك. أحبك.

المخلص أ.

٣٤٢. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ٣٠ أكتوبر ١٩٠٣

هل لاحظتِ نوعية الورق الذي أكتب لك عليه، يا فرسي؟ أنا لا أفهم شيئاً فيما يخص انتخابي في جمعية هواة الأدب. إذا كانوا قد انتخبوني لرئاسة الجمعية فلماذا بصورة وقتية؟ وإذا كان انتخابي مؤقتاً فلأي فترة؟ والأهم أنني لا أعرف لمن عليّ أن

أوجه شكري ولمن أكتب. استلمت قبل أيام تبليغاً من المدعو (سكرتير الجمعية فلاديمير) كالاش مكتوباً بخط مشوش على ورقة عادية يبدو أنها غير رسمية. وأنا لا أعرف اسم كالاش هذا ولا عنوانه. وإلى الآن لم أبعث تشكرات على انتخابي.

ستانسلافسكي سيكون ممتازاً وأصيلاً في دور غايف، فمن سيمثل دور لوباخين يا ترى؟ علماً بأن هذا الدور أساسي في المسرحية. وإذا أخفق أداء هذا الدور تخفق المسرحية برمّتها. ينبغي أن يمثل دور لوباخين ليس شخص مصياح، وليس لزاماً أن يكون تاجراً. إنه إنسان رقيق المعشر. غريبونين لا يصلح لهذا الدور. فهو يصلح لدور بيشيك. حذارِ أن تعطوا دور بيشيك لفيشنيفسكي. إذا لم يمثل فيشنيفسكي دور غايف لن يبقى له دور في مسرحيتي. قولي لهم هذا الكلام. ثم ألا يريد فيشنيفسكي أن يجرب دور لوباخين؟ سأكتب إلى قسطنطين سرغييفتش بهذا الخصوص. استلمت منه رسالة أمس.

في عدد «المواطن» لهذا اليوم يلومون المسرح الفني على أداء «يوليوس قيصر».

إذا كان موسكفين يريد أن يمثل دور يبيخودوف (في «بستان الكرز») فسأكون سعيداً. ولكن ماذا يبقى من أجل لوجسكي؟

سأفكر قليلاً، وأظن أني سآتي إلى موسكو. فأنا أخشى أن يوزع نيميروفيتش الأدوار لاعتبارات سياسية (...)

أنا أشعر بالملل، ولا أقوى على العمل. الطقس غائم بارد، وفي الغرف دفء الأفران...

يتضح أنني عبثاً استعجلت في إنهاء المسرحية. كان يمكن أن أعمل عليها شهراً آخر.

ما أصعب تقليم أظافر اليد اليمنى. عموماً الأمور صعبة عليّ بدون زوجتي.

(...)

هل استلمتِ الخزامى؟ بأي حال وصلتْ. إذا كانت جيدة فسأرسل المزيد منها.

أقبّلك، يا صرصاري. أريدك مبتهجة.

المخلص أ.

٣٤٣. إلى قسطنطين ستانسلافسكي

يالطا، ٣٠ أكتوبر ١٩٠٣

عزيزي قسطنطين سرغييفيتش. شكراً جزيلاً على الرسالة وعلى البرقية. الرسائل الآن باتت عزيزة عليّ، لأنني، أولاً، وحيد معزول. وثانياً- كنت قد أرسلت المسرحية قبل ثلاثة أسابيع، ولم أستلم رسالة منكم إلا يوم أمس. ولولا زوجتي لما عرفت شيئاً ولتصورت كل ما يمكن أن يحشو دماغي لا على التعيين. عندما كتبتُ شخصية لوباخين كان في ذهني أن تؤدوا أنتم هذا الدور. وإذا لم ترغبوا في ذلك، لسبب ما، خذوا دور غايف. صحيح أن لوباخين تاجر، إلا أنه إنسان شريف من جميع النواحي. وهو ينبغي أن يتصرف بما يدل على الكرامة والتهذيب والسخاء من دون مفارقات ولا تهريج. ولذا خيل إليّ أن هذا الدور الرئيسي في المسرحية كان سيأتي رائعاً في أدائكم له. وإذا اخترتم غايف أوكلوا دور لوباخين إلى فيشنيفسكي. وسيكون لوباخين، والحال هذه، ليس نموذجاً فنياً، لكنه لن يكون ضحلاً أو ضئيلاً. لوجسكي في هذا الدور سيبدو أجنبياً فاتراً بارداً، فيما يحوله ليونيدوف إلى تاجر ريفي متحشف. عندما تختارون ممثلاً يؤدي هذا الدور خذوا بنظر الاعتبار أن فاريا، تلك الفتاة الجادة المتدينة، أحبت لوباخين، وهي لا يمكن أن تحب تاجراً ريفياً جلفاً.

أنا راغب جداً في السفر إلى موسكو، لكنني لا أعرف كيف أتملص من هنا. البرد يشتد، وأنا لا أغادر المنزل تقريباً. لقد نسيت الهواء الطلق. وينتابني السعال. أنا لا أخشى موسكو ولا الرحلة إليها، أنا أخشى الانتظار في سيواستوبول ما بين ساعتين إلى ثماني ساعات برفقة مجموعة مملة جداً من المسافرين.

اكتبوا لي أي دور ستختارون. زوجتي أبلغتني أن موسكفين يريد أن يمثل دور ييبخودوف. جيد جداً. المسرحية ستغتني بهذا القرار.

احتراماتي وتحياتي الخالصة إلى ماريا بتروفنا. أتمنى لها ولكم أسعد الأوقات. ولترافقكما الصحة والعافية والمرح.

أنا لم أر حتى الآن عرض «الحضيض» و«أعمدة المجتمع» و«يوليوس قيصر». ما أشدّ رغبتي في مشاهدتها.

المخلص أ. تشيخوف

لا أعرف عنوانكم الجديد، ولذا أكتب على عنوان المسرح.

٣٤٤. إلى فلاديمير نيميروفيتش - دانتشينكو

يالطا، ٢ نوفمبر ١٩٠٣

عزيزي فلاديمير إيفانوفيتش! في يوم واحد استلمت رسالتين منك، فشكراً جزيلاً! أنا لا أشرب الجعة. آخر مرة تناولتها كانت في يوليو، أما العسل فلا يصلح لي، إنه يؤذي المعدة. فلنتكلم، إذن، عن المسرحية.

١) دور آنيا يمكن أن تؤديه أية ممثلة ولو كانت غير معروفة، بشرط أن تكون فتية أشبه ببنت صغيرة تتكلم بصوت جهوري. هذا الدور ليس من الأدوار الرئيسية.

٢) دور فاريا أكثر جدية. حبذا لو تولّته ماريا بتروفنا (زوجة قسطنطين ستانسلافسكي). فبدونها يغدو هذا الدور سطحياً ثقيلاً ولا بد من تعديله، عندئذٍ، لجهة التخفيف. (. . .)

٣) حبذا لو جرّب قسطنطين سرغييتش دور غايف ودور لوباخين واختار أحدهما. وستحقق المسرحية نجاحاً لو أنه أختار لوباخين. (. . .)

٤) دور بيشيك للممثل غريبونين. حذارِ أن تسلموا هذا الدور إلى فيشنيفسكي.

٥) دور شارلوتا مهم (. . .) وهو للسيدة كنيبر. (. . .)

شرلوتا تتكلم بلغة روسية سليمة، ليست ركيكة أبداً. سوى أنها تلفظ بعض الكلمات أحياناً بلكنة غير معتادة، وتخلط بين صيغتي المؤنث والمذكر في نطق الصفات. بيشيك عجوز روسي حطمه التقرس والشيخوخة والتخمة. وهو بدين يرتدي معطفاً خفيفاً مشدوداً عند الخصر وينتعل جزمة بلا كعب. لوباخين يرتدي صديرية بيضاء وجزمة خفيفة صفراء ويلوح بردنيه عندما يمشي في خطوات عريضة ويفكر متأملاً أثناء المشي في خط واحد مستقيم. شعره ليس قصيراً، ولذا كثيراً ما يحرك رأسه لجهة واحدة. ويمسد لحيته، أثناء التأمل، من الخلف إلى الأمام، من العنق لجهة الفم. دور تروفيموف لا يحتاج إلى توضيح على ما أعتقد. فاريا في فستان أسود بحزام عريض.

كنت طوال ثلاثة أعوام أنوي كتابة «بستان الكرز». وعلى مدار تلك الأعوام

الثلاثة كنت أقول لك أن تدعو ممثلة لأداء دور لوبوف أندرييفنا (رانيفسكايا). أما الآن فيتعين عليك أن تعالج توزيعاً لأدوار لا تريد أن تتوزع.

أنا حالياً في وضع محرج جدّاً. أجلس وحيداً لا أدري لماذا أجلس هنا. أما أنت فعبثاً تقول إنك تعمل. فالمسرح، على أية حال، هو «مسرح ستانسلافسكي». الجميع يتحدثون ويكتبون عنك وحدك، ولا يذكرون ستانسلافسكي إلا ويلومونه على دور بروتوس. إذا تركت (المسرح الفني) أنا أيضاً أتركه. غوركي أصغر منا سناً، ويعيش حياته هو. . . أما مسرح نيجني نوفغورد فهو قضية جزئية وقتية (بالنسبة لغوركي). سيجربه ويتشمم أجواءه ويتركه. على فكرة، المسارح الشعبية والأدب الشعبي مجرد حماقة. لا أكثر من سكاكر الحلوى. ينبغي أن لا نهبط بغوغول إلى مستوى الشعب، بل نرفع الشعب إلى مستوى غوغول.

ما أشدّ رغبتي في الذهاب إلى (مقصف) أرميتاج لأتناول طبقاً من الحفش وأشرب قنينة من النبيذ. في زمن ما كنت أشرب زجاجة شمبانيا وحدي دون أن أسكر. ثم أخذت أشرب الكونياك ولا أسكر.

سأكتب لك مرة أخرى. أما الآن فتقبّل تحياتي وتشكراتي. (. . .) أعانقك وأتمنى لك الصحة والعافية.

المخلص أ. تشيخوف

٣٤٥. إلى قسطنطين ستانسلافسكي

يالطا، ٥ نوفمبر ١٩٠٣

عزيزي قسطنطين سرغييفيتش! المنزل في المسرحية كبير من طابقين. ففي الفصل الثالث ثمة كلام عن سلم هابط إلى الأسفل. على فكرة، هذا الفصل، الثالث، يقلقني كثيراً. أفروس عرض مضمون المسرحية في «أخبار اليوم»، ثم زعم فيما بعد، في أحد الأعداد الأخيرة من الجريدة، /وبكل وقاحة/ أن أحداث الفصل الثالث «تجري في فندق». وفي رسالة بعثها لي فلاديمير إيفانوفيتش (دانتشينكو) يقول إن عرض أفروس لمضمون المسرحية «صحيح على العموم وبالخطوط العريضة».

يبدو أن لدي خطأً عفوياً في المسرحية. أحداث الفصل الثالث تجري في «غرفة الاستقبال» وليس في «الفندق» (المفهومان باللغة الروسية متقاربان لفظاً، والخلط الإملائي بينهما ليس مستغرباً). ولا بد من تصحيح هذا الخطأ الذي يشوه مغزى المسرحية، وقد صرت واثقاً من وجوده، بعد رسالة فلاديمير إيفانوفيتش.

المنزل ينبغي أن يكون خشبياً أو حجرياً كبيراً ومرموقاً. (. . .) وهو عتيق جداً وضخم لا يستأجره المصطافون عادة. هذه الدور تهدم في العادة وتستخدم موادها الإنشائية في بناء منازل صيفية للاستجمام. أثاث المنزل أثري فاخر، لم يتعرض لسلبيات المديونية والخراب. (. . .)

يبدو أن «يوليوس قيصر» (بعد عرضها للمرة الثامنة عشرة) أتعبتكم كثيراً. أما أنا فأحب هذه المسرحية، وسأشاهدها بكل ارتياح عندكم. لعل التمثيل فيها صعب، أليس كذلك؟ عندنا، في يالطا، يتحدثون عن نجاحها المذهل وغير المسبوق. وأظن أنكم ستظلون لأمد طويل تعرضون هذه المسرحية بقاعة مكتظة على الدوام.

استلمت منكم اليوم رسالتين أحداهما موجزة والأخرى أطول قليلاً. فشكراً جزيلاً. أشدّ على يدكم بحرارة. وأحيّيكم مع ماريا بتروفنا أجمل تحية متمنياً لكما موفور الصحة والعافية.

المخلص أ. تشيخوف

٣٤٦. إلى فلاديمير بيلوف (كاتب)

يالطا، ١٠ نوفمبر ١٩٠٣

فلاديمير لودفيغوفيتش المحترم! استلمت كتابيكم، على غير المتوقع، وكذلك رسالتكم، ولم أعد أعرف كيف أعبّر عن كامل امتناني القلبي الصادق لكم. شرعت بقراءة «أقاصيص لا غير» وأنهيتها كلها في جلسة واحدة تقريباً. في بعض هذه الأقاصيص العديد من المواضيع المطروقة، إلا أن فيها أيضاً جدة وطراوة بامتياز. وسأشرع اليوم بقراءة «القصص العاطفية».

صحتي متوعكة طوال الوقت. والشيخوخة تدب إليّ. أعاني من الملل هنا، في

يالطا، وأشعر بأن الحياة تمر بي مرور الكرام وأنني لا أرى الكثير مما يتعين عليّ أن أراه كأديب. الشيء الوحيد الذي أراه، وأفهمه لحسن الحظ، هو أن الحياة والناس في الطريق نحو الأفضل، نحو المزيد من الذكاء والفطنة والنزاهة. هذا فيما يخص الاتجاه الرئيسي، أما التفاصيل فقد اختلطت في بصيرتي وباتت تشكل بقعة أو فسحة بلون واحد هو الرمادي، لأنني لم أعد أرى كما كنت في السابق.

ناكروخين كان بالفعل كاتباً موهوباً. قرأت كتابه «طوبى نثرية». لكنه يصور فقط الجنينة الجميلة قرب المنزل، ويخشى دخول المنزل ذاته. أما بيجينسكي الذي أتيتم على ذكره فقد طواه النسيان، كما ينبغي أن يحصل في واقع الحال. إيفان شيغلوف /مؤلف القصص العسكرية/ طواه النسيان أيضاً.

أتمنى لكم موفور الصحة والسعادة. ألم تتزوجوا بعد؟ لماذا؟ لا مؤاخذة على هذا السؤال. قبل عامين أو ثلاثة تزوجتُ وأنا مسرور جداً. يخيل إليّ أن حياتي تغيرت نحو الأفضل. ما يُكتب عادة عن الحياة الزوجية كذب في كذب.

أشدّ على يدكم بحرارة، وأكرر شكري!!

المخلص أ. تشيخوف

٣٤٧. إلى قسطنطين ستانسلافسكي

يالطا، ٢٣ نوفمبر ١٩٠٣

عزيزي قسطنطين سرغييفيتش! حش أعشاب العلف يصادف عادة ٢٠ - ٢٥ يونيو. الكركي البري في تلك الفترة لا يغرد، على ما أعتقد، والضفادع تكف عن النقيق. لا يُسمع سوى صياح طيور الصفارية. ليس في المشهد مقبرة. كانت هناك من زمن بعيد. كل ما بقي منها لوحان حجريان أو ثلاثة هنا وهناك. الجسر شيء جيد جداً. إذا استطعتم عرض قطار من دون ضجيج، بلا أي صوت، افعلوا. أنا لا أعترض على تكرار نفس الديكور في الفصلين الثالث والرابع. المهم في الفصل الرابع أن يكون من السهل الدخول والخروج.

أنتظر بفارغ الصبر اللحظة التي تسمح لي فيها زوجتي بالمجيء (إلى موسكو).

لقد صرت أشكك في نوايا زوجتي. لعلها تحاول الخداع، والعياذ بالله.

الطقس هنا هادئ دافئ ورائع، ولكن حالما أتذكر موسكو وحمامات ساندونوفسكيه تغدو هذه الروعة شيئاً مملاً لا لزوم له.

أنا جالس في مكتبي أسترق النظر إلى الهاتف طول الوقت. عن طريقه تأتيني البرقيات العاجلة. وها أنا أنتظر من لحظة لأخرى برقية تدعوني إلى موسكو.

أشدّ على يدكم بحرارة، وأشكركم كل الشكر على الرسالة، متمنياً لكم الصحة والتوفيق.

المخلص أ. تشيخوف

٣٤٨. إلى نكولاي كوروبوف
(طبيب، زميل الكاتب في الجامعة)

يالطا، ٢٣ نوفمبر ١٩٠٣

عزيزي نكولاي إيفانوفيتش! تمهّل قليلاً، سآتي قريباً، ونتحدث عن التذاكر (للمسرح). فليس معروفاً حتى الآن متى تعرض مسرحيتي. البروفات جارية حالياً على الفصل الأول فقط.

عندما أصل (إلى موسكو) أكتب لك.

أنا لم أعد أتراسل مع سوفورين من زمان. أما بورينين (المحرر في جريدة سوفورين) فهو بهيمة مدللة متخمة، بوجه حاقد مصفرّ من الحسد. هذه إجابتي عن أسئلتك. وإذا أردت المزيد من التفصيل فستتحدث عنه عندما نلتقي. أشدّ على يدك بحرارة.

المخلص أ. تشيخوف

٣٤٩. إلى أليكسي فيسيلوفسكي

موسكو، ١١ ديسمبر ١٩٠٣

أليكسي نكولايفيتش المحترم! لا أدري كيف أعبّر عن شكري لكم على الرسالة.

كنت قد علمت من الصحف لأول مرة بنبأ انتخابي رئيساً مؤقتاً لجمعية هواة الأدب الروسي. ولم أكتب لكم على انتظار وصول تأكيد رسمي. انتخابي هذا شرف لي غير متوقع ولا أستحقه، بل ولم أكن حتى لأحلم به. وليست موافقتي أو عدمها موضع نقاش. فأنا في خدمة الجمعية، وسأكون في منتهى السعادة لو أفلحتُ في إثبات ذلك بالأفعال وليس بالأقوال. في الحال الحاضر تتعذر عليّ، للأسف الشديد، المشاركة في الجلسات العامة بسبب تدهور صحتي، ولذا أرجوكم أن تمهلوني، إن أمكن، عاماً أو عامين. أو أنني يمكن أن أفيد الجمعية من خلال النشاط الطباعي حيث أستطيع أن أراجع المطبوعات وأصححها أو أقوم على العموم بنشاط ما لا يستدعي إقامتي في موسكو. فأنا الآن لا أقيم فيها، أحاول أن أجرب هل أستطيع المكوث فيها. فحالما يداهمني القشع الدامي أو السعال الشديد أضطر إلى المغادرة إلى القرم أو إلى الخارج.

أرجو أن تتكرموا بالكتابة إليّ متى أجدكم في المنزل. فأنا لم أركم من زمان، وبودّي أن ألقاكم لأشكركم شخصياً وأتحدث معكم.

أتمنى لكم كل خير.

تقبّلوا فائق احترامات المخلص الوفي

أ. تشيخوف

٣٥٠. إلى فيودور باتوشكوف

موسكو، ٢١ ديسمبر ١٩٠٣

عزيزي فيودور دميترييفيتش! استلمت اليوم بالبريد من يالطا البرقية التي أرسلتموها قبل أسبوع. وأرد عليها الآن بالبريد.

الخريف كله، وابتداءً من أغسطس، كنت مريضاً. لاحقني السعال واضطراب الأمعاء. فلم أعمل. وقد شطبت الخريف المنصرم من قيد حياتي كفترة لا فائدة منها ولا لزوم لها. والآن أقيم في موسكو، وصحتي أفضل بكثير مما في يالطا، إلا أنني لا أعمل تقريباً. لأنني مضطر للحضور كثيراً في بروفات المسرح الفني. وقد وعدوا بعرض المسرحية في موعد أقصاه التاسع من يناير، ما يعني أنني سأبقى حتى العاشر منه أتسكع بلا أعمل، وأتكلم كثيراً وأنفعل لأتفه الأمور. بودّي أن أعاهدكم وأعدكم بإرسال قصة (لمجلة «دنيا اللّه») قبل نهاية فبراير...

هل ستكونون في موسكو خلال الأعياد (رأس السنة)؟

أشدّ على يدكم بحرارة وأتمنى لكم كل خير مع موفور الصحة وطيب المزاج.

المخلص أ. تشيخوف



٣٥١. إلى فيرا كوميسارجيفسكايا

موسكو، ٦ يناير ١٩٠٤

العزيزة فيرا فيودوروفنا! أين أنتم؟ في باكو أم تفليس أم خاركوف؟ (في جولات فنية). رسالتكم المؤرخة في ٢٩ ديسمبر استلمتها اليوم، السادس من يناير، ويوم أمس وصلتني بالبريد برقيتكم التي أرسلتموها إلى يالطا.

لم أرَ سافينا ولم أتراسل معها. ولم أفكر مطلقاً أن أعطي «بستان الكرز» لمسرح ألكساندرينسكي (في بطرسبورغ). فهذه المسرحية عائدة إلى المسرح الفني. وقد أخذها مني نيميروفيتش - دانتشينو ليعرضها في موسكو وبطرسبورغ. في العام الحالي فرقة المسرح الفني لن تسافر إلى بطرسبورغ على ما أعتقد. ومع ذلك لا جدوى من الكلام مع الإدارة عن المسرحية.

أكتب لكم ذلك وضميري مرتاح، لأنني على يقين راسخ بأن مسرحيتي «بستان الكرز» لا تناسبكم. الدور الرئيس في هذه المسرحية نسائي، لامرأة طاعنة في السن غارقة في ماضيها وليس لديها شيء في حاضر الزمان. أما الأدوار الأخرى، النسائية على الأقل، فهي ضئيلة لا شأن لها، بل هي أدوار خشنة فيها غلظة ولن تحظى باهتمامكم. مسرحيتي هذه ستصدر قريباً ضمن مجموعة دار «المعرفة» (للأغراض الخيرية)، وإذا قرأتموها فستقتنعون بأنها ليست بذات شأن بالنسبة لكم مهما كانت درجة تسامحكم معها.

كيف صحتكم؟ ألم تتعبوا من الجولة على باكو وتفليس؟ أهنئكم بالعام الجديد

متمنياً لكم سعادة جديدة مع موفور الصحة والطاقات والنجاحات. أتمنى لكم يوماً سعيداً واحداً بالتمام والكمال في كل أسبوع على الأقل. أقبّل يدكم وأشدّ عليها بحرارة.

المخلص الوفي أ. تشيخوف

٣٥٢. إلى يفغينيا تشيخوفا

موسكو، ٧ يناير ١٩٠٤

حبيبتي ماما! آسفٌ لأنني مضطر للتذكير بأنكم طوّلتم الغيبة (في زيارة ابنها ميخائيل في بطرسبورغ)، وينبغي أن تأتوا إلينا في موسكو. أولاً- لأنكم وحشتمونا ونحن جميعاً في أشدّ الاشتياق إليكم. وثانياً- ينبغي لنا أن نبحث معاً مسألة يالطا (الأرجح شراء منزل ريفي بضواحي موسكو ونقل العائلة إليه من يالطا). أرجوكم، لا تؤجلوا السفر إلينا ولو ليوم واحد. شدوا الرحال فور استلامكم هذه الرسالة. يمكنكم أن تقيموا عندنا، أو عند إيفان، الجميع سيكونون مسرورين بنفس القدر للقائكم. عندما تبرقون بالمجيء نستقبلكم.

الطباخة ماشا جاءت من (ضيعة) ميليخوفو، تقول إن الأب نكولاي نكراسوف /القسيس السابق في ضاحية فاسكينو/ توفي، وإن القسيس الحالي مريض جداً.

تحياتي إلى ماشا، وإلى ابنتي (المقصودة أولغا تشيخوفا التي كان تشيخوف بمثابة أبيها الفخري في زفافها) وجينيا وسريوجا. أقبّل يدكم.

ولدكم أ. تشيخوف

الجميع عندنا بخير، ولا أخبار جديدة.

٣٥٣. إلى إيفان بونين

موسكو، ٨ يناير ١٩٠٤

مرحباً، عزيزي إيفان أليكسييفيتش! أجمل التهاني بالعام الجديد. كل عام وأنتم بخير. استلمت رسالتكم، فشكراً. عندنا في موسكو كل الأمور تمام، ما عدا الملل، ولا شيء جديداً، سوى العام الجديد. لا ننتظر مستجدات. مسرحيتي («بستان الكرز») لم تعرض بعد. ولا أحد يعرف متى ستعرض. من المحتمل أن أجيء إلى نيس في فبراير، وسأنزل عند يوراسوف. استلمت منه رسالة مؤخراً (هذه السفرة لم تتحقق) تمتعوا بالشمس الدافئة الحسناء والبحر الهادئ، تمتعوا بما تستطيعون وهدّئوا الأعصاب ولا تفكروا في الأمراض. اكتبوا أكثر إلى أصدقائكم، وبلغوا تحياتي إلى سرغي ألكساندروفيتش (نايديونوف) وفلاديمير غريغوريفيتش (فالتر). ماذا تأكلون هناك في نيس؟ الشبوط بالزيت الأخضر غير متوفر، والقرموط لا يصلح لكم، فهو ثقيل على المعدة. أنواع الحساء رديئة، والفطائر مشبعة بالسمن. ويصعب أن أوصي بشيء من الطير، ما عدا أفراخ الدجاج وربما الحمام. في كل الأحوال أتمنى لكم الصحة والسعادة والمزاج المرح. لا تنسوا أبناء جلدتكم الشماليين السمر الذين يعانون من سوء الهضم وتعكر المزاج. أقبّلكم وأعانقكم.

غداء اليوم عندنا مخللات مع شرائح الديك الرومي.

المخلص أ. تشيخوف

٣٥٤. إلى إيفان ليونتيف- شيغلوف

موسكو، ١٨ يناير ١٩٠٤

عزيزي جان! لقد تعمدتُ أن لا أهنئكم بعيد الملاك (الشفيع)، فلا أريد أن أذكركم بأننا، كلينا، نقترب سريعاً من الخمسين، حيث يخاطبكم أي رجل قميء بقوله: «يا جدي»!

على ما أتذكر، من فبراير العام الفائت لم أستلم منكم رسائل، إذا لم تخنّي ذاكرتي. وإلا لأجبت عليها.

يوم أمس تم عرض مسرحيتي بشكل تعكر له مزاجي وأريد أن أفر إلى جهة ما. لربما أسافر إلى فرنسا أو إلى القرم على الأقل قبل حلول فبراير. كنت أريد أن أعمل في تحرير مجلة «الفكر الروسي» /مراجعة قصص المؤلفين المغمورين، أما قصص المؤلفين المعروفين فيراجعها غولتسيف/ . إلا أن ذلك لن يحصل على ما يبدو، أو أنه لن يتم قبل الخريف. كما أردت أن أكتب قصة طويلة، إلا أن الكتابة، صعبة لأن الجمهور يتزاحم هنا. (. . .)

لم أركم من زمان. ولا أعرف كيف أنتم الآن، كيف حالكم؟ وفيم تفكرون؟ كونوا، إذن، في أمان اللّه وحفظه. أتمنى لكم الصحة والتوفيق والبهجة الدائمة. أشدّ على يدكم بحرارة.

المخلص أ. تشيخوف

٣٥٥. إلى ليونيد سريدين

موسكو، ٢٠ يناير ١٩٠٤

عزيزي ليونيد فالنتينوفيتش! انتهت متاعبي المتعلقة بالمسرحية، وبوسعي الآن أن أجلس إلى مكتبي بحرية لأحرر لكم هذه الرسالة. موسكو مدينة طيبة جداً، أو هكذا تبدو، على الأقل، في هذا الشتاء الذي أنا فيه بصحة جيدة تقريباً، والصقيع خفيف، والوقت يمضي بسرعة فائقة. إلا أن الزحام هنا فظيع، ولا دقيقة واحدة من أوقات الفراغ. أنا مضطر طوال الوقت إلى الاستقبال والتوديع والكلام الطويل، ولذا صرت في أوقات الفراغ النادرة أحلم بالعودة إلى الديار في ضواحي يالطا. وأعترف بأنني أحلم ليس من دون ارتياح.

معارفنا المشتركون يؤكدون أن صحتكم جيدة، ولذا أنا راضٍ وسعيد. مخاوفكم من كمية البروتين لا تعجبني. ويخيل إليّ طوال الوقت أنني لو بحثت عن البروتين في بدني لوجدته حتماً. . . ولبدأت أخشاه أيضاً. في حين أن لديّ معارف طيبين، من أمثال لافروف، رئيس تحرير «الفكر الروسي»، الذي يفرز البروتين والأسطوانات (الطبية) منذ عام ١٨٨٤ ويشرب كثيراً، كالمدمن على المسكرات

أحياناً، والآن فقط أخذ المشيب يقترب منه. أعتقد أنه لا ينبغي لكم أن تلازموا المكان بعينه أمداً طويلاً، بل تسافروا كل صيف إلى مكان آخر.

غوركي في موسكو، لكنني نادراً ما ألتقيه. أمس كان عندي بياتنيتسكي (شريك غوركي في دار «المعرفة») وهو يطبع مسرحيتي «بستان الكرز» ضمن مجموعة الدار (للأغراض الخيرية). ليونيد أندرييف أصابه الهزال. قصته («حياة فاسيلي فيفيسكي») تنشر في هذه المجموعة. التقيت سكيتاليتس أيضاً. بونين في نيس حالياً. (...). سأعود إلى يالطا قريباً. قريباً جداً. ولكن، على الأرجح، ليس قبل منتصف فبراير أو أواخره. على أية حال يمكنني أن أستلم منكم رسالة أخرى هنا، إذا أردتم أن تكتبوا لي. تحياتي الخالصة (لزوجتكم) صوفيا بتروفنا وكذلك زينة. أشدّ على يدكم بحرارة متمنياً لكم الصحة والبهجة والسرور. آمل أن أموركم في يالطا على ما يرام. / ولكن ليس في يالطا لحم عجول طازج! تناولت الآن كباباً من هذا اللحم اللذيذ وتذكرت أنه غير متوفر عندكم/. زوجتي تبلغكم تحياتها، وقد طلبت مني أن أكتب بأنها تفكر فيكم وفي صوفيا بتروفنا.

اكتبوا لي.

المخلص أ. تشيخوف

٣٥٦. إلى فلاديمير ديدلوف

موسكو، ٢٤ يناير ١٩٠٤

فلاديمير لودفيغوفيتش المحترم! أنا الآن في موسكو وليس في يالطا. عنواني: شارع بتروفكا، بناية كوروفين. يبدو أنكم لم تجدوا معاوناً ومستشاراً أقل توفيقاً ومنفعة مني. أنا لا أفقه شيئاً في المسألة التي كتبتم لي عنها (تنظيم بيع مؤلفات ديدلوف لدار نشر تصدرها). مسألة بيع مؤلفاتي، وبصورة غير موفقة، تولاها المدعو سرغيينكو. وأنا لا أعرف مجلة تعطي مكافآت سوى مجلة «نيفا». وليست لي معرفة شخصية بأي ناشر أو رئيس تحرير. يمكنني، إذا سمحتم، أن أعرض قضيتكم على شخص آخر، مثلما كلفتُ شخصاً آخر في حينه لتدبير أمر مؤلفاتي.

اكتبوا لي أي ناشر تريدون أن أراجعه بالإضافة إلى ماركس وحددوا مقترحكم بمزيد من الدقة: هل تبيعون نتاجاتكم لفترة زمنية معينة أم إلى الأبد وما الثمن التقريبي وما إلى ذلك. يقال إن ملحق مجلة ماركس («نيفا») للعامين القادمين خُصص لمؤلفات شيدرين.

ثم بودّي أن أسألكم: لماذا ترغبون في تقييد مؤلفاتكم وتكرار نفس الخطأ الذي يجعلني الآن أشعر بالأسف في كل لحظة؟ أليس من الأسهل تولي إصدار مؤلفاتكم بنفسكم؟

«المبارزة» باللغة الفرنسية كانت عندي في التسعينات، ولكن ليس بترجمة Chirol على الأرجح. وكنت قد ألّفتها قبل «سخالين» بكثير.

لماذا تقيمون كل هذا الوقت الطويل في دوفسك؟ (مدينة في بيلوروسيا). على أية حال أنتظر توجيهاتكم اللاحقة. أما الآن فأتمنى لكم كل خير وأشدّ على يدكم بحرارة.

المخلص أ. تشيخوف

٣٥٧. إلى نكوديم كونداكوف

موسكو، ٢٦ يناير ١٩٠٤

نكوديم بافلوفيتش المحترم!

يبدو أن المسرح الفني قد نسي اللامبالاة الباردة التي تكتبون لي عنها / لامبالاة جمهور بطرسبورغ تجاه مسرحية «الحضيض»/. فقد سافر نيميروفيتش- دانتشينكو إلى هناك يوم أمس ليستأجر مسرحاً لعشرين وربما ثلاثين عرضاً تمثيلياً. وإذا أفلح في ذلك فإن فرقته ستعرض في بطرسبورغ «يوليوس قيصر» و«بستان الكرز». شاهدوا الآن هاتين المسرحيتين وفي العام القادم يمكن العودة إلى مسرحيات كوكولنيك وبوليفوي.

صحتي لا بأس بها بالمقارنة مع العام الفائت. السعال أقل، وأشعر بتنشط

أكثر، وأرغب في الكتابة. وإذا كنتُ لا أكتب فالذنب يقع على باب بيتي الذي يسمح بمرور عدد لا حصر له من الزائرين. في حوالى العاشر من فبراير أغادر، على الأرجح، إلى يالطا الجميلة. كنت أنوي السفر إلى الخارج، لكنني لم أسافر، ولن أسافر قريباً، لأنني لا أملك المال الكافي. وإلى ذلك في الصيف سأسافر مع زوجتي إلى السويد، أو أنا على الأقل أحلم بهذه الرحلة، وهي تتطلب توفير المال واستجماع القوى.

أنتم تبحثون عن ضيعة، وأنا أبحث عن منزل ريفي من دون جدوى. العثور على ضيعة ما أمر صعب جداً الآن، وشراؤها أصعب. والعيش في ضيعة مملوكة للشخص أصعب من هذا وذاك. أظن أن الأفضل استئجار قطعة أرض من مديرية الطابو لمدة ٩٩ عاماً بعشرة فدانات على ضفة نهر أو قرب بحيرة.

لم تكتبوا لي شيئاً عن صحتكم. ولم تذكروا الجهة التي تنوون السفر إليها في مارس. هل هي إيطاليا من جديد؟

عندما تكتبون القصة أرسِلوها إليّ. رجاءً. ولكي تؤلفوا مسرحية بروح العصر أو حسب ذوقه ينبغي أن تعرفوا سراً لعلي أكشفه لكم: ينبغي كتابة المسرحية بعينين شبه مغمضتين.

أنا ممتن لكم بلا حدود على الرسالة التي بعثتموها، وسأظل مديناً لكم أمداً طويلاً. كل الشكر، متمنياً لكم من صميم القلب موفور الصحة والنشاط.

المخلص أ. تشيخوف

٣٥٨. إلى إيليا غالبيرين – كامينسكي (صحفي ومترجم)

موسكو، ١ فبراير ١٩٠٤

إيليا دانيلوفيتش المحترم!

أحيطكم بأنني سلمت مسرحيتي «بستان الكرز» إلى مؤسسة «المعرفة» للطباعة والنشر في بطرسبورغ. /وهي المؤسسة التي تنشر مؤلفات مكسيم غوركي/. وبخصوص رغبتكم في ترجمة مسرحيتي وعرضها في باريس سأبلغ السيد بياتينسكي

ممثل «المعرفة»، وهو سيرد عليكم. وعلى ما أتذكر، حصل أحد المترجمين على سماح بترجمة المسرحية إلى اللغة الفرنسية.

أتمنى لكم كل خير.

مع التقدير والاحترام الخالص من

أ. تشيخوف

٣٥٩. إلى أدولف ماركس

موسكو، ٣ فبراير ١٩٠٤

أدولف فيودوروفيتش المحترم!

الكاتب المعروف (فلاديمير) ديدلوف بعث لي من دوفسك (بيلوروسيا) رسالة كلفني فيها أن أعرض عليكم ما يلي: ألا ترغبون في شراء مؤلفاته ونشرها؟ وهي في ١٥٠ ملزمة طباعية.

بعد العاشر من فبراير أسافر إلى يالطا، فتكرموا بإرسال مجلتكم («نيفا») إلى هناك. نشرت «مجلة الجميع» في عدد ديسمبر قصتي «العروس»، كما أن مسرحية «بستان الكرز» ستنشر ضمن مجموعة دار «المعرفة» للأغراض الخيرية.

أتقدم إليكم بالشكر الخالص على برقيتكم الكريمة بشأن عرض «بستان الكرز». متمنياً لكم كل خير.

مع آيات الاحترام والتقدير

أ. تشيخوف

شارع بتروفكا، بناية كوروفين

٣٦٠. إلى يفغيني تشيريكوف

موسكو، ٩ فبراير ١٩٠٤

العزيز يفغيني نكولايفيتش! مساء أمس تكلمت عرَضاً عن مسرحيتكم («اليهودي») مع نيميروفيتش. كان مطوقاً بجمهور من الزائرين، وليس بالإمكان الكلام معه بمزيد من التفصيل. قال لي إن مسرحيتكم أعجبته كثيراً، وإن عرضها على خشبة المسرح الفني محتمل جداً، وما من شيء يحول دون ذلك، ما عدا كونها مؤلفة من ثلاثة فصول وليس أربعة. وطلب مني أن أبلغكم اقتراحه بكتابة مسرحية أخرى من فصل واحد ليتم عرض المسرحيتين معاً. فلا يجوز في رأيه، عرض مسرحية قصيرة لمؤلف غيركم.

على أية حال قابلوه وتحدثوا معه. الأمور حتى الآن على ما يرام. وهذا مبعث سروري. أكرر أن المسرحية جيدة وستحقق نجاحات على مدى سنين.

في الأسبوع الأول من الصوم الكبير أسافر إلى يالطا. وسأكون مسروراً لاستلام رسالة منكم.

تحياتي لزوجتكم، متمنياً لكم الصحة والعافية. أشدّ على يدكم بحرارة.

المخلص أ. تشيخوف

٣٦١. إلى ماريا تشيخوفا

يالطا، ٢٦ فبراير ١٩٠٤

عزيزتي ماشا! استلمت من ماركس ألف روبل حوّليها إلى أوراق نقدية وأودعيها في بنك الدولة. ماركس أرسل لي ألفاً بدلاً من الـ ٢٥٠ روبلاً المتفق عليها في مقابل قصة «العروس».

أحوالنا جيدة. في يالطا يقيم حاليا ألكسندر (شقيق الكاتب) ومعه نتاليا وابنه ميشا والمرضعة والكلب. يسكن منزل تشيكالينا الصيفي بضاحية آوتكا. يعيش حياته بلا مسكرات. الجو في يالطا، للأسف الشديد، كريه جداً، والضيوف (عائلة ألكسندر) يعانون من الضجر.

الوالدة بصحة جيدة. وهي فرحة لعودتها إلى البيت. اليوم أكلنا سمك السلمون (الباهظ الثمن). الطاهية الجيدة تطبخ الطعام جيداً.

الحاجيات وصلت أخيراً، وليست بسلام بعض الشيء. الصندوقان الأثريان تشققا.

اكتبي لنا متى ستصلين. درجة الحرارة في الغرف ١٥ مئوية.

أشدّ على يدك بحرارة وأقبّلك. تحياتي لإيفان.

أخوك أنطون

(...)

٣٦٢. إلى فلاديمير ديدلوف

يالطا، ٢٩ فبراير ١٩٠٤

فلاديمير لودفيغوفيتش المحترم! لقد تأخرت في الرد على رسالتكم لأنني لم أستلم رداً من ماركس إلا اليوم. إليكم ما جاء فيه: «بخصوص اقتراح ديدلوف / وسأكتب له في دوفسك/ يصعب عليّ أن أعطي جواباً محدداً. إلا أنني على أية حال أرجو أن يرسل لي مؤلفاته لأطلع عليها، كما أرجو إبلاغي بالشروط».

أنا سبق أن بعت إلى ماركس مؤلفاتي مقابل ٧٥ ألفاً. وكل ما أكتبه الآن أنشره وأتلقى المكافأة عليه بالطرق المعتادة ثم أرسله إلى ماركس، علماً بأنني أستلم منه ٢٥٠ روبلاً على الملزمة الواحدة في السنوات الخمس الأولى، ثم ٤٥٠ روبلاً على الملزمة في السنوات الخمس الثانية. بعت مؤلفاتي إلى الأبد. تمت الصفقة في عام ١٩٠٠. آنذاك لم تكن هناك مكافآت كبيرة على النتاج الأدبي كالمكافآت الحالية / عند منشورات غوركي/. (...)

أتمنى لاستثماراتكم التي كتبتم عنها أفضل وأكمل النجاح.

أشدّ على يدكم بحرارة، متمنياً لكم الصحة والتوفيق.

المخلص أ. تشيخوف

٣٦٣. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ٣ مارس ١٩٠٤

عزيزتي، شريكة حياتي الرائعة. أنا على قيد الحياة، صحيح البدن كالثور، وفي مزاج طيب. ولا أستطيع أن أتعود حتى الآن على شيء واحد هو وضعي الشبيه بأوضاع كهان الهيكل.

لي رجاء عندك، يا روحي. سبق أن قلتُ لك إنني، كطبيب، أساند الدورة الطبية النسائية. وعندما تم الإعلان عن «بستان الكرز» توجهت إليّ طالبات الدورة برجاء أن أقيم عرضاً للمسرحية لدعم جمعيتهن التعاونية التي تعاني من فقر شديد ومن فصل العضوات المتكرر بسبب العجز عن تسديد بدلات الاشتراك وما إلى ذلك. وقد وعدتهن بمفاتحة إدارة مسرحكم، ثم تكلمت مع الإدارة فوعدوني خيراً... وقبيل رحيله من هنا أبلغني نيميروفيتش بأن عرض المسرحية في بطرسبورغ الآن ليس عملياً والحرب (الروسية - اليابانية) قائمة، فلن يتوفر العدد الكافي من المشاهدين. وسألني أليس الأفضل تنظيم أصبوحة أدبية لمعونة طالبات الطب، كما حصل لمعونة صندوق الغوث؟ ووافقته رأيه. وانتهى الأمر بوعده تنظيم الأصبوحة الأدبية، وطلب أن نذكّره بذلك في بطرسبورغ. لذا أرجوك، يا عزيزتي، أن تذكّريه بالموضوع وتصري على إقامة الأصبوحة. وستأتي إليك مبعوثات عن الدورة الطبية النسائية فاستقبليهن بأكبر قدر من الترحاب وتشاوري معهن، وانصحيهن كيف وأين يجدن نيميروفيتش.

استلمت الأطلس الجغرافي من ماركس. أنتظر الجزمة التي كتبتِ لي عنها. أفكر في شتراوخ، ما سبب وفاته رحمه الله؟ كان إنساناً في منتهى الطيبة.

قواتنا ستهزم اليابانيين. وسيعود خالك ساشا برتبة عقيد. كما سيعود الخال كارل بوسام جديد.

في الخريف أبدأ ببناء حمام ساخن. على أية حال، كل ذلك مجرد أحلام. (...).

يا روحي، يا فرسي العزيزة، أتمنى لك الصحة والبهجة والسعادة. أخشى أن يأتيني ضيوف. فالناس هنا مملون جداً. لا علاقة لهم بالأدب، وليس هناك ما

يمكن الحديث عنه معهم. عندما أستمع إليهم تظلم الدنيا في عينيّ.
اللّه معك.

المخلص أ.

٣٦٤. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ٤ مارس ١٩٠٤

كلبتي الحكيمة جداً! اكتبي إلى بودكيفيتش أن «النورس» و«الشقيقات الثلاث» ترجمتا إلى اللغة الألمانية من زمان./ولم أستلم مقابل ذلك ولا فلساً واحداً/. أما «بستان الكرز» فهي قيد الترجمة لأجل برلين وفيينا، ولن تكلل بالنجاح هناك، فلا وجود في تلك الأنحاء للبليارد ولممثلين من طراز لوباخين ولا لطلبة على شاكلة تروفيموف (من شخوص المسرحية).

شكراً لك على الرسالة المهدئة يا روحي. أنا أحبك كثيراً، وأنت تعرفين ذلك جيداً.

هل وصل الخال كارل إلى الجبهة؟ هل كتب لك؟ أنا استلمت من الخال ساشا رسالة موقعة من قبله ومن قبل عدة ضباط آخرين بعثها من كراسنويارسك. الجو جيد اليوم، ولذا مضيت إلى المدينة، واشتريت كافياراً وقديد لحم الخنزير وفطائر. وصل إلى يالطا غارين- ميخائيلوفسكي، وسيبقى عندي على الأغلب. وهو مسافر إلى الشرق الأقصى لشق طريق هناك. كما ستصل (الممثلة ماريا) سافينا إلى يالطا.

في الأخير أقبّلك يا ضفدعتي، وأعانقك، وأطبطب على ظهرك. أتمنى لك الصحة والبهجة والمرح. فكري في زوجك ولا تكتئبي.

المخلص أ.

٣٦٥. إلى ألكسندر فيشنيفسكي

يالطا، ٧ مارس ١٩٠٤

العزيز ألكسندر ليونيدوفيتش! أحيّيكم وأشكركم كل الشكر على الرسالة كما أشكركم على تبليغي بأن أهلي استأجروا في زقاق ليونتيفسكي شقة بمرحاضين. فنظراً لاضطراب الأمعاء الشديد الذي أعاني منه المرحاض الواحد لا يكفي، ولا بد من التراكض بين مرحاضين.

إذا كان أهلي انتقلوا إلى الزقاق الذي ذكرتموه بلغوهم رجاءً، أو أخبروا زوجتي، بأن لا تبخل عليّ ببرقية.

سأنتظر منكم رسائل من موسكو ومن بطرسبورغ (أثناء جولاتكم الفنية). خذوا ذلك بالاعتبار. فليس مما يمليه الضمير أن لا تكتبوا لي مع علمكم بمدى الضجر الذي أنا فيه هنا!

أتمنى لكم الصحة والسعادة، يا ابن بلدي. ولتحفظكم ملائكة السموات.

المخلص أ. تشيخوف

٣٦٦. إلى إيفان تشيخوف

يالطا، ١٢ مارس ١٩٠٤

عزيزي إيفان! آمل أن تأتي إلينا في يالطا أثناء أعياد الفصح. كما وعدتني. اجلب لي من أولغا قبّعتي الخفيفة الغامقة اللون، نفس القبعة التي أرتديها في عربات القطار. واجلب قدر ما تشاء من أطعمة المزة من متجر فيليبوف /من هذا المتجر دون غيره/. وكذلك البقسماط بأصغر حلقاته. ومن متجر بيلوف اشتر رطلين من أفضل أنواع الحمص الأخضر. وسيدفع أولياء الأمور الثمن (مزحة) ولذا يمكنك أن تجلب كل ما تعتبره ضرورياً، حسب رأيك.

تحياتي إلى صونيا وفولوديا. أتمنى لك الصحة والبهجة.

أخوك أ. تشيخوف

٣٦٧. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ٢٠ مارس ١٩٠٤

كلبتي الغالية، يا روحي! لم تغادري بعد، ما يعني أنك ستستلمين رسالتي هذه. بلّغي موسكفين أن بإمكانه أن يضيف كلمات جديدة سأدرجها بنفسي عندما أصحح البروفة. أعطيه ضوءاً أخضر.

ماشا وصلت. تقول إن أصحاب المنزل الصيفي في تساريتسنو يطلبون ١١ ألف روبل. وهذا ثمن باهظ. الشيء الرئيس الأهم في تساريتسنو أنها قريبة من محطة القطار ويمكن الوصول إليها سيراً على الأقدام. ألا توجد منازل صيفية أخرى للبيع (في ضواحي موسكو)؟ قرب بوتوفو أو بودولسك. على أن تكون حتماً قريبة من المحطة. أنت، يا عزيزتي، مشغولة ولا وقت لديك. المفروض أن أدبر أمر المنزل الصيفي بنفسي لكي أساعدك، وأنت في سفر دائم. إلا أن الملابسات عجيبة غريبة. فأنا لن أكون في موسكو قبل شهر مايو.

الثلج يتساقط عندنا، والجو بارد. (. . .)

مائيرهولد غير مصاب بالسرطان طبعاً، كما أكدتُ سابقاً.

اسمحي لي، يا رفيقة العمر، أن أطبطب على ظهرك وأسفل منه، وأقبّلك وأعانقك بحرارة. بلّغي موسكفين أنني أغبطه، وأنني مستعد الآن أن أدفع عشرة آلاف روبل من أجل أن يكون لديّ طفل. فأنا أشعر بالضجر الشديد من دون كائن حي يواسيني. نعم، أنت ستحاولين، وأنا أعلق آمالي عليك.

المخلص أ.

٣٦٨. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ٢٩ مارس ١٩٠٤

كلبتي العزيزة! كنت قد هنأتك بعيد (الفصح). أما الآن فأبعث إليك تحياتي وقبلاتي من دون عد أو حصر. يوم أمس وصل قسطنطين ليوناردوفيتش (شقيق أولغا) مع زوجته (لولو)، وهو يحتسي الشاي الآن تحت. كلاهما في صحة جيدة

ومزاج طيب ويقولان إن حالة ابنهما لا بأس بها. وقد بات واضحاً أن لولو ستسافر إلى يفباتوريا لقضاء فصل الصيف، ثم ستقيم في يالطا شتاءً. على فكرة، يالطا تعجبها، بل تعجبها كثيراً. وأعتقد أن الوضع في يفباتوريا لن يكون سيئاً، ولكن لا موجب لاستدعاء أطباء جدد. غداً يسافر قسطنطين ولولو إلى سيواستوبول.

كان عندي مارتينوف. إنه إنسان حيوي نشيط، لكنه، على ما أعتقد، رسام غير موهوب. اعتاد التردد على تساريتسنو من ١٥ عاماً، ولكن في فصل الشتاء فقط. يقول إن المنزل الريفي هناك جاف، ولا ضباب في المنطقة، والوضع جيد.

تكتبين في رسالتك أنني زعلان عليك، فلأي سبب يا عزيزتي؟ أنت ينبغي أن تزعلي عليّ، لا أنا. اللّه معك، يا روحي.

لولو وقسطنطين شاهدا «بستان الكرز» في مارس. يقولان إن أداء ستانسلافسكي في الفصل الرابع سيئ جداً. كان يطيل المشهد بشكل مزعج. فما أفظع ذلك! الفصل الذي يجب أن لا يتجاوز ١٢ دقيقة كحد أعلى يستغرق عندكم ٤٠ دقيقة. الشيء الوحيد الذي يمكنني أن أقوله هو أن ستانسلافسكي أجهز على المسرحية. لا حيلة لنا في الأمر. اللّه معه.

عندنا ضيوف طوال الوقت. حتى معلم المدرسة من غورزوف. استلمت الصور، شكراً لك يا روحي الطيبة. إذا كنت مرتاحة في بطرسبورغ، تعيشين بمرح وحبور، فأنا سعيد جداً. أما إذا كنت مكتئبة فذلك تصرف يليق بالخنازير. اسرحي وامرحي ولا تلتفتي إلى ما يكتبون إذا كانت الكتابات غير مشجعة. فكري في الصيف الوشيك. (. . .)

يوم أمس كان عندي (الكاتب والمهندس) ميخائيلوفسكي. يقول إنه مسافر إلى الشرق الأقصى قريباً. إنه متأنق ولطيف جدّاً.

حل الربيع الحقيقي عندنا، إلا أن في الجو برودة مع ذلك.

اكتبي لي، يا بعوضتي. فالملل يقتلني بدونك. وأنت تعرفين ذلك تمام المعرفة. أقبّلك وأعانقك بحرارة.

استلمت رسالة مطولة من أحد الطلاب من قازان يقول فيها إن«بستان الكرز» عرضت في المدينة بكل نجاح. ويشكرني على ذلك.

المخلص أ.

٣٦٩. إلى إيفان تشيخوف

يالطا، ١٤ أبريل ١٩٠٤

عزيزي إيفان! أهنئك بعيد الملاك الشفيع. الوالدة أيضاً تبعث لك تهانيها. وكلانا نتمنى لك كل خير.

لا أخبار جديدة عندنا. كل شيء على ما يرام. ننتظر المطر، لأن السحب تغطي جبل ماغابي. سأصل أوائل مايو، عندما تصل أولغا.

تحياتي إلى صونيا وفولوديا وأجمل التهاني لهما بمناسبة عيدك.

أتمنى لك موفور الصحة والعافية.

أخوك أ. تشيخوف

٣٧٠. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ١٧ أبريل ١٩٠٤

مرحباً، يا عصفورتي العزيزة! اليوم أيضاً لم أستلم منك رسالة. إلا أنني لست زعلاناً عليك، ومعنوياتي عالية، لأننا سنلتقي قريباً، نعم قريباً. أرسلت المقالات (عن المسرحية) إلى درزدن (إلى شقيق أولغا هناك) إلا أن بعضها فُقد على ما أعتقد. فالحزمة كانت كبيرة.

حالما نلتقي نبدأ في حل مسألة المنزل الريفي بجهود متظافرة. والأرجح أننا سنختار منطقة تساريتسينو. صحيح أن الرطوبة شديدة فيها أحياناً، إلا أنها قريبة جداً من موسكو، والمواصلات مريحة جدّاً، وستشعرين فيها أنك في بيتك وليس في ضيافة أحد. سنؤثث غرفة ممتازة وأكثر راحة لك في المنزل الريفي لكي تحبي المكوث فيه.

الجو عندنا في يالطا بارد بعض الشيء ومطير.

كما أنني في يالطا أعاني من اضطراب في المعدة لا أستطيع وقفه لا بالأدوية ولا بالحمية.

الرسام كوروفين المولع بصيد السمك علمني طريقة خاصة للصيد بدون صنارة. وهي طريقة إنجليزية رائعة، لكنها تتطلب وجود نهر جيد على غرار النهر في ضيعة ستانسلافسكي بضاحية لوبيموفكا. أنا أنوي شراء قارب من بطرسبورغ. إلا أن ذلك لن يتم قبل مجيئي إلى موسكو.

أنثى الخنزير هديتك، تلك الدمية الطيبة الممتازة وعلى ظهرها خنانيصها الثلاثة، تبعث إليك تحياتها. والكلب شناب يهاجم ناستيا لسبب ما وينبح في وجهها عندما تناديه بالأحول.

ألا تزال ماريا بتروفنا مريضة؟ إذا كانت قد وصلت إلى بطرسبورغ بلّغيها تحياتي. عموماً تحياتي لفرقتكم المسرحية جمعاء، وكذلك إلى تشومينا.

عسر التنفس يلاحقني.

ما سبب عدم عرض المسرحية في ١٣ أبريل؟ هل مرض أحد الممثلين، أم أنكم تعبتم؟

سأظل أبعث إليك رسائل عدة أيام أخرى. ثم أكف عن ذلك، وأبدأ بالتحضير للسفر. في سيواستوبول الانتظار من ساعتين إلى ثماني ساعات ونصف. فأين أنتظر يا عزيزتي؟ عند شابوشنيكوف؟

لا جديد عندنا. كل شيء على حاله. أعانقك، يا عزيزتي الممثلة البارعة الطيبة. أقبّلك، وألاطف جيدك تحت الذقن.

المخلص أ.

٣٧١. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ١٨ أبريل ١٩٠٤

كلبتي اللطيفة! من المستبعد أن آتي إلى بطرسبورغ. فالسفرة مرهقة. إلا أنني سأغادر إلى موسكو قريباً، قريباً جداً. ذلك أولاً- لأنني أريد أن أراك، وثانياً - يصعب العيش في يالطا، لكثرة المشوشين عليّ. جاءنا اليوم سيد ترك مخطوطة ورسالة يطلب فيها معلومات عن مدافن الأسقوثيين. وقال إنه سيأتي مرة أخرى في

المساء. وجاءت اليوم صوفيا بتروفنا مع شخص ممل جدّاً سيتولى تصويري. وهكذا دواليك. على فكرة، لكي تكتمل الصورة أبعث إليك مقالة نقدية منشورة في عدد اليوم من «رسول القرم». وهكذا كل يوم. فكيف أتعافى ولا أركض إلى المرحاض؟

يا بنيتي الغالية، يا روحي! في متنزه يوسوبوفسكي على الشارع الدائري الكبير في بطرسبورغ معرض كيبكي للقوارب والخيام وما إلى ذلك. هلا ذهبت إليه. إنه في مبنى جمعية الإنقاذ النهري. فلعلك تختارين قارباً خفيفاً وجميلاً ورخيصاً. أو تستفسرين هناك أين متجرهم، وتذهبين إلى المتجر. الأفضل أن يكون القارب خفيفاً. اعرفي السعر وسجلي تسمية القارب ورقمه، لكي نحجز عليه فيما بعد. واسألي هل يمكن إرسال القارب بصفة بضاعة عادية. فالسكك تخصص للقارب الواحد عربة مكشوفة كاملة، ولذا تبلغ كلفة نقل القارب مئة روبل.

كان اللّه في عونك يا عزيزتي. أحبك. إذا جاء (أخي) ميشا إلى المسرح لمشاهدة مسرحيتي قدّمي له تشكراتي العميقة واحتراماتي على تشريفه لي. إلا أنني أشك في كونه سيتنازل ويأتي.

أنا أحلم بقدوم الصيف. كنت شديد الرغبة في الانفراد والكتابة والتأمل.

أعانقك، يا عزيزة.

المخلص أ.

٣٧٢. إلى ألكسندر تشيخوف

يالطا، ١٩ أبريل ١٩٠٤

أحشوروش بافلوفيتش (الملك الفارسي) الموقر! المنزل الريفي المقترح يذكّرني بالبُن الطيب لأنه غير مخلوط بزهر الهندباء، وبالبن المغشوش لأنه يخلو من البن. قطعة الأرض هذه فسيحة جداً، ولكن ليس فيها بيت. وينبغي بناؤه. والبناء يعني توفير فرصة النهب لبعض الأشخاص من ذوي السلوك المشبوه / ولا أقصد سامعي هذا الكلام/ .

ليس عندنا جديد. كل شيء على حاله. في الأول من مايو أغادر إلى موسكو.

زقاق ليونتيفسكي، بناية كاتيك. ابعثْ إلى هناك رسائل يفضل، على قدر الإمكان، أن تنم عن الاحترام. ولا تتباهى بأنك الابن البكر أو الأخ الأكبر، فالشيء الرئيسي ليس هو الأولوية، بل الذكاء.

المعلم اليوناني خارلامبيدس (صديق ألكسندر) سيكون عندك بعد العاشر من مايو، مع زوجته والأولاد. وسيمكثون حتى ٢٠ سبتمبر، فلا يستطيعون أكثر مع الأسف مهما حاولتُ أن أقنعهم بالبقاء.

أتمنى لك الصحة والعافية. شدّ بنطالك. تحياتي لعائلتك.

أكرر: لا تتباهى بالأولوية!

المخلص أ. تشيخوف

٣٧٣. إلى أولغا كنيبر

يالطا، ٢٢ أبريل ١٩٠٤

يا زوجتي، يا روحي! هذا آخر ما أكتبه لك بشكل رسالة. وسأبعث إليك برقيات إذا اقتضت الحاجة. يوم أمس توعكت صحتي، واليوم هان الأمر عليّ بعض الشيء. لا أتناول طعاماً سوى البيض والحساء. المطر يتساقط، والطقس بارد كريه. لكنني، رغم المرض والمطر، مضيت إلى طبيب الأسنان.

في معركة (تورنشين ١٨ أبريل ١٩٠٤) شارك فوج المشاة السيبيري الـ ٢٢. وخالك ساشا يخدم في هذا الفوج. أنا أفكر فيه طوال الوقت. كتبت الصحف أن ٩ من آمري السرايا قُتلوا أو أصيبوا بجراح. في حين أن الخال ساشا آمر سرية. اللّه كريم، وليحفظ خالك الطيب. أتصور مدى الإرهاق الذي هو فيه والغضب الذي يستولي عليه!

زارني أمس يفغيني كاربوف، المخرج في مسرح سوفورين، والكاتب المسرحي الذي يفتقر إلى الموهبة، صاحب الطموحات الهائلة التي لا قرار لها ولا قاع. هؤلاء الأشخاص شاخوا، وينتابني الملل بحضورهم، وأشعر بالضجر إلى حد الغثيان من مجاملاتهم المرائية.

سأصل موسكو في الصباح، حركة القطار السريع بدأت من جديد. ليتني أتلفف ببطانيتي، وأتناول كباب لحم العجول! يا كلبتي العزيزة، أنا متشوق جداً إليك.

أعانقك، وأقبّلك. تصرّفي بلياقة. وإذا كنت تشعرين ببرود وفتور أو نسيت الحب قولي ذلك صراحة، وبلا خجل.(...)

على أية حال، كان المسيح في عونك، يا فرحتي.

المخلص أ.

٣٧٤. إلى ألكسندر زالتسا (ضابط. خال زوجة الكاتب)

يالطا، ٢٩ أبريل ١٩٠٤

الخال العزيز ساشا! كيف حالكم؟ كيف صحتكم؟ أكتب لكم اليوم من يالطا، وبعد غدٍ أغادر إلى موسكو. عنواننا هناك: زقاق ليونتيفسكي، بناية كاتير. نفس البناية التي يقيم فيها (مغني الأوبرا) شالابين.

إذا كنتم في صحة وبخير الحمد للّه. وإذا كانت صحتكم متوعكة أو أموركم ليست على ما يرام تذكروا وتصوروا أن كل شيء على وجه البسيطة ينتهي، والحرب أيضاً تنتهي. وستعودون إلى موسكو آجلاً أم عاجلاً.

أشدّ على يدكم وأقبّلكم بحرارة. في موسكو سأكلم أولغا بخصوصكم. وهي كثيراً ما تتذكركم في رسائلها إليّ.

المخلص أ. تشيخوف

٣٧٥. إلى يفغينيا تشيخوفا

موسكو، ٤ مايو ١٩٠٤

حبيبتي ماما! لم أكن في صحة جيدة طول الطريق. ولم أتناول طعاماً. أما الآن، في موسكو، فقد هان الأمر عليّ.

ماشا في صحة جيدة، وسآتي (إليكم) في يالطا في ١٦ من مايو الجاري. لا جديد عندنا. كل شيء على ما يرام. أولغا أيضاً في صحة جيدة، تبلغكم تحياتها. الشقة هنا جيدة جداً. ولا داعي لاستخدام السلم، فثمة مصعد.

الطقس جيد في موسكو. ربيع. والمطر يتساقط الآن. أشجار البتولا باتت خضراء.

تحياتي إلى ماريوشكا وأرسيني وناستيا. أقبّل يدكم، وأبقى ولدكم المحب

أ. تشيخوف

٣٧٦. إلى ألكسندر كوبرين

موسكو، ٥ مايو ١٩٠٤

العزيز ألكسندر إيفانوفيتش! بلغني أنكم زعلانون عليّ. لأنني لم أوفر لكم تذاكر «بستان الكرز» /١٧ يناير/ أو أنني وعدت بمقعد بدا لكم كأنما في الشرفة العليا. أؤكد لكم، كلمة شرف، كانت محفوظة عندي حتى اللحظة الأخيرة تذكرة في الصف الثاني /أو حتى الأول على ما أظن/ وكنت أنتظركم، وأسفت جداً عندما قيل لي إنكم سافرتم إلى دير الثالوث لشؤون استدعت حضوركم هناك فجأة. لا يليق بي أن أعرض عليكم الشرفة العليا، كان باستطاعتي أن أقترح عليكم الصالة أو مكاناً في الصف الأول الذي يليها.

وصلت إلى موسكو وصحتي متدهورة. أسأقرأ قصتكم في «دنيا الله».

ألا تنوون السفر إلى الجبهة؟ ألن يستدعوكم إلى هناك؟

أشدّ على يدكم بحرارة وأتمنى لكم موفور الصحة والتوفيق.

المخلص أ. تشيخوف

زقاق ليونتيفسكي، بناية كاتيك

٣٧٧. إلى ماريا تشيخوفا

موسكو، ٢٢ مايو ١٩٠٤

عزيزتي ماشا! أنا لا أزال ألازم الفراش. لم أرتد ثيابي ولم أخرج من البيت ولا مرة. باقٍ على نفس الحالة التي كنت فيها عندما غادرتينا. قبل ثلاثة أيام انتابني ذات الجنب من دون سبب واضح. أما الآن فكل شيء تمام. ومهما يكن من أمر فقد حجزنا تذاكر السفر على الثاني من يونيو. نسافر إلى برلين، ومنها إلى شوارتسوالد. تنفسي بات أفضل، واللهاث أقل. أنا راضٍ عن طبيبي. ولا أعاني الآن من الإسهال. لم أشعر بمثل هذا الارتياح منذ كنت في الخامسة والعشرين من العمر. (الدكتور) تراوبي لا ينصح بضمادات الماء الدافئ، ويعتبرها مضرة. كانت على جنبي ضمادة من الكحول / خرقة تُنقع بالكحول ثم تُعصر وتوضع على موضع الألم مثل ضمادة الماء الملفوفة بالبلاستيك وغيره/ .

جاءني فانيا يوم أمس. سيسافر (إليكم) في يالطا. ولم أفهم منه متى يسافر. فهو يحاول أن لا يفهمه الآخرون.

عالجي مسألة حفرة المرحاض رجاءً. اطلبي أن يضخوا محتوياتها /ويرشوها عند أصول أشجار الفاكهة/ ويقيموا للحفرة غطاءً من قضبان الحديد والإسمنت. كلمي باباكاي بهذا الخصوص، وحذّري أرسيني أن يبتعد عن الحفرة كيلا يسقط فيها.

جاءني غولتسيف أمس في حالة سكر. وقال إنه يشعر بتعب شديد وسيسافر للاستجمام وما إلى ذلك. لا جديد في مثل هذا الكلام.

سأبعث لك فيما بعد عنواني في الخارج.

تحياتي للوالدة العزيزة وتمنياتي لك بالصحة. بعد يومين أو ثلاثة سأكتب لك من جديد. قبلاتي.

المخلص أ.

٣٧٨. إلى بوريس سادوفسكي (شاعر ناشئ)

موسكو، ٢٨ مايو ١٩٠٤

بوريس ألكساندروفيتش المحترم!

أعيد إليكم ملحمتكم («الأجرب»). يخيل إليّ أنها رائعة من حيث الشكل. إلا أن الشعر ليس من اختصاصي، ولا أفقه فيه الكثير.

فيما يخص المضمون لم أجد فيه رسوخ الفكرة. على سبيل المثال: بطلكم الأجرب يقول:

«أقف في بدلتي الأنيقة

ولا أجرؤ على التطلع في النافذة».

ما حاجة الأجرب إلى البدلة الأنيقة؟ ولمَ لا يجرؤ على التطلع في النافذة؟ شيء غير مفهوم.

عموماً تصرفات بطلكم كثيراً ما تفتقر إلى المنطق، بينما لا نجد في الفن، شأنه شأن الحياة، أي شيء قائم على المصادفة.

أتمنى لكم كل التوفيق.

المخلص أ. تشيخوف

٣٧٩. إلى ماريا تشيخوفا

موسكو، ٣١ مايو ١٩٠٤

عزيزتي ماشا! تصوري أنني اليوم ولأول مرة ارتديت السترة الطويلة والجزمة. وكنت قبل ذلك طوال الوقت مستلقياً أو أمشي بالشبشب وروب المنزل. واليوم فقط خرجت إلى الشارع. لقد حصل لي شيء ما: كان لديّ اضطراب في المعدة، ثم لم أعد أنام الليل بسبب آلام مفاجئة ومتواصلة في الساقين واليدين. كان الأرق هو العذاب بعينه. وظننت أن لديّ سُهاماً في العمود الفقري. كل ذلك بسبب الطقس المقيت والمطر والثلوج. اليوم فقط بدأت أتمشى. نسافر إلى الخارج في ٣ يونيو. اكتبي لي هناك عندما تحتاجين إلى نقود، لمصروفات البيت. (. . .)

من المستبعد أن أستطيع الآن أن أشتري لك ساعة. أؤجل المسألة إلى أن أعود في أغسطس.

أولغا تبلغك تحياتها.

تحياتي واحتراماتي للوالدة. أقبّلك وأشدّ على يدك. أتمنى لك الصحة والعافية.

أخوك أ. تشيخوف

٣٨٠. إلى قسطنطين بياتنيتسكي (ناشر)

موسكو، ٣١ مايو ١٩٠٤

قسطنطين بتروفيتش المحترم! كانت رسالتكم مفاجأة بالنسبة لي. فلمَ لم تكتبوا لي عن الموضوع سابقاً، قبل شهرين أو ثلاثة؟ كان بوسعي حينذاك أن أرجئ تصحيح المسرحية («بستان الكرز»، نشرها بياتنيتسكي عن دار «المعرفة» وطلب من تشيخوف عدم السماح لماركس بإصدارها حتى نهاية العام) إلى شهر يناير أو أبعد منه. أما الآن، وخلال مرضي، فلم أكن أتصور أن ماركس يمكن أن يصدر المسرحية فوراً. وبعد أن صححتها بعثتها إليه من دون رويّة أو تفكير. فما العمل؟ سأكتب اليوم إلى ماركس (بشأن إرجاء إصدار الكتاب) وأظن أنه سيلبي طلبي.

يخيل إليّ أن صدور «بستان الكرز» عن مؤسسة ماركس لن يسبب لكم أية خسائر. فهو يطبع الكتب للمسرح فقط. ثم إن دار «المعرفة» تتمتع بجمهور واسع من القراء والمحبين ولم تعد تخشى أية منافسة.

استلمت الـ ٤٥٠٠ روبل، وأشكركم من صميم القلب. أنا لا أزال ألازم الفراش كمريض عن حق وحقيق. وفي الثالث من يونيو أغادر إلى شوارتسوالد (. . .).

أتمنى لكم كل خير، وأرجو إبلاغ تحياتي إلى أليكسي مكسيموفيتش (غوركي) إذا التقيتموه. مع تمنياتي بالصحة والتوفيق.

المخلص الوفي أ. تشيخوف

٣٨١. إلى أدولف ماركس

موسكو، ٣١ مايو ١٩٠٤

أدولف فيودوروفيتش الموقر!

بناءً على توصية الأطباء أنا مسافر إلى الخارج في الثالث من يونيو، وهذا عنواني: ألمانيا، ...Badenweiler, post, rest. سأعود إلى روسيا في أغسطس، بل وقبله.

أرسلت إليكم بروفة «بستان الكرز» مذيّلة بتوقيعي. وهي النص المصحح وأرجوكم كل الرجاء أن لا تصدروا المسرحية (على انفراد) قبل أن أختتمها. بودّي أن أضيف إليها توصيفاً للشخوص. كما أن لدي عقداً مع متجر دار «المعرفة» ينص على عدم إصدار المسرحية حتى إشعار معين. (عرضت «بستان الكرز» لأول مرة على خشبة المسرح الفني بموسكو في ١٧ يناير ١٩٠٤، ولم يكن تشيخوف راضياً عن الإخراج).

أتمنى لكم كل خير.

مع احترام

المخلص الوفي أ. تشيخوف

٣٨٢. إلى قسطنطين بياتنيتسكي

موسكو، ٢ يونيو ١٩٠٤

قسطنطين بتروفيتش المحترم!

استلمت الآن من ماركس برقية يقول فيها: «يؤسفني جداً أنني لا أستطيع أن ألبي طلبكم، ويدهشني أنكم لم تحذروني في حينه. المسرحية حالياً اكتملت طباعتها، ولم يعد بالإمكان إجراء تعديلات عليها. ثم إننا نشرنا إعلاناً عن قرب صدورها، في العدد ٢٣ من مجلة «نيفا» الذي طبعنا منه قرابة مئة ألف نسخة ووزعنا بعضها على المشتركين هذا اليوم. وأجد صعوبة بالغة في الامتناع عن تزويدهم

بالكتاب الذي أعلنا عنه، ولذا لن أستطيع أن أفعل شيئاً الآن حتى ولو أردت. ماركس».

أنا المذنب طبعاً، لأنني لم أؤجل إرسال النسخة المصححة. كما يقع الذنب عليكم أنتم أيضاً، لأنكم لم تبلغوني سابقاً، عندما صدرت مجموعتكم (وهي تضم، فيما تضم، «بستان الكرز»).

إلا أنني أكرر القول إن لدى ماركس قراءه الخاصين، ولدى (داركم) «المعرفة» قراءها، ولن يُلحق ماركس أية أضرار بكم ولو بفلس واحد.

أنا مسافر غداً. (. . .)

أتمنى لكم كل خير.

المخلص الوفي أ. تشيخوف

٣٨٣. إلى ماريا تشيخوفا

برلين، ٦ يونيو ١٩٠٤

عزيزتي ماشا! أكتب لك من برلين وقد وصلتها أمس. في موسكو اشتد البرد بعد سفرك (إلى يالطا)، وسقط ثلج. ويبدو أنني أصبت هناك بالرشح وأخذت أشعر بألم في الساقين واليدين، ولم أذق طعم النوم عدة ليال، وانتابني هزال شديد. كنت أرش المورفين وأستعمل آلاف الأدوية والمستحضرات وأتذكر بارتياح الهيروبين الذي وصفه لي (الطبيب) آلتشولر في حينه. قبيل السفر (إلى ألمانيا) استعدت قواي على أية حال، وتفتحت شهيتي، وأخذت أتناول رشات من حامض الزرنيخ وغيره، وأخيراً سافرت إلى الخارج يوم الخميس نحيلاً بساقين نحيفتين هزيلتين جداً. هنا، في برلين، استأجرنا غرفة مريحة في أفضل فندق. وها أنا أقيم بمنتهى الارتياح، ولم أكن من زمان قد تناولت طعاماً جيداً وبشهية عظيمة كما الآن. الرغيف هنا لا ألذّ منه. آكله حتى التخمة. والبن رائع، ناهيك عن وجبة الغداء. من لم يسافر إلى الخارج لا يعرف قيمة الرغيف الجيد. لا يوجد هنا شاي معتبر / جلبنا شاينا معنا/، كما لا توجد مزة. وفيما عدا ذلك كل شيء على أروع ما يكون، رغم أن الأسعار أرخص مما عندنا. لقد أكلت اليوم حتى الشبع، وتمشيت فمضيت بعيداً في

ترغارتن، رغم برودة الجو بعض الشيء. إذن، بلّغي الوالدة وكل من يسأل عني أن صحتي في تحسن، بل إنها تحسنت. فلا ألم في الساقين، ولا إسهال وأخذت البدانة تدب إليّ، وأنا لا ألازم الفراش، بل طوال النهار في حركة متواصلة. غداً سيزورني بروفيسور شهير في هذه الأنحاء إنه أيوالد الاختصاصي بأمراض المعدة والأمعاء. وقد كتب له عني (طبينا في موسكو) الدكتور تاوبي.

يوم أمس شربت جعة رائعة.

إيفان موجود في يالطا؟ كان عندي في موسكو قبل يومن من مغادرتي، ثم اختفى، ولم أره بعد ذلك. وأقول إنني طول الطريق كنت قلقاً عليه. أفكر فيه، أين هو، ولماذا اختفى فجأة؟ اكتبي لي رجاء ما المشكلة.

بعد غدٍ نغادر إلى بادنويلر. وسأرسل لك العنوان. اكتبي لي هل لديك نقود، ومتى أرسل الصك. برلين أعجبتني كثيراً، مع أن البرد محسوس اليوم. أقرأ الصحف الألمانية. الشائعات التي تقول إن الصحافة هنا كثيراً ما تنتقد الروس فيها مبالغة.

أتمنى لك الصحة والعافية والبهجة. ولتحفظك ملائكة السموات. بلّغي تحياتي للوالدة وقولي لها إن كل شيء الآن بات على ما يرام. سأعود إلى يالطا في أغسطس. تحياتي كذلك إلى الجدة وأرسيني وناستيا. وإلى بربارا قسطنطينوفنا أيضاً. أقبّلك.

أخوك أ. تشيخوف

٣٨٤. إلى بيوتر كوركين

بادنويلر، ١٢ يونيو ١٩٠٤

(وصل تشيخوف إلى هذه البلدة في ٩ أو ١٠ يونيو وتوفي فيها يوم ١٥ يوليو)

عزيزي بيوتر إيفانوفيتش!

إليكم عنواني: ألمانيا، Badenweiler, Herrn Anton Tschechow, Villa Friederik

لم تعد قدماي تؤلمانني. ونومي بات جيداً. آكل بشكل ممتاز، سوى اللهاث

وتعسر التنفس بسبب انتفاخ الرئتين والهزال الشديد الذي كسبته في موسكو خلال شهر مايو. صحتي تتحسن بشكل مطرد، وليس قطرة قطرة. بادنويلر بلدة جيدة، دافئة ومريحة للمعيشة ورخيصة. إلا أنني، على الأرجح، سأبدأ بالتفكير في الفرار من الضجر المخيم عليها.

اكتبوا لي، يا عزيزي، بمزيد من التفصيل. أرجوكم. متمنياً لكم موفور الصحة والتوفيق.

المخلص أ. تشيخوف

٣٨٥. إلى ماريا تشيخوفا

بادنويلر، ١٢ يونيو ١٩٠٤

عزيزتي ماشا، لليوم الثالث أقيم في المكان المطلوب (فيللا فريدريك). وإليك العنوان الكامل في ألمانيا، إذا شئتِ:

Badenweiler,
Herrn Anton Tschechow,Villa Friederik

هذه الفيللا، شأن جميع الفيللات والمنازل هنا، تنتصب مستقلة في بستان فخم يسبح في أشعة الشمس الدافئة والمتواصلة حتى السابعة مساءً /بعدها أنتقل إلى الغرفة/. نقيم هنا وندفع إيجاراً. في مقابل ١٤ أو ١٦ ماركاً في اليوم تحت تصرفنا نحن الاثنين غرفة مغمورة بالشمس مع مغسلة وسريرين وما إلى ذلك، مع مكتب، والأهم مع إسالة ماء رائع يشبه مياه سيلترز (ألمعدنية). الانطباعات طيبة في كل مكان. بستان فسيح تلوح من ورائه جبال مكسوة بالغابات. والناس قبيلون، وحركة السير في الشارع فاترة، والعناية بالبستان وبالزهور ممتازة. إلا أن المطر هطل اليوم من دون سابق إنذار. وأنا جالس في الغرفة لا أفارقها، ويخيل إليّ أنني سأفكر بعد ثلاثة أيام في الفرار من هنا.

أواصل تناول الزبدة بكميات هائلة، من دون عواقب تذكر. ولا أطيق اللبن. اتضح أن الطبيب المحلي شويرير /زوجته من موسكو لقبها جيفاغو/ إنسان متمرس دمث الأخلاق.

ربما نغادر إلى يالطا عن طريق البحر عبر ميناء تريست أو أي مرفأ آخر. صحتي تعود إليّ بإطراد وليس قطرة قطرة. على الأقل اعتدت هنا على تناول الطعام بانتظام. البن ممنوع عليّ بالمطلق. يقولون إنه يزيد الإسهال. كما بدأتُ أقلل من تناول البيض. ما أسوأ أزياء الألمانيات!

أنا أقيم في الطابق السفلي. يا ليتك تعرفين طبيعة شمسهم هنا. إنها لا تلسع الجلد، بل تلاطفه. ولديّ مقعد وثير ومريح في الجلوس والاستلقاء.

سأشتري الساعة من كل بد. لم أنس هذه المسألة. كيف صحة الوالدة؟ كيف مزاجها؟ اكتبي لي. بلغيها تحياتي وأشواقي. أولغا تتردد هنا على طبيب أسنان متمرس جداً.

أتمنى لك موفور الصحة والبهجة. سأكتب لك رسالة أخرى بعد أيام. اشتريت في برلين الكثير من هذا الورق، والمظاريف أيضاً. أقبّلك، وأشدّ على يدك.

اخوك أ.

تحياتي إلى أرسيني والجدة وناستيا. بلّغي تحياتي بالمناسبة إلى سياني.
أين فانيا؟ هل وصل إلى يالطا؟ إذا كان هناك بلّغيه تحياتي.

٣٨٦. إلى فاسيلي سوبوليفسكي

بادنويلر، ١٢ يونيو ١٩٠٤

عزيزي فاسيلي ميخائيلوفيتش! شكراً جزيلاً على إرسال «الوقائع الروسية» التي بدأت أستلمها هنا منذ اليوم الأول لوصولي وهي تؤثر فيّ كالشمس الدافئة، فأقرأها كل صباح بمنتهى الارتياح. ثم إنني أشكركم جزيل الشكر لأنكم عرفتموني على السيد إيولوس (مراسل في برلين). إنه إنسان رائع واسع الاطلاع وأريحي يشعر بالمسؤولية إلى أبعد الحدود. لقد مكثت في برلين ثلاثة أيام، وطوال تلك الأيام الثلاثة تلمست اهتمام الرجل وعنايته بي.(...)

صحتي تتحسن باطراد وبسرعة. لم أعد أشعر بألم في القدمين من زمان، وكأنهما لم تؤلماني. أتناول الطعام بوجبات محدودة وبشهية جيدة، ولم يبق سوى

عسر التنفس بسبب انتفاخ الرئتين والضعف الناتج عن النحول الذي ألمّ بي خلال فترة المرض.(. . .)

بادنويلر مصيف فريد وأصيل، لكنني لم أستوضح حتى الآن حيثيات أصالته. بحر من الخضرة وانطباعات الجبال والجو الدافئ جداً والمنازل الصغيرة والفنادق المنتصبة في مواضع منفصلة خضراء. أنا أقيم في بنسيون هو عبارة عن قصر مغمور بأشعة الشمس حتى السابعة مساءً، وفيه حديقة رائعة. ندفع ١٦ ماركاً في اليوم لشخصين /أجور الغرفة وطعام الغداء والعشاء والقهوة/ . الطعام طيب، بل طيب جداً. ولكنني أتصور مدى الملل والضجر هنا على العموم. (. . .)

هؤلاء الألمان إما أنَهم فقدوا ذوقهم أو أنهم لم يكن لديهم ذوق أبداً. الألمانيات يرتدين الثياب بدون ذوق، بل وبأبشع صورة. والرجال كذلك. ولا توجد في برلين حسناء واحدة لم تشوهها ثيابها. إلا أنهم من الناحية الاقتصادية بلغوا ذرى لن نتمكن من بلوغها. عفارم عليهم.

ألم أثقل عليكم بثرثرتي؟ أسمحوا لي أن أشكركم مرة أخرى على الجريدة وعلى إيولوس وعلى زيارتكم في موسكو والتي جاءت في وقتها وأسعدتني. لن أنسى أبداً موقفكم تجاهي. أتمنى لكم الصحة والتوفيق، وليهبكم الله صيفاً دافئاً. على فكرة، في برلين الجو بارد. أعانقكم وأشدّ على يدكم بحرارة.

المخلص أ. تشيخوف

٣٨٧. إلى يفغينيا تشيخوفا

بادنويلر، ١٣ يونيو ١٩٠٤

حبيبتي ماما! أبعث إليكم تحياتي. صحتي تتحسن، والأرجح أنني سأستعيد عافيتي تماماً بعد أسبوع. ظروفي هنا جيدة. هدوء ودفء وشمس مشعة، ولا قيظ. أولغا تحييكم وتقبّلكم. بلّغوا ماشا وفانيا وجميع الأهل تحياتي. أقبّل يدكم وأحيّيكم أجمل تحية. أمس بعثت رسالة إلى ماشا.

ولدكم أنطون

٣٨٨. إلى ماريا تشيخوفا

بادنويلر، ١٦ يونيو ١٩٠٤

عزيزتي ماشا! استلمت منك اليوم بطاقة البريد التي هي أول رسالة. فشكراً جزيلاً. أنا أعيش بين الألمان، وقد تعودت على غرفتي وعلى النظام، لكنني لا أستطيع أن أتعود على السكون والهدوء الألماني. فلا صوت داخل البيت وخارجه. فقط في السابعة صباحاً وفي الظهر تعزف في الحديقة موسيقى غنية، لكنّ الأداء رخيص تعوزه الموهبة. لا ألمس ولا ذرة من الموهبة في أي شيء هنا، ولا ذرة من الذوق، إلا أن النظام والنزاهة في كل شيء. حياتنا الروسية أكثر إبداعاً بكثير، ناهيك عن الحياة الإيطالية أو الفرنسية.

صحتي تحسنت. عندما أمشي لم أعد ألاحظ أنني مريض. أمشي ولا شيء أكثر. تعسر التنفس بات أهون. ولا أشعر بألم. إلا أن نحولاً شديداً ألمّ بي بعد المرض. الساقان نحيفتان إلى درجة ما كنت أعرفها في السابق أبداً. الأطباء الألمان قلبوا حياتي رأساً على عقب. في السابعة صباحاً أشرب الشاي في السرير، ولا أدري لماذا في السرير تحديداً. وفي السابعة والنصف يأتي ألماني لعله خبير تدليك ويمسح بدني كله بالماء، ويتضح أن ذلك إجراء جيد. ثم عليّ أن أستلقي بعض الوقت وأنهض لأشرب كاكاو جوز البلوط في الثامنة، وأتناول معه كمية هائلة من الزبدة. وفي العاشرة عصيدة الشوفان الفواحة اللذيذة جداً والتي لا تشبه عصيدتنا الروسية. ثم الهواء الطلق والشمس. وقراءة الصحف. وفي الواحدة ظهراً الغداء. علماً بأنني لا أتناول أطباق الطعام أياً كانت، بل فقط الأطباق التي تختارها أولغا لي بناءً على وصفات الطبيب الألماني. وفي الرابعة بعد الظهر أشرب الكاكاو من جديد. والعشاء في السابعة مساءً. وقبيل النوم أحتسي قدحاً من شاي الفراولة البرية لجلب النعاس. في كل هذه الإجراءات الكثير من التحايل، إلا أن بينها أشياء جيدة ومفيدة فعلاً، مثل عصيدة الشوفان. وسأجلب معي إلى البيت كمية من الشوفان الألماني.

أولغا توجهت قبل قليل إلى بازل في سويسرا لعلاج أسنانها. وستعود في الخامسة مساءً.

أنا متشوق للسفر إلى إيطاليا.

يسعدني جداً أن إيفان عندنا. تحياتي له. وتحياتي للوالدة أيضاً.
ماذا عندكم في ثانوية البنات؟ هل ستترك بربارة قسطنطينوفنا الثانوية؟ ألا يزال (الشيخ التتري) بورودولين على قيد الحياة؟ (...) أنا مسرور جداً لأن كل شيء عندكم على ما يرام. سأبقى هنا، على الأرجح، ثلاثة أسابيع أخرى، ومن هنا سأسافر إلى إيطاليا لفترة قصيرة. وبعدها إلى يالطا، ربما بالباخرة.
اكتبي لي أكثر. وبلّغي إيفان أن يكتب هو أيضاً. أتمنى لك الصحة والسلامة. أقبّلك.

أخوكِ أ.

٣٨٩. إلى قسطنطين بياتنيتسكي

بادنويلر، ١٩ يونيو ١٩٠٤

قسطنطين بتروفيتش المحترم
كنت (في موسكو) مريضاً جداً منذ ٢ مايو، ولازمت السرير طوال الوقت. ولم أكن، كما فهمت الآن، أفكر في ما كان يجب عليّ أن أفكر فيه أنا شخصياً. ولذا يتوجب عليّ، شئتُ أم أبيت، أن أتحمّل الجزء الأكبر من المسؤولية عن هذه القضية المزعجة (الخلاف مع الناشر ماركس). يمكنني أن أعوض عن خسائركم بإعادة مبلغ ٤٥٠٠ روبل الذي استلمته منكم. وسأعيده في أواخر يوليو عندما أعود إلى روسيا، وكذلك بتحمّل حصتي من خسائر التسويق الضعيف (لـ«بستان الكرز» التي أصدرتموها). هكذا قررتُ وأرجوكم كل الرجاء أن توافقوني.
من الناحية القانونية لا يمكن حل المسألة إلا بالشكل التالي: أنتم تقيمون الدعوى عليّ /وأنا أعطيكم موافقة كاملة واثقاً من أن ذلك لن يؤثر أبداً في علاقاتنا الطيبة/ وأنا أوكل غروزينبيرغ ليقيم الدعوى باسمي على ماركس مطالباً إياه بالتعويض عن الخسائر التي تكبدتموها والتي أنا المسؤول عنها.
وهكذا، فإما بطريق الصلح أسدد لكم ٤٥٠٠ روبل ومبلغ الخسائر، وإما أن تحل المشكلة من قبل المحكمة. أنا أفضل الحل الثاني. فكل ما يمكن أن أكتبه الآن إلى ماركس لا جدوى منه. وأنا أقطع جميع العلاقات معه لأنني أعتبر نفسي

مخدوعاً بغباوة في صغائر الأمور. ومهما كتبت له الآن لن يكون بالنسبة له ذا قيمة أبداً.

معذرة لأني أثرت اضطراباً في حياتكم الهادئة على صعيد الطباعة والنشر. فما العمل؟ كل مرة يحدث لي طارئ بخصوص المسرحيات. وكل مسرحية من مسرحياتي ترى النور لسبب ما في فضيحة. وأنا لا أشعر من مسرحياتي أبداً بما يشعر به المؤلف عادة، بل يحصل لها شيء عجيب غريب.

على أية حال لا تهتموا كثيراً ولا تزعلوا. فأنا في حال أسوأ من حالكم. (. . .)

صحتي متدهورة. أشدّ على يدكم بحرارة وأبقى على احترامي الصادق لكم

المخلص أ. تشيخوف

٣٩٠. إلى ماريا تشيخوفا

بادنويلر، ٢١ يونيو ١٩٠٤

عزيزتي ماشا! أرسل إليك صكاً بنكياً بمبلغ ١٢٠٠ روبل، خذي منها ٤٠٠ روبل وحوّلي الـ ٨٠٠ الباقية إليّ على العنوان التالي:

حوالة نقدية ثمانمئة / ٨٠٠/ روبل، **acht hundert Rubel**

ألمانيا، بادنويلر، أنطون بافلوفيتش تشيخوف (. . .) من ماريا تشيخوفا.

ضعي الأوراق النقدية الروسية في مظروف واذهبي إلى دائرة البريد، وهناك تفعلين كما فعلت أثناء تحويل المبلغ إلى باخموت (مدينة في أوكرانيا).

أحوالي لا بأس بها، لكنني بدأت أملّ من بادنويلر. ففيها أكثر ما يلزم من الهدوء والنظام الألماني. أما في إيطاليا فالوضع يختلف. في غداء اليوم قدموا لنا طبقاً من لحم الضأن المطبوخ. يا ترى، أي طعام هذا؟ الغداء كله رائع، إلا أن أبواز الجرسونات المتكبرين تجعل المرء يفقد أعصابه.

لعل من الضروري لك أن تسافري إلى الخارج. رأيتُ كيف سافرت سافيتسكايا ومرادوفا إلى سويسرا. يمكنك أن تحسديهما، رغم الدرجة الثالثة في القطار.

الطقس هنا ليس جيداً تماماً. فالمطر يتساقط كل يوم تقريباً. اتضح أن الدكتور شفيورير الذي يعالجني، أي يتردد عليّ، إنما هو بمثابة الإله بالنسبة لطبيبنا تاوبي. ما يوصي به من الوصفات يوصي به تاوبي. ولذا لا يختلف علاجي هنا كثيراً عن علاجي في موسكو. نفس الكاكاو الأحمق، وعصيدة الشوفان نفسها.

تحياتي للوالدة وفانيا وجورج متمنياً لهم كل خير. اكتبي لي أكثر. فأنا أستلم القليل من الرسائل. أولغا رممت أسنانها بأروع صورة مدى الحياة. أسنانها الأساسية باتت من ذهب. أنا أيضا أريد أن أفعل الشيء ذاته، لكنني لم أشد العزم بعد. طبيب الأسنان يأتي إلى هنا من بازل مرة في الأسبوع. إنه طبيب ماهر.

أقبّلك وأشدّ على يدك. كوني مطمئنة. كل شيء سيجري على ما يرام.

أخوك أنطون

٣٩١. إلى ماريا تشيخوفا

بادنويلر، ٢٢ يونيو ١٩٠٤

عزيزتي ماشا! أمس بعثت لك رسالة مسجلة وأعتقد أني كتبت في الصك المصرفي المرفق بها تاريخ ٢٤ يوليو بدلاً من ٢٤ يونيو. سلميه إلى فانيا لكي يصحح التاريخ. كما نسيت أن أخبرك بضرورة شق كوة في نافذة جناح دورة المياه، إذا كان لديك وقت، ليكون بالإمكان فتحها، ولكن بشرط أن تكون جيدة وجميلة.

لا ترمي طوابع البريد، احتفظي بها من أجلي.

الطقس هنا اليوم /٢٢ يونيو/ دافئ وجيد جداً. أنا في صحة مقبولة، وأشعر أنني أفضل من يوم أمس. اللهاث أخف مما كان في يالطا. نقيم في فندق Hotel Sommer. أسباب الراحة هنا جيدة، أما في Villa Friederike فكانت عادية جداً. دائرة البريد على مقربة منا. نتغدى ونتعشى /في الساعة الواحدة وفي السابعة والنصف/ بأروع شكل، على الطريقة الألمانية. أتمنى لك الصحة والبهجة. سنلتقي في أغسطس أو قبله. تحياتي للوالدة وفانيا وجورج. بلّغي جورج أن يكتب لي.

المخلص أخوك أ.

٣٩٢. إلى غريغوري روسوليمو

بادنويلر، ٢٨ يونيو ١٩٠٤

عزيزي غريغوري إيفانوفيتش! لدي إليكم رجاء. لقد حدثتموني في إحدى الأمسيات عن رحلتكم مع ليف لفوفيتش تولستوي (الابن) مروراً بآثوس. على متن «لويد» النمساوية؟ هل كانت الباخرة ذاهبة من مرسيليا إلى أوديسا؟ إذا كان الأمر كذلك خذوا الريشة على عجل واكتبوا لي، بالله عليكم، في أي يوم وأي ساعة تغادر الباخرة مرسيليا، وكم يوماً تقضي في الطريق إلى أوديسا، وفي أي ساعة من النهار أو الليل تصل إليها، وهل تتوفر فيها أسباب الراحة، مثل قمرة لي مع لزوجتي، وطعام جيد ونظافة... عموماً هل كنتما مرتاحين؟ بالنسبة لي أهم شيء هو الهدوء وما يحتاج إليه المصابون بعسر التنفس. أرجوكم، اكتبوا لي، واذكروا ثمن التذاكر.

كل هذه الأيام حرارتي مرتفعة، لكنني اليوم بخير. أشعر بأني في صحة لا بأس بها، وخصوصاً عندما لا أمشي، أي لا أعاني من تعسر التنفس. تعسر التنفس هذا عصيب إلى حد الاستغاثة. في بعض الأحيان أشعر بإحباط شديد. وفقدت من وزني ١٥ رطلاً.

الحر هنا لا يطاق. ولا من مغيث. وليس لدي بدلة خفيفة، وكأنني قدمت إلى السويد. يقال إن الحر في كل مكان، في الجنوب على الأقل.

وهكذا أنتظر الجواب بفارغ الصبر. واعذروني، يا عزيزي، على الإزعاج. لا تزعلوا عليّ، فلربما أستطيع في وقت ما أن أرد على الجميل بالجميل. هكذا أعلل نفسي بالآمال... ما أشدّ الضجر في مصيف بادنويلر الألماني هذا!

أشدّ على يدكم بحرارة. وأقدم تحياتي واحتراماتي إلى زوجتكم. أتمنى لكم الصحة والسعادة.

المخلص أ. تشيخوف

٣٩٣. إلى ماريا تشيخوفا

بادنويلر، ٢٨ يونيو ١٩٠٤

عزيزتي ماشا! الجو قائظ هنا بقسوة. وقد فوجئت به، لأن كل ثيابي شتوية، وأنا أشعر بعسر التنفس وأحلم بمغادرة هذا المكان. ولكنْ إلى أين؟ كنت أريد السفر إلى كومو في إيطاليا، إلا أن الجميع فروا من هناك بسبب الحر. الحر في كل مكان من جنوب أوروبا. كنت أريد أن أستقل الباخرة من تريست إلى أوديسا، ولا أدري بخصوص إمكان ذلك الآن، في يونيو- يوليو. هل يستطيع جورج أن يستفسر عن البواخر، وهل هذا مريح؟ وهل فترات التوقف طويلة؟ وهل الطعام جيد؟ وما إلى ذلك. ستكون تلك بالنسبة لي جولة لا يجوز الاستغناء عنها فيما لو كانت الباخرة جيدة. (. . .)

إذا كان الجو حاراً بعض الشيء فلا ضير. ستكون لدي بدلة من الفلانيلا. وأقول صراحة إنني أخشى السفر بالقطار. فالجو خانق في العربة، وخصوصاً بسبب عسر التنفس الذي يشتد عندي لأتفه الأسباب. وإلى ذلك لا توجد عربات نوم في الطريق من فيينا حتى أوديسا. ولن أرتاح. ثم إنني أصل إلى الديار قبل الأوان إذا سافرت بالقطار، دون أن أشبع من التجوال.

الجو ساخن إلى درجة تقتضي خلع الثياب. ولا أدري ماذا عليّ أن أفعل. أولغا سافرت إلى فرايبورغ لتخيط لي بدلة من الفلانيلا. فهنا في بادنويلر لا يوجد خياطون ولا إسكافيون. ومن أجل المقاس أخذت معها بدلتي التي خيطت عند ديوشار.

الطعام هنا لذيذ جداً، ولكن رغبتي فيه ليست كبيرة. ومن حين لآخر ترتبك المعدة. لا أستطيع أن أتناول الزيت المحلي. يبدو أن معدتي عاطلة ولا أمل في إمكان تشغيلها ربما إلا بالصوم، بمعنى عدم تناول أي طعام، وعندها تكون النهاية. والدواء الوحيد لعسر التنفس هو السكون وعدم الحركة.

لم أرَ ألمانية واحدة في فستان أنيق. قلة ذوق تثير الاكتئاب.

على أية حال أتمنى أن تكوني في صحة ومرح. تحياتي للوالدة وإيفان وجورج والجدة وجميع الباقين. اكتبي لي. أقبّلك.

المخلص أ.

(تعقيب) هذه آخر رسالة كتبها تشيخوف.

المحتويات

هذا الكتاب

رسائل أنطون تشيخوف (١٨٦٠ - ١٩٠٤) تشغل إحدى أكبر مساحات أدب المراسلات الروسي والعالمي، وتمثّل شكلاً فريداً من السرد الوثائقي المقتضب لمجريات حياة الكاتب ومسارات إبداعه. وفي كل رسالة لمسات برّاقة من صورة تشيخوف الشخصية بريشته الآسرة. إلا أن القيمة المعرفية لتلك الرسائل أكبر من وزنها الشخصي. ففيها نبض الحياة الثقافية والاجتماعية في روسيا أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

مواضيع الرسائل في غاية التنوع: من يوميات الترحال والتجوال في الهند وسخالين إلى مواقيت العمل في كتابة القصص ومراحل تأليف المسرحيات، إلى أحداث الحياة العائلية والارتباطات الفكرية مع أبرز الأدباء والناشرين والمسرحيّين والملحّنين وسواهم. كل أعلام العصر الفضي للأدب الروسي في هذه الرسائل.

وهي مشحونة بآراء تشيخوف في القضايا الجمالية والفنية، وأفكاره بشأن مهمات الأدب وخصوصية الفنان وأصالته وتفرّد موقفه العقائدي. وإلى ذلك تتولّى الرسائل دور المحلل الشخصي لنتاجات الكاتب الذي أطبقت شهرته الآفاق...





الغلاف : سكينة صلوُن